نجوى .. لابد منها

بقلم :

عبدالحميد العلوچي

رئيس التحرير

ما زالت « المورد » تتشبّثُ بالنهجِ الوادعِ منذ هي غضّةٌ ، وقد بلاها التراثيّون مَجَلّةً حافلةً هادرةً موقّرةً ، ترفلُ بالمضمونِ الرصيص ، وتحترمُ فَصْلَ الخِطاب ، ولا تصبرُ على إعوجاجٍ . فلا غَرْوَ إذا كانت ، في هذه المساكنةِ ، لم تقنَعْ بما يتيسَّرُ ، ولم تحامِقْ أحداً . وأنا حين أَرُوز مسيرَها الخصيب أَجِدُني محمولاً على الاعتراف بأنها استقامتْ بجميع أعدادِها سُلالةً كريمةً ، لم تحلُمْ بكوابيسَ ولا بأضغاثٍ . . وإنّما قدّمتِ التراثَ العربيَّ للناس مُؤَزَّراً بالهاضومِ الذي يصنعُ المباهجَ ، كما هامَسَتْ قُرّاءَها بما يمنحهم القُدرةَ على التفكير بصوتٍ عالٍ ، فهي منذ سارتْ على الطائر الميمونِ لم تَعْدِلْ عن البشاشةِ بالعملِ النافع والجُهْدِ الصادق . . بل تعدُّهما صَدَقةً يُتصدَّقُ بهما عليها . واذا كان ، في مَعْرِضِ التقويمِ والمراجعة ، ما يوميءُ الى المجاملةِ التي عَقِرتْ سُمعتَها وحادتْ بها عن الأنصافِ . . فأنها ، بعد اليوم ، لن تُجاملَ أحداً ، ولن تُلوِّثَ صفحاتِها بالمواثبات الجائرةِ والدراساتِ الطائشة والنصوص المُهَبَّلَةِ الجوفاء .

ومن المؤسفِ أنّ هناك ، بين الباحثين وأرباب القلم ، مَنْ يتوهَّمُها مثابةَ مَرْزِئةٍ ، وقد أغراهم هذا الظنُّ باقتحام النتاجِ المنشور بوجهٍ عابسٍ ، وتجريحِهِ جُزافاً ، وعلى هؤلاء وأشباههم أن يعلموا بأنّ « الموردَ » ليست مِلْواحاً لصيدِ العُقْبان ، وانها تستهجنُ ما ينبعُ من حُكاكاتٍ مَوْجدةٍ طارئة أو ثُمالاتِ حقيدةٍ دفين . . وأنا أعجبُ لهم يتذامرون ويتقاهرون لِيَرْشُوا وجوهَ القُرّاء بقيحهم ، فهم تحت مظلّةِ نقدٍ مزعومٍ لا يتورعون عن التراجُمِ بالقِرْميد والتراشقِ بالسهام وكيِّ الجباه بالكلمة القَسْطاء . . انهم يرومون أن يمسخوا « الموردَ » ساحةً للنزاعِ العَضُوض والمراكلةِ المتوعّدة والشتيمةِ اللاذعة بين غالبٍ ومغلوب ، وما على الغالب إلّا أن يُلصقَ المغلوب بالرَّغام ويريه شَبَحَ الموتِ شَبَحَيْن ، وما على المغلوب إلّا أن يرتشفَ الجزعَ أنفاساً ويَلْزَمَ الخِدْرَ مروَّعاً . . ولكنِ الموردَ حيالَ هؤلاء الاخوةِ الأعداء لا تهوى أن تتراجعَ ، في نهايةِ المطاف ، مجلةً خاويةً ، غارقةً في غيبوبة ، خادعةً كخضراء الدِّمَنِ ، وهي ـ فوق ذلك ـ ترفض الاكتحال بما يُحَكُّ بين حَجَرَي الناقدِ والنقود . . لأنّها رسختْ على الّا تنصر الحَرْفَ ظالماً ، فتلك لُعبةٌ باطلةٌ يُرادُ بها أن تكون « الموردُ » مِشْجباً للخناجر . . وهيهاتَ هيهاتَ لما يحلمون ، إذْ لا مكانَ في الموردِ لمن يَصْبو إلى نشوةٍ تتأججُ بالريشِ المنتوف والشوارب المحلوقة . . وليعلم الذين يعشقون المناوأة أنهم محكومون بموقفٍ أخلاقيٍ يُلزمهم اجتنابَ الأساءة الى البيت الذي يستضيفُهم . وهل « الموردُ » إلّا بيتٌ يتبرّمُ باستقبال ما يتطيّرُ منه ؟.

إنّ « الموردَ » ستحجبُ عن الأنظار ما لا يتناغمُ مع رسالتها ، ولن يَضيرَها صريخُ مَنْ يتكلّفون الصراخَ . . واذا كان مدخلُها عريضاً يتسمُ للنتاج الذي ينفع الناس ويمكثُ في الأرضِ . . فانّ مخرجَها مفتوحٌ للنتاج الذي لا ينفعُ ولا يمكثُ .

تنظيمات الجيش في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس في العصر الأموي

د . عبد الواحد طه ذنون

كلية الآداب – جامعة الموصل

تمهيد :

اهتم كثير من الباحثين بدراسة التاريخ العسكري العربي في مختلف العصور الاسلامية لما لهذا التاريخ من اهمية كبيرة في الكشف عن جوانب مهمة من الحضارة العربية الاسلامية . وكتبت فيه بعض الرسائل الجامعية المتخصصة . وعدد من الدراسات العامة العديدة[1] . ولكن الغالبية العظمى من هذه الدراسات والبحوث ركزت على تنظيمات الجيش ، وفن المعارك والحروب في المشرق . أما عن المغرب العربي الاسلامي ، لا سيما الاندلس ، فلا نجد هذا التنوع في الدراسات العسكرية وانما يأتي الحديث عن الجيش عادة ضمن موضوعات التاريخ الاندلسي العامة ، فالذي يتحدث عن فتح الاندلس يوضح تشكيل القوات التي دخلت مع كل من طارق بن زياد وموسى بن نصير ، والمعارك التي خاضتها لانجاز الفتح . فالابحاث عن عصر الولاة ، تطرقت الى تنظيمات ابي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي في توزيع القوات الشامية على الكور المجندة . والدراسات عن عصري الامارة والخلافة اشارت الى بعض المعلومات الخاصة بالجيش والحروب والحملات العسكرية ، بقدر ما يتعلق بسير الاحداث السياسية الداخلية والخارجية للاندلس .

وقد حاول بعض الباحثين التركيز على جوانب خاصة في التنظيم العسكري الاندلسي ، لا سيما في مجال البحرية[2] . اما الجيش فلم يحظ بدراسة خاصة باللغة العربية . وتجدر الاشارة هنا الى ما كتبه ليفي بروفنسال ضمن دراسته العامة عن تاريخ اسبانيا الاسلامية ، فقد خصص في الجزء الثالث صفحات عديدة للتنظيم العسكري في الاندلس[3] . ولكن اهتمامه لم يكن منصباً على إصدار دراسة متكاملة عن الجيش في العصر الاموي ، وانما ركز على امكانيات الدفاع والمواجهة مع القوى الاسبانية المتعددة لا سيما في عصر الخلافة . يضاف الى هذا صعوبة اطلاع القارىء العربي على الكتاب نظراً لندرته وعدم ترجمته الى اللغة العربية الى حين كتابة هذا البحث .

ان هذه العوامل دفعتني الى محاولة دراسة تنظيمات الجيش الاندلسي في العصر الاموي دراسة علمية قائمة على الاعتماد على المصادر الاولية الاصلية . فحاولت التوصل الى نشوء الجيش الاندلسي . ولهذا كان لا بد من الرجوع الى البداية الاولى لوجود المسلمين على ارض شبه الجزيرة الايبيرية ، وكيف تطورت

التنظيمات العسكرية الاولى مع الزمن ، وحسب العصور التي مرت بالاندلس . ان عملية الرجوع الى البداية ضرورية للتعرف على العناصر الاولى المكونة للجيش ، لانها هي الاساس . أما بقية العناصر والتعديلات التي كانت تطرأ على تنظيم الجيش ، فكانت كلها تدور حول محور العناصر الاولى ، اي العرب والبربر ، فكان هذان العنصران الاساسيان ذوي فعالية في الحياة الاندلسية ، وظلا قوة كبرى الى نهاية العصر الاموي في الاندلس .

الطلائع العسكرية الاولى

بعد انجاز عملية فتح الاندلس ، وفي اوائل عصر الولاة ، كانت القوات التي وقع عليها عبء المحافظة على ديمومة الفتح واستمراره تتألف من رجال القبائل العربية والبربرية التي رافقت كلا من موسى بن نصير وطارق بن زياد . وقد استقر هؤلاء في الاندلس على طول الطريق التي سلكتها الحملات العسكرية لكل من القائدين المذكورين . وسمي هؤلاء الرجال بالبلديين ، لانهم اصبحوا يعدّون انفسهم أهل البلد ومالكيها[٤] . وأطلق على العرب منهم ، لا سيما اولئك الذين جاءوا مع موسى بن نصير ، اسم طالعة موسى بن نصير[٥] . وكان عدد الجميع حسبما تقدره الروايات يصل الى ثلاثين الف رجل ، دخل اثنا عشر الفاً منهم مع طارق[٦] . وثمانية عشر الفاً دخلوا مع موسى[٧] . ويضاف الى هؤلاء عدد كبير جداً من البربر الذين جاءوا من شمال افريقيا بعد سماعهم بنبأ الانتصار الكبير الذي حققه طارق بن زياد على القوط الغربيين . ولا توجد احصائيات باعداد هؤلاء ، ولكن يبدو ان عددهم كان كبيراً جداً ، كما تشير الى ذلك رواية الرازي[٨] ، وانهم عبروا المضيق بكل ما وقعت عليه ايديهم من قوارب ومراكب .

وقد إستمر الحال على هذه الشاكلة الى ان وفدت الى الاندلس قوة اخرى كبيرة تتألف من عشرة آلاف رجل بقيادة بلج ابن بشر القشيري ويسمون بالطالعة البلجية ، او الشاميين ، لان معظمهم ينتمي الى القبائل العربية في بلاد الشام[٩] ، وقد اجبرت تطورات الاحداث الحاسمة في شمال افريقيا هؤلاء الجند الى الالتجاء الى الاندلس بعد هزيمتهم أمام البربر سنة ١٢٤ هـ / ٧٤١ م . وشعرت الخلافة الاموية بضرورة بقاء هؤلاء الشاميين في الاندلس لحمايتها ، فكلّفت واليها على الاندلس ابا الخطار الحسام بن ضرار (١٢٥ - ١٢٧ هـ / ٧٤٢ - ٧٤٤ م) بالعمل على ايجاد جو مناسب لاستقرارهم في البلاد . وقد قرر ابو الخطار ان يمنح الشاميين إقطاعات من الارض في مناطق معينة من الاندلس ، تحت إمرة رؤسائهم ، وتحرى ان يكون استقرار كل مجموعة في مكان يحمل بعض الشبه للجند الاصلي الذي كانت تنتمي اليه في بلاد الشام ، وهكذا استقر الشاميون في المناطق الآتية :

جند دمشق في البيرة Elvira

جند حمص في اشبيلية Sevilla ونبله Niebla

جند قنسرين في جيانJaen

جند فلسطين وزع بين شذونه Sidonia والجزيرة الخضراء Algeciras

جند الاردن في رية Raiyo

جند مصر وزع بين اكشبونبه Ocsonba (Faro) وباجه Beja وكذلك في تدمير (محافظة مرسية الحالية Murcia)[١٠]

وقد دعيت هذه المناطق باسم الكور المجندة[١١] ، كما اطلق اسم الجندين على طالعتي موسى بن نصير وبلج بن بشر[١٢] . وكانت مهمة الجندين هي المحافظة على البلاد والاستعداد للدفاع عنها في حالة الخطر ، لا سيما الجند الشامي ، الذي كان استقراره في الكور المجندة يمثل نوعاً من الاقطاع العسكري ، ليكون رجاله جاهزين للقتال وقت الحاجة[١٣] .

ويلاحظ على تجمع القوات العربية والبربرية في الاندلس ، ان التنظيم القبلي كان هو السائد ، حيث استقرت كل قبيلة مع ما يتبعها من عشائر في مناطق خاصة بها ، وهذا يعود بالدرجة الاولى الى ان الجيوش التي دخلت الاندلس كانت تتألف بالاصل من مجموعات عديدة من القبائل العربية والبربرية التي انتظمت في معظم الاحيان تحت قيادة زعمائها . وهكذا أصبح في الاندلس اماكن خاصة بكل قبيلة تسمى باسمها ، مثل جزء البكريين ، وجزء اللخميين ، وجزء خشين ، واقليم همدان ، واقليم بني اسد ، واقليم كنانة ، واقليم زناتة ، وجزء مصمودة ، واقليم لماية[١٤] .

التنظيمات العسكرية والعناصر المستحدثة بعد قيام الامارة الاموية

ظل البلديون والشاميون يشكلون القوة الاساسية الدفاعية في الاندلس في اعقاب الفتح ، واستمروا يحتفظون بهذه الميزة لمدة طويلة بعد قيام الامارة الاموية وحتى زمن الخلافة . وكان الامراء والخلفاء الامويون يعقدون الالوية الغازية من هؤلاء الجند باستمرار . فكان هناك لواء غازيا ، وآخر مقيماً للشاميين يستبدلان كل ثلاثة اشهر . وكذلك كان الامر للبلديين ، لكن الويتهم تستبدل كل ستة اشهر . وكان الشاميون مفضلين على البلديين ، وكان الكتبة وموظفي الدبوان منهم خاصة لانهم ، كما ذكرنا آنفاً ، كانوا معدين للقتال ، ولا يلزمهم الا المقاطعة على اموال السكان الاصليين التي كانت بأيديهم[15] . وكانت مراتب الجند الشاميين في التقدم ايضاً معروفة ، فلواء جند دمشق ، وهم اهل كورة البيرة يأتي ضمن أول الالوية في الميمنة ، يتبعه لواء جند حمص ، اي أهل كورة اشبيلية ومعهم ايضاً الجند النازلين في لبلة . ويتبعهم جند قنسرين ، وهم اهل كورة جيان . ويأتي بعد هؤلاء في الترتيب لواء جند فلسطين اي اهل كورتي شذونة والجزيرة الخضراء ، فكانوا في الميسرة ، ويتبعهم لواء جندي الاردن ، وهم اهل كورة رية ، ومصر ، وهم اهل كورة باجة[16] .

وقد استفاد الامير عبدالرحمن بن معاوية (١٣٨ ـ ١٧٢ هـ / ٧٥٥ ـ ٧٥٦ ـ ٧٨٨ م) المعروف بالداخل من هذه الكور المجندة ، لا سيما اليمانيين منهم ، فشكل فور وصوله الى البر الاسباني قوة تنامت بسرعة حتى وصلت الى نحو ثلاثة آلاف فارس في اشبيلية . ومن هذه المدينة « كتب الامير عبدالرحمن الكتائب وعبّا الاجناد . . »[17] ، لقتال آخر ولاة الاندلس يوسف بن عبدالرحمن الفهري . وكان جيشه يضم عنصرين اساسيين ، وهما العرب والبربر . فعين على الفرسان الشاميين عبدالرحمن بن نعيم الكلبي ، وعلى المشاة اليمنيين بلوهة اللخمي ، كما عين على المشاة البربر وموالي بني امية عاصم بن مسلم الثقفي ، واعطى قيادة فرسان البربر الى رجل منهم وهو ابراهيم بن شجرة البرنسي[18] .

وبعد انتصاره على يوسف الفهري ، وتوليه إمارة الاندلس سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٥ ـ ٧٥٦ م ابتدأ عبدالرحمن بالتفكير في اجراء تنظيمات عسكرية جديدة تلائم النظام الجديد وتحميه . وقد دفعته الى ذلك عوامل عديدة ، منها عدم اطمئنانه الى بعض الاجناد القديمة ، لا سيما وان احدها ، وهو جند باجة تمرد عليه بقيادة زعيمه العلاء بن مغيث اليحصبي . فالغى عبدالرحمن هذا الجند من الديوان ، وحذف لواءه[19] . كذلك خشي من نفوذ زعماء القبائل اليمانية ، بعد ان اكتشف خطتهم للتخلص منه في الساعات الاولى بعد انتصاره على الوالي السابق ، فقتل زعيمهم ابا الصباح يحيى اليحصبي . ولهذا ابتدأ بانشاء قوة اخرى يمكن ان يعتمد عليها في مواجهة عصيان وتمرد القوات العربية القائمة على التنظيم القبلي .

فامر بشراء المماليك واستقدام البربر من شمال افريقيا ، وعاملهم معاملة حسنة جداً ، مما شجع المزيد منهم على العبور الى الاندلس والخدمة في جيوشه . وتبالغ المصادر في عدد هؤلاء ، فتذكر انه بلغ نحو اربعين الف رجل[20] . ويقال ان احد الامراء الامويين هو الذي اشار على عبدالرحمن باصطناع البربر واتخاذ العبيد[21] . وقد يكون هذا الخبر صحيحاً ، ولكن يبدو ان سياسة عبدالرحمن هذه لم تأت بصورة ارتجالية ، انما جاءت نتيجة خطة مدروسة حاول تنفيذها حال تسلمه منصب الامارة في الاندلس . وقد استحدث عبدالرحمن ايضاً عرافة سميت بعرافة السود لضم العبيد الذين يشترون . وكانت القوات في عهده تتألف من صنفين فقط ، هما الفرسان والرجالة . وهكذا نجد ان بداية تنظيم الجيش ، وادخال قوات نظامية فيه ابتدأت منذ عهد مؤسس الحكم الاموي في الاندلس ، اي عبدالرحمن الداخل ، واستمرت هذه السياسة في عهد حفيده الحكم الاول بن هشام[22] .

ثم توسع الحكم الاول (١٨٠ ـ ٢٠٦ هـ / ٧٩٦ ـ ٨٢١ م) في هذه السياسة ، ويبدو ان والده الامير هشام ابن عبدالرحمن (١٧٢ ـ ١٨٠هـ / ٧٨٨ ـ ٧٩٦ م) قد حاول هو الاخر السير بهذا الاتجاه . ولدينا اشارة مقتضبة عن هذا ذكرها المؤرخ ابن حيان[23] ، حين أشار الى وجود فرقة من الحرس الخاص للامير الحكم معظمهم من فيء أربونة Narbonna ورثهم عن والده هشام . وتشير المصادر الى اهتمام الحكم الاول باتخاذ

المماليك من المرتزقة ، حيث بلغ عددهم نحو خمسة آلاف رجل ، منهم ثلاثة آلاف فارس ، وألفا راجل . وكانوا يسمون بالخرس لعدم معرفتهم باللغة العربية[٢٤] . وقد استخدمهم بشكل خاص لحراسة قصره ، ليكونوا قوة للطوارىء تتولى القضاء على الحركات المناوئة للسلطة بسرعة . وقد أشار المؤلف المجهول لكتاب اخبار مجموعة الى وجود الفي فرس مرتبطة على شاطىء النهر ازاء قصر الامير ، في دارين على كل دار عشرة عرفاء يشرفون على هذه القوة لتكون معدة لما عسى ان يطرأ من احداث تستوجب المعالجة السريعة[٢٥] . وقد سار الامير عبدالرحمن الأوسط (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ / ٨٢١ - ٨٥٢ م) على سياسة ابيه الحكم في الاحتفاظ بهذه القوة ، فابتاع أنصبة اخوته من مماليك ابيه « العجم » ، واستخدمهم للحراسة والمرابطة على باب القصر[٢٦] .

وكان يطلق على هذه القوة الجديدة من المماليك العجم أو الخرس ، ايضا اسم الصقالبة والفتيان . وكانوا من سبي الحروب ، ومن الرقيق الذي يأتي به تجار اليهود من بلاد بلغاريا العظمى التي امتدت أراضيها من بحر قزوين الى البحر الادرياتي[٢٧] . وقد توسع العرب في استخدام لفظ الصقالبة فاطلقوه على أرقائهم من اية أمة . وقد سمي هؤلاء الفتيان ايضاً باسم العلوج ، والمجابيب ، والخلفاء[٢٨] . وكان الامراء الامويون يستخدمون هؤلاء المماليك في مجالات عديدة ، فقد أرسلوا مثلاً للقضاء على بعض الاضطرابات خارج العاصمة قرطبة Cordaba[٢٩] ، أو كانوا يرافقون الولاة حين ينتدبون لتولي مناصبهم[٣٠] . وقد إصطفى منهم الامير عبدالله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م) قوة سميت برماة المماليك ، كانت مهمتها رشق النبال لحراسة سرادق الامير[٣١] .
ثم ازداد نفوذ هؤلاء الفتيان بمرور الزمن ، واصبحوا يشغلون وظائف كبيرة في القصر والدولة . وبلغ بعضهم مبلغاً كبيراً من القوة ، كما يشير الى ذلك العذري[٣٢] ، فتجرأ احدهم وهو « عبدالله بن غالب الاخرس من الخرس » على اعلان العصيان على السلطة المركزية في عهد الامير عبدالله بن محمد . وكان هذا المتمرد يعمل سراً مع المولدين في اشبيلية للقيام معهم على الامير ، مما يكشف دور هؤلاء التآمري واستعدادهم لمعاداة السلطة . ومع ذلك فقد استخدمهم الامراء والخلفاء في الادارة والجيش للحد من نفوذ الزعماء العرب . فكانوا يقودون الحملات والجيوش للقضاء على الفتن الداخلية ، وهجمات النورمان في عهد الامير عبدالرحمن بن الحكم[٣٣] . وكان الفتى (دريّ) على سبيل المثال ، الرئيس الاعلى للشرطة ، و (أفلح) صاحب الخيل ، و (قند) حاكم قرطبة ، في عهد عبدالرحمن الناصر (سنة ٣٣٦ هـ / ٩٤٧ م) . وكان الفتيان رؤساء للحرس في قصر الخليفة ، وهم أصحاب الخلوة مع الناصر ، وبيدهم القصر السلطاني[٣٤] . وبلغ عدد الفتيان الصقالبة بمدينة الزهراء فقط حين وفاة الناصر ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسين رجلاً[٣٥] .

واستمر الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١ - ٩٧٦ م) بالاهتمام بهؤلاء الفتيان والاعتماد عليهم ، فعهد للاكابر منهم بمناصب رفيعة ، مثل فائق النظامي صاحب البرد والطراز ، وجوذر صاحب الصاغة والبيازرة والى هذين الاثنين كان امر الغلمان الفحول خارج القصر[٣٦] . وعلى الرغم من مرور وقت طويل على وجود هؤلاء الفتيان في الاندلس ، فإن قسماً منهم ظلوا يجهلون اللغة العربية ، لهذا كانوا يعرفون حتى عهد المستنصر بالتسمية القديمة « الفرسان الخرس »[٣٧] مما يشير الى احتفاظ الكثير منهم بلغته الخاصة ، وعدم امتزاجه بالسكان ، والى استمرار تدفق عدد كبير منهم الى البلاد وكان رؤساء هؤلاء الفتيان عند وفاة الحكم المستنصر قوة يحسب حسابها ، ولولا جهود حاجب الخليفة جعفر بن عثمان المصحفي ، ومحمد بن ابي عامر ، لاستطاعوا ان يعدلوا عن تولية هشام الثاني ابن الحكم ، ويولوا أحد اعمامه[٣٨] . ومع ذلك إستطاع ابن عامر ، الذي لقب بالمنصور ، ان يكسب عامة الفتيان الصقالبة ، واجزل لهم العطاء ، فاطاعوه . وقد اعتمد عليهم هو وابنه عبدالملك المظفر ، فقاد (واضح) الفتى جيشاً كثيفاً الى المغرب في عهد المنصور[٣٩] . كما ارسله عبدالملك على رأس حملة من خمسة آلاف رجل الى مدينة سمورة Zamora سنة ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م[٤٠] .

ان اعتماد الامراء والخلفاء على هؤلاء الفتيان أثار غضب العرب ، وكانت له آثار سياسية وعسكرية سيئة على سلامة الدولة وأمنها ووحدتها الداخلية . ويتجسد هذا الامر بوضوح في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر لدين الله (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ /

٩١٢ - ٩٦١ م) فقد اغتاظ الاحرار ووجوه الجند من القادة والوزراء من تنصيب (نجدة بن حسين الصقلبي) على قيادة الحملة التي سار بها الناصر لقتال راميرو الثاني (Ramiro II) ملك ليون Leon في سنة ٣٢٧ هـ / ٩٣٨ م . فتغيرت نفوس هؤلاء القادة على الناصر ، وقرروا ان يتركوا الصقالبة ومصيرهم عند نشوب المعركة . مما ادى الى هزيمة الناصر والجيش الاندلسي بالقرب من مدينة شنت منكش Simancas ، ولحقهم العدو لأيام عديدة ، فالتجأ معظم افراد الجيش الى خندق عميق ، نسب اليه اسم المعركة ، ولم ينج الا القليل بضمنهم الخليفة الناصر ، الذي فرّ في عدد محدود من الفرسان . وبعد وصوله الى قرطبة اعدم نحو ثلاثمائة من الفرسان الذين كان لهم اثر في سبب الهزيمة . ولم يخرج الناصر بعد ذلك ابداً لقيادة الحملات العسكرية الى نهاية حكمه[١١] .

وعلى الرغم من ازدياد نسبة المماليك من الصقالبة والفتيان القادمين من مصادر اوربية ، فقد كان هناك مصدراً آخر يزود الاندلس بقوى بشرية متعددة استخدمت في تنظيمات الجيش الاندلسي . وكما ذكرنا سابقاً ، فان الامير عبدالرحمن الداخل استقدم الكثير من البربر من شمال افريقيا . ولكن يبدو ان خلفاءه من الامراء لم يستمروا على سياسته تلك ، فقد كان هناك نوع من التحفظ ازاء السماح للبربر بالجواز الى الاندلس الى عهد الناصر لدين الله . وكان هذا الاخير لا يستخدم من البربر الا العبيد والسود ، لا سيما اولئك الذين يدعون بالطنجيين ، نسبة الى مدينة طنجة في الجانب الافريقي . وكان الاعتماد عليهم مقتصراً على الخدمات الدنيا ، والمهمات الصعبة[١٢] . وترد الاشارات الاولى في مصادرنا الى هؤلاء الطنجيين في عهد الامير عبدالله بن محمد ، جد الناصر لدين الله . فقد كانوا يستخدمون في الحملات التي تشن على المتمرد ابن حفصون . ولكن ولاء هؤلاء للسلطة المركزية لم يكن ثابتاً ، لهذا كانوا ينتهزون الفرص للانضمام الى صف المتمردين[١٣] . ويبدو ان هذا السبب هو الذي دعا عبدالرحمن الناصر الى التحفظ من الاعتماد عليهم والحد من السماح لهم بالعبور الى الاندلس . وقد سار الحكم الثاني المستنصر على هذه السياسة في بداية حكمه ، ثم غالى في ذلك كثيراً ، فمنع غلمانه وجنوده من التشبه بالبرابرة ، او اتخاذ ازيائهم وملابسهم[١٤] . ولهذا لم يكن الطنجيون ، على قلة عددهم ، على وفاق مع بقية طوائف الجند ، وكانت تحصل بينهم نزاعات دامية يتدخل فيها عامة اهل قرطبة لنصرة الجند على الطنجيين ، الذين كانوا مكروهين على ما يبدو من سكان العاصمة[١٥] .

ولكن بعد حرب بني محمد الحسنيين في المغرب ، اضطر الحكم الى تغيير رأيه ، وقبول بعض البربر في الاندلس ، والاعتراف ببأسهم . وكان اول هؤلاء القادمين من اتباع الحسنيين انفسهم ، فالحقهم بجنده ، كما جاءه ايضا رجال من اتباع جعفر ويحيى ابناء علي بن حمدون المعروف بالاندلسي ، تخلصاً من العمال الفاطميين في شمال افريقيا . وكذلك انضم الى هؤلاء جماعات من بني برزال وصلوا الى الاندلس باستدعاء من الخليفة الحكم ، فاصبح عددهم جميعاً نحو سبعمئة فارس ، فيهم وجوه واعلام تسنموا فيما بعد المناصب الرفيعة في البلاد[١٦] .

وحين جاء محمد بن ابي عامر ، الحاجب المنصور ، الى الحكم (٣٦٦ - ٣٩٣ هـ / ٩٧٦ - ١٠٠٢ م) توسع في سياسة استقدام البربر من شمال افريقيا لتقوية الجيش الاندلسي ، وتطعيمه بعناصر مختلفة يستطيع بها منازلة اعدائه في الداخل والخارج . فارسل الى رؤساء البربر وانجادهم من الفرسان والشجعان من رجال زناتة وصنهاجة ، ومغراوه ، وازداجه ، وبني يفرن ، وبني برزال ، ومكناسة ، وغيرهم ، فجاءوا اليه باعداد كبيرة ، فكان لا يلحق في ديوانه الا من تقرر غناؤه وتحقق نفعه وكرم موقعه[١٧] . ويقال ان عدة الفرسان من البربر والغرباء في ديوانه بلغت ثلاثة آلاف فارس ، يضاف اليها الفاراجل من « رجّالة الرقاصة السودان » الداخلين في عدادهم[١٨] . ويبدو ان تسمية الرقاصة قد جاءت نتيجة لطول قامة هؤلاء السود وحركة جسمهم في اثناء سيرهم او استعراضهم في العاصمة . وقد اطلق اسم (الرقاص) على الشخص الذي كان يحمل البريد وينقل الرسائل في الاندلس والمغرب ، فربما كان بعض هؤلاء مخصصين لنقل البريد ، نظراً لسرعتهم في الجري[١٩] .

ومن المرجح ان العدد الذي ذكره ابن حيان عن فرسان البربر متواضع جداً ، حيث ان الروايات تشير الى كثرتهم ، وتزايد عبورهم الى الاندلس . فعلى سبيل المثال ، ان جعفر بن

علي بن حمدون الاندلسي عبر بجنده من البربر البالغ عددهم نحو ستمائة رجل ، وبعد ان رأى البربر حسن معاملة المنصور لهؤلاء اسرعوا الى العبور « وانثالوا على ابن ابي عامر ، وما زالوا يتلاحقون ، وفرسانهم يتواترون .. حتى صاروا أكثر اجناد الاندلس » . كما دعا قبائل زناته للمجيء الى الاندلس بعد ان حاربهم بلقين بن زيري الصنهاجي في المغرب ، فجاءوا وكثروا بالاندلس ، واصبحوا خاصة ابن أبي عامر وبطانته الى نهاية الدولة العامرية(٥٠) .

ومن العناصر الاخرى المستحدثة في الجيش الاندلسي ، مجموعة تسميها مصادرنا باسم « الحشم » . ويرد أول استخدام لهؤلاء ايضاً في عهد الحكم الاول ، حيث يشير الرازي(٥١) ، الى ان الحكم كان « أول من استكثر من الحشم والحفد - اي الخدم - .. » كما يذكر ابن الاثير ايضاً(٥٢) . انه « استكثر من الحشم والحواشي .. واتخذ المماليك ، وجعلهم في المرتزقة .. » ولا يوجد ما يشير الى اصل خاص لهؤلاء الحشم ، ولكن من المرجح انهم كانوا من جملة المماليك الذين يدربون على القتال . ويختلفون عن « الحرس » في انهم كانوا يشاركون في المعارك على نطاق واسع ، بينما كان « الحرس » يقومون بمهمة الحرس الخاص للامير . وينقسم الحشم الى صنوف واعلام(٥٣) ، وكان منهم من يعد في مصاف السلطان ، ويطلق عليهم اسم « حشم السلطان »(٥٤) وقد اشار ابن حيان(٥٥) ، الى اسم احد هؤلاء ، وهو فهر بن أسد ، الذي ساهم في الفتنة في عهد الامير عبدالله . ولا يعني الاسم العربي لهذا الرجل بالضرورة انه كان من العرب ، فقد كان الكثير من غير العرب يتسمون باسماء عربية ، او ينتحلون اصولاً عربية ، تعزيزاً لمكانتهم في المجتمع .

وكان يعين على الحشم مسؤول يسمى « الناظر في الحشم »(٥٦) ، او « صاحب الحشم »(٥٧) ومن الذين تولوا هذا المنصب رجال معروفون من قادة الدولة ، من امثال قاسم بن طملس ، وابنه محمد بن قاسم ، ومحمد بن ابي عامر ، وقد يُولى شخص واحد على الخيل والحشم ، مثل زياد بن افلح ، حيث كان يسمى بصاحب الخيل والحشم في عهد الحكم المستنصر(٥٨) . وكذلك ورد ما يشير الى تولي شخص واحد لهذا المنصب مع منصب صاحب الشرطة العليا ، مثل قاسم بن محمد بن طملس ، الذي كان يسمى بصاحب الشرطة العليا والناظر في الحشم في عهد الحكم المستنصر ايضاً(٥٩) . ولم يقتصر وجود الحشم على العاصمة قرطبة حسب ، بل كان لكل مدينة قوتها الخاصة من الحشم ، فقد ورد ما يشير الى وجودهم في مدينة رية ، حيث عين الامير عبدالله بن محمد سنة ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م محمد بن دنين قائداً على الحشم في تلك المدينة ، وكان هذا القائد من فرسان العرب ووجوههم(٦٠) .

كانت واجبات الحشم متنوعة ، فكان قسم منهم مسؤولاً عن تعبئة العساكر في اثناء المعارك(٦١) . وفي اوقات السلم كانوا يقومون بالاشراف على ترتيب الجند ، وإقامة مراتبهم حينما يهيئون للاستعراض من اجل استقبال وفد رسمي ، او ضيف كبير(٦٢) ولكن مهمة الحشم الرئيسة في الجيش الاندلسي ، التي تميزهم عن غيرهم ، كانت تتعلق بالدرجة الاولى بمسائل القتال والمعارك . فهم يُعدون من قوات الاشتباك الاولى ، او أنهم كانوا من القوات الخاصة التي تهاجم المدن وتحاصر الحصون وتقتحمها قبل وصول قوة الجيش الرئيسة . وقد استعملوا بشكل خاص في عهد الناصر لدين الله لهذا الغرض ، فكانوا يهاجمون المدن ويقاتلون في شوارعها وعلى ابواب دورها ومحلاتها ، ويدخلون في الحصون بعد افتتاحها لضبطها والحفاظ على سلامتها من الاعداء(٦٣) . ومهمة الحشم هذه تشبه مهمة « الابناء » في المشرق الذين هم أحد عناصر جند الخلافة العباسية في العصر العباسي الاول(٦٤) فقد كان الابناء ايضاً مختصين بالقتال على ابواب الاسوار ، والخنادق ، والمضائق ، والطرقات ، والسجون ، والتسلق واقتحام المدن والقناطر ، وكانوا يفخرون بهذا النوع من القتال ويعرفون به(٦٥) .

ويلاحظ ان اعداد الحشم في الاندلس لم تكن قليلة ، لا سيما في عهد الناصر لدين الله ، فقد كان لديه عدد وفير منهم استطاع ان يفرقه على كل مدن الاندلس ، وحصونها وقصباتها وثغورها بعد هزيمته في معركة الخندق المذكورة آنفاً(٦٦) . وقد اشار المقري(٦٧) ، الى « كتيبة من الحشم » في عهد الحكم المستنصر ثم رجع ووصف هذه الكتيبة « بالجيش » مما يدل على كثرة عددهم . وقد استعمل ابن عذاري ايضاً(٦٨) ، عبارات تدل على

عددهم الكبير ، مثل « كثف من الحشم » و « جمل من الحشم » و « ضروب من الحشم » . واخيراً يشير ابن حيان[٦٩] ، الى قيادة صاحب الشرطة في عهد الحكم المستنصر لحملة عسكرية تتألف من « عسكر لجب من طبقات الحشم » مما يؤيد عددهم الوفير .

التشكيلات العسكرية وعدد الجند

تنوعت تشكيلات الجند الاندلسي وتطورت في عصري الامارة والخلافة . وكانت تتكون بصفة عامة من التشكيلات الدائمة من الاندلسيين الخاضعين للخدمة العسكرية ، أو ما يسمون بالمدونين ، لا سيما من الكور المجندة التي اسلفنا الحديث عنها . وكذلك من المرتزقة الاجانب ، ومن بعض التشكيلات الاخرى التي تعتمد على المتطوعين من سكان العاصمة وغيرها . وبمرور الزمن تعددت التسميات لتقسيمات الجند وطبقاتهم . فقد كان هناك الجند الاحرار ، والجند العبيد بكل صنوفهم من الفرسان والرماة والمدرعين[٧٠] .

كما أشار ابن حيان[٧١] ، الى العديد من الفئات التي كانت تنضوي تحت لواء الجيش الاندلسي في العاصمة قرطبة ، في عهد الحكم المستنصر ، ومنها : « طبقات الجند من القرطبيين والزهراويين » و « بياض الجند الاندلسيون والطنجيون » و « طبقات العبيد الخمسيون » و « الصيّديُون » و « اكابر الخمس » و « فرسان الرياضة » و « رجالة الارباض » و « العبيد الجعفريين » . ولا تفصل المصادر في اسباب تسمية بعض هذه الفئات ، ولكن من المرجح ان تسمية العبيد الخمسيين ، او اكابر الخمس . تعود الى ان هؤلاء كانوا بالاصل من حصة « الخمس » الذي هو نصيب الدولة من الغنائم المستحصلة في الحروب . وكان موسى بن نصير قد خصص بعض هؤلاء « الاخماس » من السبي لزراعة اراضي « الخمس » بعد افتتاح الاندلس ، فاصبحوا يسمون بالاخماس Quinteros ، وقد عرف ابناؤهم ايضاً ببني الاخماس[٧٢] ، فظلت هذه التسمية سائدة في الاندلس الى عهد الحكم المستنصر بالنسبة لحصة الدولة من سبي الحروب . أما تسمية « الصيديون » فلعلها جاءت من كلمة الصيد جمع (أصيد) وهو الملك اي انهم جند الملوك ، أو لانضباطهم في اثناء المشي ، ورفع رأسهم كبراً ، وعدم الالتفات يميناً أو شمالاً[٧٣] . وربما كان « فرسان الرياضة » مسؤولين عن ترويض الخيل ، وتذليلها وتعليمها السير واعدادها للفرسان[٧٤] . وكان العبيد الجعفريون اتباعاً للحاجب جعفر بن عثمان المصحفي ، فسموا على اسمه[٧٥] . أما « رجالة الارباض » فالمقصود بهم سكان احياء قرطبة وأرباضها من الاحداث والفتيان الذين يحسنون حمل السلاح ، وكانوا يكلفون بحمل التراس والحراب للمساهمة في الحملات الحربية او في اوقات الاستعراضات ، وقد بلغت عدتهم في عهد الحكم المستنصر ستة عشر الف رجل .

إن هذه التشكيلات التي تضم مختلف انواع الفئات الحرة وغير الحرة ، المرتزقة ، والمتطوعة ، كانت تشكل قوة الجيش التي يعتمد عليها الخليفة في العاصمة . وكان يطلق عليها اسم « جيش الحضرة » . وكان هناك تشكيل آخر في المناطق الحدودية المتاخمة للممالك الاسبانية ، والتي تسمى بالثغور ، يعهد بقيادته عادة الى شخصية عسكرية قوية تتولى إمرة الثغر ، ويطلق على هذا التشكيل اسم « جيش الثغر »[٧٦] .

ولم تكن كل هذه الفئات مدونة او مرتزقة في الديوان ، حيث تشير المصادر دائماً الى وجود تشكيلات مدونة ، واخرى متطوعة[٧٧] ، واهل الديوان ، والمجاهدين[٧٨] . وقد لا يستخدم الامير او الخليفة الاندلسي الا المدونين ، او مدونته من اهل قرطبة فقط اذا كانت الحملة التي ينوي قيادتها او ارسالها محدودة الاثر ، او سهلة المهمة للقضاء على عصاة داخليين . اما اهل الكور المجندة في موسطة الاندلس ، فكانوا يستنفرون عند الحاجة ، بأمر من الامير ، لا سيما اذا كانت الحملة كبيرة[٧٩] .

لقد كانت الكور المجندة تشكل احدى ركائز القوة العسكرية الرئيسة في الاندلس الى عهد عبدالرحمن الناصر . ولدينا بيان ، ولكنه ناقص مع الاسف عن عدد ما يمكن ان تقدمه بعض الكور المجندة وغير المجندة من فرسان الى الجيش الاندلسي في عهد الامير محمد بن عبدالرحمن ، ومع ذلك يمكن لهذا البيان ان يوضح لنا مدى الاهمية التي كانت تتمتع بها الاجناد الاندلسية في العصر الاموي[٨٠] .

البيرة ٢٩٠٠ فارس

جيان ٢٢٠٠ فارس

قبرة ١٨٠٠ فارس

باغة ٩٠٠ فارس

تاكرنا ٢٦٩ فارسا

رية ٢٦٠٧ فوارس

فريش ٣٤٢ فارسا

فحص البلوط ٤٠٠ فارس

موررور ١٤٠٣ فوارس

تدمير ٢٥٦ فارسا

الجزيرة ٢٩٠ فارسا

استجة ١٢٠٠ فارس

قرمونة ١٨٥ فارسا

شذونة ٦٧٩٠ فارسا

ريينة ١٠٦ فوارس

قلعة رباح وأوريط ٣٨٧ فارسا

حصن شندلة ١١٣ فارسا

ان هذا البيان لا يتضمن ما تقدمه كل من اشبيلية ونبلة ، وهما من الكور المجندة ، ولكن اربعاً من هذه الكور فقط ، وهي : البيرة وجيان وشذونة ورية كانت تقدم نحو ١٤٤٩٧ فارساً من مجموع ٢٢١٤٨ ، بينما قدمت ثلاث عشرة كورة غير مجندة ٧٦٥١ فارساً فقط . ويبدو ان الكور غير المجندة كانت تقدم ضرائب بدلاً من الفرسان ، بينما كانت الكور المجندة معفاة من الضرائب ، وعليها تقديم عدد كبير من الفرسان حين الحاجة[٨٠] . ومع هذا فلا يمكن الاعتماد كلياً على هذه الارقام ، لان العدد الذي يمكن جمعه من الفرسان يتوقف على التعداد السكاني لكل كورة ، وعلى التركيب الجغرافي للمنطقة ، وحالة السلم الداخلي في ذلك العصر . ولهذا يمكن ان تتغير الاعداد من حملة الى اخرى ، فعلى سبيل المثال ، لم يكن بامكان الامير عبدالله ابن محمد ان يستخدم اجناد الكور المجندة في بعض حملاته على ابن حفصون ، بسبب خروج معظم المناطق المحيطة بقرطبة عن سلطته ، فاكتفى بعدد من جنده واهل عاصمته ممن تطوعوا معه للحرب . وقد بلغ عدد هؤلاء في احدى الحملات نحو اربعة عشر الفاً ، منهم اربعة آلاف من الحشم والمرتزقة ، والبقية متطوعون من قرطبة[٨١] .

ويشير ابن حيان[٨٣] ، الى ان عدة الفرسان الذين كان يعتمد عليهم القائد احمد بن محمد بن ابي عبدة في حربه زمن الامير عبدالله ، وكانت نحو ثلاث مئة فارس من مدونة الجند بقرطبة . وربما كان هؤلاء هم النخبة الذين اعتمد عليهم ضمن بقية رجال الجيش في العاصمة من الحشم والمرتزقة والمتطوعة .

وعلى العكس من هذا الرقم المتواضع فان المبالغة واضحة في النص الذي يذكره ابن الكردبوس[٨٤] ، عن عدد الجيش الاندلسي في عهد الحكم الاول ، حيث يشير الى انه بلغ مئة الف فارس . واورد البكري[٨٥] ، العدد نفسه بالنسبة للجند الذين اشتركوا في معركة الخندق سنة ٣٢٧ هـ / ٩٣٨ م في عهد عبدالرحمن الناصر . ويظهر ان عدد الجند قد ازداد في عهد الحاجب المنصور ، لا سيما وانه استقدم الكثير من البربر من شمال افريقيا ، كما اشرنا الى ذلك سابقاً . فيذكر ابن الخطيب[٨٦] ، ان عدد الجيش في عهده ، من الفرسان خاصة بما فيهم العبيد والاحرار ، وجميعهم مرتزقون في الديوان ، بلغ نحو اثني عشر ألف فارس ومئة . وقد فصل في ذكر اعداد الجند في احدى صوائفه ، فذكر ان عدد فرسانها بلغ نحو ستة واربعين الفاً ، اما المشاة فكان عددهم نحو ستة وعشرين ألف راجل . ومن جهة اخرى يورد ابن عذاري[٨٧] ، اعداداً متواضعة للفرسان المرتزقين في قرطبة ونواحيها في عهد المنصور ، فيذكر انهم بلغوا عشرة آلاف وخمسمئة فارس ، يضاف اليهم العدد نفسه تقريباً في اجناد الثغور .

ويبدو ان هذا الاختلاف في التقدير يرجع الى حد بعيد الى التباس المؤرخين في التشكيلات المختلفة التي كان يتألف منها الجيش الاندلسي لا سيما وان عدد المتطوعين لم يكن يضبط تماماً ، على الرغم من محاولة السلطة تثبيته حسب سكن الرجال في محلاتهم وارباضهم ، وكان يختلف من حملة الى اخرى ، ومن وقت الى آخر . فمن الناحية النظرية ، كان جميع سكان قرطبة القادرين على حمل السلاح مدعوين للاشتراك في الصوائف ، او للاستعراض حينما يزور العاصمة ضيف كبير وكان صاحب المدينة هو المسؤول عن استنفار رجال قرطبة واحداثها وفتيانها الذين يحسنون حمل السلاح . وفي احدى هذه المناسبات ، في عهد الحكم المستنصر ، بلغ مجموع من استنفر من هؤلاء ستة عشر الف رجل من المشاة[٨٨] . وكان لا يجوز التخلف عن

اللحاق بالجيش الا لمن كان عنده عذر مقبول . ولا يعذر صاحب المدينة من وجده متخلفاً ، اللهم الا اذا ظل المتخلف قابعاً في داره ولم يخرج الا بعد عودة الحملة الى قرطبة[89] .

وقد ألغى الامير محمد بن عبدالرحمن عن اهل قرطبة « ضريبة الحشود والبعوث » اي وجوب الخروج للصوائف في كل عام ، وخيرهم للقيام بذلك طواعية من غير بعث ، بينما ظلت بقية الكور الاخرى ملزمة بهذا الأمر . وقد استمر هذا الاجراء الى عهد عبدالرحمن الناصر[90] ، الذي أرجع الاعتماد على المتطوعين من أهل البلاد وقرطبة ، وذلك نظراً لظروف البلاد الحرجة ، وحاجتها الى المزيد من الرجال للمساهمة في الحملات الكثيفة التي كان يقودها ويرسلها في بداية حكمه لتثبيت الوحدة الوطنية ، وحماية الاندلس من اعتداء الممالك الاسبانية المختلفة في الشمال . ولكنه عاد في سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م وأعفى رعيته من كلفة الغزو الى جليقية Galicia ، والاقتصار فقط على غلمانه وحشمه وجنده المدونين المدربين . ويبدو ان هزيمة الناصر في السنة السابقة في معركة الخندق هي التي دفعته الى ذلك ، فقد كانت الخسائر كبيرة جداً في صفوف الحشود المستنفرة من المتطوعين ، على العكس من الجند المدربين الذين نجا معظمهم من الهلاك بسبب خبرتهم في القتال[91] . وقد تبين للناصر ايضاً ان الجموع الكبيرة للمتطوعين تسبب ارباك الجيش ، وتحد من حركته وسرعة مناورته ، فضلاً عن الحاجة الى المؤن الكثيرة التي قد لا تتوفر لهم مما يؤدي الى صعوبة التوغل في ارض الاعداء ، ولهذا فقد جمع الناصر اهل قرطبة في قصره وابلغهم بهذا القرار[92] .

ومن الواضح ان اعفاء اهل قرطبة من الالتحاق الاجباري بالحملات العسكرية ، لم يستمر بل توقف العمل به مرة ثانية ، ومما يؤيد ذلك ان الحاجب المنصور اعلن مرة اخرى في سنة ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م عن اعفاء الناس عن الاشتراك الالزامي في الصوائف « وعرفهم بان من تطوع خيراً ، فهو خير ، ومن خف اليه ، فمبرور ومأجور ، ومن تثاقل فمعذور فتمت على الناس النعمة »[93] . ان استعمال كلمة « الناس » في النص ، وعدم ذكر اهل قرطبة ، يشير الى ان الاعفاء شمل هذه المرة كل اهل الاندلس ، ولم يكن خاصاً بالعاصمة وحدها ، كما كان الامر في عهد الامير محمد بن عبدالرحمن . وبطبيعة الحال ، فان هذا الاجراء الذي قام به المنصور يتعلق بالاصلاح العسكري الذي حاول ان يدخله على الجيش الاندلسي . حيث انه أعاد تنظيم الجيش تنظيماً عسكرياً جديداً ، وذلك بجعله وحدة متكاملة متماسكة لا يقوم على العنصرية والقبائل فألغى النظام الاقطاعي العسكري ، وجعل الجيش يتألف من فرق عسكرية متعددة تضم مختلف فئات المجتمع الاندلسي كالعرب والبربر والصقالبة : ويتقاضى كل جندي في هذه الفرق راتباً شهرياً بدلاً من استغلاله لاقطاع الارض السابق[94] . وقد استطاع المنصور ان يسيطر على هذا الجيش ويستغني به عن حشود المستنفرين ، كما احرز به انتصاراته العسكرية المعروفة ضد الممالك الاسبانية .

التنظيمات والمناصب العسكرية

١ ـ القيادة :

تأتي القيادة على رأس المناصب العسكرية في تنظيمات الجيوش ، وهي مهمة جداً في تحقيق النصر لهذا فقد اولاها الامراء الامويون اهتماماً خاصاً ، فكانوا في كثير من الاحيان يتولونها بانفسهم ، لما لهذا من تأثير واضح على نفوس الجند . وقد ساهم معظم الامراء والخلفاء في الاندلس بقيادة الحملات العسكرية سواء للقضاء على الفتن الداخلية وتحقيق الوحدة الوطنية ، ام لمواجهة الاخطار الخارجية المتمثلة بالدويلات والممالك الاسبانية في الشمال . وفي الحالات التي كان يتعذر فيها خروج الامير لقيادة الحملة ، كان يرسل أحد ابنائه لينوب عنه في ذلك ، ولكن يعين معه قائداً مجرباً ، يكون هو المسؤول العسكري عن الحملة[95] . وقد استمر هذا الاجراء الى اواخر عهد الامير عبدالله بن محمد ، مع بعض الاستثناءات[96] .

وفي بداية عهد عبدالرحمن الناصر اخذت الصوائف والحملات العسكرية الاخرى تخرج للقتال بقيادته ، او بقيادة قائد من كبار اعوانه ، دون ان يكون معها ابن الامير . وفي بعض الاحيان يكون هذا القائد هو الوزير او الحاجب[97] . وربما كان هذا بسبب الحملات الكثيرة التي كان من المفروض ان يوجهها

الناصر لدين الله الى مختلف الجهات غير المستقرة في بداية حكمه ، ولم يكن له بطبيعة الحال ابناء كبار ينوبون عنه في ذلك لصغر سنه حينما تولى الحكم ، ثم استمر الناصر بعد ذلك بقيادة الحملات بنفسه حتى سنة ٣٢٧ هـ / ٩٣٨ م ، حيث امتنع عن الخروج بعدها بسبب خسارته في معركة الخندق[٩٨] .

كان القادة الذين يعتمد عليهم حكام الاندلس في قيادة الجيوش يتمتعون بمنزلة كبيرة ، وينتمون الى أسر عريقة كان لها دور فعال في تأسيس الامارة الاموية ، وتثبيت اركانها ، مثل بني شهيد ، وبني أبي عبدة ، وبني مغيث ، وبني فطيس ، وقد برز من هؤلاء بدر مولى الامير عبدالرحمن الاول ، وتمام بن علقمة الثقفي ، وعبدالواحد بن مغيث ، وعبدالكريم بن مغيث ، وشهيد بن عيسى[٩٩] ، واسحق بن المنذر القرشي ، وعبيدالله بن عبدالله البلنسي المعروف بصاحب الصوائف[١٠٠] ، وعبدالواحد بن يزيد الاسكندراني[١٠١] ، وهاشم بن عبدالعزيز[١٠٢] ، واحمد ابن محمد بن ابي عبيدة[١٠٣] ، وغالب بن عبدالرحمن[١٠٤] . وقد ضرب هؤلاء القادة مثلاً عظيماً في الشجاعة والاقدام ، وتفانوا في خدمة الجيش ، والدفاع عن الاندلس ، بل ان منهم من فضل الموت على الهزيمة ، كالقائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة ، الذي استشهد سنة ٣٠٥ هـ/ ٩١٧ م في اثناء قيادته لاحدى الصوائف[١٠٥] .

٢ ـ خطة الخيل :

ومن المناصب الاخرى المهمة في الجيش الاندلسي ، خطة الخيل ، والخطة ، بضم الخاء معناها نظام او تنظيم Institution ، وكان المسؤول عنها يسمى بصاحب الخيل[١٠٦] ، فهو اذن قائد الفرسان أو الخيالة . ويبدو ان هناك ثمة علاقة بين هذه الخطة وبين القيادة ، فقد تولى هاشم بن عبدالعزيز « دار الخيل » والقيادة معاً في عهد الامير عبدالرحمن بن محمد[١٠٧] . ولكن هذا المنصب فصل تماماً عن القيادة في عهد الناصر لدين الله . فكان المسؤول عنه اول الامر هو بدر بن أحمد مولى الامير وحاجبه اضافة الى منصب الوزارة ، بينما كانت القيادة بيد احمد ابن محمد بن ابي عبده . ثم تولى الخيل بعد ذلك قادة آخرون من امثال عبدالرحمن بن بدر ، وعبدالله بن مضر[١٠٨] .

٣ ـ خطة العرض :

وكانت هناك خطة اخرى في الجيش الاندلسي هي خطة العرض ، ويسمى من يتولاها من الرجال بالعارض[١٠٩] . والمفروض ان المسؤول عن هذا التنظيم يتولى عرض الجند بين يدي الامير ، لاظهارهم واختبار احوالهم[١١٠] . وقد كان الامراء والخلفاء الاندلسيون يكثرون من استعراض جندهم ، فكان الحكم المستنصر مثلاً يستمتع بالتطلع اليهم أيام توزيع العطاء ، وقيامهم بالتدريب واللعب على ظهور الخيل[١١١] . ويبدو ان مهمات العارض لم تكن سهلة لضخامة الجيش الاندلسي وتنوع اصنافه وتشكيلاته ، ولهذا فقد كان منصب العارض يعطى الى اكثر من واحد . فبعد مبايعة عبدالرحمن الناصر بالامارة ، عهد بهذا المنصب الى ثلاثة اشخاص ، ثم عهد به سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م الى اربعة اشخاص في آن واحد ، منهم اثنان من كبار الفتيان[١١٢] . وفي سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م كان العارض شخصاً واحداً ، هو محمد بن احمد بن حديد[١١٣] .

٤ ـ خزانة السلاح :

ومن المناصب التي كانت تعهد ايضاً الى اكثر من واحد ، مسؤولية خزن السلاح وحفظه . وقد عبر عنها في تنظيمات الجيش الاندلسي بـ« خزانة السلاح » . وقد عهد بها الناصر لدين الله في اول عهده الى ثلاثة ، ثم رجع وولاها الى واحد في سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م وفي سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م و٣١٨ هـ / ٩٣٠ م تولى هذا المنصب اثنان في آن واحد[١١٤] وقد ورد ايضاً تعبير « خزانة السلاح مع العقل » للاشارة الى هذا التنظيم ، ويحتمل ان المقصود « بالعقل » هنا هو الملجأ او الحصن الذي توضع فيه الاسلحة[١١٥] .

٥ ـ خازن السفر :

وكان المسؤول عن توصيل الاموال للجند المقاتلين في الحملات والصوائف ، او في جبهات القتال الاخرى ، كشمان افريقيا مثلاً ، هو « خازن السفر » فهو صاحب خزانة السفر . وكان هذا الخازن هو الذي يأخذ الاموال ويوصلها بنفسه الى

الجند[111] . وعندما كان الجيش يحتاج الى المزيد ، كان الخليفة يرسل شخصاً آخر ليأخذ الاموال الواجبة الى المقاتلين وتسليمها « للخازن » المقيم مع الجند[117] . ومن الواضح ان هذا المنصب وغيره من التنظيمات الاخرى في الجيش لم يكن قد وصل الى هذا الحد من التنوع والشمول في عصر الامارة ، وانه تطور نتيجة لتضخم الجيش الاندلسي في عصر الخلافة ، واشتراكه في مهمات قتالية كثيرة داخل الاندلس وخارجها . ولهذا فقد اصبح بحاجة الى خدمات تنظيمية كثيرة ووظائف متعددة لادارة شؤونه ، وترتيب وصول ارزاقه وامداداته ، والمحافظة على نظامه التعبوي .

٦ ـ صاحب العسكر :

وكان المسؤول عن ترتيب الجند وتعبئتهم للقتال يسمى بـ « صاحب العسكر » ، وهو منصب تنظيمي وامني في آن واحد ، ويكون متوليه مشرفاً عاماً على أمن المعسكر وحمايته في اثناء العمليات العسكرية ، وقد اشار ابن حيان[118] ، الى هذا المنصب واهميته اثناء حديثه عن غزوة سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م الى جليقية ، حيث كان يتولاه نجدة بن حسين مولى الخليفة الناصر لدين الله . فقد كان مسؤولاً عن أمر العلافة ، وانتشار الفرسان في المعسكر ، وحمايته من المتلصصين من العدو . ولم يكن الخليفة يتهاون في اي تقصير من جانب صاحب العسكر ، بل كان يشدد عليه ان يقوم بمهامه بنفسه ، دون ان يعتمد على غيره من القواد ، زيادة في الخشية على ارواح الجند .

٧ ـ صاحب الصناعة بالعسكر :

ورد ذكر منصب آخر في الجيش الاندلسي ، يطلق على من يتولاه اسم « صاحب الصناعة بالعسكر » ففي احدى الحملات التي كان يقودها المطرف بن الامير عبدالله سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م يذكر ابن حيان[119] ، انه « . . . كان في حبس العسكر رجال من أسرى اهل شذونة كانوا في العمود عند صاحب الصناعة بالعسكر . . » ولهذا فمن المحتمل ان المسؤول عن هذا المنصب كان عليه ان يحبس الاسرى ويحتفظ بهم في المعسكر اثناء المعركة . ولكن لا تتوفر لدينا معلومات اخرى عن طبيعة المهام التي كان عليه ان يقوم بها .

٨ ـ اللـــواء :

واهتم الامويون في الاندلس بلواء الجيش ، لانه يعد عند العرب رمزاً للقيادة والامارة ، وقد ازداد اهتمامهم هذا بسبب تفاؤلهم من اول لواء عقد لهم في الاندلس ، حينما كان عبدالرحمن الداخل متوجها مع مؤيديه لحرب يوسف الفهري ، حيث عقدوا له في اقليم طشانة من كورة اشبيلية لواءً متواضعاً يتألف من قناة وعمامة . فكان عبدالرحمن وخلفاؤه يحتفظون بهذا اللواء ويعقدون به النصر[120] . ومن الذين تولوا حمل لواء بني أمية ابو عثمان عبيدالله بن عثمان ، وعبدالله بن خالد واعقابهما ، وهما من موالي بني أمية الذين ساعدوا عبدالرحمن الداخل في تولي السلطة ، واصبحا بعد ذلك يتواليان حمل اللواء ويتعاقبان في ذلك . وكان من عادة امراء بني امية ان يعقدوا الالوية للحملات والصوائف التي ينوون القيام بها في ايام الجمع في مسجد قرطبة الجامع ، وقد استمرت هذه العادة الى عهد الدولة العامرية[121] .

ومن الرايات العسكرية الشهيرة في الاندلس تلك المسماة بـ العقدة ، والعلم ، والشطرنج الشامي[122] . وقد اورد لنا ابن حيان وصفاً لكيفية عقد هذه الرايات في عهد الحاكم المستنصر ، لقائده غالب بن عبدالرحمن الناصري المتوجه لقتال النورمان سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م . فقد أمر الخليفة باخراجها من مخازن العدة بقصر الزهراء الى دار الوزراء ، وكانت في ملحفة بيضاء زهرية مشدودة بمنديل ، وهي تتألف من ثلاث قطع مميزة . وقد أُحضر عريف الخياطين لعقد هذه الاعلام في قنواتها ، كما أُحضر قاضي مدينة قبرة Cabra وبعض الائمة والمؤذنين . فلما اخذ الخياط اللواء الاول ابتدأ القاضي بقراءة سورة الفتح من القرآن الكريم ، حتى اتى على آخرها عند انتهاء عقد الراية ، وذلك بين تكبير وتهليل الحاضرين . ثم عقدت الرايتان الاخريان كذلك ، ونقلت الرايات الثلاث بوساطة كوكبة من الجند المسلمين المتأهبين ، رائعي الزينة ، الى باب الوزير القائد غالب بن

عبدالرحمن ، الذي كان ينتظر وصولها ومن حوله جنده المتأهبون في عدتهم . فلما وصلت اليه استوى على صهوة فرسه وتوجه الى غايته[١٢٣] .

٩ - العـرفـاء :

ومن المهام التي تجلب الانتباه في الجيش الاندلسي ، ما كان يقوم به العريف . فالعرفاء معروفون في التنظيم الحربي والاداري في المشرق ، لا سيما في العصر الاموي ، حيث نظمت مهامهم منذ زمن زياد بن ابي سفيان ، فكانوا مسؤولين عن الامن والنظام ، ومراقبة مثيري الفتن بين قبائلهم . وكانوا مسؤولين ايضاً عن جميع الجند عند النفير ، فهم في الحقيقة يشكلون حلقة الاتصال بين القبائل والسلطة الادارية للدولة الاموية[١٢٤] . أما في الاندلس ، فلا نجد لهم مثل هذه المهام . والواقع ان النصوص المتيسرة عنهم تشير الى اختصاصات عديدة . فكانوا في عهد الحكم الاول ضمن القوات المستحدثة الجديدة من الفرسان المماليك الذين رابطوا بالقرب من القصر للطوارىء ، وكان العريف منهم مسؤولا عن مئة فارس[١٢٥] . وفي عهد الامير المنذر ابن محمد (٢٧٣ - ٢٧٥ هـ / ٨٨٦ - ٨٨٨ م) كان عشرة من العرفاء على رأس قوة من مئة وخمسين فارساً ، وبمعيتهم مئة بغل ارسلت الى عمر بن حفصون كشرط من شروط الصلح مع الامير[١٢٦] . وهذا يدل على ان العرفاء كانوا موكلين على الجند[١٢٧] ، حيث كان كما يبدو لكل فئة من فئات الجيش الاندلسي عرفاء موكلون عليها ، سواء كانت مهمتها قتالية ، او تقديم خدمات اخرى للجيش ، مثل عرفاء اصحاب الرسائل الخصيان ، وعرفاء البنائين والمهندسين ، والعرفاء البحريين وغيرهم[١٢٨] .

وقد ذكر المؤرخ ابن حيان ان العرفاء كانوا يقاتلون كمجموعة مستقلة بحد ذاتها ، دون ان يكونوا متآمرين على احد من الجنود ، مثلهم في ذلك مثل اي مجموعة اخرى من القوات التي كان يتألف منها الجيش الاندلسي . فقد ذكر بان الخليفة الناصر لدين الله عين عبدالملك بن العاصي والياً على ماردة Merida سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م « فوصل اليهم في اليوم الثالث في الف من العرفاء ، ومثلهم من الطنجيين وخمسمئة من الرماة وخمسمئة من الملحقين[١٢٩] . . . » . ثم ان الناصر نفسه عين أحد العرفاء سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م والياً على مدينة أبذة Ubeda ، وكان هذا « عريفاً من العجم يعرف بأبن بِزُنْت »[١٣٠] .

وهذا بطبيعة الحال يشير الى وجود عرفاء متميزين يمكن ان يصلوا الى مرتبة والي او حاكم مدينة ، وهو يتنافى مع المفهوم السائد للعريف من أنه كان قائداً على عشرة جنود او على مئة جندي . ولكن مع ذلك لا يمكن تجاهل وجود مجموعة كبيرة من هؤلاء العرفاء تمثل فئة معينة في الجيش الاندلسي ، مهمتها القتال[١٣١] . ففي عهد الحكم المستنصر ، كانت هناك مجموعة منهم ترتدي الدروع ، وتعرف بـ « العرفاء المدرعين »[١٣٢] . كما كان منهم ايضاً البنائين والمهندسين ، الذين كانت مهمتهم في المعارك هدم الاسوار ، وتخريب الجسور والقناطر التابعة للعدو . وقد وردت اشارات الى وجود هؤلاء في عهد الامير محمد بن عبدالرحمن[١٣٣] ، وعبدالملك المظفر ابن الحاجب المنصور[١٣٤] ، مما يؤيد توفرهم في الجيش الاندلسي في عصري الامارة والخلافة .

١٠ - أصحاب الرسائل ، العيون والجواسيس ، الطبالون ، الشرط :

واعتمد الجيش الاندلسي ايضاً على فئات اخرى تقدم خدمات مختلفة للجيش ، منهم اصحاب الرسائل الخصيان ، الذين كانوا يقومون بنقل الاخبار بين العاصمة وقادة الجيش في جبهات القتال ، او يكلفون بالمساهمة في نقل الاموال الى جبهة القتال ، وكان عددهم كبيراً ، ولهم عرفاء موكلون بهم[١٣٥] . ومن المرجح انهم كانوا من الرقاصة السودان ، كما اشرنا الى ذلك سابقاً . وهناك ايضا العيون والجواسيس ، وكان هؤلاء فئة ضرورية جداً للتعرف على خطط ونوايا الاعداء واستطلاع اخبارهم[١٣٦] . وتوجد اشارة الى استخدام الجواسيس في عهد الحكم المستنصر للتعرف على اخبار النورمان ، حيث ارسلهم الى شنت ياقب Santiago de Compostela في اقصى الشمال الغربي من شبه الجزيرة الايبيرية ، فعادوا بالاخبار الى قرطبة[١٣٧] .

ومن الفئات الاخرى ، الطبالون ، الذين كانوا يسيرون في مقدمة الحملات ، ويضربون على طبولهم لاستارة حماس الجند . وقد بلغ عدد هؤلاء في احدى حملات الحاجب المنصور مئة وثلاثين فارساً . وكذلك فقد ضم الجيش الاموي في ايام تطوره على عهد المنصور نفسه ، عدداً من الشرط المتصرفين في خدمة الجنود ، بلغوا نحو مئتي فارس[١٣٨] .

التعبئة وأساليب القتال

لا نريد الخوض في المدلول النظري للتعبئة ونظمها العسكرية ، فهناك العديد من البحوث والدراسات التي يمكن ان تغني هذا الموضوع[١٣٩] . يتناول نظام التعبئة في الاندلس الذي كان مشابهاً للترتيب السائد في الجيوش الاسلامية ، من حيث تقسيم الجيش الى قلب ومقدمة وساقة وميمنة وميسرة[١٤٠] . ولدينا اشارات عديدة في المصادر الاندلسية تؤيد اتباع الاندلسيين لهذا الاسلوب بدءاً من عهد الامير عبدالرحمن الاول والى نهاية العصر الاموي في الاندلس[١٤١] . ونظراً لطبيعة التشكيلات المختلفة التي كان يتألف منها الجيش الاندلسي ، فقد كان له خصوصية في هذا المجال ، حيث كانت الكور المجندة ، على سبيل المثال تقاتل في اجنادها ضمن « كتائب » خاصة بها . فقد قاتل جند شذونة بقيادة الفرج بن كنانة سنة ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م في حملة استهدفت عمق جليقية ، مع القائد عبدالكريم بن مغيث ، وكان هؤلاء الجند هم مقدمة الجيش الذي ناجز الاعداء في معاقلهم المتقدمة[١٤٢] . وكذلك حارب جند مصر ضمن كتيبة خاصة بهم مع الامير عبدالرحمن الاول[١٤٣] ، ويتضح من هذا ، ومن نصوص اخرى ، ان تقسيم الجيش وتعبئته في اثناء القتال الى كتائب كان معمولاً به في الاندلس[١٤٤] . ولكن لا تتوفر تفصيلات كثيرة عن هذا الموضوع . فقد كان عدد الجند الذين قادهم الفرج بن كنانة يتراوح بين اربعة آلاف وعشرة آلاف فارس . وكما يبدو فان هذه الارقام كبيرة بالنسبة للعدد المتعارف عليه للكتيبة الواحدة ، التي هي جماعة من الفرسان يتراوح عددها بين المئة الى الالف[١٤٥] . اما اذا كان المقصود بالكتائب هنا المعنى العام لها ، وهو الجيش ، او القطعة العظيمة من الجيش ، فيكون التعبير صحيحاً ، اي اطلاق اسم الكتائب على اجناد الاندلس .

ليس من اليسير الوصول الى تفسير دقيق لبعض التعابير التي ترد للدلالة على بعض وحدات الجيش في الاندلس . حيث يستخدم المؤرخون مصطلحات كثيرة لهذا الغرض ، مثل « كثف من الخيل » و « قطيع من الخيل » و « قطيع من الجند » او « قطع من العسكر » او « قطيع من الحشم »[١٤٦] . كما ورد ايضا استخدام كلمة فيلق في عهد الامير عبدالرحمن ، حيث كان يرسل « بعض الفيالق » لقتال متمرد من البربر ادعى النسب العلوي[١٤٧] ، والفيلق هو الجيش[١٤٨] ، ولكن لم يرد عدد محدد لهذه الفيالق المرسلة ، وكم كانت تضم من الجنود .

وعلى اية حال ، فقد اهتم الاندلسيون بتنظيم الجيش والمحافظة على تعبئته الفاعلة في اثناء القتال . وكان التهاون في تحقيق هذا التنظيم يعني الفشل في المعركة وخسرانها ، كما حدث للقائد هاشم بن عبدالعزيز ، حينما حارب المتمرد ابن مروان الجليقي سنة ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م . فقد خرج للقتال على غير تعبئة ولا أهبة ، مما ادى الى مقتل جماعة كبيرة من جنده ، اما هو فقد أسره العدو[١٤٩] . كذلك فقد ادى التهاون في اتخاذ اجراءات مناسبة لحفظ المياه الى وفاة اثنين وثلاثين رجلاً وعدداً كبيراً من الحيوانات بسبب العطش ، في حملة قادها أحمد بن ابي عبدة سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م الى كورة تدمير[١٥٠] . وقد ادت هذه التجارب الى زيادة العناية بالتنظيم والتعبئة الكاملة في المعارك ، لا سيما في عهد الخليفة الناصر لدين الله ، حيث عهد ، كما اسلفنا ، الى مسؤول خاص بالاهتمام بها يدعى بـ « صاحب العسكر »[١٥١] . وقد استمر هذا الاهتمام بالتعبئة ، وترتيب الجند الى ما بعد عهد الناصر ، حيث تطور تطوراً كبيراً ، يصفه لنا أحد المؤرخين الذين عاصروا عصر الطوائف ، فيحدثنا كيف كان الاندلسيون ينظمون صفوفهم ويعبأونها للقتال بقوله :

« فأما صفة اللقاء وهو احسن ترتيب رأيناه في بلادنا ، وهو تدبير نفعله في لقاء عدونا ، ان نقدم الرجالة بالدروق الكاملة ، والرماح الطوال والمزاريق المسنونة النافذة ، فيصفوا صفوفهم ، ويركزوا مراكزهم ورماحهم خلف ظهورهم في الارض ، وصدورهم شارعة الى عدوهم ، وهم جاثمون في الارض ،

وكل رجل منهم قد ألقم الارض ركبته اليسرى وترسه قائم بين يديه ، وخلفهم الرماة المختارون التي تمرق سهامهم من الدروع ، والخيل خلف الرماة ، فاذا حملت الروم على المسلمين لم يتزحزح الرجالة عن هيآتها ولا يقوم رجل منهم على قدميه ، فاذا قرب العدو رشقهم الرماة بالنشاب والرجالة بالمزاريق ، وصدور الرماح تلقاهم ، فاخذوا يمنة ويسرة فيخرج خيل المسلمين بين الرماة والرجالة فتنال منهم ما شاء الله . . »(١٥٢) .

وعلى الرغم من ان هذا النص خاص بعصر لاحق لموضوع دراستنا ، لكنه ذو قيمة كبيرة ، لان هذه الخبرة التي وصل اليها الاندلسيون ، كانت حصيلة تجارب وممارسات تعبوية اكتسبوها طيلة العصر الاموي ، وقد زادت هذه التجارب من الكفاءة القتالية للجند ، وهذا يناقض ما اورده الرحالة المشرقي ابن حوقل(١٥٣) ، عن قلة الحيوية القتالية للاندلسيين ، ويعدهم عن البأس والشجاعة والفروسية ، وقلة تجربتهم في المبارزة واللقاء ، وان اكثر حروبهم كانت تعتمد على الكيد والحيلة . كما اشار ايضاً الى ان عدد الفرسان المسجلين في قوائم الدولة وسجلاتها في عهد عبدالرحمن الناصر أو من سبقه من آبائه الامراء الامويين لم يزد على خمسة آلاف فارس ممن يقبض ارزاقه من ديوان الدولة . وهذا بطبيعة الحال خطأ واضح وقع فيه ابن حوقل عن قصد او دون قصد ، لاننا نمتلك بياناً واضحاً وصريحاً عن عدد الفرسان المستنفرين للقتال في الصوائف المجردة الى جليقية في عهد الامير محمد بن عبدالرحمن . وقد تحدثنا عن هذا البيان فيما تقدم من صفحات البحث ، كما اشرنا في بحث منفصل ايضاً الى الدوافع التي أدت بابن حوقل للتحامل على اهل الاندلس وحكامها الامويين خاصة(١٥٤) . وقد اعتمد المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال(١٥٥) ، Levi — Provençal على ملاحظات ابن حوقل المذكورة اعلاه ، فاشار إلى رداءة الكفاءة العسكرية للمنتدبين لحمل السلاح في الاندلس في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، ومع ذلك ، فان بروفنسال يعترف بأن نية ابن حوقل كانت سيئة وغير واضحة في تحليله للقوة العسكرية الاندلسية .

كانت الاساليب القتالية التي استعملها الاندلسيون متعددة ومتنوعة ، منها الاصطفاف واللقاء المباشر مع الاعداء ، والمبارزة قبل الالتحام(١٥٦) . ومنها استخدام الكمائن ، والمرابطة ضمن قوات قليلة من الفرسان في الاماكن التي يتوقع ان يمر منها الاعداء(١٥٧) . وكان الترتيب المتبع عادة في مثل هذه الحالات ، لا سيما في اثناء مهاجمة المدن المتمردة ، أن يتوجه قائد الجيش في عدد قليل لمهاجمة المدينة ، بعد ان يكون قد عبأ قواته وكمّن كمائنه في مكان قريب من المنطقة . فحينما يرى المتمردون في المدينة قلة الجيش المهاجم يستهينون به ، ويخرجون لملاقاته ، فتنقض عليهم الكمائن من كل مكان ، فتشتت شملهم ، وتحقق النصر للجيش المهاجم(١٥٨) . ومن الاساليب الاخرى التي اتبعت في القتال ، مهاجمة المدن والحصون العاصية ، والمناورة حولها بقوات مدربة ومخصصة لهذا الغرض ، تسبق الجيش المتقدم ، وتثير الرعب والفزع في قلوب الاعداء ، وقد اشرنا سابقاً الى دور الحشم واهميتهم القتالية في هذا المجال(١٥٩) .

وقد استخدم الاندلسيون اسلوب الحصار للمدن المتمردة ، ومحاولة هدم اسوارها او نقبها بواسطة المهندسين والبنائين من العرفاء الذين يرافقون الحملات العسكرية . وكان هؤلاء يقومون باعمال من شأنها تحقيق النصر للجيش المهاجم . ففي احدى الحملات التي كان يقودها الامير محمد بن عبدالرحمن سنة ٢٤٤ هـ / ٨٥٨ م الى طليطلة Toleda ، قاتل الجيش المتمردين وحصرهم على قنطرة المدينة . وقد اوعز الامير الى العرفاء من البنائين والمهندسين بتخريب القنطرة ، فقاموا بالعملية دون ان يشعر بهم الاعداء ، فتهدمت وانكفأت بمن كان عليها من الرجال ، فغرقوا في النهر عن آخرهم(١٦٠) . وقد هدمت قنطرة مدينة ماردة Merida في عملية اخرى مشابهة في عهد هذا الامير سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م مما ادى الى اذعان المتمردين الذين كانوا قد تحصنوا بها(١٦١) . كما استخدم البناؤون والنقابون مع عرفائهم في عهد عبدالملك المظفر ابن الحاجب المنصور (٣٩٣ - ٣٩٩ هـ / ١٠٠٢ - ١٠٠٨ م) اسلوب ثلم الاسوار وحرق الحطب المضرج بالقطران في الثغرات المثلومة ، لارهاب المحصورين في الحصن ، واشعال النيران في سقوفه ، مما ساعد على سرعة استسلامهم(١٦٢) .

ثم ان الجيش الاندلسي استخدم المنجنيق لرمي الحجارة ، أو المقذوفات الحارقة من النفط والقطران ، على المدن والحصون المحاصرة(١٦٣) . ويعود استخدام هذه الآلة الى زمن

مبكر في الاندلس ، فقد ورد ان عبدالرحمن الاول استخدم ستة وثلاثين منجنيقاً في احدى حملاته على مدينة سرقسطة Zaragoza[١٦٤] ، كما استخدمت هذه الالات في الحقب التالية بشكل كبير ، سواء في القضاء على التمردات الداخلية ، او في الحملات الموجهة على الممالك الاسبانية المختلفة[١٦٥] ، أو في صد هجوم النورمان[١٦٦] . وكان لهذه المنجنيقات دور فعال في التأثير على الاعداء لما تسببه من تخريب او اشعال للحرائق ، او ارباك للرجال المحصورين في داخل المدن والحصون .

وكان اسلوب بناء المدن العسكرية حول المناطق المتمردة ، أو المدن المحاصرة ، من أشد الاساليب فعالية في احكام الحصار ، لما تقدمه هذه المدن المستحدثة من خدمات للجند الذين يقومون بعملية الحصار لاوقات طويلة . فكانت تقام فيها الاسواق ، وينقل اليها جميع الفعلة والصناع ، وتشحن بالأقوات ، ويقيم فيها نخبة مختارة من الجند والفرسان الذين تتوفر فيهم الشجاعة والجلد . ويعهد بأمر ادارة هذه المدن عادة الى أحد كبار القادة او الوزراء . وقد أدى هذا الاجراء الى نتائج ايجابية في سرعة القضاء على التمردات الداخلية ، نظراً لياس المتمردين المحصورين ، نتيجة لاستمرار الحصار عليهم لمدة غير محدودة من الزمن ، بفضل اقامة القوات المحاصرة في مدن تتوفر فيها مستلزمات الحياة ، وادامة القتال . وقد توسع الخليفة عبدالرحمن الناصر في استخدام هذا الاسلوب كثيراً ، فبنى في سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م مدينة بالقرب من طليطلة ، سماها « مدينة الفتح » ، كما بنى مدينة اخرى بالقرب من ببشتر Babastro ، عرفت أيضا بـ « المدينة » . هذا فضلاً عن الحصون الكثيرة الاخرى التي كان يقيمها حول الاماكن والمدن المتمردة ، ويشحنها بالرجال والمعدات ، لتقطع وصول الامدادات اليها ، وتعزلها عن بقية مناطق الاندلس[١٦٧] .

ونظراً للطبيعة الجبلية الوعرة التي تسود مناطق كثيرة في شبه الجزيرة الايبيرية ، لا سيما في الشمال والشمال الغربي ، فقد اضطر الاندلسيون الى اعتماد اسلوب الحروب الجبلية ، والاستعداد لها . ولهذا فقد برعوا في هذه الحروب ، وفي اجتياز المضائق الجبلية . وكان من العادة ان يتقدم الجيش فرقة استطلاعية لمعرفة اخبار العدو ، والمسالك والممرات الآمنة بين الجبال . وفي حالة اجتيازهم لهذه المضائق كانوا يكثرون من وضع الحرس لحماية مؤخرة الجيش من اي هجوم محتمل قد يقوم به العدو[١٦٨] . وفي الاماكن التي تتميز بكثرة الانهار والمياه والمخائض ، كانوا يستخدمون الاخشاب لتسهيل عملية عبور الجنود وتجنب انزلاقهم[١٦٩] . وكان يرافق الجيش في مثل هذه الحملات الادلاء المتخصصون في طوبوغرافية هذه المناطق ، والفعلة الذين يقومون بتعديل الطرقات الجبلية وتوسيع شعابها ، وتسهيل مسالكها لمرور الجند . وقد وصل التنظيم في الحملات التي قادها الحاجب المنصور حداً كبيراً جداً من الاتقان ، والتعاون الفعال بين الجيش والاسطول لتحقيق النصر . ومن ابرز الامثلة على ذلك ، حملة المنصور الثامنة والاربعين على جليقية سنة ٣٨٧ هـ / ٩٨٨ م ، وهي الحملة التي وجهت الى مدينة شانت ياقب . فقد أمر الاسطول ان يسبقه فيدخل من المحيط الاطلسي الى موضع حدده له على نهر دويرة Duero ، وهناك التقى الجيش البري بالاسطول الذي شكل جسراً عبر عليه الجنود الى الجانب الاخر من النهر ، ونقلت عليه الامدادات المطلوبة للجيش . ويذكر ابن عذاري[١٧٠] ، الذي يقدم لنا وصفاً رائعاً عن هذه العمليات العسكرية بقوله : « . . . ثم نهض يريد شنت ياقوب ، فقطع أرضين متباعدة الاقطار ، وقطع بالعبور عدة انهار كبار وخلجان يمدها البحر الاخضر . . ثم افضى الى جبل شامخ شديد الوعر لا مسلك فيه ، ولا طريق ، لم تهتد الادلاء الى سواه . فقدم المنصور الفعلة بالحديد لتوسعة شعابه وتسهيل مسالكه ؛ فقطعه العسكر ، وعبروا بعده وادي منيه (Minho) . . وعبروا سباحة الى جزيرة من البحر المحيط لجأ اليها خلق عظيم من اهل تلك النواحي . . وانتهى العسكر الى جبل فراسيه (Morrazo) المتصل من اكثر جهاته بالبحر المحيط . . . »

ان هذا النص يقدم لنا افضل وصف للخبرة التي اكتسبها الجيش الاندلسي خلال عهد الامارة الى اواخر عهد الخلافة ، لا سيما في الحروب الجبلية ، واستخدام افضل الطرق المتيسرة في ذلك العهد من حيث التعبئة والتنظيم ، والتعاون مع الاسطول واساليب القتال المتطورة التي تلائم الظروف الطبيعية القاسية للمنطقة .

الصوائف والشواتي

ان الفضل في هذه الخبرة التي اكتسبها الجيش الاندلسي يعود الى حيويته الدائمة ، ومساهماته المستمرة والفعالة في العمليات العسكرية التي هدفت الى حفظ الوحدة الوطنية ، وحماية الحدود الخارجية . وكان اسلوب الصوائف من أفضل الاساليب التعبوية الهجومية التي استخدمها الامويون في الاندلس وهو اسلوب معروف ، مارسته الدولة العربية الاسلامية ضد البيزنطيين بشكل فعال[١٧١] . وفي الاندلس استخدمت هذه الصوائف والشواتي ايضاً للقضاء على المتنزين والتمردات الداخلية ، لا سيما تلك التي استغرقت وقتاً طويلاً قبل ان تنتهي لصالح السلطة المركزية ، مثل حركات التمرد التي قامت في الثغر الاعلى ، وحركة عمر بن حفصون[١٧٢] .

ونظراً لظروف الاندلس الخاصة بوجود العديد من العناصر والاجناس المختلفة ، وكثرة حركات التمرد الداخلية ، والتعرضات الخارجية ، فقد تميزت الصوائف والشواتي بتعددها وعدم اقتصارها على صائفة واحدة كل عام ، بل كانت هناك صوائف دائمة ، وشوات ترسل عند الحاجة ، واحياناً تتحول الصائفة الى شاتية ، وتبقى في منطقة العمليات ، اذا تطلب الوضع الحربي ذلك[١٧٣] . كما تشير المصادر ايضاً الى وجود حملات ربيعية ، واخرى خريفية ، قام بها الحاجب المنصور محمد بن ابي عامر[١٧٤] . كذلك كانت هناك صوائف متجولة ، تحافظ على استتاب الامن والاستقرار بين كور الاندلس المختلفة[١٧٥] . ومما يميز صوائف الاندلس ايضاً ، لا سيما في عهد المنصور وابنه عبدالملك المظفر ، محاولتهما ، اضافة الى اضعاف قوة العدو ودحره ، تشجيع الجند المشاركين في الحملات على الاعمار والاستقرار في المناطق والحصون المتاخمة للممالك الاسبانية . وقد خصص المظفر مكافأة نقدية تعطى كل شهر ، وسكناً خاصاً ، وارضاً للزراعة ، لمن رغب في الاستقرار في احد الحصون المفتتحة في منطقة برشلونة Barcelona سنة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ م ، وقد وافق على ذلك عدد كبير من الجند[١٧٦] .

وكان موعد خروج الصوائف عادة يبدأ في اواخر الربيع وبداية الصيف ، اي في شهري ايار وحزيران[١٧٧] . ولكن يحدث ان يقدم وقت الصائفة اذا ما تطلب الظروف ذلك ، كما فعل الناصر لدين الله سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م حيث خرج من قرطبة في اليوم الرابع عشر من المحرم ، الموافق لليوم السابع والعشرين من نيسان ، بسبب استيائه من هجوم أهل بنبلونة (Pamplona) على احد الحصون الاندلسية ، وقتلهم لمن كان فيه من المسلمين[١٧٨] . وكان يسبق خروج الصوائف ، بطبيعة الحال ، فترة طويلة من الاعداد المستمر والتهيؤ لتوفير المستلزمات المادية والبشرية لها ، فكانت الوفود ترسل الى جميع كور الاندلس لحث اهلها على ارتباط الخيل وتهيئتها للمشاركة مع جيش الصائفة . ونظراً لمجاورة اهل الثغور للممالك الاسبانية ، فقد كان الاعتماد عليهم ضرورياً لامداد الصوائف بالرجال المدربين والمستعدين دائماً لصدّ الهجمات المعادية ، وذلك بحكم موقعهم القريب ، والطبيعة الجبلية الوعرة لمنطقتهم التي اكسبتهم الخبرة والمهارة في الحروب الجبلية . ولذلك فكان الامير يرسل الى عمال الثغور بالاستعداد والخروج بمن معهم من الجند المدونين والمتطوعين ، للالتحاق بالجيش القادم من العاصمة او الانتظار حتى يصل اليهم هذا الجيش ، فيرافقونه الى غايته ، وذلك حسب الموقع الجغرافي الذي تتوجه اليه الصائفة[١٧٩] .

وكان المنصور يستدعي احياناً جميع المترجلين من فرسان الجند في الثغور ، الذين لا تتوفر لديهم خيول ، الى العاصمة ، ليشرف بنفسه على توفير الحيوانات التي يحتاجونها للركوب ، ثم يخرج الجميع بانتظام من قرطبة ، كما فعل في صائفته الاخيرة سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ - ١٠٠٢ م[١٨٠] . وقد بلغ الاستعداد اقصى مداه في هذه الصائفة التي يصفها ابن الخطيب بالتفصيل[١٨١] . ففضلاً عن توفير الخيول لجميع المترجلين من عسكره ، قاد معه سبعمئة رأس منها ، زيادة على عدد الفرسان تحسباً لما يحدث في الطريق . كما ترك الف فرس اخرى في اصطبلاته بقرطبة ، وكانت قد وصلت لحينها من المغرب . ومع ذلك فقد واصل ابتياع الخيل في الطريق من الوفود وغيرهم ، حتى وصل الى مدينة سالم Medinaceli ومعه نحو الف فرس احتياطية .

كان للحملات التي تخرج من قرطبة نظام خاص في التجمع والسير ، فحينما كان الامير او الخليفة ينوي القيام بحملة « يبرز » لها . وكان هذا « البروز » هو بمثابة الاعلان عن الاستعداد للحملة الجديدة . وقد اعتاد امراء بني أمية قبل الناصر لدين الله لا سيما في عهد الامير عبدالله بن محمد ، ان

يبرزوا قبل الخروج الى الغزو في فحص شقنده Seconda ، او « صحراء الربض بفج المائدة المطل على باب قرطبة الجنوبي »[١٨٢] . اما الناصر ، فعلى الرغم من استخدامه لهذا المكان ، على الاقل لمرة واحدة في سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م[١٨٣] ، فقد اختار مكاناً آخر يقع الى الشمال من نهر الوادي الكبير Guadalgivir بالطرف الشرقي من المدينة ، وكان يعرف بمضرب او مضطرب فحص السرادق[١٨٤] . وكان هذا المكان من المتنزهات المشهورة التي يقصدها اهل قرطبة للفرجة والنزهة[١٨٥] . وقد اطلق عليه اسم السرادق بسبب ضرب السرادق السلطاني فيه عندما يراد القيام بحملة او غزوة جديدة .

ويبدو ان الغرض من « البروز » هو تأهب الخليفة وتفقده للجند من السرادق طيلة مدة « البروز » التي قد تستغرق نحو شهر واحد او اكثر[١٨٦] ، يتم خلالها اعلان النفير للجهاد في جميع انحاء البلاد ، فتأتي الوفود من كل جانب الى هذا المكان للمساهمة في الحملة . ثم يعسكرون في « الفحص » او السهل الفسيح الذي يقع امام السرادق ، ويستعرضهم الخليفة ، ويتفقد احتياجاتهم وعدتهم وسلاحهم .

وكان ينوب عن الخليفة في « البروز » احد القادة الكبار الذين يتولون قيادة الحملة في حالة عدم مساهمته فيها[١٨٧] . ويكون « البروز » في العادة مهيباً للغاية ، يظهر فيه الخليفة بكامل عدته وملابسه الحربية ، حيث يسير راكباً بين قواده وحرسه ، تظلله الرايات البديعة . ويخرج اهل قرطبة عن بكرة ابيهم لمشاهدة هذا الاستعراض العسكري الفخم الذي يتحدثون عنه لمدة طويلة[١٨٨] .

وبعد ان يكتمل الاستعداد للحملة يسير الجميع الى مسجد قرطبة الجامع ، ليقيموا الصلاة ، وبعدها تعقد الالوية ، ثم « يفصل » الامير او الخليفة ، ويخرج بالجيش الى غايته المرسومة له[١٨٩] . وقد كانت اغلب الجيوش والحملات التي تخرج من قرطبة الى الشمال تسلك الطريق المار بطليطلة ، ومنها الى وادي الحجارة Guadala Jara ، ثم الى مدينة سالم ، ومنطقة الثغر الاعلى ، وقاعدته سرقسطة ، وبعدها تمضي الحملة مع نهر ابرة Ebro نحو منابعه حتى تفضي الى البة Alara والقلاع Castil-la la Viega ، حيث الحدود الجنوبية والغربية لمملكة ليون المتاخمة للدولة العربية في الاندلس[١٩٠] .

وقد سلكت الحملات الاندلسية طرقاً اخرى غير طريق الثغر الاعلى ، ففي عهد الامير محمد بن عبدالرحمن ، سار القائد البراء بن مالك سنة ٢٦٤ هـ / ٨٧٧ م الى جيليقية من جهة الغرب ، اي من « باب قُلنبرية » Coimbra في البرتغال الحالية ، ونجح في حملته[١٩١] . وكذلك كانت هناك محاولة لحمل الجيوش بحراً على المراكب ، والوصول الى جيليقية من جهة المحيط الاطلسي في سنة ٢٦٦ هـ / ٨٧٩ م ، ولكن هذه المحاولة لم تنجح لغرق المراكب في المحيط[١٩٢] . وقد اشرنا سابقاً الى محاولة اخرى ـ ولكنها كانت ناجحة ـ لاستخدام الاسطول عن طريق المحيط الاطلسي في مساعدة الجيش البري لمهاجمة منطقة جيليقية ، ومدينة شانت ياقب على وجه التخصيص في عهد الحاجب المنصور . وكان الناصر لدين الله قد سلك قبل ذلك طريقاً مغايراً لطريق الثغر الاعلى في حملته على بلاد النافار Navarr عام ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م ، فسلك طريق شرق الاندلس ، حيث مرّ بكورتي تدمير وبلنسية Valencia ، ثم سار الى طرطوشة Tortosa وسرقسطة ، ودخل ثغر تطيلة Tudela ، ومنها الى حصن قلهرة Calahorra ، الى الجنوب من بنبلونة[١٩٣] .

الأسلحة

استخدم الجيش الاندلسي انواعاً عديدة من الاسلحة الخفيفة والثقيلة الدفاعية والهجومية . وكانت الاسلحة التقليدية المعروفة في ذلك الوقت كالسيوف والرماح والقسي والسهام ، هي الاسلحة الخفيفة الهجومية التي يعتمد عليها لتزويد افراد الجيش . أما الاسلحة الدفاعية الخفيفة ، فكانت تتكون عادة من الترس ، وهو صفحة مستديرة من الفولاذ تحمل باليد لتلقي ضربة السيف[١٩٤] ، والدرق ، وهو نوع من الترس ، ويتخذ من الجلود[١٩٥] . والبيضة ، اي الخوذة التي تصنع من الحديد عادة لحماية الراس[١٩٦] ، والمغفر ، وهو زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس ويلبس تحت القلنسوة ، وقبل الخوذة[١٩٧] ، والدرع ، الذي هو ثوب ينسج من زرد الحديد ، اي هو لبوس من الحديد[١٩٨] .

ويذكر ابن سعيد المغربي في معرض ردّه على ابن حوقل ،

ان أهل الاندلس كانوا يستخدمون التراس والرماح الطويلة للطعن ، ولكنهم لا يعرفون الدبابيس ، ولا قسي العرب ، بل يستعملون قسي الافرنج للمحاصرات في البلاد ، وهي تكون بيد المشاة عادة عند الاصطفاف للحرب ، لان الخيل لا تصبر على الفرسان او تمهلهم حتى يوتروها بشكل جيد(١٩٩) . ويبدو ان ابن سعيد المتوفى سنة ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م كان يتحدث عن عصره حين اشار الى عدم استخدام القسي العربية من قبل أهل الاندلس ، لان هذه القسي كانت معروفة ومستخدمة في عصر الخلافة ، وكان النتاج السنوي منها في قرطبة فقط ، هو ستة آلاف قوس عربية في عهد الحاجب المنصور(٢٠٠) . وعلى اي حال فقد كانت همم اهل الاندلس مصروفة الى انتاج هذه الاسلحة واستيرادها من البلاد المجاورة ، لا سيما السيوف الافرنجية المعروفة بالبرذليات(٢٠١) نسبة الى مدينة برذيل او بورديل Bordeaus في غرب فرنسا . وكذلك الحراب الافرنجية ، والبيضات الهندية ، وهي خوذ خشبية من خوذ الفرنجة ، وتسمى الطشانة Tistina ، المشتقة من كلمة Testa البروفنسالية في جنوب فرنسا ، اي الراس Tete(٢٠٢) .

وكان الجنود ذوو الباس الاشداء ، لا سيما في عهد الحكم المستنصر ، يتقلدون عادة السيوف الافرنجية ، وبايديهم التراس الملونة والرماح المستوية الأسنة(٢٠٣) ، وعلى رأسهم البيضات الصقيلة(٢٠٤) . وكان الفرسان منهم خاصة يرتدون الدروع ، ويحملون القنوات ، ويلبسون الجواشن وهي نوع من الزرد الذي يغطى به الصدر(٢٠٥) ، ويضعون التجافيف على خيولهم ، وهي عدة من حديد ، او غيره لتقيها من الجراح في اثناء القتال(٢٠٦) . وكان الرجالة منهم ، او المشاة ، يتنكبون القسي الكبار ، ويحملون اعمدة الحديد ، والطبرزينات ، وهي ضرب من الفؤوس(٢٠٧) .

أما الاسلحة الهجومية والدفاعية الثقيلة ، فاهمها المنجنيق ، وقد تحدثنا عن اثر هذه الآلة ودورها في حصار المدن ، حينها تعرضنا لاساليب القتال عند الجيش الاندلسي ، وكيف انها كانت اداة فعالة في حسم حروب الحصار ، ومهاجمة المدن . وقد استعملت آلة اخرى تشبه المنجنيق ، لكنها ، تسمى بالعرادة(٢٠٨) ، وقد اتاح صغر حجمها للمقاتلين ان يستعملوها في اماكن اخرى لا يمكن وضع المنجنيق فيها ، فكانت العرادات تنصب في الابراج فوق الاسوار ، للدفاع عن المدن ، فهي وسيلة دفاعية بالدرجة الاولى .

وقد استخدم المسلمون في وقت مبكر ما يسمى بالدبابة ، وذلك في اثناء عملية فتح الاندلس وحصار مدينة ماردة ، حيث امر موسى بن نصير بعمل « دبابة ، فدب المسلمون تحتها الى برج من ابراجها . . »(٢٠٩) . والدبابة هيكل ضخم من الخشب السميك المغطى بقطع من الجلد أو اللبود من الجوانب لحماية الجنود الذين يعملون تحته . وكانت تتحرك على بكرات او اسطوانات خشبية ، فتدفع الى الامام حتى تلتصق بالاسوار(٢١٠) . ولكن لم تنجح عملية هذه الدبابة في هدم اسوار مدينة ماردة ، واستطاع العدو ان يقضي على المهاجمين ، ويحطم الدبابة . ومن المرجح ان هذه التجربة الفاشلة في استخدام الدبابة في الاندلس ، قد صرفت انظار القائمين على الجيش الاندلسي فيما بعد عن استعمالها ، حيث لا يتوفر في المصادر ما يشير الى وجود هذا النوع من الالات ضمن اسلحة الجيش الاندلسي .

تطورت صناعة الاسلحة للجيش الاندلسي في اواخر عصر الخلافة ، لا سيما في ايام الحاجب المنصور . فكان الاندلسيون يستفيدون من الحديد المتوفر في منطقة اشبيلية لصناعة السيوف(٢١١) . وكانت مصانع الدولة تنتج نحو ثلاثة آلاف خباء كل عام للجيش ، أما دار التراسين في قرطبة ، فتنتج في السنة ثلاثة عشر الف ترس . وكان القائم على صناعة القسي في قرطبة رجل يدعى ابا العباس البغدادي ، ويلقب بالمعلم الاكبر ، وينتج ستة آلاف قوس عربية ، بينما ينتج طلحة الصقلبي في مدينة الزهراء ستة آلاف قوس اخرى على الطراز التركي .

اما نتاج النبال ، فقد بلغ عشرين الفاً في الشهر . يضاف الى ذلك الكثير من هذه الاسلحة المخزونة في دور السلاح ، والمعدة للتوزيع على أهل قرطبة وغيرهم من حشود المتطوعين ايام « البروز » والزينة . فقد كان في مدينة الزاهرة وحدها اربعون الف ترس ، واثنا عشر الف درع ومن الجواشن سبعمئة قطعة(٢١٢) . وقد أمر عبدالملك المظفر في سنة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ م بتوزيع خمسة آلاف درع ، وخمسة آلاف بيضة ، وخمسة آلاف

مغفر على طبقات الاجناد الدارعين في جيشه ، من خزائن السلاح ، وذلك قبل التوجه الى القتال في احدى حملاته .

ولم يكن السلاح مقصوراً على العاصمة قرطبة ، ومدينتي الزهراء والزاهرة حسب ، بل كانت خزائن الثغور ايضاً مملوءة بالسلاح . وكثيرا ما كان الحاجب المنصور يعتمد في استكمال اسلحة حملاته على الثغور ، لا سيما من مدينة سالم . فقد زودته هذه المدينة في احدى حملاته ، على سبيل المثال ، بستة منجنيقات ، ومائتي الف سهم ، وخمسة آلاف ترس ، زيادة على مواد اخرى ، كآلات الحديد ، ومئتي زوج من ازواج المطاحن اللازمة لطحن الحنطة وعمل الخبز[٢١٣] .

وقد لمحنا سابقاً الى اهمية الخيل ، واعتماد الجيش الاندلسي عليها ، واهتمام الامراء والخلفاء بارتباطها ، ودعوتهم للولاة والقواد والعمال باقطار الاندلس الى الاكثار منها ، لا سيما في عهد الحكم المستنصر ، والحاجب المنصور ، حيث كان الاخير يستورد الخيل من شمال افريقيا لاستخدامها في الصوائف ، كما كان يستنتج الكثير من انواعها الجيدة في منطقة اشبيلية ، لهذا الغرض ايضاً[٢١٤] .

العطـــاء

سبقت الاشارة الى الكور المجندة ، وكيف ان الجند الشاميين وزعوا على هذه الكور ، ومنحوا حق استغلال الاراضي التي نزلوا عليها لقاء الخدمة العسكرية المستمرة ، والاستعداد الدائم للمشاركة في الحملات التي تقوم بها الحكومة المركزية في قرطبة . وقد احتفظ لنا ابن الخطيب بنص مهم رواه عن ابن حيان واحمد بن محمد بن موسى الرازي[٢١٥] ، يشير فيه الى طريقة استدعاء هؤلاء الجند ، ومقدار ما كان يعطي لهم من مال . فكان عليهم أن يقدموا للجيش الاندلسي المركزي لواءين ، لواء يغزو ، ولواء يقيم على أهبة الاستعداد . وكان لكل لواء أمير يأخذ مئتي دينار عن كل حملة . أما الجند ، وأقارب صاحب اللواء ، فكان الواحد منهم يأخذ عشرة دنانير ، ويعفى عن اداء ضريبة العشر ، وكان على البلديين ان يدفعوا هذه الضريبة ، ولهم حق الانخراط في ألوية خاصة بهم ، ولكن دون ان يرتزقوا شيئاً . أما رؤساؤهم ، اصحاب الالوية فكانوا يتسلمون مئة دينار عن كل حملة .

ولدينا إشارة اخرى عن استمرار العمل بهذا النظام في منطقة الثغر الاعلى ، فقد عقد الامير محمد بن عبدالرحمن لبني تجيب ، وأمّرهم على قومهم ، وبنى لهم قلعة أيوب Calataud ، ودَرَوْقة Daroca ، وغيرها من المدن والحصون ، والزمهم بمحاربة بني قسي ، المتنزين بالثغر الاعلى ، واجرى عليهم الاموال ، لكل واحد منهم عند كل حملة مئة دينار[٢١٦] . ولقد استمر العمل بنظام الاقطاع العسكري الذي تمثله الكور المجندة ، والقبائل العربية والبربرية الاخرى التي وزعت على مناطق الاندلس ، وأبيح لها حق استخدام واستغلال الارض ، مقابل المساهمة في الحملات العسكرية للدولة الى عهد الحاجب المنصور ، الذي الغى الاقطاع العسكري - كما اشرنا الى ذلك سابقاً - وخصص رواتب شهرية مقطوعة للجند . ولكن بعد سقوط الخلافة الاموية ، لم تستطع القوى التي سيطرت على الاندلس الاستمرار في دفع رواتب الجند ، فكثر شغبهم مما أدى الى ضعف البلاد بشكل عام امام الاعداء . وقد دعا هذا الامر المرابطين الى اعادة الاقطاع العسكري من جديد[٢١٧] .

اما الفرق النظامية الدائمة التي كانت تقيم في العاصمة ، فلا تتوفر معلومات مفصلة عن مقدار اعطياتهم ، كما هو الحال في المشرق مثلاً ، ولكن من المؤكد انهم كانوا يتسلمون عطاء سنوياً في عصري الامارة والخلافة[٢١٨] . وكان بعض الامراء يأمرون بدفع عطاء مضاعف للجند بعد توليهم منصب الامارة ، كما فعل المنذر بن محمد مثلاً[٢١٩] . ويبدو ان عطاء الجندي وارزاقه المدونة في الديوان كانت تنتقل الى اولاده ، اذا ما استشهد في الحملات الموجهة الى الثغور[٢٢٠] . وكانت الاعطيات للجند تزداد او تقل حسب ظروف الدولة وامكانياتها ، ومدى توفر الامن والاستقرار في البلاد . فقد ضيق الامير عبدالله بن محمد على جنوده وقلل من اعطياتهم بسبب شدة حركة عمر بن حفصون ، وتأثيرها على الجباية في الدولة ، وحدها من سلطة الحكومة[٢٢١] . ومن جهة اخرى نجد ان الامير عبدالرحمن الاول يزيد من عطاء الجند ، ويكافئهم ، اذا ما اظهروا كفاية وشجاعة في المعارك . فقد اعطى أحد فرسانه الف دينار تقديراً لبسالته في احدى المعارك ،

والحقه بالشرف[٢٢] . ومن هنا يتبين ان شرف العطاء في الاندلس كان الف دينار . ويبدو هذا الرقم كبيراً جداً اذا ما قورن بالمبلغ الذي كان يدفع لمن يستحق شرف العطاء في المشرق ، حيث كان الحد الاعلى له هو الفين وخمسمائة درهم ، ثم اصبح منذ عهد معاوية بن أبي سفيان الفي درهم فقط[٢٣] . ولهذا فمن المحتمل ان الحالة التي أشار اليها المؤلف المجهول لكتاب اخبار مجموعة في عهد عبدالرحمن الداخل ، هي حالة خاصة مفردة لا يمكن القياس عليها . ولكنها مع ذلك تمثل مؤشراً مهما لتقدير اعلى نسبة من العطاء يمكن ان يحصل عليها المقاتل اذا ما أبلى في المعركة بلاء حسناً .

أما الجند المتطوعون ، فقد كانوا يتسلمون الصلات من الامراء ، لقاء مساهمتهم في الحملات ، فضلاً عما يحصلون عليه من غنائم وأسلاب . ويذكر ابن عذاري[٢٤] ، على سبيل المثال ، ان عبدالملك المظفر وزع سنة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ م نحو خمسة عشر الف دينار على شكل صلات عينية على مجموعات من المتطوعين القادمين من شمال افريقيا .

كانت الاموال التي تخصص للعطاء ، وللصرف على الحملات العسكرية ، تأتي عادة من تخصيصات الجباية العامة للدولة . فعلى سبيل المثال ، كان الخليفة الناصر لدين الله يخصص ثلث جبايته الكلية البالغة نحو ستة ملايين ومئتين وخمسة واربعين الف دينار ، للصرف على الجيش[٢٥] . وكان « مغرم الحشد » أو « الناض للحشد » يعد ضريبة خاصة بالجيش ، يجب على جميع الرعايا بكور الاندلس إداؤها ، وهي الضرائب على المنقولات التي تباع نقداً[٢٦] . وكانت قيمة هذه الضرائب كبيرة نسبياً ، فقد كان اقليم المدور Almodovar del Rio على سبيل المثال ، وهو اقليم واحد من أصل خمسة عشر اقليماً تتبع كورة قرطبة ، يقدم ثلاثة آلاف وتسعمائة وثمان مثاقيل من الذهب سنوياً[٢٧] . ولهذا فقد كان من احد أساليب تحبب الامراء الى رعاياهم في قرطبة وبقية كورالاندلس ، هو اسقاط نسبة مئوية من هذه الضريبة عنهم . فقد اسقط المنذر بن الامير محمد عشر (١/١٠) هذه المغارم عن اهل البلاد بعد ان تمت بيعته بالامارة[٢٨] . وكذلك قام الحكم المستنصر باسقاط سدس (١/٦) مغرم الحشد عن جميع الرعايا بكور الاندلس لسنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م تخفيفاً عنهم واحساناً اليهم[٢٩] .

وفي عهد الحاجب المنصور ازدادت كثافة الحملات العسكرية على الممالك الاسبانية ، فازداد الصرف عليها ، حتى ان الاستعداد للصائفة كان يصل الى انفاق ما يزيد على خمسمائة الف دينار[٣٠] . وقد استطاع المنصور ان يوفر هذه المبالغ عن طريق اعفاء اهل الاندلس من التطوع للجهاد ، ومطالبتهم بدلاً من ذلك بالاشتغال بعمارة اراضيهم وزراعتها ، وتقديم ضرائب سنوية عنها تستخدم للانفاق على الجيش ودفع رواتب جنده من المرتزقين القادمين من شمال افريقيا[٣١] . ولكن سياسة المنصور هذه لم تنجح على المدى الطويل ، وذلك لتسلط الجباة على الرعايا ، والتشديد عليهم في اخذ الضرائب ، مما ادى الى قلة اهتمامهم بالارض ، وبالتالي قلة الاموال التي تجبى منهم ، مما سبب ضعفاً عاماً في الدولة والجيش الاندلسي ، لا سيا بعد وفاة المنصور وسقوط الخلافة الاموية .

الهوامش والمصادر

(١) انظر على سبيل المثال : خالد جاسم الجنابي ، تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني ، (اطروحة ، ماجستير ، جامعة بغداد ، ١٩٧١) ، خالد جاسم الجنابي ، تنظيمات الجيش العربي الاسلامي في العصر الاموي ، بغداد ، بغداد ، ١٩٨٤ . نعمان ثابت ، الجندية في الدولة العباسية ، بغداد ١٩٣٩ ؛ عبدالرؤوف عون ، الفن الحربي في صدر الاسلام ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦١ ؛ بسام العسلي ، فن الحرب في عهد الخلفاء الراشدين والامويين ، جزءان ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ياسين سويد ، معارك خالد بن الوليد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣ ؛ احمد عادل كمال ، الطريق الى المدائن ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٧٧ ؛ احمد عادل كمال ، الطريق الى دمشق ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٨٢ ؛ حازم ابراهيم العارف ، الجيش العربي الاسلامي ، دار الرشيد للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٠٥ هـ .

(٢) احمد مختار العبادي ، دراسات في تاريخ الاندلس والمغرب ، الاسكندرية ، ١٩٦٨ ، ص ٢٤٦ - ٤٠١ . وانظر ايضاً : السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادي ، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس ، بيروت ، ١٩٧٠ .

(٣) E. Levi — Provencal, Histoire de L'Espagne Musulmane, Paris, 1967, Vol III, PP. 55 — 112.

(٤) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٧٨ ، ص ٢٦ . وانظر ايضاً : عبدالواحد ذنون طه ، الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس ، بغداد - ميلانو ، ١٩٨٢ ، ص ٢١١ .

(٥) ابن الابار ، الحلة السيراء ، تحقيق ، حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣ : ١ / ٦٣ .

(٦) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، نشر دي غويه ، ليدن ١٨٧٩ - ١٩٠١ : ١ / ١٢٣٥ ؛ الرقيق القيرواني ، تاريخ افريقية والمغرب ، تحقيق المنجي الكعبي ، تونس ، ١٩٦٨ ، ص ٧٤ ، مجهول ، فتح الاندلس ، نشر : فرانسيسكو كوديرا ، الجزائر ١٨٨٩ ، ص ٩ (برواية ابن حبيب ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، بيروت ، ١٩٧٩ : ٤ / ٥٥٦ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب في تلخيص اخبار الاندلس والمغرب ، نشر كولن وليفي بروفنسال ، ليدن ، ١٩٤٨ ، ٢ / ٩ ؛ المقري ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق : احسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٨ : ١ / ٢٣٠ - ٢٣١ ، ٢٥٤ (برواية ابن بشكوال) .

(٧) مجهول ، اخبار مجموعة ، نشر : لافوينتي ، القنطره ، مدريد ، ١٨٦٧ ، ص ١٥ ؛ فتح الاندلس ، ص ١٠ ؛ نفح الطيب (برواية ابن حيان) : ١ / ٢٦٩ ؛ البيان المغرب : ٢ / ١٣ .

(٨) اوردها المقري في نفح الطيب : ١ / ٢٥٩ .

(٩) اللمحة البدرية ، ص ٢٦ ، ابن الخطيب : الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبدالله عنان ، القاهرة ، ١٩٧٣ : ١ / ١٠٢ .

(١٠) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، نشر خوليان راييرا ، مدريد ١٩٢٦ ، ص ٢٠ ؛ اخبار مجموعة ، ص ٤٦ ؛ العذري ، نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الآثار ، تحقيق : عبدالعزيز الاهواني ، مدريد ، ١٩٦٥ ، ص ١ ، ٩٥ ، ١١٠ ؛ الكامل في التاريخ : ٥ / ٢٧٣ ، ٤٩١ ؛ الحلة السيراء : ١ / ٦١ - ٦٣ ؛ ابن غالب ، كتاب فرحة الانفس ، تحقيق : لطفي عبدالبديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الاول ، القسم الثاني ، القاهرة ، ١٩٥٥ - ١٩٥٦ ص ٢٨٣ ؛ البيان المغرب : ٢ / ٣٣ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ، نشر : ليفي بروفنسال ، القاهرة ، ليدن ، ١٩٣٨ ، ص ٢١ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٧٩ ، ١٠٠ ؛ الاحاطة في اخبار غرناطة ، ١ / ١٠٢ - ١٠٤ ؛ ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت ، ١٩٥٦ - ١٩٦١ : ٤ / ٢٥٩ - ٢٦٠ ؛ نفح الطيب : ١ / ٢٣٧ .

(١١) الروض المعطار ، ص ٢١ ، ٣٦ ، ١٠٠ .

(١٢) الحلة السيراء : ١ / ٦٤ .

(١٣) الاحاطة في اخبار غرناطة : ١ / ١٠٢ - ١٠٣ .

(١٤) العذري ، نصوص عن الاندلس ص ٢٠ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١٢٠ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ١٧٠ ؛ ولزيادة التفاصيل عن موضوع استقرار العرب في الاندلس راجع : طه ، الفتح والاستقرار الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس ، الفصل الرابع ، ص ٢٠٣ - ٣٢٨ .

(١٥) الاحاطة في اخبار غرناطة : ١ / ١٠٤ - ١٠٥ .

(١٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق عبدالرحمن علي الحجي ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٥٧ . العذري ، نصوص عن الاندلس ، ص ٩٥ ، الحميري ، الروض المعطار ، ص ٢١ ، ٣٦ .

(١٧) البيان المغرب : ٢ / ٤٦ .

(١٨) المصدر نفسه : ٢ / ٤٧ ؛ اخبار مجموعة ، ص ٨٧ . فتح الاندلس ، ص ٥٤ .

(١٩) الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٦ .

(٢٠) فتح الاندلس ، ص ٦٦ - ٦٧ ؛ اخبار مجموعة ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، نفح الطيب : ٣ / ٣٦ - ٣٧ ؛ وقارن : احسان عباس ، تاريخ الادب الاندلسي / عصر سيادة قرطبة ، دار الثقافة بيروت ، ١٩٨١ ؛ ١ / ٢ ، ابراهيم بيضون ، الدولة العربية في اسبانيا ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ٢١١ ؛ ابراهيم ياس خضر الدوري ، عبدالرحمن الداخل في الاندلس وسياسته الخارجية والداخلية ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ٢٤٩ .

(٢١) ابن سعيد المغربي وآخرون ، المغرب في حلى المغرّب ، تحقيق : شوقي ضيف دار المعارف بمصر ، ١٩٦٤ : ١ / ٦٠ .

(٢٢) قارن : خليل ابراهيم صالح السامرائي ، التعبئة العسكرية الاسلامية في الاندلس مجلة مكتبة زانكو ، العدد الثاني ، تموز ١٩٧٧ ، ص ٤٠ . حيث يشير الى عدم وجود جيش نظامي في الاندلس قبل أيام الحكم بن هشام .

(٢٣) ؛ المقتبس في تاريخ اهل الاندلس ؛ مجموعة اوراق مخطوطة من السفر الاول تشمل حوادث سنة ١٨٠ - ٢٣١ هـ (ص ١٠٦) عثر عليها المستشرق ليفي بروفنسال ، ونقل عنها محمد عبدالله عنان ، دولة الاسلام في الاندلس من الفتح الى بداية عهد الناصر ، القاهرة ١٩٦٩ : ١ / ٢٤٩ - ٢٥٠ . وقد فقدت هذه الاوراق في الوقت الحاضر .

(٢٤) ابن خلدون ، العبر : ٤ / ١٢٧ ؛ المغرب في حلى المغرب :

١ / ٣٩ ؛ النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، غرناطة ، ١٩١٧ ، ج ٢٢ ، القسم الاول ، ص ٤١ ؛ نفح الطيب : ١ / ٣٣٨ - ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ - ٣٤٢ .

(٢٥) أخبار مجموعة ، ص ١٢٩ - ١٣٠ ؛ نفح الطيب : ١ / ٣٤٢ ؛ وانظر : البيان المغرب : ٢ / ٧٩ حيث يشير الى وجود ألف فارس فقط .

(٢٦) مخطوط « المقتبس » المشار اليه آنفاً ، ص ١٤٥ ، نقلاً عن : عنان ، دولة الاسلام في الاندلس : ١ / ٢٧٧ .

(٢٧) ابن حوقل : صورة الارض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ ص ١٠٦ .

(٢٨) البيان المغرب : ٣ / ١٦٣ ، نشر : ليفي بروفنسال ، باريس ، ١٩٣٠ ؛ وانظر : احمد مختار العبادي ، الصقالبة في اسبانيا ، مدريد ، ١٩٥٣ ، ص ٨ - ٩ .

(٢٩) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : محمود علي مكي ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٦ .

(٣٠) نصوص عن الاندلس ، ص ٣٠ .

(٣١) المقتبس ، نشر : ملشور انطونيا ، باريس ، ١٩٣٧ ، ص ٩٤ .

(٣٢) نصوص عن الاندلس ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٣٣) البيان المغرب : ٢ / ٨٤ ، ٨٧ .

(٣٤) نفح الطيب : ١ / ٣٦٦ ، ٣٦٧ ؛ العبادي ، الصقالبة في اسبانيا ، ص ١١ .

(٣٥) البيان المغرب : ٢ / ٢٣٢ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، القسم الثاني ، الاندلس ، نشر ، ليفي بروفنسال ، بيروت ، ١٩٥٦ ، ص ٤٠ .

(٣٦) البيان المغرب : ٢ / ٢٥٩ .

(٣٧) المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ٤٥ .

(٣٨) البيان المغرب : ٢ / ٢٦٠ ؛ اعمال الاعلام ، ص ٦٠ .

(٣٩) البيان المغرب : ٢ / ٢٨٣ .

(٤٠) البيان المغرب : ٣ / ١١ .

(٤١) انظر : اخبار مجموعة ، ص ١٥٥ - ١٥٦ ؛ المقتبس ، نشر : ب شالميتا واخرون ، مدريد ، الرباط ، ١٩٧٩ ، ص ٤٣٦ - ٤٣٧ ، الروض المعطار ، ص ٩٨ - ٩٩ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٣٦ - ٣٧ ؛ وقارن : احمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي والاندلسي ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٤٠٧ ، الصقالبة في اسبانيا ، ص ١٢ .

(٤٢) المقتبس ، تحقيق الحجي ، ص ١٩٠ .

(٤٣) المقتبس ، نشر : انطونيا ، ص ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٤١ ، ١٤٧ ، البيان المغرب ٢ / ١٤٧ .

(٤٤) انظر : المقتبس ؛ تحقيق الحجي ، ص ١٩٠ .

(٤٥) المصدر نفسه ، ص ٧٨ .

(٤٦) المصدر نفسه ، ص ١٩٢ - ١٩٣ ؛ وقارن : مجهول المؤلف ، مفاخر البربر ، نشر : ليفي بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٤ ، ص ٤٤ .

(٤٧) الامير عبدالله ، مذكرات الامير عبدالله المسماة بكتاب التبيان ، نشر : ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، ١٩٥٥ ، ص ١٦ ؛ اعمال الاعلام ، ص ٦٦ ؛ نفح الطيب : ١ / ٣٩٧ .

(٤٨) اعمال الاعلام (برواية ابن حيان) ص ١٠٢ .

(٤٩) انظر : ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المنّ بالامامة ، تحقيق ، عبدالهادي التازي ، دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٦٣ ، ص ١٢٩ . ابن عذاري ، البيان المغرب ، القسم الموحدي ، نشر امبروسي هويسي مراندة مع محمد بن تاويت ومحمد ابراهيم الكتاني ، تطوان ، ١٩٦٠ ، ص ٤٢ ، ٢٨٦ ، ٣١٠ .

(٥٠) البيان المغرب : ٢ / ٢٩٤ .

(٥١) انظر روايته التي ينقلها ابن سعيد في : المغرب في حلى المغرب : ١ / ٣٩ .

(٥٢) الكامل في التاريخ : ٦ / ٣٧٨ .

(٥٣) المقتبس ، نشر : انطونيا ، ص ١١١ ؛ المقتبس ، نشر : شالميتا ، ص ٣٢١ .

(٥٤) المصدر نفسه ، نشر شالميتا ، ص ٧٢ .

(٥٥) المصدر نفسه ، نشر انطونيا ، ص ٢٥ .

(٥٦) المصدر نفسه ، تحقيق الحجي ، ص ٤٧ ، ١٧٠ ؛ البيان المغرب : ٢ / ٢٤٤ .

(٥٧) المصدر نفسه : ٢ / ١٣٠ ؛ المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ٢٢ ، ٢٥ ، ٣٠ .

(٥٨) المصدر نفسه ، ص ١١٧ ، ١١٩ ، ١٩٦ .

(٥٩) المصدر نفسه ، ص ١١٩ ، ١٧٠ .

(٦٠) المصدر نفسه ، نشر : انطونيا ، ص ٥٣ - ٥٤ .

(٦١) المصدر نفسه ، نشر : شالميتا ، ص ١٦٥ .

(٦٢) المصدر نفسه ، تحقيق ، الحجي ، ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

(٦٣) المصدر نفسه ، نشر : انطونيا ، ص ١١٨ ؛ المصدر نفسه ، نشر : شالميتا ، ص ٧١ ، ٧٢ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ٢١٠ - ٢١١ ؛ البيان المغرب : ٢ / ١٢٠ ، ١٩٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢١٠ .

(٦٤) الجاحظ ، رسالة في مناقب الترك وعامة جند الخلافة او (مفاخر الترك) ، مجموعة رسائل الجاحظ ، نشر : الحاج محمد افندي ساسي المغربي التونسي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٤ هـ ، ص ٥ ، ٧ ، ١٥ .

(٦٥) المصدر نفسه ، ص ١٦ ، ٣٢ - ٣٣ .

(٦٦) المقتبس ، نشر : شالميتا ، ص ٤٥٥ - ٤٥٦ .

(٦٧) نفح الطيب : ١ / ٣٨٨ ، ٣٨٩ .

(٦٨) البيان المغرب : ٢ / ١٩٠ ، ٢٠٣ ، ٢١٠ .

(٦٩) المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ٢٢٨ .

(٧٠) المصدر نفسه ، ص ١٢٠ ؛ البيان المغرب ، ٢ / ٢٦١ .

(٧١) المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ٣٠ ، ٤٠ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٧٨ ، ٩١ ، ١٢٠ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٥٦ ، ١٧٤ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٢٣ .

(٧٢) انظر رواية محمد بن مزين التي ينقلها محمد بن عبدالوهاب الغساني في كتابه رحلة الوزير في افتكاك الاسير ، مخطوط المكتبة الوطنية ، في مدريد (رقم ٥٣٠٤) ، ص ١٠٠ ؛ وانظر ايضاً : مجهول ، الرسالة الشريفية ، نشرت ملحقاً لكتاب ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، طبعة مدريد ، ص ١٩٩ .

(٧٣) انظر : لسان العرب ، مادة : (صيد) .

(٧٤) المصدر نفسه ، مادة : (روض) .

(٧٥) انظر المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ٤٥ ، ٤٨ .

(٧٦) البيان المغرب : ٢ / ٢٦٥ .

(٧٧) المقتبس ، نشر : انطونيا ، ص ٢٥ ؛ المقتبس ، نشر : شالميتا ، ص ١٣٥ ؛ نصوص عن الاندلس ، ص ١١٨ ؛ البيان المغرب : ٢ / ١٣٦ ، ٣ / ٤ ؛ اعمال الاعلام ، ص ٧٢ .

(٧٨) البيان المغرب : ٢ / ١٧٠ .

(٧٩) المقتبس ، تحقيق : مكي ، ص ٤٣ ؛ نصوص عن الاندلس ، ص ٩٠ - ٩١ .

(٨٠) المقتبس ، تحقيق ، مكي ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ ؛ وقارن : البيان المغرب : ٢ / ١٠٩ ؛ اعمال الاعلام ، ص ٢٣ .

(٨١) قارن : حسين مؤنس ، فجر الاندلس ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ ؛

Levi — Provencal, Histoire de l' Espagne Musulmane Vol. III P. 89.

(٨٢) المقتبس ، نشر : انطونيا ، ص ١٠٤ ؛ البيان المغرب : ٢ / ١٣٢ .

(٨٣) المقتبس ، نشر : انطونيا ، ص ١٢٩ .

(٨٤) تاريخ الاندلس ، تحقيق احمد مختار العبادي ، معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، ١٩٧١ ، ص ٥٧ ؛ وانظر ايضاً : ابن ابي دينار ، المؤنس في اخبار افريقية وتونس ، تحقيق ، محمد شمام ، تونس ، ١٩٦٧ ، ص ٩٧ .

(٨٥) جغرافية الاندلس واوربا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق : عبدالرحمن علي الحجي ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٧٧ .

(٨٦) اعمال الاعلام ، ص ٩٩ .

(٨٧) البيان المغرب : ٢ / ٣٠١ .

(٨٨) المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ٤٧ - ٤٨ .

(٨٩) المقتبس ، تحقيق ، مكي ، ص ٤٤ - ٤٥ ؛ وانظر ايضاً ، ص ٢٧١ .

(٩٠) المصدر نفسه ، ص ٢٧١ ؛ البيان المغرب : ٢ / ١٠٩ .

(٩١) المقتبس ، نشر : شالميتا ، ص ٤٣٦ .

(٩٢) المصدر نفسه ، ص ٤٤٩ - ٤٥٠ .

(٩٣) اعمال الاعلام ، ص ٦٨ .

(٩٤) انظر : الطرطوشي ، سراج الملوك ، القاهرة ، ١٩٣٥ ، ص ٢٢٩ ، اعمال الاعلام ، ص ١٠١ ؛ وقارن : احمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي والاندلسي ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٤٥٣ .

(٩٥) الامثلة على هذه الحالة كثيرة جداً ، انظر على سبيل المثال : المقتبس ، نشر : انطونيا ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٤ ، ١٤٠ ، المقتبس ، تحقيق : مكي ، ص ٢ ، ٣٨٥ ، ٣٩٥ ؛ البيان المغرب ؛ ٢ / ٨٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٢٤ .

(٩٦) انظر : المقتبس ، تحقيق مكي ، ص ٣٩٩ .

(٩٧) البيان المغرب : ٢ / ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ .

(٩٨) انظر : المقتبس ، نشر ، شالميتا ، ص ٤٣٦ - ٤٣٧ ؛ اخبار مجموعة ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٩٩) البيان المغرب : ٢ / ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٨١ .

(١٠٠) المصدر نفسه : ٢ / ٦٨ ، ٧٦ .

(١٠١) المقتبس ، تحقيق ، مكي ، ص ٢ ؛ البيان المغرب : ٢ / ٨٤ ، ٨٦ .

(١٠٢) المقتبس : تحقيق ، مكي ، ص ٣٩٥ ، ٣٩٩ .

(١٠٣) المقتبس ، نشر : انطونيا ، ص ١١٤ ، ١٤٠ ؛ البيان المغرب : ٢ / ١٠٢ - ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٤٠ - ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٦٩ ، ١٧١ .

(١٠٤) المقتبس ، تحقيق ، الحجي ، ص ٢٢١ فما بعدها ؛ البيان المغرب : ٢ / ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(١٠٥) المصدر نفسه : ٢ / ١٧٠ - ١٧١ .

(١٠٦) المصدر نفسه : ٢ / ٩٤ ، ١٤٩ ، ١٥٩ ، ١٦٧ .

(١٠٧) اخبار مجموعة ، ص ١٤٤ .

(١٠٨) البيان المغرب : ٢ / ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٧ .

(١٠٩) المصدر نفسه : ٢ / ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ .

(١١٠) ابن منظور ، لسان العرب المحيط ، اعداد يوسف خياط ، منشورات دار لسان العرب ، بيروت ، بدون تاريخ ، مادة : (عرض) .

(١١١) انظر : المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ١٩٣ ، ٢٢٣ .

(١١٢) البيان المغرب : ٢ / ١٥٩ ، ١٦٤ .

(١١٣) المصدر نفسه : ٢ / ١٩٤ ، ١٩٥ .
(١١٤) المصدر نفسه : ٢ / ١٥٨ - ١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٩٢ ، ٢٠٣ .
(١١٥) انظر : لسان العرب ، مادة : (عقل) .
(١١٦) المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ١٤٩ ، ١٥١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ .
(١١٧) المصدر نفسه ، ص ٢١٠ .
(١١٨) المقتبس ، نشر : شالميتا ، ص ٣٤٠ ، ٣٤٣ - ٣٤٤ .
(١١٩) المصدر نفسه ، ص ١١٣ .
(١٢٠) انظر : ابن القوطية ، ص ٢٦ ؛ اخبار مجموعة ، ص ٨٤ - ٨٥ .
(١٢١) البيان المغرب : ٢ / ٤٢ .
(١٢٢) المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ٢٥ ، ٤٧ ، ٦٧ .
(١٢٣) انظر : المصدر نفسه ، ص ٢٥ - ٢٦ .
(١٢٤) انظر : خالد الجنابي ، تنظيمات الجيش العربي الاسلامي في العصر الاموي ، ص ٢٢٣ - ٢٢٥ ؛ عبدالواحد ذنون طه ، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، الموصل ، ١٩٨٥ ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .
(١٢٥) اخبار مجموعة ، ص ١٢٩ - ١٣٠ ؛ البيان المغرب : ٢ / ٧٩ ؛ نفح الطيب : ١ / ٣٤٢ .
(١٢٦) البيان المغرب : ٢ / ١١٨ ؛ اعمال الاعلام ، ص ٣١ .
(١٢٧) البيان المغرب : ٢ / ٧٩ ، ٢ / ٩٦ ؛ اعمال الاعلام ، ص ٩١ - ١٩٦ .
(١٢٨) المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ١١٨ ، المقتبس ، نشر : شالميتا ، ص ٨٧ .
(١٢٩) المقتبس ، نشر : شالميتا ، ص ٢١٤ .
(١٣٠) المصدر نفسه ، ص ١٣١؛ وانظر : ابن القوطية ، ص ٩٣ .
(١٣١) انظر : المصدر نفسه ، نشر : انطونيا ، ص ١٤٥ ؛ نصوص عن الاندلس ، ص ١١٤ ؛ البيان المغرب : ٢ / ١٩٢ .
(١٣٢) المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ٤٥ ، ١٩٦ .
(١٣٣) البيان المغرب : ٢ / ٩٦ .
(١٣٤) المصدر نفسه ، ٣ / ٢١ - ٢٢ .
(١٣٥) المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ٩١ .
(١٣٦) الطرطوشي ، سراج الملوك ص ٣٤٠ .
(١٣٧) المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ٩٣ .
(١٣٨) اعمال الاعلام ، ص ٩٩ .
(١٣٩) انظر على سبيل المثال : احسان هندي ، الحياة العسكرية عند العرب او الجيش العربي في الف عام ، مطبعة الجمهورية ، دمشق ، بدون تاريخ ، ص ٢٤٦ وما بعدها . عبدالرؤوف عون ، الفن الحربي في صدر الاسلام ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦١ ، ص ٢٠٦ - ٢٣٨ فما بعدها ؛ خالد الجنابي ، تنظيمات الجيش العربي الاسلامي في العصر الاموي ، ص ١٦٣ - ١٧٢ ، عبدالجبار محمود السامرائي ، نظم التعبئة عند العرب ، مجلة المورد ، م ١٢ ، العدد ٤ ، ١٩٨٣ ، ص ٧ - ١٥ .
(١٤٠) ابن خلدون ، المقدمة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٢٧٢ .
(١٤١) نصوص من الاندلس ، ص ٦٨ - ١٠١ ؛ البيان المغرب : ٢ / ٨٦ ، ١٣٨ ؛ اعمال الاعلام ، ص ٦٣ .
(١٤٢) محمد بن حارث الخشني ، قضاة قرطبة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٤١ ؛ البيان المغرب : ٢ / ٦٤ - ٦٥ .
(١٤٣) الخشني ، قضاة قرطبة ، ص ١٨ .
(١٤٤) انظر : البيان المغرب : ٢ / ٧٤ ؛ المقتبس ، نشر : شالميتا ، ص ١٩٢ ؛ نفح الطيب ، ١ / ٣٨٨ ، ٣٨٩ .
(١٤٥) لسان العرب ، مادة : (كتب) .
(١٤٦) نصوص عن الاندلس ، ص ٤٣ ، ٤٨ ، ٥٣ ؛ البيان المغرب : ٢ / ٧٤ ، ٨٥ ، ١٠٠ ، ١٤٧ .
(١٤٧) البيان المغرب : ٢ / ٥٤ .
(١٤٨) لسان العرب ، مادة : (فلق) .
(١٤٩) البيان المغرب : ٢ / ١٠٣ .
(١٥٠) المصدر نفسه : ٢ / ١٣٨ .
(١٥١) المقتبس ، نشر : شالميتا ، ص ٣٤٠ ، ٣٤٣ - ٣٤٤ .
(١٥٢) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص ٣٣٧ .
(١٥٣) صورة الارض ، ص ١٠٤ - ١٠٥ ، ١٠٨ - ١٠٩ .
(١٥٤) انظر : عبدالواحد ذنون طه ، الاندلس من خلال كتاب صورة الارض لابن حوقل ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٢٣ ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ٥٠ - ٥٥ .
(١٥٥) Histoire de L'Espagne Musulmane, Vol. III, PP. 70-71.
(١٥٦) انظر : الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص ٣٣١ - ٣٣٢ ؛ اعمال الاعلام ، ص ٧٢ .
(١٥٧) المصدر نفسه ، ص ٢٠ - ٢١ ؛ البيان المغرب : ٢ / ١٤٧ .
(١٥٨) المصدر نفسه ، ٢ / ٨٤ ، ٩٥ ، ٩٦ .
(١٥٩) المصدر نفسه ، ٢ / ١٧٩ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ؛ المقتبس ، نشر : انطونيا ، ص ١١٨ .
(١٦٠) البيان المغرب : ٢ / ٩٦ .
(١٦١) المصدر نفسه : ٢ / ١٠٠ .
(١٦٢) المصدر نفسه : ٣ / ٢١ - ٢٢ .
(١٦٣) انظر : اعمال الاعلام ، ص ١٠١ .
(١٦٤) اخبار مجموعة ، ص ١١٥ .
(١٦٥) البيان المغرب : ٢ / ٦٤ ، ٨٨ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٣٨ ، ١٤٠ - ١٤١ ، ١٨١ ، ٢٠٠ ، نفح الطيب : ١ / ٣٤٦ .
(١٦٦) نصوص عن الاندلس ، ص ١٠٠ ؛ البيان المغرب : ٢ / ٨٧ ، ٨٨ .

(١٦٧) المقتبس ، نشر : شالميتا ، ص ٢٨٣ ، ٣٦٤ ؛ البيان المغرب : ٢ / ١٩٤ ، ٢٠٣ .
(١٦٨) المصدر نفسه : ٢ / ٧٥ ، ١٨٧ - ١٨٨ .
المقتبس ، نشر : شالميتا ، ص ١٩٢ - ١٩٣ .
وانظر : خليل السامرائي ، التعبئة العسكرية الاسلامية في الاندلس ، ص ٤٠ - ٤١ .
(١٦٩) البيان المغرب : ٢ / ٧٥ .
(١٧٠) المصدر نفسه : ٢ / ٢٩٥ - ٢٦٩ ، نفح الطيب : ١ / ٤١٤ - ٤١٥ ، وقارن اعمال الاعلام ، ص ٦٧ .
(١٧١) انظر : خالد الجنابي ، تنظيمات الجيش العربي الاسلامي في العصر الاموي ، ص ١٩٢ - ١٩٦ .
(١٧٢) انظر ، نصوص عن الاندلس ، ص ٣٠ - ٣٥ ؛ البيان المغرب : ٢ / ١٣٩ . وايضا راجع عن حركة ابن حفصون الدراسة القيمة التي نشرها الدكتور امين توفيق الطيبي ضمن كتابه : دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والاندلس تحت عنوان « قيام عمر بن حفصون وبنيه بيشتر على الامارة الاموية بقرطبة » . الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، ١٩٨٤ ، ص ١٢٠ - ١٥٠ .
(١٧٣) البيان المغرب : ٢ / ١٤٦ ؛ وانظر : المقتبس ، نشر : انطونيا ، ص ١٤٦ .
(١٧٤) نصوص عن الاندلس ، ص ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ .
(١٧٥) البيان المغرب : ٢ / ١٣٩ .
(١٧٦) المصدر نفسه : ٣ / ٧ ؛ وانظر ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص ٦٤ .
(١٧٧) انظر : البيان المغرب : ٢ / ١٨٩ ؛ اعمال الاعلام (برواية ابن حيان) ، ص ٩٨ .
(١٧٨) المقتبس ، نشر : شالميتا ، ص ١٨٩ - ١٩٠ ؛ البيان المغرب : ٢ / ١٨٥ .
(١٧٩) نصوص عن الاندلس ، ص ٤٢ ، ٤٤ ، ٧١ ، ١١٣ ؛ البيان المغرب : ٢ / ٦٩ ، ٧٢ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٣٨ ، ١٧٢ .
(١٨٠) اعمال الاعلام (برواية ابن حيان) ، ص ٩٩ - ١٠٠ .
(١٨١) المصدر نفسه ، ص ٩٩ - ١٠٠ .
(١٨٢) المقتبس ، نشر : انطونيا ، ص ٩٣ ، ٩٤ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ؛ البيان المغرب : ٢ / ١٣٢ ؛ نفح الطيب : ١ / ٣٤٣ .
(١٨٣) المقتبس ، نشر : شالميتا ، ص ٤٤٩ .
(١٨٤) المصدر نفسه ، ص ٢٨٧ ، المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ٤٣ ؛ البيان المغرب : ٢ / ٢٠٤ .
(١٨٥) انظر : السيد عبدالعزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، بيروت ، ١٩٧١ : ١ / ٢١٠ .
(١٨٦) المقتبس ، نشر : شالميتا ، ص ٦٥ ، ٨٥ ، ١٥٧ ، ١٨٩ ؛ البيان المغرب : ٢ / ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٧٣ ، ١٧٥ - ١٧٦ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ .
(١٨٧) المصدر نفسه : ٢ / ٢٢١ - ٢٢٢ ؛ وانظر : المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ٢٢١ .
(١٨٨) انظر : المقتبس ، نشر : شالميتا ، ص ٣٣٢ - ٣٣٣ ؛ البيان المغرب : ٢ / ٢٢٢ .
(١٨٩) المصدر نفسه ، ٣ / ٥ ؛ وقارن خليل السامرائي ، التعبئة العسكرية ، ص ٤٠ .
(١٩٠) انظر : الحلة السيراء : تعليق المحقق هامش (٢) : ١ / ١٣٥ - ١٣٦ ؛ وانظر ايضاً : خليل ابراهيم السامرائي ، الثغر الاعلى الاندلسي ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ١٥٧ .
(١٩١) البيان المغرب : ٢ / ١٠٣ .
(١٩٢) المصدر نفسه : ٢ / ١٠٤ .
(١٩٣) المقتبس ، نشر : شالميتا ، ص ١٩٠ - ١٩١ ؛ البيان المغرب : ٢ / ١٨٦ .
(١٩٤) انظر : لسان العرب ، مادة : (ترس) ؛ عبدالرحمن زكي ، السلاح في الاسلام ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ١٦ .
(١٩٥) لسان العرب ، مادة : (درق) .
(١٩٦) لسان العرب ، مادة : (بيض) ؛ السلاح في الاسلام ، ص ٢٣ .
(١٩٧) لسان العرب ، مادة : (غفر) ؛ السلاح في الاسلام ، ص ٥٦ .
(١٩٨) لسان العرب ، مادة : (درع) ؛ السلاح في الاسلام ، ص ٢٦ - ٢٧ .
(١٩٩) نفح الطيب : ١ / ٢٢٣ .
(٢٠٠) اعمال الاعلام (برواية ابن حيان) ، ص ١٠١ .
(٢٠١) نفح الطيب : ١ / ٢٠٢ .
(٢٠٢) المصدر نفسه : ١ / ٣٨٢ ، وانظر هامش المحقق رقم (٥) .
(٢٠٣) المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ١١٨ .
(٢٠٤) نفح الطيب : ١ / ٣٨٨ .
(٢٠٥) المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ٤٩ ، اعمال الاعلام ، ص ٧٤ ؛ نفح الطيب : ١ / ٣٨٢ . وانظر : لسان العرب ، مادة : (جشن) .
(٢٠٦) المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ٤٩ ، نفح الطيب : ١ / ٣٥٨ ؛ وانظر لسان العرب ، مادة : (جفف) .
(٢٠٧) المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ٤٨ - ٤٩ ، ٥٠ ؛ وانظر : الجواليقي ، المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٢٧٦ .
(٢٠٨) الحميري ، الروض المعطار ، ص ١٥٩ ؛ وانظر : لسان العرب ، مادة : (عرد) .
(٢٠٩) اخبار مجموعة ، ص ١٧ ؛ البيان المغرب : ٢ / ١٤ .
(٢١٠) انظر : السلاح عند العرب ، ص ٢٤ ، تنظيمات الجيش العربي

الاسلامي في العصر الاموي ، ص ١٤٩ ـ ١٥١ .

(٢١١) نفح الطيب : ١ / ٢٠٢ .

(٢١٢) اعمال الاعلام (برواية ابن حيان) ، ص ١٠١ ـ ١٠٢ .

(٢١٣) المصدر نفسه (برواية ابن حيان) ، ص ١٠١

(٢١٤) المصدر نفسه (برواية ابن حيان) ، ص ١٠٠ ؛ البيان المغرب : ٢ / ٢٣٥ ، ٢٣٨ .

(٢١٥) الاحاطة في اخبار غرناطة : ١ / ١٠٤ ـ ١٠٥ ؛ وانظر ايضاً : فجر الاندلس ، ص ٦٠١ .

(٢١٦) نصوص عن الاندلس ، ص ٤١ .

(٢١٧) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص ٢٢٩ .

(٢١٨) انظر : البيان المغرب : ٢ / ٩١ .

(٢١٩) اعمال الاعلام ، ص ٢٤ ؛ وانظر : البيان المغرب : ٢ / ١١٤ .

(٢٢٠) اخبار مجموعة ، ص ١٢٠ .

(٢٢١) المصدر نفسه ، ص ١٥٠ ـ ١٥١ .

(٢٢٢) المصدر نفسه ، ص ١١٩ .

(٢٢٣) انظر : صالح احمد العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ١٥١ ـ ١٥٢ .

(٢٢٤) البيان المغرب : ٣ / ٤ .

(٢٢٥) المصدر نفسه : ٢ / ٢٣١ ـ ٢٣٢ ؛ اعمال الاعلام ، ص ٣٨ . نفح الطيب : ١ / ٣٧٩ .

(٢٢٦) انظر : لسان العرب ، مادة : (نضض) .

(٢٢٧) نصوص عن الاندلس ، ص ١٢٥ .

(٢٢٨) البيان المغرب : ٢ / ١١٤ .

(٢٢٩) المقتبس ، تحقيق : الحجي ، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

(٢٣٠) اعمال الاعلام ، ص ٩٨ .

(٢٣١) مذكرات الامير عبدالله ، ص ١٧ . وقارن .

Levi — Provencal, op. cit., Vol. III, PP.82—85.

* * *

الصُّورَةُ الفَنِّيَّة
لِعِدَّةِ الحَرْبِ فِي القَصِيدَةِ العَرَبِيَّةِ قَبْلَ الإِسْلَام

د. عبد الإله الصائغ
كلية الآداب - جامعة الموصل

مدخل : -

يحاول هذا البحث تأشير عناية القصيدة العربية ق . أ بعدّة الحرب وشغفها بجلاء صورها لاستثمار القيمة الابداعية في التأثير الوجداني ؛ وسنلاحظ ان الصورة الجزئية الحسية الدقيقة تؤثّل - بوعي الشاعر أو لا وعيه - سعياً فنياً الى رسم صورة كلية ذهنية فائقة تمنح معسكر الشاعر طمأنينة الاقتدار على الخصم وزهو الارتقاء الى النصر في مستوى تمنح فيه اعداءه ذعر الطريدة في مساحة الصياد الماهر ، الذي يتقن بثّ اليأس في حركتها لكي تواجه حتفها مذعورة !

سنلاحظ اذن جدلاً بين صورة العدّة ووجدان المقاتل (المتلقي) . وسبيل البحث الى هذه الغاية هو دراسة فنية تعتضد الشواهد الشعرية الكثيرة مرتبة ومبوبة ضمن مدار مهيأ سلفاً وفق مباحث متفاوتة تنتظم في علق وحدة البحث الموضوعية وهي :

أولاً - تأثيل دلالة الصورة الفنية ؛ فمقاربة لحدود البحث .

ثانياً - الصور التي تثمرها مفردة (اعددت) نصاً .

ثالثاً - الصور التي تثمرها دلالة (اعددت) معنى .

رابعاً - الصور الحسية للسيف والرمح والقوس والدرع والفرس

خامساً - الصور الذهنية التي تثمرها مفردة (الفتى) نصاً ومعنى

سادساً - الخاتمة ونتائج البحث

سابعاً - قائمة المصادر والمراجع

أولاً : -

أ - الصورة الفنية ARTSTIC IMAGE

يمكن تحديد مصطلح الصورة الفنية (أو الأدبية أو الصورة مجردة) في إطار الشعر على هذا النحو : تشكيل جمالي تستحضر فيه لغة الابداع الهيئة الحسية أو الذهنية للأجسام أو المعاني بصياغة جديدة تنهض لها قدرة الشاعر ومقدار تجربته وفق تعادلية بين طرفين هما المجاز والواقع دون أن يستبد طرف بآخر ، فتكون عملية التصوير الفني على هذا التأسيس سعياً وراء تقديم نسخة جزئية أو كلية للواقع أو التوقع الحسي أو الذهني باسلوب انفعالي مؤثر تمليه رؤية الشاعر ورؤياه[1]

ومع ان الشعراء والنقاد ق . أ لم يتواضعوا على اجتراح مصطلح الصورة الفنية إلا ان الصورة كانت وكدهم وفنهم الأساسين[2]

ب - مقاربة لحدود البحث :

حب الحياة الكريمة منزلة فطرية عند الانسان ، يسعى للتعبير عنها بكل المفردات التي تشكل ناموس الحضارة لدرء الفناء خطراً خارجياً وتوجساً داخلياً ، فزهير بن ابي سلمى وهو داعية سلام[3] لم ينسَ السعي بعدة السلاح للذود عن حوض الحياة :

وَمَنْ لا يَذُدْ عن حَوْضِهِ بِسلاحِهِ   يُهَدَّمْ، وَمَنْ لا يظلمِ الناسَ يُظلمِ(١)

وبهذا تكون دلالة الاعداد للحياة معادلة لدلالة الاعداد للحرب(٥) .

وفي المعجمات العربية (لسان العرب مثلا مادة عدد) نلاحظ ان الاعداد والاعتداد والاستعداد قبيل الاحضار وشكيله ، والأسم من ذلك العدة ، وكان المنادي يقول : كونوا على عُدة ، ولهذا فالعدة هي ما اعدّه المرء للحوادث من سلاح ومال ورأي ، فإذا قيل : اخذ فلان للأمر عدّته وعتاده فالمعنى منصرف الى ان فلاناً تهيأ للأمر واستعد(٦)

ولم تكن عدة الحرب عند الشاعر امراً ثانوياً ليغض من قيمتها ، فهي كما المحنا تعني عدّة الحياة ، فالحدثان يعد للشاعر يوماً ! والشاعر يعد للحدثان سلاحاً . ، قال عمرو بن معد يكرب :

اعـددتُ للحدثـان سابغـة وعـدّاءً علنـدى
نهداً وذا شُـطُبٍ يقـدُّ البيض والأبـدانَ قـدّا
وعـلمتُ اني يـوم ذاك مـنـازلٌ كـعبـاً ونهدا
قـومٌ إذا لبسـوا الحـديـدَ تنمّـروا حلقـاً وقـدا

كلُّ امريءٍ يجـري إلى   يـوم الهياج (بمـا استعـدا)(٧)

فعدة الشاعر إذا اراد الحياة الحرة تتناسب مع حجم اعدائه ومضاء عدتهم فكان عليه ان ينوّه بعدته ويبالغ في تصويرها لانتاج صورة ساخنة الالوان حادة الخطوط ضاجّة الحركة تطمئن نفسه وأهليه من جهة وتذعر اعداءه وتشتتهم من جهة اخرى . امرؤ القيس :

وأعددت للحرب وثّابة   جـوادَ المَـحَـثّـةِ والمَـرْوَدِ
سبوحاً جموحاً وإحضـارها   كمعمعـة السَّعَفِ الموقـد
ومشـدودة السكُ موضونـة   تضـاءلُ في الطيِ كـالمبرد
تفيضُ علىٰ المـرء أردانها   كفيض الأتيّ علىٰ الجدجد
ومـطرداً كـرشـاء الحـرور من خُـلُب النـخـلة الأجـرد
وذا شُطب غامضاً كَلْمُهُ   إذا صابَ بالعظم لم يناد(٨)

ولا يمكن النظر الى تشدد الشاعر في العناية بعدة السلاح من زاوية الرهبة ومتطلباتها لأن عنايته وليدة طقس انساني من الرهبة والرغبة معا ، الرهبة من خطر الفناء والرغبة في وهج الحياة ، بما يدفع عن الحمى (مكانا وزمانا) غائلة الظلم الذي تنفر عنه الأرومة(٩) قال طرفة بن العبد :

حين يحمي الناس نحمي سربنا   واضحي الأوجهِ معروفي الكرم
بحسامـاتٍ تـراهـا رُسّبـاً   في الضريبات مُترّاتِ العُصُم
ونحـولٍ هيكـلات وُقُـحٍ   أعـوجيـاتٍ عـلى الشـأوِ أُزُم
وقنـا جُـرْدٍ وخيـلٍ ضُمُّـر   شُزَّبٍ من طولِ تعلاكِ اللجم(٩)

صورة عدة الحرب الحسية في القصيدة ق . أ شكيل صورة عدة الكبرياء الذهنية في حيث تتناسق صور الحس وصور الذهن على خلاصة واحدة « واضحي الأوجه » تعادل (معروفي الكرم) ، فان يحب المرء شيئاً أمرٌ مغرق في الاعتيادية لكن عليه اذا أمّل الاحتفاظ به معاق المحافظة عليه ومدافعة الاعادي بعيدا عنه ، المحافظة والمدافعة ركنان يعضدان هذه المحبة ، الدفاع عن المحبة مفتقر الى العدة ، الى نمط من الاحتراز والحماية وليس ثمة غير السلاح (رأيا وعدة وفعلا) سبيل الى ذلك ، قارن قوله هند بنت النعمان بن المنذر :

حافظ على الحسب النفيس الأرفع   بمد جحين مع الرماح الشُرّع
وصوارم هنـديـة مصقـولـة   بسـواعدٍ موصـولـة لم تُمنع
وسلا، ب من خيلكم معروفةٍ   بـالسيفِ عادية بكل سميدع
واليومُ يوم الفصل منك ومنهم   فاصبر لكلُ شديدة لم تدفع(١٠)

ثانياً : ـ

الصور التي تثمّرها مفردة (اعددت) نصاً .

غب شوط الانسان مع اللغة ، لم تعد الوسيلة الاشارية كفء الفكرة التي طلعت من صدفة الفطرة والبساطة الى حيث التركيب والعقادة ، فإذا كانت الكلمة في وهلتها الأولى محاكاة نغمية للمسموعات ـ كما يذهب ابن جني ت ٣٩٢ في الخصائص ١ / ٤٦ ـ تطمن حاجة الانسان في التعبير فإنها حائزة الآن قدرة

على محاكاة الفعل دلالياً من جهة وحركة النفس من جهة اخرى بما يمنح السامع او القارىء مهلة لمعاينة الفكرة بقلبه وبحواسه فتتداعى في مخيلته الصور التي يخلّقها الباث والصور التي يجاورها المستقبل ؛ فكلمة ازرق مثلاً تدعو الباث والمتلقي الى استدراج المفردات الحسية والذهنية التي تمازج هذا اللون نظير البحر والسماء والعينين الزرقاوين والثوب الأزرق ثم الخيبة والموت ! وكلمة عشق تدعو فضاءات المخيلة الى طابور من صور الشباب والنساء والليالي والأطلال والوصل والقطع والمشاعر اللابثة بينها ؛ وسعياً وراء هذا التأسيس يمكننا ملاحظة صور العدة حين تبدأ بكلمة فعلية هي (اعددت) فتتداعى صور الأسلحة على اصعدة الحس (الحواس الخمس) والذهن (المجردات) ولنلاحظ هذه النصوص :

فاصبحت اعددت للنائبات ... عرضا بريئا وعضباً صقيلا
ووقع لسان كحدّ السنان ... ورمحاً طويل القناة عسولا[1]
واعددت للحرب وثابة ... جواد المحثة والمرود[2]
واني امرؤ اعددت للحرب بعدما ... رأيت لها ناباً من الشر أعصلا
أصمّ ردينياً كأن كعوبه ... نوى القسب عرّاصاً مزجّاً منصلا
واملس صولياً كنهي قرارة ... احس بقاع نفح ريح فأجفلا
وابيض هندياً كأن غراره ... تلالؤ برق في حبي تكللا
ومبضوعةً من رأس فرع شظية ... بطود تراه بالسحاب مجللا[3]
أعددت للأعداء موضونةً ... فضفاضةً كالنهي بالقاع
أحفزها عني بذي رونق ... مهنّد كالملح قطّاع
صدْقٍ حسام وادق حدُّه ... ومجنأ اسمر قرّاع
بزُّ امرىء مستبسل حاذر ... للدهر جَلْدٍ غير مجزاع[4]
واعددت للحرب فضفاضة ... دلاصاً تثنى على الراهش[5]
اعددت للحدثان سابغة ... وعدّاء علندى[6]

لاحظ البحث الفعل (اعددت) الذي قامت فيه التاء مقام الفاعل مشحوناً بقشعريرة المضاء ، فقد خلّق انماط من الصور متفاوتة ومتقاربة ومتداخلة (رفعنا اسم الشاعر وجعلناه في الهامش لنمنح المتلقي سانحة التمييز بعيدا عن اقتران النص بالاسم) فما إن يبدأ النص بهذا المفتاح الأثير (اعددت) حتى تنثال الأسلحة بنارة براقة خلابة في مناخ من الواقع والتشبيه والاستعارة والكناية لكي تتدفق الصور الحركية فالسيوف ضاربة والرماح طاعنة والدروع واقية والنبال رامية والخيول سابحة شزب تعلك اللجم سأماً من لحظات الاحجام التي تسبق الاقدام . . لحظات الرأي قبل القرار ولنا ان نلاحظ قولة عبد قيس بن خفاف (ووقع لسان كحد السنان) فقدق جعل اللسان ضمن عدة السلاح التي يواجه بها العدو ، وهو بهذا - فنيا - اضاف الصور السمعية المتضمنة اثرا ذهنيا الى سائر الصور (الأثر الذهني هو الرأي) .

ثالثاً : -

الصور التي تثمّرها دلالة (اعددت) معنى .

اقترنت لفظة (اعددت) بصور الأسلحة التي يعتدها العربي لدرء اخطار الفناء ذات الواجهات المتعددة والمختلفة معاً ؛ وما اخترناه من عناقيد الصور الفنية التي اسفرت عنها (اعددت) بإيقاعاتها التي تأنس الى تفعيلات المتقارب : فعولن المفعمة بنغم التكرار (قارن عبد قيس بن خفاف وامرأ القيس وعمرو بن معد يكرب) والى مبتدأ الطويل بـ (فعولن) ثم متفاعلن ومستفعلن بين الكامل والرجز ، فإن كان ذلك كذلك فإن غياب لفظة (اعددت) وبقاء دلالتها لا يلغي حضورها في المخيلة وهيمنتها على اسباب تداعي صور الأسلحة ؛ فالقصيدة التي تدعو صور الاسلحة الفنية لا تتوقف عن التشمير حالة اختباء لفظة (اعددت) وراء الجو النفسي العام .

وينقل ابن قتيبة الدنيوري ت ٢٧٦ في سفره النفيس « عيون الاخبار : كتاب الحرب فقرة - العدة والسلاح ٢ / ١٢٩ » يقيناً لأحد الفرسان وهو ينفذ جسده حشو درعين (اني لست أقي بدني وانما أقي صبري) ويقيناً آخر على هيئة تلميح (اني لم اشتر ادراعاً وانما اشتريت اعماراً) ، وحين سئل المقاتل الشاعر عمرو بن معد يكرب عن عدة السلاح اجاب بكلمات استكنهت دلالات كل عدة ، وها نحن نورد الاجابات (نصاً)

السائل : ما الرمح ؟

عمرو : ذاك المجن وعليه تدور الدوائر .

السائل : وما الدرع ؟

عمرو : مثقلة للراجل متعبة للفارس وانها لحصن حصين .

السائل : وما السيف بينهما ؟

عمرو : ثمّ قارعتك امك عن الثكل (عيون الأخبار ٢ / ١٢٩)

واذا قارنا رؤية عمرو بن معد يكرب الموثلة على الدربة والذاكرة برؤية ابي الأغر الفينا قواسم مشتركة عظمى بينهما ، وتعليل ذلك لا ينأى كثيراً عن طبيعة كل عدة ووظيفتها !

ابو الأغر : يا بنيّ كن يداً لأصحابك على من قاتلهم وإياك والسيف فإنه ظل الموت واتقِ الرمح فإنه رشاء المنية ولا تقرب السهام فإنها رسل لا تؤامر مرسلها .

الابن : فبماذا أقاتل اذن ؟

ابو الاغر : قال بما قاله الشاعر :

جلاميد يملأن الأكف كأنها ... رؤوس رجال حُلِّقَتْ في المراسم[١٧]

ولم يشأ المبدع العربي (الشاعر) وضع كبرياء المآل كله في كفّة عدة السلاح بيقين اكيد ان العدة وحدها لا تصنع نصراً .. وربما طاولها الذعر الذي يبثه مرأى البطل في روع الخصم .. ذلكم صناجة العرب في السلم وموثبها في الحرب ينزع الدرع عن جسده ويلقي البيضة عن رأسه ليراه خصمه فيهتلك متخيلاً اي ميتة تنتظره :

لما التقينا كشفنا عن جماجمنا ... ليعلموا أننا بَكْرٌ فينصرفوا

قالوا البقية والهنديُّ يَحْصُدُهُمْ ... ولا بقية إلا النارُ فانكشفوا[١٨]

ومتاحفنا التاريخية لم تسعفنا بانماط السلاح في عصر ق . أ فقد جاءت المياه الجوفية والطبيعة الصحراوية والكوارث الطبيعية والنكبات التاريخية وسرقات رجال الآثار الأجانب والجشع والجهل اللذان اماز بها الذين عثروا على عدد الاسلحة القديمة فباعوها معدناً او تكتموا على امرها واسباب اخرى جاءت على عُدد السلاح وليس امامنا الا ان نتفحص الأسلحة من خلال النصوص الشعرية التي تجلو لنا صورها فكأننا قبالتها وجهاً لوجه ، القصائد متاحف للصور الفنية ذات الألوان الحارة والخطوط الحادة فضلاً عن مغاني الأصوات والحركة ، وقد حفزت هذه القصائد وجدان المقاتل العربي وهيأنه وأهبته فأعمل عدته الحربية ، وفي مساحة العصر الجاهلي الزمنية والمكانية يكون شأن السلاح شأناً استثنائياً .. السلاح قبل المال والجاه باعتدادة لحظة الفزع مال المقاتل وجاهه ، قال عامر بن الطفيل :

يوم لا مال للمحارب في الحرب ... سوى نصل اسمرٍ عسّال

ولجام في رأس أجرد كالجذع ... طوال وأبيض قصّال

ودلاص كالنهي ذات فضول ... ذاك في حلبة الحوادث مالي[١٩]

فإذا كانت عدة الحرب ثروة عامر فإنها صاحب الشنفرى ، الشاعر المذعور المتحدي الذي لم يجد في حياته الفسيحة سوى ثلاثة !!

وإني كفاني فقد من ليس جازياً ... بحسنى ولا في قربه متعلَّلُ

ثلاثة اصحابٍ : فؤاد مشيَّعٌ ... وأبيضُ اصليت وصفراء عيطل[٢٠]

ويتأتى وجه الشبه في صورتي عامر والشنفرى خلل مضاء العدة وأهميتها في درء خطري الفناء والذل ، فالمال والصديق في مجتمع الشاعرين يوطدان الطمأنينة في مساحتي المكان والزمان المقيمين ، وسنلاحظ ولع لقيط بن يعمر الأيادي بالصورة العريضة التي ينهض لها مناخ تام يجيء للمتلقي تخيلاً يصنع قناعات غاربة لقناعات النص .. مناخ لحمته الرعب وسداه المجهول المعلوم .. الغد القادم مع الغزو الفارسي !

يا لهف نفسي ان كانت اموركم ... شتى وأحكم أمر الناس فاجتمعا

ألا تخافون قوماً لا أباً لكم ... أمسوا إليكم كأمثال الدُبا سُرُعا

ثم يتنخل لهم عدة اشد مضاء من السلاح التقليدي .. الا وهي عدة الرأي الحسن التي تجعل الامور في مواضعها فإذا النصر قاب قوسين ..

فاشفوا غليلي برأي منكم حَسَنٍ ... يُضحي فؤادي له ريان قد نقعا

وشيء من عدة السلاح .. هو أفعال الأمر وقرارات النهي والقطع التي تؤثلها (لا) نحو :

صونوا + اجلوا + جددوا ..

صونوا جيادكم واجلوا سيوفكم وجددوا للقسي النبل والشرعا
ولا يدع بعضكم بعضاً لنائبة كما تركتم بأعلى بيشة النخعا

ولم يهنأ الشاعر عند هذا الحد .. بما رسمه امام المقاتلة من صور الاعداد للحرب ، فصنع صورة محورية واعية لبقية الصور .. الم تكن القيادة مبتدأ عدة الحرب واسسها فلماذا لا يتلبث الشاعر عندها ؟ (قارن الأبيات ٤٣ ـ ٥٢)

فقلدوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

فهي حشود من الصور التي ترسم في ضمير المتلقى صورة القائد الكلية ، القائد الذي يصنع النصر بأقل الخسائر ، غبها يضع الشاعر ببيتين يلخص بهما ايمانه الاكيد باهمية العدة .

هذا كتابي اليكم والنذير لكم لمن رأى رأيه منكم ومن سمعا
لقد بذلت لكم نصحي بلا دخل فاستيقظوا إن خير العلم مانفعا[٢١]

لقد اصطنع لقيط صوراً جزئية عنقودية تجزل للبلاغي عطاياها الدانية فثمة استعارات مكنية واخرى تصريحية « المكنية تشبيه حذف منه المشبه به وصرّح فيه بلفظ المشبه ورمز اليه بشيء من لوازمه ، والتصريحية نمط من المجاز اللغوي المعتمد تشبيهاً حذف منه المشبه وصرّح فيه بلفظ المشبه به[٢٢] » وكنايات (في حدود المجاز) وثمة تشبيهات تقليدية وبليغة ، وما ذلك في شعر لقيط دالة استثناء فشعر الحرب وبخاصة المنصرف الى عدة السلاح مفعم بالمجازات والتشبيهات ، وفي إطار ذلك اختار البحث صورتين فنيتين تترددان كثيرا بازاء عدة الحرب هما (الرحى) و (الأسد) .

صورة الرحى في مقاربة مع العدة

الحرب طاحونة كبرى ، طحينها الرجال ويتناسب حجم الطاحونة (الرحى) وخطرها مع عدة الحرب كماً ونوعاً تناسباً طردياً .. ، الحرب لا تطحن احداً ما لم يكن فتلك العدة مناسباً لمقتضى الحال ، والشاعر عمرو بن كلثوم يزهو لأن قومه قادرون على نقل الطاحونة (الرحى) الى حيث يتخندق الأعداء فيشهد الميدان طحينا هائلاً :

متى ننقل الى قوم رحانا يكونوا في اللقاء لها طحيناً[٢٣]

ومن طاقة الاستعارة التصريحية (اخفى المشبه وهو عدة الحرب واظهر المشبه به الرحى) ومن طاقة الصورة الكلية التي تشي بها القصيدة الى طاقة التشبيه التي استثمرها زهير بن ابي سلمى بآية التكرار لمس في (فتعرككم عرك الرحى) سويداء التشبيه من خلل (عرك الرحى) وهي مفعول الاطلاق دلالته لبيان النوع فتضج الصورة بصوت الرحى البشرية غب الاستعارة التي تثمرّها مفردة (فتعرككم) .

فتعرككم عرك الرحى بثفالها وتلقح كشافاً ثم تنتج فتتئم[٢٤]

وبازاء ذلك يعلي مهلهل بن ربيعة الطاحونة البشرية صماء حتى انها تطحن الأيدي التي تمسك قطبها ! لأن الرحى بين الاشقاء وابناء العمومة ..

كأنا غدوة وبني ابينا بجنب عنيزة رحيا مدير[٢٥]

ويقيناً ان رحى الحرب إذا دارت فإن مرآها يجترح طقساً من الهلع الذي لا يشبهه اي هلع وجودي آخر ، ولأن الرائين مقاتلون متنخلون فالهلع يرتدي لبوس الملل .. الملل الاستثنائي وليس الملل المألوف ، الملل من المنايا التي تكوّرها الطواحين لقد حقق ابو الغول الطهوي لوحة فنية موحية ومحسوسة معاً ، جلت لنا يوم (الوقبى) فمعه فوارس لا يملون المنايا ! وينبغي ان لا تفوتنا اشارة فائقة مؤداها ان الشاعر استثمر ضمير الغائب ثم لم ينحز لهذا الضمير (المعنى الاول) بيد انه في (المعنى الثاني) منحاز تماماً ، وهو بهذه المقاربة يقف ثابتاً على مساحة معنوية متميزة لبث الذعر في صدور اعدائه :

فوارس لا يملون المنايا اذا دارت رحى الحرب الزبون[٢٦]

وهذا البيت خليق بتخليق صور فنية شتى مزاجها الذهن

والحسن الصوريان

الصدر ـ فوارس ـ صورة بصرية + صورة ذهنية

لا يملّون ـــ صورة ذهنية

المنايا ـــ صورة ذهنية

العجز ـ اذا دارت ـ صورة بصرية + صورة سمعية + صورة لمسية

رحى ـ صورة بصرية + صورة لمسية

الحرب ـــ صورة ذهنية + صورة مختلطة (ذهن × حس)

الزبون ـ صورة مختلطة (ذهن × حس)

التشمير : الصور الحسية = ٦ صور افتقدت الذوق + الشم

الصور الذهنية = ٤ صور

المختلطة = ٢ صورتان

صورة الأسد في مقاربة مع العدّة

ليس ثمة مسافة بين المقبض والقبضة ، بين اداة القتل والمقاتل ، لهذا تصل على اي باحث ملاحظة العدة في اطار الفارس ، ومفيد هنا ان نتذكر موقف عمرو بن معد يكرب ممن عاين سيفه (الصمصامة) وقلبه ، فقال له انك تعاين الحديدة وانما العبرة باليد التي تمسك بالحديدة[٢٧]

وإذا كانت العدة بالفارس ، فإن على الشاعر انتقاء الصور التي تثير الفزع في نفوس الأبعدين والاعتداد في صدور الأقربين ، ويمكن الجزم بان صورة الأسد كفيل بتحقيق هذه المهمة المهمة فوجه الأسد مرعب ومخالبهُ مفزعه وزئيره مهلع ، كل نأمة فيه تنذر بالفجيعة ! قال كسرى يا حاجب (ابن زرارة) ما أشبه حجر التلال بألوان صخرها ؟! فقال حاجب : بل ما أشبه زئير الأسد بصولتها ، فبهت كسرى وقال : وذلك أ . هـ العقد الفريد ٢ / ١٢ اراد كسرى بهذا إعادة المكين الى المكان والزمانة الى الزمان لينظر الى العربي من خلل قناة الأرض ففطن ابن زراره بذكائه المعهود الى هذا المكر ونقل مفردات التشبيه الأربع (المشبه + المشبه به + اداة التشبيه + وجه الشبه) نحو اتجاه آخر ، مقرناً بين زئير الأسد وصولة العربي زمكان الفتك ، ولا نأتي في ذلك فصورة المقاتل في المقتلة اكثر شبها بصورة الأسد في المأسدة ، قال الأفوه الأودي

فلما ان رأونا في وغاها ... كآساد العرينة والحجيب[٢٨]

وينبغي ان لا تقترب صورة العرين من صورة الخدر والكسل والتثاؤب ، فالليث الذي نعنيه أو يعنيه الشاعر هو الليث الفاتك المجرّب قارن لفتة لبيد :

ولن يعدموا في الحرب ليثاً مجرباً ... وذا نزل عند الرزية باذلا[٢٩]

الأسد قطعاً بؤرة الرهبة التي يتقصاها الشاعر في الصورة الفنية ، فهو كما ألمحنا يشبه فرسانه بالأساد لتنخلع افئدة الأعداء رعبا ، وقد التفت (ابو قيس صيفي بن الأسلت) الى صورة جديدة نلمح من خلالها الأعداء بأقنعة الأسود ، وقوم الشاعر لا يعبأون بهم فيذودونهم بالسيوف (ديوانه ص ٨٠ ب ١٣ ، ١٤) :

نذودهم عنا بمستنة ... ذاتِ عرانين ودُفّاعِ

كأنهم أسدٌ لدى أشبل ... ينهتن في غيل وإجزاع !

اما (مالك بن عجلان) يوم واقعة سمير فقد اتكأ على اداة التشبيه الصريحة لتوليد صورتين فنيتين (الجمال والاسد) وترك عنصر التخييل حرّاً في صناعة مقاربات شتى ، فغلّب الصورة الثانية باعتدادها الذروة .. غب صوت البيض (السيوف) وصوت الدروع رمزي العدة وقتذاك في الهجوم والدفاع (الأغاني ـ دار الثقافة ٣ / ٢١) .

يمشون في البيض والدروع كما ... تمشي جمالٌ مصاعب قطف

كما تمشى الأسود في رهج الموت اليه وكلهم لهف !

واذا اردنا قراناً بين عدة الحرب وعدة الأسد فسبيلنا مفض الى (احيحة بن الجلاح) الذي أنجز نصاً قابل فيه بين فتيان الحرب واسد الغابة ، بدالّة انه شبّه الفتيان بالأسد والحرب بالغاب ، فالقول للسيف والاحتكام للقوة (ديوانه [illegible] ب ٢ ـ ٥ ص ٦٣) :

ولقد وجدت بجانب الضحيان شباناً مهابه

فتيان حرب في الحديد وشامرين كأسد غابه

هُمْ نكّبوكَ عن الطريق فبتّ تركب كلَّ لابه

أعصيمُ لا تجزع فإن الحرب ليست بالدعابه .

وللباحث اذا اراد اجتراح اكثر من قرينة للتشبيه بين الشبان والأسد فهي كثيرة منها اقتبال العمر والمهابه والتنكّب والجدية الى جانب هذا فإن للأسد سطوة الضربة وفتكة المخلب وللفتى بطشة المستند الى سطوة الرأي وفتكة العدة ولنقترب هنيهة من صورة انضجها (خفاف بن ندبه) ليستأثر بها لنفسه فنشهد اسداً في العرين متأهباً للصيد وطريدته الرجال والعلامة بقايا لحومهم ودمائهم على اشداقه (الأغاني ١٦ / ١٤٣)

ان تلقني تلق ليثاً في عريتنه   من أسد خفّان في ارساغه فدع
لا يبرح الدهر صيدٌ قد تقنّصه   من الرجال على اسداقه القمع

ورديف ما قدمناه تكون الصورة الفنية لعدة الحرب إطارا ومادة لأجواء المعترك الدموي ، عدة الحرب تطحن وطحينها الرجال والغرس والمال وعدة الحرب تصنع معتدها أسداً ، طريدته الرجال وما اسوه ، وإذ تخفت الألوان (الوان العدة) في الصورة فإن خفوتها يهب سانحة للمتلقي حتى يتخيل ويستوحي من معطى الأثار الرامزة التي تخلّق لمسات ابداعية متميزة تغني فعل القصيدة في الذهن والحس معاً ، وليس تمحلاً القول ان التلميح في الشعر ادخل على النفس من التصريح . . ولنر الصورة فنية خفتت فيها عدة الحرب تماماً امام البصر فتألقت في الذهن ، وهي لعنترة (ديوانه المعلقة ب ٧١) :

في حومة الحرب التي لا تشتكي   غمراتها الأبطال غير تغمغم
ولقد هممت بغارة في ليلة   سوداء حالكة كلون الأولم
لما رأيت القوم اقبل جمعهم   يتذامرون كررت غير مذمم
ما زلت ارميهم بثغرة نحره   ولبانه حتى تسربل بالدم

(المعلقة ب ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦)

الصورة تنث ولنقل تنزخ لقطات كثيفة قوامها التهيؤ للموت أو التهيؤ لدرء الموت وليس ثمة مناقضة في الأمر ! فطلب الموت في المجالدة يدرأ الموت وطلب النجاة مدعاة لانحسارها[٣٠] لأن الحياة مختبئة في الموت ؛ والموت مُشاب بالحياة ؛ والفارس ملتحم بالفرس ؛ والاثنان متحدان بالعدة ، فطقس الحرب مؤثل بجدل هذه المفردات ، قال خداش بن زهير :

بأنا يومَ شمطة قد أقمنا   عمودَ المجد إن له عمودا
جلبنا الخيلَ ساهمة إليهم   عوابسَ يدرِعْنَ النقع قودا[٣١]

ان صورة عدة الحرب في القصيدة ق . إلا تحصى ، وهي لأسباب فنية مادية وروحية ملخصة بمفردة السلاح التي تضم الفارس الى الفرس والسيف الى اليد والفعل الى الرأي والاقدام والقوة فإذا اخطأ العدو مقدار هذه العدة وقدرها فإن الخطأ يكون فادحاً ، وقاتلا ، فهل يجدي عند الخطأ عض الأنامل !؟ قال حاجب بن زراره .

ولو حاربتنا عامرٌ يا ابن ظالم   لعضت علينا عامرٌ بالأنامل[٣٢]

رابعاً : -

الصورة الحسية للسيف والرمح والقوس والدرع والفَرَس

تتسع دلالة العدة لتطوي تحت جنحيها السيوف والرماح والقسي والسهام والدروع والدرق والترس والبيضة والمغفر والخيل وارتباطها والألوية والرايات والفسطاط والخيام والقباب والحركة والسكون والميمنة والميسرة والقلب والصفوف والتعبئة والحصار والكرّ والفر وحفر الخنادق والعيون والطلائع والبيات والغارات والتموين . . الخ[٣٣] ولن يكون بمكنة هذا البحث التوفر على اسماء العدد ودلالاتها وتفرعاتها المتسعة . . فبحثنا هذا ذو منهج فني يعنى بالصورة الفنية ولم يجعل وكده صناعة معجم لهذه الآلات فتلبثنا في فقرة الصورة الحسية عند السيف والرمح والقوس والدرع والفرس فتهيأ لنا أنّا نأينا ببحثنا عن الاتساع الافقي والنظرة الجلى . .

أ - السيف : قال عبدالشارق بن عبدالعزي الجهني :

تلألؤ مُزنة برقت لأُخرى   إذا حجلوا بأسياف ردينا
فآبوا بالرماح مكسراتٍ   وأبنا بالسيوف قد انحنينا[٣٤]

لقد حفظ لنا شعر الحرب مفردات مكتنزة بأسماء السلاح وضروب صناعته وأنواعه وخصائصه ولم تكن هذه المفردات ابنة المعجمات المترسبة في قرار الذاكرة وانما هي ابنة شرعية للتجربة

المتحققة في ميادين الضرب والطعن والرمي (الضرب بالسيف والطعن بالرمح والرمي بالسهم)[٣٥] والسيف علم على اسماء كثيرة ذكر بعضها الشمشاطي ت ٣٨٠ وحددها الدكتور علي عبدالواحد وافي فوجدها الفاً[٣٦] فثمة الصمصام الذي لا ينثني ، والصمصام إطلاق اما الصمصامة فتخصيص لسيف عمرو بن معد يكرب الذي ورثه عن ابيه عن جده عن الأسلاف[٣٧] وثمة صورة اخرى على هيئة اسم وهي الصفحة : السيف العريض ثم القضيب : السيف الدقيق فالشطب : السيف ذو الطرائق والمخذم الذي ينتسف الحديد ويشق الصخر ويفصل الجسد ! وقائمة الأسماء التي ترمّز الصور كما ألمحنا تطول إذ لا يمكن للعربي اجتراح اسم للسيف دون تمييز بصورة نحو الرسوب والمأثور والأفل والفلول والكهام والددان والطبع والأثيث والمعضد والخشيب والصارم وذي الحبك والحسام والمهند واليماني والمشرفي والقساس والعضب والأبيض والبتار والمنصل[٣٨] ويقينا ان مآل كثافة الأسماء بسبب من المجاز والاستعمال (الخصائص ٢ / ٤٤٧) .

وتواجهنا في متحف الصور الفنية للسيف صورة اسمها أوس بن حجر لسيفه الذي يخلب النظر والروح كأنه برق في ليلة بليلة

وابيضَ هندياً كأن غراره ... تلألؤ برقٍ في حبيّ تكللا
إذا سُلّ من غمدٍ تأكل أثرُهُ ... على مثل مصحاة اللجين تأكلا
كأن مدبَّ النمل يتبع الزبى ... ومدرج ذرٍ خاف برداً فأسهلا
على صفحتيه بعد حين جلائِهِ ... كفى بالذي أبلى وأنعت منصلا[٣٩]

وهذه الصور تمهد لصورة اخرى اسمها امرؤ القيس الذي يرى خللها متقلداً سيفه مرة ممتشقاً له اخرى متوسدا اياه ثالثة ومن خلال الحالات الثلاث ندرك فصول الاستعمال .. السلم .. الحرب .. الزهو .. النوم ..

متوسداً عضباً مضاربه ... في متنه كمدبّة النمل
يدعى صقيلا وهو ليس له ... عهدٌ بتمويهٍ ولا صقل[٤٠]

وإذا بات السيف وساد الملك الضليل فهو في بيتوتة اخرى ضجيع الشاعر الاشجعي وحبيبه لانه لم يخنه أو يفش اسراره وحين يلاحظ متنيه فإنما يلاحظ خليج ربيع ذي مياه جارية .

صافي الحديدة لا تنشوى ضريبته ... يبيت وهو ضجيعي دون اطمار
لم ينب بي قطّ في أمر اهمّ به ... ولا تحدّث بين الناس اسراري
كأن متنيه من عهد الصّقال به ... متنا خليج ربيعٍ ماؤه جاري[٤١]

واستهوت بعض الشعراء الصور الفنية التي ابتدعوها لسيوفهم فنقشوها على سيوفهم ، وما يدرينا السبب ؟! الذي حدا بهم الى نقش العبارات والنعوت على سيوفهم واشاعة امر ذلك بين الناس وبخاصة الخصوم .. ولعل امر ذلك عائد الى ان الشاعر طمّاح الى بث الجزع في نفوس الأعداء ..! وقد نقش (عامر بن الطفيل) الصورة الشعرية التالية :

وذي حبك في المتن صافٍ كأنه ... لوامع برق في الدجى يتوقد[٤٢]

كذلك فعل (عمرو بن معد يكرب) الذي كرر مادة (ي م ن) قرينة اليمن ثلاث مرات :

ذكر على ذكر يصول بصارم ... عضب يمان في يمين يمان[٤٣]

ولم يسكن (الحارث بن ظالم) الى الشعر ذي الصور الفنية المنقوشة في السيف وإنما قرّ في نفسه ان ينقش صورة لحيتين في وضع تميّز امعاناً في ترهيب اعدائه[٤٤] فأي مغزى كان على السيف ان يقرّه وله في حياة الشاعر المقاتل وتخيلته (السهم المصلى والنصيب الأوفى بين مقتنياته فهو يطعن به كالرمح ويضرب به كالعمود ويقطع به كالسكين ويجعله سوطاً ومقرعة ومتكأ وعصا ويتخذه جمالاً في الملأ وفخراً في المنتدى ويحمله سراجا في الظلمة !!، وانيساً في الوحدة ويصاحبه جليساً في الخلاء وضجيعاً في المنام ويزامله رفيقاً في السير ورديفا في الركوب)[٤٥] ويمكن القول ان صورة السيف تبدو مشروخة ـ وفي احسن الأحوال تبدو ساكنة ـ حين يبيت السيف او يتدثر بغمده او ينجرد ليعاين ، إذ ليس ثمة معنى للسيف بعيدا فعله ، وهل ثمة فاعل دون فعل ؟ ففي دائرة الاستعارة والتشبيه تتالق أفعال السيف ، وتبلغ بياناته وتتجلى صوره الفنية ، .. الأعشى يصنع مناخاً للمعترك فقومه

يستخفون بالأعداء إمعاناً في تخويفهم وبث الرعب في نفوسهم ، فهم لا يتدرعون ولا يلوثون وقاء على رؤوسهم ليكون الحصاد والكشف . . (ديوانه ق ٦٢ ب ١٣ ، ١٤) :

لما التقينا كشفنا عن جماجمنا — ليعلموا اننا بكر فينصرفوا
قالوا البقية والهنديّ يحصدهم — ولا بقية إلا السيف فانكشفوا

وطرفة يغرق اعداءه بحسامات ترسب في حيث تقر فتعاين من اثناء السيفِ الفارس والمفروس (ديوانه ق.١٢ ب ١٢ ص ١١٢) :

بحساماتٍ تراها رُسّباً — في الضريبات مُترّات العُصُم

اما صفية بنت ثعلبة الشيبانية فقد جمعت في بيتين اخترناهما لها من ارجوزتين حشداً من الصور الفنية التي أنماها السيف ، في الأول صورت يوماً (اليوم كناية عن ملتقى المتقاتلين) استحال محرقة مفزعة للأرواح التي أيهظها مرأى السيوف عطشى وريا معاً . ، وفي الثاني تدل بأنوثتها التي لبثت عفة رغم اعتوار زمانها برغبات الاعداء في ابتزاز الجميلات ، وما كان ذلك ليكون بمعزل عن السيف الذي يهبط على الجماجم ليختطفها كما يهبط الشهاب في الليلة المعتمة ليختطف الأرواح :

سوف ترى البيض غداة المبتسم — يوم به الأرواحُ جهرا تصطلم
أنا ابنة العزّ وعرضي اليوم عف — بكل نصل كالشهاب المختطف(٤٦)

واتساقاً مع فضاءات السيف نستطلع لوحة فنية جزئية (اللوحة الجزئية اكبر من الصورة الجزئية) مزاجها بيتان وعدة صور ، ثم نلتمس بعدها صورة جزئية قوامها بيت وعدة لقطات (الصورة اكبر من اللقطة) ففي لوحة قيس بن الخطيم تنبثق (إذا) وهي الشرطية غير الجازمة لتقرر واقعاً أقوى من الجزم . . إذا قصرت الأسياف (كناية عن التردد بسبب من ضآلة العدة أو حب الحياة) فإن الخطى العنيدة كفيلة بإطالتها ، وكما كشف الأعشى عن جمجمته ساعة لقاء الأعداء ، فقد كشف قيس عن جمجمته يوم الحديقة ! ولم تقف اللوحة عند هذا المستوى إنما جلت لنا شهداً (المشهد صورة بصرية عريضة ومتحركة تقابل المنظر الذي يعني صورة عريضة ساكنة غالبا) وهو مشهد مقارب لمشهد آخر صنعه عمرو بن كلثوم تلبث عنده قابلاً ، السيف هذه الآلة التي تصنع الموت والحياة ، الذعر والأمن ، والعدة التي تعلي فارساً وتنزل آخر ، الرمز الأسنى للحرب ، السيف هذا يستحيل مخراقاً بأيدي لاعبين يعبثون به ويلهون ! هي صورة نادرة للسيف عضّدها تكرارها النادر في أشعار الآخرين . .

اذا قصرت أسيافنا كان وصلها — خطانا إلى اعدائنا بالتقارب
أجالدهم يومَ الحديقةِ حاسِراً — كأن يدي بالسيف مخراق لاعب
(ديوان قيس بن الخطيم ق ٤ ب ٢٠ + ٢١ ص ٨٨)

كأنّ سيوفنا فينا وفيهم — مخاريق بأيدي لاعبينا
(عمرو بن كلثوم ، شرح القصائد التسع المشهورات ق ٧ ب ٣٦ ص ٦٤١)

وبين اعيننا صورتان للحسام العضب ، الأولى لاحقة للقناة والثانية سابقة لها ، بتألق شديد مردّه في الاولى فعل الصياقل وفي الثانية انعكاس الشمس على زج القناة .

بكل لذيذ لم يخنه ثقافه — وعضب حسام اخلصته الصياقل
(مالك بن حطان)(٤٧)

اصبعهم صاح بمحمرّ الحلق — عضباً حساماً وسناناً يأتلق
(ربيعة بن مكدّم)(٤٨)

بعد هذا نكون ازاء لوحة فنية كبرى مزاجها الواقع والمجاز وعمادها عدة الحرب ومناخها الأرض والسماء في مناقلة فائقة بين الحواس (تراسل الحواس)(٤٩) فالفارس يذيق اعداءه شبا السيف القاطع ، وثمة سرادق من الغبار والهلع يقيمه بمهارة محسوبة صانع ماهر اسمه الموت واذا نظرت الى السيف في يد الفارس الفيت برقاً يتلألأ في ليل حالك ، ولنا ان نورد بيتين للعباس بن مرداس لنتفرغ إلى استخلاص رؤيته الصوفنية (نسبة الى الصورة الفنية) :

نذيقكم والموت يبني سرادقاً — عليكم شبا حدّ السيوفِ البواتك
تلوحُ بأيدينا كما لاح بارقٌ — تلألأ في داج منَ الليل حالك(٥٠)

التوصيف الصوفني :

نذيق + كم ← صورة حسّية ذوقية + ضمير لخطاب الأعداء

الموت ← صورة ذهنية انسنته (جسدته) الاستعارة فجعلته بناء ماهراً

سرادق ← صورة حسية (بصرية لمسية)

شبا + حد + السيوف ← ثلاثة أوجه لصورة حسية لمسية واحدة

البواتك ← صورة حسّية (لمسية)

تلوح بأيدينا ← صورة بصرية

كما ← اداة تشبيه اجْرت الصورة منزلة

لاح بارق ← صورة حسّية (بصرية) حركية

التشمير :

ثمة حالة من التراسل (تبادل الحواس) يذيق الشاعر فيها اعداءه حدّ السيف (ذوقي × لمسي) .

التأسيس :

الصورة الكلية ذهنية فائقة ترقى الى بث روح الهزيمة في جلود الأعداء من خلال السيف عدة الحرب الفتاكة .

ب ـ الرمح :

قد يكون الرمح أقدم آلات الحرب لبساطة تركيبه واستعماله وسهولة صنعه واقتنائه مما حدا بالصانع العربي الى التفنن في صناعته بما يجعله ابهى منظراً واشدّ فتكاً[1] والشعر العربي ق . إ يجعل الرمح كناية عن الدفع والمنع قال الطفيل الغنوي (ديوانه ق ٦ ب ٣٢ ص ٦٦) :

برماحنا تنفي التراب كأنها   هراقة عقّ من شعيبي معجّل

ويدعى الطاعن بالرمح رامحاً ولذلك سمّي ثور الوحش رامحاً لأنه طاعن بقرنيه[2] والفارس طاعن رامح ، ولوسيلته نعوت كثيرة ، فالخطية منسوبة الى الخط وهي جزيرة في البحرين[3] وهذه الجزيرة كما يقول الاصمعي ت ٢١٦ تستقبل سفن الرماح التي ترفأ الى شواطئها (العمدة ٢ / ٢٣٣) والردينية منسوبة الى امرأة تدعى ردينة معروفة ببيع الرماح ؛ والأزنية أو اليزنية نسبة الى ذي يزن الحميري ومن النعوت ما ينم عن صورة الرمح نحو الرمل المتل اي الغليظ الشديد والرمح اللدن اي اللين[4] ولم يترك الرمح مكانه العلي بعد الاسلام ، حتى ان الرسول الأمين (ص) حين رأى قوساً قال لحامله (بهذه وبرماح القنا تفتحون البلاد) وفي مناسبة ثانية قال (ص) :

« جعل رزقي تحت ظل رمحي »[5] وقد عاين البحث نصوص تسعة شعراء تلبث عند اثنين منهم واستخلص صور السبعة الأخرين على هذا المستوى :

أ ـ صورة الرمح عند عنترة :

ينبغي ان يكون الرمح اصمّ ، فينال الكرام من اعدائه فيذلهم ويشك ثيابهم عندها يدب الخدر والخور في جسد العدو فيطعنه بالرمح ويعتليه بنعليه إمعاناً في اذلاله ، اما قوم الشاعر فهم ليسوا اقل ايلاماً لوجدانه من سواهم ، فقد جعله علوهم عليه واستصغارهم لشأنه مريضاً في نفسه (ولقد شفى نفسي وابرأ سقمها/قيل الفوارس ويك عنترة اقدم) المعلقة انهم يحبطونه وخطر الهزيمة يقرب منهم فيسمعهم يهتفون باسمه ! سادات القبيلة تهتف باسمه وتستنجد ، والرماح في صورة فنية مبتكرة فهي مغروزة في صدر حصانه الأدهم كأنها الحبال التي تزدحم على البئر ، ذلك لا يثنيه لأن ريحانته رمحه وكاسات مجلسه جماجم سادات حراص على امجادهم ، بل انه يشتفي ويتذكر حبيبته (ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني/وبيض الهند تقطر من دمي) المعلقة ، وليس اقرب الى نفسه من صورة الرماح وهي عواسل تتخطى في متاهات يكون الاعداء فيها بين مجدّل ومقيد . .

فشككت بالرمح الأصم ثيابه   ليس الكريم على القنا بمحرّم
فطعنته بالرمح ثم علوته   بمهند صافي الحديدة مخذم
يدعون عنتر والرماح كأنها   اشطان بئر في لبان الأدهم
(المعلقة ب ٥٤، ٥٥، ٧٤)

وريحانتي رمحي وكاسات مجلسي   جماجم سادات حراص على المجد
والبيض تلمع والرماح عواسل   والقوم بين مجدّل ومقيد
خلق الرمح لكفي   والحسام الهندواني
ومعي في المهد كانا   فوق صدري يؤنساني
فهناك اطعن في الوغى فرسانها   طعناً يشقّ قلوبها وكلاها[6]

ب ـ صورة الرمح عند الأعشى :

الرمح في صورته الذهنية وفاء لمروءة الشاعر وإذا عاد إلى فعله الحسي عادت اليه صورته الحسية ، فهو مرنان له ازمل ، ذو كعب لين يسهّل حركته ، وهو الى هذا أسمر اللون كأنه خيزرانة انبتها الليط ، والخيزرانة تنثنى وترتعش دون ان تفقد نأمة من استقامتها . وصورتا الرمح : الذهنية والحسية مألوفتان عند الأعشى اما بحدود الصور الحسية فقد استأثرت بها الصور

اللمسية والسمعية والبصرية على الترتيب في مصالبة ومصاقبة هادئتين (ديوانه ق ٤ ب ١٦ ق ١٨ ب ٥٤ ق ٢٧ ب ٨ ق ٢٩ ب ٢٩) .

ومثل الذي تولونني في بيوتكم … يقيني سناناً كالقدامى وثعلبا
وكل مرنان له ازمل … ولين أكعبه حادر
وإلا كلّ اسمر وهو صدق … كأنّ الليطَ انبت خيزرانا
تبارى ظلّ مطّرِدٍ مُمِرٍّ … اذا ما هزّ ارعش واستقاما

ج ـ ويستطيع الدارس ان يلاحظ الصورة العجلى للرمح وهو امر لم يلحظ في السيف !! وقد فصلنا قبلا أسباب الغاء المسافة بين السيف والفارس ، وحين رصدنا نصوصاً لسبعة شعراء جاهليين واجهتنا الصور المألوفة على هذا المهاد :

الأسنة مجلوة بأيدي فتيان يحسنون الكر
القناة مثقفة محكمة قليلة الزيغ ، ذابلة
الدريني سيد الرماح
الرماح تطعن الكلى والثغور والجباه والنحور
الموت امر تقضي به الرماح التي تستعير دور القضاء والزمن
العصيون على السيف مشرعون للرمح الذي يغير ملامح الوجوه

المشرفي ومصقول عوارضها … صم العوامل صدقات الأنابيب
يجلو اسنتها فتيان عادية … لا مفرقين ولا سود جعابيب
سوّى الثقاف قناها فهي محكمة … قليلة الزيغ من سن وتركيب

سلامة بن جندل (ديوانه ق ١ ب ١٧ ـ ١٩ ص ١١١)

واني امرؤ اعددت للحرب بعدما … رأيت لها ناباً من الشرّ اعصلا
اصمّ ردينياً كأن كعوبه … نوى القسب عرّاصاً مزجا منصلا

اوس بن حجر (ديوانه ق ٣٥ ب ٧ ، ٨ ص ٨٣)

تحمي الجماجم والأكف سيوفنا … ورماحنا بالطعن تنتظم الكلى

الأفوه الأودي (شعره في الطرائف الادبية ق أ ص ٦)

وثمانون من تميم بأيديهم رماح صدورهن القضاء

الحارث بن حلزة (شرح القصائد التسع المشهورات ق ٦ ص ٥٨٨)

فخضبت السنان من ثغر القوم وكانوا للناظرين نجوما

قيس بن زهير (شعر قيس بن زهير ق ٣ ص ٣٦)

وإذا الأسنة اشرعت لنحورها … ابدين حدّ نواجذ الأنياب

لبيد (شرح ديوانه ق ٣ ب ٦ ص ٢٢)

بسمر من قنا الخطيّ لدن … ذوابل أو ببيض يختلينا
اذا عض الثقاف بها اشمأزت … تشق قفا المثقف والجبينا
عشوزنة اذا انقلبت أرنت … تشجّ قفا المثقف والجبينا

عمرو بن كلثوم (شرح القصائد التسع المشهورات الملحق ب ٣٥ ، ٥٣ ، ٥٤ ص ٧٧١ ، ٨٠٢ ، ٨١٢ ، ٨١٣)

ج ـ القوس والسهم :

القوس عزيز على العربي في سلمه وحربه ففيه اقباس من شرف حامله ! الم تر الى الحاجب بن زرارة كيف منح كسرى طمأنينة حين ضمن له ان لا تغير عليه فرسان العرب شريطة ان يكف يده عن الايذاء ورهن عنده قوسه فقبل كسرى الرهينة ، وغب موت الحاجب نهض ابنه (عطارد) ليسترد قوس أبيه من خزائن كسرى (العقد الفريد ١ / ٢٣٩) وهل مصادفة ان يمنح الشاعر اوس بن حجر للقوس اكثر من خمسة وثلاثين بيتا في نص واحد(٥٧) ليس في الامر مصادفة لان السهام التي تنطلق من القسي رسل لا تؤامر مرسلها(٥٨)

اذا ما تعاطوها سمعت لصوتها … إذا نبضوا عنها نئيماً وأزملا
وان شدّ فيها النزع أدبر سهمها … الى منتهىً من عجسها ثم أقبلا

(ديوان اوس بن حجر ق ٣٥ ب ٣٤ ، ٣٥ ص ٨٩)

وقد لاحظ د . محمود الجادر ان صورة القوس والنبال في هذه اللامية منبثة عن اهمية هذه العدة في نفس الشاعر ونفوس قومه واعدائه على السواء ولهذا منح هذه الصورة ستة وعشرين بيتا وهو أمر محسوب بعناية (لامية أوس بن حجر ص ١٣) وكدأب العرب في التفنن بصناعة عدة الحرب فقد اطلقوا تسميات على انماط متمازة من القسي منها على سبيل الاشارة : العصفورية نسبة الى رجل اسمه عصفور ثم : الماسخية نسبة الى رجل اسمه ماسخ (العمدة ٢ / ٢٣٣)

ولقاء دراسة خمسة نصوص شعرية (مختارة) توصل البحث

الى تشعيرات صوفنية نوجزها على هذا النحو :

القوس والسهم لحمة واحدة في الصورة

هتوف ومعول قبل الانطلاق ، مرنانة ومقرعة غيه

ملساء مثل غانية ليلة جلوتها ، تزدان بالحلي

حين يزل عنها بعضها (السهم) تحن اليه كما تحن الثكلى الى وليدها

خلقت للصيد ، في السلم تصطاد البهائم وفي الحرب تقنص الفرسان

دونها الأنون

حين تنفد يكون نفادها ايذانا للفارس بنفاد آخر العدد فليس ثمة بعدها سوى الأيدي

مريّشة

صورها الفنية حسّية وبخاصة السمعية واللمسية

هتوف من الملسِ الحسانِ يزينها	رصائعُ قد نيطت عليها ومحمل
اذا زلّ عنها السهم حنت كأنها	مرزّأة ثكلى تـرن وتعـول

الشنفرى (ذيل الأمالي / النوادر ص ٣٠٤)

مستشعراً تحت الرداءِ إشاحة	عضباً غموض الحدّ غير مفلّل
ومعابلا صُلْعَ الظبات كـأنها	جمرٌ بمسهكة تشب لمصطلي
نجفاً بذلت لها خوافي ناهض	حشرِ القوادم كاللقاعِ الأطحل
فاذا تُسَلُّ تخشخشت أرياشها	خشفَ الجنوبِ بيابس من أسحل

ابو كبير الهذلي (ديوان الهذليين ٢ / ٩٨ وبعدها)

فشربن ثمّ سمعنَ حِساً دونه	شَرَفُ الحجاب وريب قرع يُقْرَع
ونميمـةً من قـانص مُتلبّب	في كفّه جشء اجشّ وأقطع

ابو ذؤيب الهذلي (ديوان الهذليين ١ / ٧)

فلمّا لم نـدع قـوسـاً وسهـماً	مشينـا نحوهم ومشـوا إلينـا

عبدالشارق الجهني (شرح ديوان الحماسة المرزوقي ١ / ٤٤٧)

ايهـا ابيـدوا جمعهم بـالقتـل	ولا تكـونـوا غـرضـاً للنبـل

صفية بنت ثعلبة الشيبانية (الموثبات ـ الجباوي ص ٣٣١ نص ١١)

د ـ الـدرع :

الدّرع بزّة الفارس ، جمع القلة منهـا أدرع وأدراع وجمع الكثرة دروع ، وفي لسان العرب (درع) تفصيل مهم وشعر مغن . .

وإذ يرتديها الفارس تعمر فؤاده مشاعر الزهو ، على انها متعبة له راكباً ومثقلة راجلا فهي حصنه الحصين وصفيه الأمين (عيون الأخبار ٢ / ١٣٠) وقد عرفت حلبات الدم انماطاً من الفرسان لا يرتدون الدروع ولا يعتمرون البيض لان لديهم الذي هو احصن واضع ونعني به الحذق ، ولنـا ان نتخيل المحـاربين البـرمين وهم يـرون الى خصـومهم بـلا دروع وقـد تـدرعـوا باليقين . . يقول الاعشى (ديوانه ق ٣ ب ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤) :

واذا تكـون كتيبـة ملمـومـة	خرساء يخشى الذائدون نهالها
كنت المقدّم غير لابس جُنة	بالسيف تضرب معلماً أبطالها
وعلمت ان النفس تلقى حتفها	ما كان خالقها المليك قضى لها

وكان عبدالملك بن مروان معجباً اشدّ الاعجاب بمعـاني هذه الأبيات وصورها المبتكرة ودلالاتها النادرة[٢٩] وجرياً على عادة المقاتلين مع العدة الحربية وكذلك فقد لقيت الدروع عناية فائقة فتعددت اسماؤها وأنسابهـا ، فمن دروع سلوقية نسبـة لمدينـة سلوق في اليمن الى دروع تبعية نسبة للملك تبع الى دروع داودية نسبة الى داود وسوى ذلك ثمة السابغة والدلاص والشكاء والجنة والماذية والزغف والموضونة والمشك والجارنة ، وهذا لا يمنع وجود ادراع مشهورة بالرداءة مثل الدروع المهلهلة[٣٠]

وقد سعى بحثنا الى تـأثيث الصور الفنيـة للدروع خلل تسعة نصوص متميزة نظرت الى السلوقيـة والتبعية والـداودية والسابغة والدلاص والجارنة فضلاً عن الاطلاق المألوف للعدة (درع ـ دروع ـ ادرع ـ ادراع) فتأثثت عندنا على هذا النطاق :

الدروع السلوقية التي ضاعف الصناع المهرة نسجها لا تقي اعداء الشاعر .

الدروع الأصيلة مقرونة بمسرودتـين شكيل صنـاعة داود أو تبع .

الفرسان حين تلبس الدروع الداودية تعلم جيدا انها ليست بديلا عن الكفن .

الحرب خمرة مرة يتساقاها المقاتلون على خيول صارت الدماء دروعاً لها .

السوابغ دروع بيض فيها سعة لحركة الفارس وهي الى هذا

خفيفة تظللها السيوف البيض التي تحاكي النجوم لونا وارتفاعا .

الدلاص خير ما يعده الفارس للحرب ، فهي واسعة تثنى مع جذع المقاتل فضلاً عن كونها برّاقة ملساء لينة .

الدرع الأمين تسربل الفارس بسربالين من حلق الحديد وتغطّي حجوله وشيئا من صهوة الفرس .

الدروع - وإن بدت خفيفة - فهي ثقيلة معيقة ، اما الذين أبهظوا بها فإنهم يمشون مشي الجمال الضخمة المتعبة .

التأسيس : اغلب صور الدروع الفنية حسّية : لمسية أولاً وثانياً وبصرية ثالثاً . .

النصوص المنتقاة[61]

تقدُّ السلوقيّ المضاعف نسجه ... وتوقدُ بالصّفاح نار الحباحبِ
النابغة (ديوانه ق ٣ ب ٢١ ص ٤٦)

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود أو صنع السوابغ تبّع
ابو ذؤيب الهذلي (ديوان الهذليين ١/١٩)

وهمُ ساهمْ إذا ما لبسوا ... نسجَ داود لبأس مُحتضَر
وتساقى القومُ كأساً مرّةً ... وعلا الخيلَ دماءٌ كالشقرِ
طرفه (ديوانه ق ٢ ب ٣٩ ، ٤٠ ص ٦٤)

سوابغهم بيض خفاف وفوقهم ... من البيض أمثالُ النجوم استقلت
ولم يبق إلا ذات ريع مفاضة ... وأسهل منهم عصبة فاطلت
الاعشى (ديوانه ص ٤٠ ب ١٠ ، ١١ ص ٣١١)

واعددت للحرب فضفاضة ... دلاصاً تثنى على الراهش
عمرو بن معد يكرب (ديوانه ص ١٢١)

علينا كل سابغة دلاص ... ترى فوق النطاق لها غضونا
عمرو بن كلثوم (شرح القصائد التسع المشهورات ق ١٧ ب ٦٩)

فوالله لولا فارس الجون منهم ... لآبوا خزايا والأياب حبيب
تقدّمه حتى تغيب حجوله ... وانت لبيض الداعين ضروب
مظاهر سربالي حديد عليهما ... عقيلا سيوف : مخذم ورسوب
علقمة (ديوانه ق ١ ب ٢٥ - ٢٧ ص ٤٣)

يمشون في البيض والدروع كما ... تمشي جمال مصاعب قطف
مالك بن العجلان (الاغاني - دار الثقافة ٣/٢١)

وجوارن بيض وكلّ طِمِرّة ... يعدو عليها القرّتين غلام
لبيد (شرح ديوانه ق ٤٤ ب ٦ ص ٢٨٩)

هـ - الخيل :

تقترن العدة ق . إ بارتباط الخيل[62] وزاد مجيء الاسلام ذلك الاقتران رسوخاً[63] وقد ولع العرب بالخيول ، وبخاصة الشعراء حيث استعاروا كثيراً من سمات الخيول لمفردات المثال العاطفي أو المادّي ، وقد لاحظنا عند دراستنا للزمن عند الشعراء العرب ق . إ ان الفرش تختبيء في اللاوعي مثالاً أعلى للوفاء والجمال والرشاقة فاقترنت صورة الفرس بالمرأة[64] فما ارتباطهم للخيل في الجاهلية والاسلام سوى دليل اكيد على معرفتهم لفضلها ، فهم يصبرون من على المخمصة واللأواء ويؤثرونها على الأهلين والأولاد ، وحين سئل احد الاسلاف عن بكاء الصبيان قال (واما بكاء صبياننا فإننا نبدأ الخيل باللبن قبل العيال) الأغاني / بولاق ٩ / ١٨ وهل أتاك حديث عنترة الذي لم ينس احاسيس حصانه وهو في حلبة الدم فصور في ملعقته جراة حصانه وإقدامه ورثى لمنظره وجراحه .

فازورّ من وقع القنا بلبانه ... وشكا إليّ بعبرة وتحمحم
(المعلقة . .)
لو كان يعرف ما المحاورة اشتكى ... ولكان لو علم الكلام مكلمي !

واية أرومة بين دلالتي الفرس والفارس تنبيء ان الدلالتين مزاج دلالة واحدة[65] واذا كان لاستعمال عدة الحرب فنّ يسهّل استعمالها ويجعلها اكثر جدوى فإن العرب آثرت الفرس فضلاً عن الفنون بطقوس وآداب متبعة في امتطائها والافادة بها في الحرب أو السلم[66] .

وكدأبنا في رصد العدد في النصوص ، فقد رَصدنا الصور الفنية للفرس من خلل اربعة عشر نموذجاً لشعراء مختلفين فتهيأت لنا التكوينات التالية :

توصيف صوفي . .

الخيول سليلة الجد (أعوج) رشيقة الحركة جميلة المنظر جسورة تنجز رغبة فارسها كما ينبغي .

اذا حُمّ الحدثان واشتد الزمان فإن الفارس اللبيب متهيىء تماماً لأنه اعدّ للحدثان فرساً لا تحاكي عدوها فرس اخرى .

الفرس البكرية تطحن الأعداء من باب الاستعارة والاستعاضة .

الفرس الملجمة المتجردة تحاكي السيف صلابة (صورة حسية) وأهمية (صورة ذهنية) .

والفرس إلى هذا تحفظ الحسب الرفيع لأنها سريعة لا يثقلها الفارس .

الفرس رمز للفارس ، فصورة الانسان وفعله مقترنة بها .

حين تتدفق الدماء وتتشاكل الأشلاء تتجلى الفرس الأصيل لأنها تدحض العقبات كما تدحض ماء الغدير .

تمنح فارسها طمأنينة ، فهي تعدو وتناور ضامرة كأنها ذئب ، فإذا اطلق لها العنان طمحت عجلى كأنها عقاب كاسر .

تكتسب الفرس شيئاً من سلوك الفارس والكفيل بذلك : الاستعارة والكناية والاستعاضة ، فهي تبدو سامحة مرة ، وعابسة اخرى .

تتدرع بدماء الضحايا المختلطة بدمائها ، واذ تنطلق تحسبها في مباراة مصغية إلى اي اشارة أو أمر من فارسها أو اشارة وحركة من العدو ، مبصرة مشاهد القتل لحظة الكرّ أو الفر ولن تكلّ من علك الحديد . .

تقدم في كراديس لا تخذل المستغيث كأنها الجراد فيتصاعد الغبار حولها كثيفاً لا يكاد يطأ الأرض .

تبدي ـ في الحرب ـ كل عدّة مضاءها ، السيف يقطف والفرس تقحم وتدوس .

الفرس ادرى بفارسها ، ولديها الكثير لتقوله (بالاستعارة) الى الحبيبة عن الفارس العاشق .

الفرس الضخمة القوية (النهد) تسبح في فضاءات المعركة غير ملتفتة الى كلومها تستقبل بصدرها طعنة الرمح ولذعة السهم .

الاصيلة كريمة يطمئن فارسها اليها ، فيترك عنانها لتكون حرة الفعل .

لا غنى للفارس القح ـ ما عاش ـ عن الفرس الاليف العتيق التي تشبه سحق برد بين أرماح . .

تشمير : لم يشغل الشاعر الجاهلي باله كثيرا بأفانين النقد ، ومن تحصيل الحاصل ، انه لا شأن له بمصطلحاتنا النقدية الحديثة ، ومن الجرأة غير المحبذة قسر الشعر زمنذاك على مصطلحات هذا الزمان ، لكن ذلك لا يعفينا كما انه لا يمنعنا عن ملاحظة وجود مقاربات بين عدد من الصور (الوصفية) الفنية وعدد من المصطلحات المتداولة نحو :

١ ـ ان الشاعر (جسّد) الفرس ونعني بالتجسيد دلالة التشخيص الذي اطلقه النقاد وهماً ، فالتجسيد ادخل في معنى الأنسنة باعتداد الجسد خاصاً بالانسان والشخص مطلقا على العاقل وغير العاقل (انظر المعجمات اللغوية مادة جسد وشخص) فالأعشى الكبير جسّد الفرس في فائيته وكذلك فعل خداش بن زهير في داليته وعنترة في ميميته (معلقته) .

٢ ـ يعادل الشاعر الصورة الحسّية بالصورة الذهنية وهو ما يسمّى بالمعادل الموضوعي OBJECTIVE GORRELATIVE[١٧] وهو مصطلح نجرؤ على القول : انه قريب من الكناية التي تعادل الصورة الذهنية بالصورة الحسّية[١٨] فقولنا : كثير الرماد يؤسس دلالة للصورة الحسية وهو بعد ذلك معادل موضوعي للكرم الذي يؤسس دلالة للصورة الذهنية فتشكيل (خداش بن زهير) لصورة الخيول يبديها (مصغيان + حداد الطرف + يملكن الحديدا) معادل موضوعي أو كناية عن استمرارية الحرب وكوابيسها .

٣ ـ كل صور الفرس حسّية برغم العشق العنيف الذي يحتاج الفارس نحو فرسه .

النصوص المتنقاة :

وفحول هيكلات وُقُح   أعوجيات على الشأو أزُم
يومَ تبدي البيضُ عن أسوُقها   وتلفّ الخيلُ أعراج النعم

طرفة بن العبد (ديوانه ق ١٢ ب ١٣ ص ١١٢ ثم ب ٢ ص ١٠٩)

وخيل بكر فما تنفك تطحنهم   حتى تولوا وكاد اليوم ينتصف

متى ادع منهم ناصري ثأت منهم كراديس مأمون عليّ خذولها
رعالاً كأمثال الجراد لخيلهم عكوب اذا ثابت بطيء نزولها

الاعشى (ديوانه ق ٦٢ ب ٢٠ + ق ٢٣ ب ١١ ، ١٢)

ولجام في رأس اجردَ كالجذع طوال وأبيض قصّال

وقد علم المزنوق اني اكرّه عشية فيف الريح كرّ المشهر
اذا ازورّ من وقع الرماح زجرته وقلت له : ارجع مقبلا غير مدبر
وأنبأته أن الفرار خزية على المرء ما لم يبل عذرا فيعذر
ألستَ ترى ارماحهم فيّ شرّعاً وأنت حصان ماجد العرق فاصبر

عامر بن الطفيل (ديوانه ق ٤٣ ب ٨ ثم ق ٢١ ب ٨ - ١٢)

حافظ على الحسب النفيس الأرفع بسواعد موصولة لم تمنع
وسلاهب من خيلكم معروفة بالسبق عادية بكل سميدع

هند بنت النعمان (المؤنبات - الجباوي - ص ٣٣٦ نص ٤٢)

فلأهبطن الخيل حُرّ بلادكم لحْقَ الأباطل تنبذ الامهارا

قيس بن زهير (شعره ب ٦ ص ٤١)

يا صخرُ من للخيل إذ رُدّت فوارسها عجالا

الخنساء (ديوانها ص ١١٦)

تركن الخيل عاكفة عليهم كأن الخيل تدحض في غدير

المهلهل (ديوان المرائه / شعره ق ٧ ب ٢٨ ص ٢٧٢)

يفرّج عنا كلُ ثغر نخافه مُسِحٌ كسرحان القطيمة ضامر
وكل طموح في العنان كأنها اذا اغتمست في الماء فتحاء كاسر

المعقر البارقي (العقد الفريد ٦ / ١١)

جلبنا الخيل ساهمة إليهم عوابسَ يدّرن عن النقع قودا
تبارى في الاعنّة مصغيات حداد الطرف يعلكن الحديدا

خداش بن زهير (الحماسة الشجرية / ١ / ١٦٦ ق ٨٣ ب ١ ، ٢)

يحملن فتيان الوغى من جعفر شعثاً كأنهم أسود الغاب

لبيد (شرح ديوانه ق ٣ ص ٢٢)

هلاّ سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
اذ لا أزال على رحالة سابحٍ نهد تعاوره الكماة مكلم

طوراً يجرّد للطعان وتارة يأوي الى حصد القسيّ عرمرم
يدعونَ عنترَ والرماحُ كأنها اشطان بئر في لبان الأدهم
ما زلت أرميهم بثغرة نحره ولبانه حتى تسربل بالدم

عنترة (ديوانه تحـ سيف الدين الكاتب ١٩٠ ، ١٩٤)

اذا انفلتت مني جواد كريمة وثبت فلم اخطر عنان جوادي

الشنفرى (الطرائف الادبية / شعره ق ح ص ٣٥)

ولا يفارقني ما عشت ذو حقب نهدُ القذال جواد غير ملواح
أو مهرة من عتاق الخيل سابحة كأنها سحُقُ برد بين ارماح

عبيد بن الابرص (ديوانه ص ٥٠)

سأذخر من مالي دلاصاً وسابحاً وأسمر خطياً وعضباً مهندا

حاتم الطائي (ديوانه ص ٢٦)

خامساً : - الاعداد المعنوي :

لاحظنا صور عدة الحرب حسّية تنصرف إلى الآلات المعدنية والخشبية التي يستخدمها المقاتل في الدفاع أو الهجوم فضلاً عن الخيول ، ، وقد عن لمنهج البحث ان يضيف الى ذلك عدة الحرب المعنوية وهو أمر يقارب الصور الذهنية وان كان هذا لا يعني بالضرورة غياب سلطان الحواس وقد مضينا بعيدا مع مقولة الاعداد المعنوي فدرسنا القائد والرأي والاجتهاد والجند . . الى آخر القائمة ، وغب ذلك كله ادركنا تشتت المسار ؛ لان الفتى عند العربي يجمع القدرة على القيادة والرأي والقتال والاجتهاد والتضحية والفتى كناية عن المروءة ، ، فعدنا ورتبنا البحث من جديد وفاقاً للتوصل الحادث وهو أن الفتى قمين بتغطية مساحة الاعداد المعنوي كلها .

الفتى :

اذا القومُ قالوا من فتىً قلت انني عنيت فلم اكسل ولم اتبلد

طرفة (ديوانه ق ١ ب ٤١ ص ٢٧)

اشرنا فيما سبق الى ان اهمية عدة الحرب من اهمية الفارس

المحسن لاستخدامها ، الذي يوفر لها كبرياءها ولا يذلها ، وقد قال عمرو بن معد يكري لمن عاين سيفه الصمصامة وقلبه : انك تعاين الحديدة وانما العبرة باليد التي تحسن استخدامها(٦٩) ولقد يلاحظ الدارس تبرزّ دلالة الفتى في المعجمات العربية (تاج العروس + لسان العرب / فتو) عند الصور الحسّية والذهنية معا .. على نحو هذه الاشارات :

أ ـ الفتاء الشباب

ب ـ لا تنحصر الفتى في دلالة الشاب والحدث وانما تتعدى الى الكامل الجزل من الرجال

إن الفتى حمّال كل ملمّة   ليس الفتى بمنعّم الشباب

ج ـ تفتت الجارية اي راهقت

د ـ والفتى الخادم ايضاً قارن قوله تعالى (وإذا قال لفتاه آتنا غداءنا) الكهف ٦٢ والفتاة الخادمة قال تعالى (ومن لم يستطع منكم طَوْلاً ان ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات) النساء ٢٥

هـ ـ لا علاقة للفتوة بالعمر ، قال تعالى (ودخل معه السجن فتيان) يوسف ١٢ والمعنى لا يحدد العمر فقد يكونان شابين أو شيخين .

و ـ الفتى تعني الملك او السلطان والسخي والكريم وذا المروءة .

ز ـ الافتاء الابانة والفتيا

حـ ـ الفتيان الليل والنهار

وإذا كانت الفتوة تعني القوة والمروءة والرأي(٧٠) فهذه الكينونة تنجز صورة ذهنية للقائد أو السيد الذي توفرت له اسماء شتى نحو : الفتى والسيد والبيضة والشيخ والتيس والكبش والأم والهامة والقرن وقبالة كل اسم ثمة الامثلة الشعرية التي تكرس الدلالة(٧١) وإذا يستنطق بحثنا النصوص الجاهلية المنتقاة ، تتألق قبالته معالم اثيرة للفتى نوجزها كما يلي :

الفتى سيد قومه ، قائل فاعل ، وقوله القول وفعله الفعل ونائله النائل .

كلماته تنبت الزرع في الأرض السبخة .

يكرم اعداءه .

يرى القتل مجدا وزينة .

لا يعبأ بعواقب الامور .

الصبر سيماؤه .

كأنه ابن جنية لا تلد سوى السيوف .

قادر على تمثل خبرات الأعمار جميعا .

يعادل ألفاً من الناس .

يفتقد في السنة الشديدة .

تبلى عظامه ولا تبلى اخلاقه .

يجزي بما احسن من أفعال .

الليالي تعرفه ..

كالحية النضناض ، وكالبراض(٧٢)

يعرف حين تفزع الخيل يوم الروع ، عزيز الوجه واسع الجنح ، ليث إذا زلت النعال بالآخرين .

يحمل اعباء الناس ، عائذ اذا مات بكته الأرامل اللواتي واجهن الزمان بمروءته ، وبكاه العاني والأسير والفارس والكبير والصغير .

مفرج الكربة وكاشف الغمة .

لا ترد صولته .

لا يلهو في الجد والمسألة ولا يشغله ثراء وولد .

رحب الذراع يعرف أفانين الحرب ، غير مترف في السراء ولا ذليل في الضراء .

لا يؤخذ في نوم ولا يغلب في يقظة .

التحدي شأنه .

قد يعيش الفتى اكثر من عمره ولكنه لن يدرك لذاذات الفتاء (المراهقة) .

منعة الفتى من مروءته فإن بغى صار غرضاً للسهام .

يكون في الحرب قطبا لا تابعا وفي السلم تعرفه الصحارى المهلكة .

جحيم الحرب يحرق الأحلام والأوهام عند المتخاذلين ، لكن لهبه يستحيل هباء ازاء الفارس (الصبّار) ذي النجدات ، الذي يعتلي صهوة فرس جسور .

الحديد ثوب الفتى الذي يجلوه الاستفزاز أسدا .

يقضي الفتى لباناته فلا تنطفيء في صدره جذوة وهو إلى هذا أليف صدوق لا يبهظ حقا ولا يبهظه ضيف ، فقدوره صنعت للضيفان وغنائمه تألقت في المجد .

يعطي كلّ شيء يقدر عليه ، ويغفر كل شيء ، عصيّ على علة الحرب ، بيد انه ليس عصيا على الفجائع ، واي كريم لم تصبه القوارع ، فقد يملك الفارس (بالاستعارة) زمام المطر ولا يدري ان زمامه لحظتها بيد القدر .

غصن بان يميل صوب المكارم ، سجيته طيبة واضحة وخده أملس ازهر غيابه حضور ، وموته فقد .

يعتضد الفتى بالفتيان .

النصوص المنتقاة . .

كم فيهم من سيد أبد — ذي نفحات قائل فاعل
من قوله القول ومن فعله — فعل ومن نائله نائل
القائل القول الذي مثله — ينبت منه البلد الماحل
لا يحرم السائل إن جاءه — ولا يعفي سيبه العاذل
والطاعن الطعنة يوم الوغى — يذهل منها البطل الباسل
كم من فتى مثل غصن البان في كرم — محض الضريبة صلت الخد وضاح
شهدت بفتيان كرام عليهم — حباء لمن ينتابهم غير محجوب
وخرق من الفتيان اكرم مصدقاً — من السيف قد آخيت ليس بمذروب
فأصبح مني كل ذلك قد مضى — فأي فتى في الناس ليس بمكروب

عبيد بن الابرص (ديوانه ب ١٧ ـ ٢١ ص ١٢٥ ، ص ٣٨ ب ٦ ـ ٨ ص ٥١)

وفتياناً يرون القتل مجداً — وشيبا في الحروب مجربينا

امية بن ابي الصلت (ديوانه ق ١٢٤ ب ١٨ ص ٢٩٨)

وكان اخي جوين ذا حفاظ — وكان القتل للفتيان زينا

عبدالشارق بن عبدالعزى (شرح ديوان الحماسة المرزوقي ١ / ٤٤٩ ف ١٥٢ ب ١٣ ص ١٥٢)

لم ار كالفتيان في غبن الأيام ينسون ما عواقبها

ولم اجد الفتى يلهو بشيء — ولو اثرى ولو ولد البنينا

عدي بن زيد (ديوانه ق ١٢٤ ص ٢٩٨ ؛ ق ٥ ص ٤٥)

والحرب لا يبقى لجاحمها التخيّل والمراح
الا الفتى الصبّار في النجدات والفرس الوقاح

الحارث بن عباد (الأغاني ـ دار الثقافة ٥/٣٩)

والخيل تعلم والفوارس انني — شيخ الحروب وكهلها وفتاها

عنترة (ديوانه ق ٧٥ ب ١٨ ص ٢٣٧)

بني جنية ولدت سيوفا — صوارمَ كلها ذكر منيع
ولكن الفتى حمل بن بدر — بغى والبغي مرتعه وخيم

قيس بن زهير (شعره ق ١٢ ب ١٢ ص ٤٧ + ق ٢ ب ٥ ص ٣٣)

وضُمّرٍ كالقداح مسوّمات — عليها معشرٌ اشباه جن
وكل فتىً وإن أمشى واثرى — ستخلجه عن الدنيا منون

النابغة (ديوانه ق ٧٥ ب ٨ ص ٢١٨ ثم ديوانه تح محمد الطاهر ص ٢٦٢)

فتى كان كألف من ذوي الأنعام والفضل

المهلهل (الأغاني ـ دار الثقافة ٥/٣٢ وبعدها وانظر ايام العرب في الجاهلية ١٦٦)

لنعم الفتى ادّى ابن صرمة بزّه — إذا راح فحل الشول احدب عاريا

صخر بن عمرو بن الشريد (الأغاني ـ دار الثقافة ـ ١٥/٧٧)

ق٢١٠

دعيني فإن الجود لن يتلف الفتى — ولن يخلد النفس اللئيمة لؤمها
وتذكر اخلاق الفتى وعظامه — مفرّقة في القبر بادٍ رميمها
وتذكر قيس منّي وتكرّمي — إذا ذمني فتيانها وكريمها

هاشم بن حرملة (الاغاني ـ دار الثقافة ١٥/٨٠)

وفتيانَ صدق لا تُغَمُّ لحامُهُم — إذا شُبِّه النجمُ الصوارَ النوافرا
فتىً لا يزال الدهر اكبرُ همه — فكاك أسير أو معونة غارم

اوس بن حجر (ديوانه ق ١٦ ب ٣ ق ٤٩ ب ٢)

سنجزى دريدا عن ربيعة نعمه — وكل فتى يجزى بما كان قدّما

ربطة بنت جذل (الأغاني ـ دار الثقافة ١٦/٣٣)

والفتى من تعرّفته الليالي — فهو فيها كالحية النضناض
كل يوم له بصرف الليالي — فتكة مثل فتكة البراض

شاعر قديم (ايام العرب في الجاهلية ـ جاد المولى ٣١٨)

فلله عيناً من رأى مثله فتى — إذا الخيلُ يوم الروعَ هبّ نزالها
عزيز المكرّ لا يُهَدُّ جناحه — وليث اذا الفتيان زلت نعالها
وحمّال اثقال وعائذُ مُحجر — تحلّ اليه كل ذاك رحالها
سيكيك عان لم يجد من يفكه — ويبكيك فرسان الوغى ورجالها
وتبكيك اسرى طالما قد فككتهم — وأرملة ضاعت وضاع عيالها
مفرّج حوماتِ الخطوب ومدرك الحروب إذا صالت وعزّ صيالها

لم بسطام بن شيبان (زوج قيس بن مسعود) ايام العرب في الجاهلية ٣٨٧

إذا عاش الفتى مائتين عاماً — فقد ذهب اللذاذة والفتاء
ربيع بن ضبة الفزاري (شرح القصائد التسع المشهورات ص ٨٠٧)

لعمر ابيك لنعم الفتى — تحشّ به الحرب اجذالها
وإذ فينا فوارسُ كل هيجا — إذا فزعوا وفتيان الخروق
الخنساء (ديوانها ب ٤ ، ٩ ص ٤)

فتيان حرب في الحديد — وشامرين كأسد غابه
احيحة بن الجلاح (ديوانه ب ٣ ص ٦٣)

قضيت لبانات وسليت حاجة — ونفس الفتى رهن بقُمْرة مؤرب
وفتيان صدق قد غدوت عليهم — بلا دَخَن ولا رجيع مجنّب
فتىً عارفٌ للحق لا ينكر القرى — ترى رفده للضيف ملآن مترعا
وفتيانٌ يَرون المجد غنماً — صبرت لحقهم ليل التمام
يحملن فتيان الوغى من جعفر — شُعثاً كأنهم أسود الغاب
فتىً كان اما كل شيء سالته — فيعطي واما كل ذنب فيغفر
فلا جَزَعٌ إن فرق الدهر بيننا — وكل فتى يوماً به الدهر فاجع
أتجزعُ مما احدث الدهر بالفتى — واي كريم لم تصبه القوارع
سلوهن إن كذبتموني متى الفتى — يذوق المنايا أو متى الغيث واقع
وفتيةٍ كالرسل القماح — باكرتهم بمحلل وراح
لبيد (شرح ديوانه ق ٢ ب ٩ ، ١٠ ص ٥ ، ٦ ق ٢٥ ب ٩ + ق ٢٧ ب ١٤ + ق ٣ ب ٧ ق ٢٣ ب ٢ + ق ٢٤ ب ٣ + ق ٢٤ ب ١٨ + ق ٢٤ ب ٢٠ + ق ٥٣ ب ٩)

فإن تقتلوا فتية افردوا — اصابهم الحين أو تظفروا
فإن حزاماً لدى معرك — وإخوته حولهم انسر
فتى مثل متن السيف يهتز للندى — كعالية الرمح الرديني اروعا
دريد بن الصمة الاغاني (دار الثقافة) ١٠/١٢ ، ١٣

وظلت بفتيان معي اتقيهم — بهن قليلا ساعة ثم خيبوا
الشنفرى (الطرائف الادبية / شعر الشنفرى ق أ ب ٨ ص ٣٢)

في فتية كسيوف الهند قد علموا — ان ليس يدفع عن ذي الحيلة الحيل
الاعشى (ديوانه ق ٦ ب ٣٨)

سادساً : - الخاتمة ونتائج البحث : -

أ - تواضع الباحثون غب رحلة التعب اللذيذ على ان يجيبوا عن سؤال محدد هو : ما هي توصلات البحث ؟

ان الجواب على هذا السؤال يعني اصدار قرار ! وذلك يقتضي استقراء للحيثيات بغية التسويغ . وقد تهيأ للبحث ان عدة الحرب محور مغرتنا تناهضت الأقلام لدراسته وقول شيء فيه ذي بال ، وبحدود علمنا المتواضع فإن احدا لم يحاول دراسة العدة الحربية من وجهة نظر (صوفنية) ، فكان ان نهد بحثنا هذا للبذار الجميل ، ولم تكن الرغبة وخلو الساحة من بحث نظير مع توفر المصادر أمراً كافياً لايصال البحث الى شاطيء الهدف ، فقد وجدتني في مساحة متشابهة الاعلام مترامية الأطراف ، ولم يكن هذا الأمر بأكبر من مشكلة اخرى واجهت البحث وهي تصالب متطلبات الدراستين : الموضوعية والفنية لتصاقبهما ؛ فأخذت من النظر التمهيدي (الموضوعي) ما تهيأ لي انه مجد في النظر الجمالي (الفني) وبهذا الكيف تخفف البحث من اعباء الازدواج وكرّس وكده لتحقيق الغاية .

بعدها واجهتنا مسألة الكم ونعني بها كثرة الشواهد الشعرية ، وكان يمكن للبحث ان يغتني بالقليل عن الكثير والأهم عن المهم ، ولكن المسألة ليست بهذه السهولة لأن الاطروحات الدلالية للنصوص متشابهة في العرض متمايزة في الجوهر ، فالشاعر (س) لا يغني البحث عن الشاعر (ص) والقصيدة (أ) للشاعر (س) لا تحقق الغاية ذاتها التي تحققها القصيدة (ب) ، فقرّ الرأي على استقراء النصوص أولاً ثم انتخاب الشواهد العتيدة (المعدّة الحاضرة) ثانياً ، بعدها انتقي كمية مناسبة لمساحة البحث وغايته ثالثا (الانتقاء من النصوص المنتخبة) !

وثمة مشكلات يسيرة تمسّ المفصل ولا تهم الهيكل وقد اجتهدنا في جعل سبيلها سالكة ، نحو كثرة الهوامش والتوجيهات ؛ فنشرنا إشارات المظان بين المتن والهامش دون إفراط تقني أو تفريط موضوعي ، ثم تهيأ لنا بعدها ان البحث قد ادرك شاطيء العافية والحمدلله .

ب - وإذا كان ذلك كذلك فإننا نوجز لاحقاً اهم نتائج البحث وقراراته :

١ ـ الشواهد الشعرية المنتخبة والمنتقاة والأحداث التاريخية وبخاصة أيام العرب اشارة عميقة الى ان ثمة قصدية عند الشاعر كمنت وراء توصيف عدة الحرب .

٢ ـ يهدف الشاعر من التدقيق في صورة آلة الحرب إلى بث الطمأنينة والثقة في معسكره مقابل بث الشمأزيزة والقنوط في نفوس المعسكر الآخر .

٣ ـ السلاح معادل رمزي بسيط وقوي لأسباب الحياة الوادعة التي تطرد اشباح الغزو والسبي عن احلام العذارى .

٤ ـ قوة العدة من قوة المعتد ، وكبرياء المقاتل من كبرياء عدته ، لكن ذلك لم يكن مبعث غرور أو ظلم ، فالعربي ألوف ابدي للخير والنصف أنوف عن الشر والظلم .

٥ ـ المقاتل حين يطلب الحياة في الحلبة يرهب الموت الذليل ، وإذ يطلب الموت العزيز يمنح الحياة الجليلة .

٦ ـ ثمة موازنة محسوبة بين عدتي الحرب (المادية والمعنوية) وهي تقابل في المنهج الصوفي الموازنة بين الصورتين : الحسية والذهنية .

٧ ـ يشرك الشاعر الموثب الطبيعة في مضاء عدة الحرب لان الطبيعة شاهدة ابدية على الانتصارات فتبسم وتجهم له ومعه .

٨ ـ لم يكن الشاعر الموثب قوّلاً حسب ، فهو فعّال ، قاتل بالصدق وبعض الشعراء لم يموتوا حتف انوفهم ، بل ماتوا واقفين وشهدت موتهم عدتهم الحربية .

٩ ـ الشعر المقال في عدة الحرب بسيط شديد ، بسيط حتى يدخل وجدان المتلقي دون تريث وشديد ليؤثر فيه دون تلبث . .

١٠ ـ البحوث المستعملة ذات ايقاعات متشابهة ، اي تعتمد تناظر التفعيلة وترادفها مثل فعولن المتقارب ومتفاعلن الكامل ومستفعلن الرجز وفاعلاتن الرمل . . أولاً ثم البحور التي تتناظر في شطر البيت (صدره أو عجزه) نحو الوافر مفاعلتن مفاعلتن ـ فعولن ثانيا . .

١١ ـ ليست العدة بطرفيها المادي والمعنوي قادرة على حسم النصر ما لم تعتضد بقيم الفروسية التي تلخصها (المروءة العربية) وهو أمر بين الخراب والبناء ، الموت والحياة ، موازنة تسمح بوضوح الرؤية .

١٢ ـ يدخل التوثيب عنصراً فعّالاً في بريق الصورة الفنية للعدة وليس من سبيل اليه سوى (اللسان) الذي يرمز للقصيدة ، فوقع اللسان وحدّ السنان وجهان لعدة واحدة فضلا عن حرص الموثب على ان يكون عرضه بريئا حتى لا يدع للعدو مساحة ينفذ منها (انظر فقرة ثانيا شعر عبد قيس بن خفاف) قال الاعشى :

من مبلغ كسرى اذا ما جاءه — عني مآلك مخمشات شرّدا

١٣ ـ العدة في اتم صورها واسمى فعلها مهيأة لدفع المرزأة والحفاظ على الحمى ولنا ان نقارن مقولة لقيط الايادي :

ياقوم لاتأمنوا إن كنتم غيراً — على نسائكمُ كسرى وما جمعا

١٤ ـ قوة المحارب ومضاء عدته لا يمنعانه عن الجنوح الى السلم (انظر فقرة النص الأول لزهير بن ابي سلمى) وأضف اليه هتاف الفند الزماني (شعره مجلة المورد م ٨ ع ٣ س ١٩٧٩ ص ٢٩٤) .

اقيدوا القوم ان الظلم لا يرضاه ديان
.... فلما أبى الصلح وفي ذلك خذلان

شددنا شدة الليث غدا والليث غضبان

١٥ ـ وحدة المقاتلين وتآلفهم قيمة مضافة الى قوة العدة ، ولن ينتصر المقاتل بغير قومه وهل ينهض الباز بسوى جناحه أو يفوز العدّاء بغير ساق معافاة : قارن قول اوس بن حجر :

فقومك لا تجهل عليهم ولا تكن — لهم هرشاً تغتابهم وتقاتل
وما ينهض البازي بغير جناحه — ولا يحمل الماشين إلا الحوامل
ولا سابق إلا بساق سليمة — ولا باطش ما لم تعنه الأنامل

١٦ ـ القائد رائد ذائد وليس ثمة نصر أكيد بلا قائد شديد البطش سديد الرأي وللمقاتلين ان لا يقرّوا إلى العدة

بوصفها خلاصاً ، فالعدة والعدد مفتقران الى القائد الذي يضع لكل احتمال حساباً فضلا عن مروءته ، فهو متميز بسلطان لا قبل للناس على ردّه ، قارن كلمات الاعشى :

تلقى له سادة الأقوام تابعة   كل سيرضى بأن يرعى له تبعا

وهذه الصورة كثيرة الشبه بصورة القائد الذي اقترحه لقيط (لاحظ الموازنة التي اجريناها بين صورة القائد عند الاعشى ولقيط في الصورة الفنية عند الاعشى ص ٢٦٩)

١٧ ـ ليس في صالح الشاعر المنتصر ان يسم خصمه بالجبن لأن النصر على الجبان فعل هين ، فإذا كان الخصم قويا متسلحاً بأقوى العدد وأمضاها كان النصر عليه فعلا حاسماً ومبهجاً وفضلا عن طبيعة العربي الميالة الى الانصاف وقد شاعت قصائد الانصاف في شعرنا القديم فالجاحظ ت ٢٥٥ أدرك رواة المسجديين والمربديين وقرر بأن من لم يرو الأشعار المنصفة فانهم لا يعدونه من الرواة (انظر فقرة صورة الرحى في مقاربة مع العدة : رائية مهلهل ونونية عمرو بن كلثوم في نقطة (السيف) رابعاً) .

١٨ ـ ينبغي معرفة الكيف الذي تستعمل فيه العدة ، فهي ذات مضاء اذا استعملت ضد العدو ، بيد انها تقتل الذي يسيء الهدف من استعمالها أو يستعملها ضد الأهل أو الخير . . قارن قول الاعشى .

فلا تكسروا ارماحكم في صدوركم   فتغشمكم ان الرماح من الغشم

١٩ ـ لم نعثر على نص شعري يهوّن من شان عدة السلاح ، فالنصر لمن اعتدّ اي جمع العدة والعدد ، واوكل القياد إلى اخي حرب . . فإذا اكتملت الصور الكلية اكتمل يقين النصر ، وصار من حق الشاعر أن يهزأ بالأعداء الذين توهموا قتاله مثل أكل التمر أو الهبيد . . قارن قيس بن الخطيم (ديوانه ق ١٠ ب ٧ ، ٩) :

لقيناكم بكل اخي حروب   يقود وراءه معاً (عتيدا)
أكنتم تحسبون قتال قومي   كأكلكم الفغايا والهبيدا

٢ ـ قد تختفي العدة ويلبث فعلها معادلاً فنيا لها ، فالضرب خاص بالسيف ، والطعن خاص بالرمح ، والرمي خاص بالسهم قارن قول العباس بن مرداس (ديوانه ب ١٧ ص ٢) :

وكنت أمام القوم أدل ضارب   وطاعنت إذا كان الطعان تخالسا

٢١ ـ الصور الحسّية للعدة ذات ألوان حارة وخطوط نـاتئة وأصوات ضاجة ، فهي تنتفع بالقوة التخييلية التي تنتخبها الحواس وبخاصة اللمس والشم والبصر .

٢٢ ـ يتضاءل عدد الصور الواقعية (باستثناء الصور التشبيهية) أمام الصور المجازية التي تعتمد الاستعارة والكناية ، ونعد الصورة التشبيهية قناة تصل بين الصورتين الواقعية والمجازية وهو رأي يتحمس له البحث .

٢٣ ـ أثمر البحث بجلاء نصوصاً يمكن قبول مفرداتها أو بعضها لمعطيات المصطلح النقدي الجديد وقد نبهنا على سبيل المثال العينات (الشواهد) التي ترشح باتجاه المعادل الموضوعي — OBJECTIVE CORRELATIVE واتجاه تبادل الحواس / التراسل CORRESPONDANCES واتجاه التجسيد / التشخيص PATHETICFAIIACY وحاولنا تطبيقها بأمانة . وآخر قولي الحمدلله رب العالمين .

الهوامش :

ـ الصورة الفنية في شعر الأعشى الكبير ص ٨٧ و١٠٧ و١٤٩ الصورة الفنية في المثل القرآني ص ٣٧ وبعدها .

ـ الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ص ٧ الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص ٢١ وبعدها

ـ زهير بن ابي سلمى شاعر السلم في الجاهلية ص ٢٣

ـ شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ق ١ ب ٥٢ ص ٣٠ (ق : قطعة ، ب : بيت)

ـ ثمة كتابات على ادب الحرب منها : شعر الحرب عند العرب ١٩٨٠ (د . نوري القيسي) + الأدب ومعارك العرب المصيرية ١٩٨١ (د . عادل البياتي) + قصيدة الحرب وآفاقها الانسانية والقومية ١٩٨٢ (د . محمود الجادر) + مدخل الى قصيدة الحرب ١٩٨٢ (د . محمود الجادر) + أوليات شعر الحرب عند العرب ١٩٨٢ (د . نوري القيسي) + شعر الحرب عند العرب ١٩٨٣ (طراد الكبيسي) + قصيدة الحرب ـ المقدمة (التجربة والفن) ١٩٨٥ (طراد الكبيسي) + مقدمة في شعر الحرب ١٩٨٥ (طراد الكبيسي) .. الخ .

ـ وانظر تاج العروس (عدد)

ـ ديوان الحماسة (ابو تمام) ق ٣٥ ب ٣ ـ ٧ ص ٥٧

ـ ديوان امرىء القيس ق ٣٢ ب ١١ ـ ١٦ ص ٨٧ وبعدها

ـ ديوان طرفة ق ١٢ ص ١١٢ وبعدها ب ١١ ـ ١٤ ونقترح مواصلة القراءة حتى ب ٢٢

١ ـ الادب ومعارك العرب المصيرية ص ٤٤ ثم الموثبات في الشعر العربي قبل الأسلام ٣٣٦ ثم اعلام النساء ٥ / ٢٥٩

١ ـ الشعر لعبد قيس بن خفاف : المفضليات ق ١١٧ ص ٣٨٦ ب ٥ + ٦

١ ـ الشعر لامرىء القيس وقد مرّ بنا في هامش ٨

١ ـ الشعر لأوس بن حجر . انظر ديوانه ق ٣٥ ص ٨٣ وبعدها ب ٧ ـ ١٠ + ١٣ ، ١١ وانظر : لامية اوس بن حجر : دراسة وتحليل د . محمود عبدالله الجادر

١ ـ الشعر لأبي قيس صيفي بن الأسلت ديوانه ص ٧٩ ب ٦ ـ ٩

١ ـ الشعر لعمرو بن معد يكرب ديوانه ص ٢١

١ ـ الشعر لعمرو بن معد يكرب انظر هامش ٧ ثم انظر دالية عمرو بن معد يكرب دراسة ياسين طه حافظ ص ٦٨

الأمثلة الشعرية كثيرة تزيد عن حاجة البحث وللاستزادة انظر كتب ايام العرب فهي منابع دفاقة .

١ ـ عيون الاخبار ٢ / ١٢٩

١ ـ ديوان الأعشى الكبير ق ٦٢ ب ١٣ ، ١٤ ص ٣٦١

١ ـ ديوان عامر بن الطفيل ق ٤٣ ص ١٠٢

٢ ـ كتاب ذيل الأمالي والنوادر للقالي ٢٠٣ وبعدها وانظر اعجب العجب في شرح لامية العرب ص ١٢

٢ ـ ديوان لقيط ق ١ ب ٩ ، ١٠ ثم ب ٢٤ ثم ب ٢٦ ، ٢٨ ثم ب ٤٢ ثم ب ٥٣ ، ٥٤ وانظر بحثنا : صحيفة لقيط ص ٣

٢٢ ـ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص ١٤٥ وبعدها ص ١٥٥ وبعدها

٢٣ ـ شرح القصائد التسع المشهورات (النحاس) ق ٧ ص ٦٣٢

٢٤ ـ شرح ديوان زهير ق ١ ب ٣٠ ص ١٩

٢٥ ـ العقد الفريد ٦ / ٦٥

٢٦ ـ شرح ديوان الحماسة ١ / ١٦

٢٧ ـ لسان العرب (صمم) ، مروج الذهب ٢ / ٣٣٣ ، العقد الفريد ١ / ١٧٩

٢٨ ـ الطرائف الأدبية (شعر الأفوه) ص ٩ ب ٣

٢٩ ـ شرح ديوان لبيد قطعة ٣٥ ص ٢٥١ ب ٨١ وانظر ق ٣ ب ٧ ص ٢٢ وانظر : الصورة الفنية في شعر الأعشى الكبير (ز ـ الأسد) ص ١٩٤

٣٠ ـ ملامح من صور البناء الفني لقصيدة الحرب ص ١١٠

٣١ ـ الأغاني (دار الثقافة) ٢٢ / ٧٠

٣٢ ـ نفسه ١١ / ٩٥

٣٣ ـ مستند الأجناد في آلات الجهاد ص ٣٠

٣٤ ـ شرح ديوان الحماسة (المرزوقي) القسم الأول ق ١٥٢ ب ١٠ ، ١٤ ص ٤٤٧ و٤٤٩

٣٥ ـ اوليات شعر الحرب عند العرب ص (ثقافة)

٣٦ ـ الأنوار ومحاسن الاشعار ص ١٤ وبعدها فقه اللغة (عبدالواحد وافي) ص ١٦٣

٣٧ ـ العقد الفريد ١ / ٨٦ ، ١٢٢ ، ٢٣ ثم ٢ / ٦١ وانظر : السيف العربي (جيل الحرباوي) ص ٨

٣٨ ـ السلاح في العربية (د . ابراهيم السامرائي) ص ٥٥ وانظر : الأنوار ومحاسن الأشعار ص ١٤ وبعدها

٣٩ ـ ديوانه ق ٣٥ ب ١٣ ـ ١٦ ص ٨٤ وبعدها ثم الأنوار ومحاسن الاشعار ص ٦ وانظر : لامية اوس بن حجر (د . محمود عبدالله الجادر) ص ٧ وبعدها .

٤٠ ـ ديوانه ق ٥٠ ب ٨ ، ٩ ص ٢٣٧

٤١ ـ الأنوار ومحاسن الأشعار ص ١٧

٤٢ ـ ديوانه ق ١٧ ب ٦ ص ٣٤ وانظر الأنوار ومحاسن الأشعار ص ٢٤

٤٣ ـ الأنوار ومحاسن الأشعار ص ٢٤ واورد الشمشاطي الشعر المنقوش على سيف بسطام بن قيس وانظر : السلاح في العربية ص ٥٧

٤٤ ـ شعر الحارث بن ظالم ق ٢ ب ٥ ص ٢٧٤

٤٥ ـ السيف العربي (الحرباوي) ص ١٩ ـ ٣٤ ثم السيف العربي (نقد) ص ١٧٠ ثم السلاح في العربية (السامرائي) ص ٥٣ ـ ٧٠

٤٦ ـ الموثبات في الشعر العربي قبل الاسلام (الجباوي) ص ٣٣٢ نص (١٢) ثم ص ٢٣٠ نص (٨) الادب ومعارك العرب المصيرية (البياتي) ص ٤٣

٤٧ ـ أيام العرب في الجاهلية (جاد المولى) ص ٢٤٠ وانظر : الأعلام ٥ / ٢٦٠

٤٨ ـ الأغاني (دار الثقافة) ١٦ / ٢٤ وانظر ايام العرب في الجاهلية (جاد المولى) ٣١٥

٤٩ ـ انظر بحثنا : الصورة الفنية في شعر الشريف الرضي فقرة (د ـ تبادل الحواس / التراسل) ص ٢٥٨

٥٠ ـ ديوانه ق ٦٠ ب ٤ ، ٥ ص ١٣٠

٥١ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٥ / ٤٢٤ وانظر : الاسلحة القديمة عند العرب / الرمح (عبدالجبار محمود) ص ١٢ ثم اللسان (رمح)

٥٢ ـ العمدة ٢ / ٢٣٠ ثم الأنوار ومحاسن الاشعار ص ٢٥ ثم لسان العرب (رمح)

٥٣ ـ الأنوار ومحاسن الأشعار ص ٢٥

٥٤ ـ الاسلحة القديمة عند العرب ص ٤٤

٥٥ ـ صحيح البخاري ٥ / ١٠٠ وأنظر نهاية الأرب ٦ / ٣١٤

٥٦ ـ ديوان عنترة ص ١٥ ب ٥٤ ، ٥٥ ، ٧٤ ص ١٣٠ ، ١٣٨ ويمكن توثيق الابيات بثبت القوافي

٥٧ ـ ملامح من صور البناء الفني لقصيدة الحرب ص ١١٤

٥٨ ـ عيون الاخبار (كتاب الحرب) ٢ / ١١٣ + الأنوار ومحاسن الاشعار ص ٢٩ + العمدة ٢ / ٢٣٣

٥٩ ـ شرح ديوان الحماسة ٢ / ٧٤٨ + نقد الشعر ٩٩ + الصورة الفنية في شعر الاعشى الكبير ص ٧٥

٦٠ ـ السلاح في العربية ص ٦٥ وانظر اللسان (درع) ومستند الأجناد في آلات الجهاد ص ٦١ الهامش

٦١ ـ وانظر الجميح الاسدي في المفضليات رقم ٧ ب ٩ ص ٤٢

مسترعا ربطة مضاعفة كالنهي وفى سراره الترهيم

ثم انظر اوس بن حجر (ديوانه ٣٥ ب ١٠ ص ٨٤)

واملس صوليا كنهي قرارة أحس بقاع نفح ريح فأجفـ

٦٢ ـ عيون الأخبار ٢ / ١٥٣ وانظر مستند الأجناد في آلات الجهاد ص

٦٣ ـ القرآن الكريم سورة الأنفال آية ٦١ وانظر : صحيح مـ ٣ / ١٤٩٢ باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة

٦٤ ـ الزمن عند الشعراء العرب قبل الاسلام ٢٢٨ وانظر : الصورة الفنية في شعر الأعشى الكبير ١٨٤

٦٥ ـ لسان العرب (فرس) وانظر : الفروسية في الشعر الجاهلي ١٤٠

٦٦ ـ عيون الأخبار (آداب الفروسية) ٢ / ١٣٢ وانظر : الفروسـ والمناصب الحربية ص ١١٥ وانظر ايضاً أنساب الخيل ص والعمدة (باب العتاق من الخيل) ٢ / ٢٣٤

٦٧ ـ انظر معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ص ٢٠٣

٦٨ ـ لاستاذنا الدكتور عناد غزوان اسماعيل توجيه آخر في المعا الموضوعي انظر بحثه : المعادل الموضوعي مصطلحاً نقدياً ص وبعدها

٦٩ ـ العقد الفريد ١ / ٣٧٩ وانظر لسان العرب (صمم)

٧٠ ـ الفتوة تطور ودلالة ١٧٥

مدخل جديد لدراسة نظام الفتوة العربية ١٦

٧١ ـ الزمن عند الشعراء العرب قبل الاسلام (الشباب) ١٨٨

٧٢ ـ هو البراض بن قيس الكناني ، الفاتك العربي المشهور ، وكان فتـ سبباً في قيام حروب الفجار بين قومه وقيس عيلان لانه قتل عر الرجال القيسي انظر : لسان العرب (برض)

• والأبيات في رثاء والدها الذي قتل يوم الشقيقة على يد عاصم بن خلـ الضبي . الاعلام ٢ / ٥١

سابعاً : ـ قائمة المصادر والمراجع :

ـ الأدب ومعارك العرب المصيرية . د . عادل البياتي مط الحرية بغداد ١٩٨١ (الموسوعة الصغيرة)

ـ الأسلحة القديمة عند العرب . جميل حسن الحرباوي . مجلة التراث الشعبي عدد ٨ سنة ١٠ (١٩٧٩)

ـ أعجب العجب في شرح لامية العرب . الزمخشري : ابو القاسم جارالله محمود بن عمر ت ٥٣٨ طب اولى ١٣٠٠ هـ مط الجوائب بالقسطنطينية

ـ الأغاني . الاصبهاني : ابو الفرج علي بن الحسين ت ٣٥٦ طب روائع التراث العربي بيروت ١٩٧٠ وهي مطابقة لطبعة بولاق

الأغاني (نسخة ثانية) طب ثالثة ١٩٧٨ دار الثقافة بيروت تح عبدالستار احمد فراج

ـ أنساب الخيل في الجاهلية والاسلام وأخبارها . ابن الكلبي ابو المنذر هشام بن محمد ت ٢٠٤ تح احمد زكي (نسـ مصورة عن طب دار الكتب بالقاهرة) ١٩٦٥

ـ أوليات شعر الحرب عند العرب . د . نوري حمود القيسي . جريدة الثورة عدد ٤٥١٩ في ١٥ / ١٠ / ١٩٨٢

ـ دالية عمرو بن معد يكرب . دراسة ياسين طه حافظ . كتا التراث (منشورات مجلة الطليعة الادبية ١٩٧٩ اعد الدكتور محمود الجادر والدكتور بهجت عبدالغفور .

ـ ديوان احيحة بن الجلاح . تح د . حسن محمد باجوده شركة مكة للطباعة والنشر بالطائف ١٩٧٩

ـ ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس تح د . محمد محمـ حسين مط دار النهضة بيروت ١٩٧٤

- ديوان امرىء القيس تح محمد ابو الفضل ابراهيم مط دار المعارف بمصر ١٩٦٩
- ديوان (أمية بن ابي الصلت ـ حياته وشعره) تح بهجت الحديثي ط العاني بغداد ١٩٧٥
- ديوان أوس بن حر تح د . محمد يوسف نجم مط دار صادر بيروت ١٩٦٠
- ديوان حاتم الطائي تح د . عادل سليمان مط المدني ـ القاهرة (د : ت)
- ديوان الحماسة لابي تمام شرح التبريزي مط دار القلم بيروت (د : ت)
- ديوان الخنساء تح كرم البستاني مط دار صادر ١٩٦٣
- ديوان (شرح ديوان زهير بن ابي سلمى) صنعة ثعلب ت ٢٩١ مط الدار القومية بالقاهرة ١٩٦٤
- ديوان سلامة بن جندل تح د . فخر الدين قباوة مط الأصيل حلب طب اولى ١٩٦٨
- ديوان طرفة بن العبد تح درية الخطيب ولطفي الصقال مط مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٥
- ديوان الطفيل الغنوي تح محمد عبدالقادر مط معتوق اخوان بيروت ١٩٦٨
- ديوان عامر بن الطفيل تح كرم البستاني مط دار صادر بيروت ١٩٦٣
- ديوان العباس بن مرداس السلمي تح د . يحيى الجبوري مط دار الجمهورية بغداد ١٩٦٨
- ديوان عبيد ابن الأبرص تح حسين نصار مط مصطفى البابي بمصر طب اولى ١٩٥٧
- ديوان عمرو بن معد يكرب تح هاشم الطعان طب بغداد ١٩٧٠
- ديوان عنترة تح محمد سعيد مولوي مط المكتب الاسلامي ١٩٧٠
- ديوان عنترة (نسخة اخرى) تح سيف الدين الكاتب واحمد عصام الكاتب مط دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٨١
- ديوان قيس بن الخطيم تح د . ناصرالدين الأسد مط دار صادر بيروت ١٩٦٧
- ديوان (شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري) تح د . احسان عباس مط حكومة الكويت ١٩٦٢
- ديوان (أخبار المراقة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الاسلام) حسن السندوبي مط الاستقامة قاهرة ١٩٥٩
- ديوان النابغة الذبياني تح محمد الطاهر بن عاشور مط مصنع الكتاب للشركة التونسية ١٩٧٦
- ديوان الهذليين (شرح اشعار الهذليين) صنعة السكري ت ٢٧٥ تح عبدالستار فراج مط المدني بالقاهرة ١٩٦٥
- ذيل الأمالي والنوادر . القالي ت ٣٥٦ مط الاميرية بمصر (د : ت)
- الزمن عند الشعراء العرب قبل الاسلام . عبدالاله الصائغ مط كويت تايمس بالكويت ١٩٨٢
- زهير بن ابي سلمى شاعر السلم في الجاهلية د . عبدالحميد سند الجندي مط الدار القومية بالقاهرة (د : ت)
- السلاح في العربية . د . ابراهيم السامرائي مجلة التراث الشعبي عدد ٣ سنة ٨ (١٩٧٧)
- السيف العربي بقلم ناقد . مجلة التراث الشعبي عدد ١٢ (١٩٧٣)
- شرح ديوان الحماسة (ابو تمام) للتبريزي طب عالم الكتب بيروت (د : ت)
- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ت ٤٢١ نشر احمد امين وعبدالسلام هارون مط لجنة التاليف بالقاهرة ١٩٦٧
- شرح القصائد التسع المشهورات صنعة النحاس ت ٣٣٨ تح احمد خطاب مط الحكومة بغداد ١٩٧٣
- شعر الافوه الأودي (الطرائف الادبية) تح عبدالعزيز الميمني طب دار الكتب العلمية بيروت (د : ت)
- شعر الحارث بن ظالم المري ـ الواقي الفاتك . عادل جاسم البياتي . مجلة كلية الآداب العدد ١٥ سنة ١٩٧٢
- شعر الحرب عند العرب د . نوري حمودي القيسي . مط دار الحرية بغداد ١٩٨٠ (الموسوعة الصغيرة)
- شعر الحرب عند العرب . طراد الكبيسي . مط دار الحرية بغداد ١٩٨٣ (الموسوعة الصغيرة)
- شعر قيس بن زهير . صنعه عادل جاسم البياتي مط الآداب في النجف ١٩٧٢

ـ صحيح البخاري . البخاري ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ت ٢٦١ تح محمد فؤاد عبدالباقي مط دار احياء التراث العربي بيروت

ـ صحيفة لقيط بن يعمر الأيادي . دراسة عبدالاله الصائغ . مجلة الطليعة العدد (٢) السنة الخامسة ١٩٧٩

ـ الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي د . جابر احمد عصفور مط دار الثقافة بالقاهرة ١٩٧٤

ـ الصورة الفنية في شعر الأعشى الكبير . رسالة دكتوراه . كلية الأداب جامعة بغداد ١٩٨٤ اعدها عبدالاله الصائغ

ـ الصورة الفنية في الشعر الجاهلي د . نصرت عبدالرحمن مط مكتبة الاقصى عمان ١٩٧٦

ـ الصورة الفنية في شعر الشريف الرضي د . عبدالاله الصائغ ضمن كتاب (الشريف الرضي دراسة في ذكراه) سلسلة كتب دار آفاق عربية للصحافة والنشر ١٩٨٥ بغداد

ـ الصورة الفنية في المثل القرآني د . محمد حسين علي الصغير ، شركة المطابع النموذجية منشورات دار الرشيد بغداد ١٩٨١

ـ الطرائف الأدبية (انظر : شعر الأفوه الأودي)

ـ العقد الفريد . ابن عبد ربه الاندلسي ت ٣٢٨ تح احمد أمين وآخرين مط لجنة التأليف قاهرة ١٩٦٥

ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده . ابن رشيق القيرواني ت ٤٥٦ تح محيي الدين عبدالحميد مط دار الجيل بيروت طبـ رابعة ١٩٧٢

ـ عيون الأخبار ابن قتيبة ابو محمد عبدالله بن مسلم منشورات المؤسسة العامة للتأليف والطباعة قاهرة ١٩٦٣

ـ الفتوة تطور ودلالة د . نوري القيسي . فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي ج ٣ مجلد ٣٤ تموز ١٩٨٣

ـ الفروسية في الشعر الجاهلي . نوري حمودي القيسي مط دار التضامن بغداد طبـ اولى ١٩٦٤

ـ فقه اللغة د . علي عبدالواحد وافي . طبـ دار نهضة مه بالقاهرة (د : ت)

ـ قصيدة الحرب المقدمة (التجربة والفن) طراد الكبيسي مج الأقلام آب ١٩٨٥

ـ قصيدة الحرب وآفاقها الانسانية والقومية في العصر الجاهلي د محمود الجادر ملحق القادسية ٢٧ / ١١ / ١٩٨٢

ـ الامية اوس بن حجر . دراسة د . محمود الجادر مجلة الطلي الادبية العدد ٥ سنة ٦ (١٩٨٠)

ـ مدخل جديد لدراسة نظام الفتوة العربية . اوهام محمد حنش مط دار الحرية بغداد ١٩٨٦ (الموسوعة الصغيرة)

ـ مدخل الى قصيدة الحرب د . محمود الجادر مجلة آفاق عرب بغداد نيسان ١٩٨٢

ـ مستند الأجناد في آلات الجهاد . ابن جماعة الحموي ت ٣٣ تح اسامة ناصر النقشبندي مط دار الحرية بغداد ١٩٨٣

ـ المعادل الموضوعي مصطلحا نقديا . د . عناد غزوان . مجا الاقلام العدد ٩ السنة ١٩ أيلول ١٩٨٤

ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام د . جواد علي طبـ د العلم للملايين الاولى بيروت ١٩٧١

ـ المفضليات . المفضل الضبي ت ١٧٨ تح محمد شاكـ وعبدالسلام هارون مط دار المعارف بمصر طبـ ٣ (١٩٦٤)

ـ مقدمة في شعر الحرب . طراد الكبيسي جريدة الثور ٩ / ٩ / ١٩٨٥

ـ ملامح من صور البناء الفني لقصيدة الحرب د . نوري القيسي مجلة دراسات الأجيال عدد ٣ سنة ١٩٨١

ـ نقد الشعر . قدامة بن جعفر ت ٣٢٧ تحـ د . محمد عبدالمنعم خفاجة طبـ دار الكتب العالمية (د : ت)

ـ نهاية الارب في فنون الأدب للنويري ت ٧٣٢ طبـ مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٣٣

* * *

دواوين الشعر العباسي في أصولها الأولى

د . احمد جاسم النجدي

كلية الآداب / جامعة البصـ

المقدمة

سبق لاستاذنا الدكتور علي الزبيدي أن تعرض لموضوع دواوين الشعر العباسي ، وكان جل اهتمامه في تناول موضوع الدواوين منصباً على مسألة لها علاقة بما بدأه في بحوث سابقة له عن العبث والانتحال في الشعر العباسي ، ؛ فبعد أن ذكر كثرة ماوضع من دواوين عباسية استناداً الى أخبارها الكثيرة المبثوثة في كتب التراث ، تعرض لمسألة ضياع معظم هذه الدواوين محاولاً تشخيص اسباب هذا الضياع ، إضافة الى عنايته بدواوين بعض الشعراء العباسيين المشهورين وخصوصاً ديوان أبي تمام في بحوث قيمة نفيسة نشر معظمها في مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد .

ورأيت وأنا اتابع بحوث استاذنا الزبيدي ومحاضراته أن اتعرض لموضوع الدواوين من الجانب الذي كثر اهتمامي به منذ اعداد رسالتي للدكتوراه ، وهو جانب التأليف والبحث . ومن هنا فكرت في دراسة مالم يدرسه استاذنا الزبيدي في هذا الموضوع وهو عملية جمع الدواوين وتنظيمها وماهية الأسس التي اتبعها القدامى في مثل هذه العملية المتميزة في تاريخ الأدب العباسي .

ورأيت ان دراسة مثل هذا الموضوع بما يختص بالشعر العباسي عموماً أمر يمكن ان يجزأ الى مرحلتين اثنتين متميزتين ؛ الأولى منها مرحلة البداية والنشأة التي ترصد بداية تدوين الشعر العباسي وتكوين مجموعاته الاولى وصنع دواوينه الشعرية بما يمهد للمرحلة الثانية التي أوجدت تلك الدواوين العباسية المتطورة من حيث الجمع والتنظيم - ومن هنا سميت المرحلة الاولى بالاصـ الاولى لدواوين الشعر العباسي في حين سميت المرحلة الثا بدواوين الشعر العباسي في مرحلة النضج والاكتمال .

والمرحلة الاولى في رأيي وكما هو معروف لكل من يدر تاريخ الادب العباسي تشمل بداية الاهتمام بالشعر العبا وتكوين مجاميعه الاولى ؛ فهي تبدأ لهذا منذ بداية تدوين شـ المحدثين - كما سماه القدامى - وتنتهي بنهاية القرن الثا الهجري اذ تبدأ بعدها المرحلة الثانية المتطورة على يد أبي بـ الصولي وأضرابه منذ بداية القرن الرابع الهجري ، ولهـ خصصت بحثي هذا للدراسة المرحلة الاولى وسميتها « بدوا الشعر العباسي في أصولها الاولى » في حين أرجأت دراسة المر الثانية الى بحث لاحق .

ومن خلال معايشتي الطويلة لهذا الموضوع رأيت الأصول الاولى لدواوين الشعر العباسي تتمثل في ثلاثة مظاهـ الأول منها هو المدونات الاولى للشعر العباسي والثاني منها المجاميع الشعرية الاولى ، أما ثالثها فهو الدواوين الشعرية القرن الثالث الهجري ، وقد درست في هذا القسم عملية الدواوين وتنظيمها وماهية الأسس التي سار عليها القدامى هذا الجمع والتنظيم .

ارجو أخيراً أن اكون قد قدمت في هذا البحث ما وما يضيف جديداً الى مكتبتنا الأدبية ، وحسبي أنني حاولت قدر المستطاع .

(١)

المدوّنات الأولى للشعر العباسي

كانت للنقلة الحضارية التي شهدها العرب أواخر العصر وي وبداية العصر العباسي مظاهر متعددة في جميع لات ، وكان لكل مظهر من هذه المظاهر ميزة تميزه عما كان أ به فيما سبق من عصور ، ومن هذه المظاهر الحضارية التي ت نمواً وتكاملاً واتسع نطاقها خلال العصر العباسي مظهر ابة والتدوين .

ويستطيع المتتبع لما هو مبثوث في كتب التراث أن يتلمس من الشواهد الدالة على اتساع ظاهرة التدوين هذه في جميع لات وخصوصاً في المجال العلمي ؛ إذ أصبح تدوين العلوم دها وأشكالها المختلفة عادة وتقليداً متبعين لدى العلماء اركين في الحياة الثقافية والأدبية في ذلك العصر .

ومن الجدير بالذكر هنا ان حركة الرواية التي عرفها العرب عصر ما قبل الاسلام كان التدوين جانباً أساسياً فيها في ت العلمية ، ولم تكن - كما يتوهم البعض - تعتمد النقل هي فقط ، إذ كان المروي يُدون فيما يتهيأ للعالم والرواية نه فيه من مواد الكتابة ، وكان العالم او الشيخ حينما يجلس لاء أو التدريس يروي عن هذا المدوّن لديه الذي سمّوه تاب تارة وبالأصل تارة أخرى ، ومن ثم طعنوا على العلماء ن يتجاوزون هذه القاعدة فيحدّثون بما ليس في كتبهم أو لهم ، إذ ينقل الخطيب البغدادي مانصه : « سأل أبو سعيد ماعيلي أبا الحسن الدارقطني عن أبي بكر أحمد بن كامل بن ـ القاضي فقال : كان متساهلاً ، وربما حدث من حفظه بما عنده في كتابه »[١] . ومن هنا كان علماء هذا العصر وأدباؤه ون كل شيء ولا يعتمدون على الذاكرة والحفظ فيما يتهيأ لهم علومات وينقل عن الخليل بن أحمد قوله : « ما سمعت شيئاً كتبته ، وما حفظته إلا نفعني . . »[٢] ، ويذكر أن الشاعر مي محمد بن يسير عوتب على حضور المجالس « بغير ورق محبرة ، وأنه لايكتب مايسمعه »[٣] .

وقد اتجه الشعراء العباسيون الاتجاه نفسه ، ونستطيع ل مطمئنين أن جميع نصوص الشعر العباسي كانت تدون نظمها ، وهناك كثير من النصوص الدالة على هذا نكتفي بما ذكره المرزباني في الموشح إذ قال : « قال منصور النمري العتاهية : في كم تقول القصيدة وتحكمها ؟ وقال : ماهو إلا ضع قنينتي بين يدي حتى أقول ماشئت »[٤] .

ومثل هذا التدوين للشعر العباسي كان عادة متبعة في جميع الظروف التي يمر بها الشاعر العباسي ، فأبو نواس حينما طال حبه كتب إلى الأمين ابياتاً واجتهد حتى وصلت اليه »[٥] ، ومن طريف مايذكر عن أبي العتاهية حينما كان جراراً أنه كان « يأتيه الأحداث والمتأدبون فينشدهم اشعاره فيأخذون ماتكسر من الخزف فيكتبونها فيها . . »[٦] .

ولتقديم صورة واضحة عما تركته حركة التدوين هذه من مدوّنات ، آثرنا الحديث عنها في مظهريها الرئيسيين اللذين نستطيع أن نتبينها في كثير مما تناثر من أخبار الشعراء والعلماء ، وهما : التدوين المباشر والتدوين غير المباشر .

التدوين المباشر :

ونعني بهذا النوع قيام الشاعر العباسي بتدوين شعره بنفسه ، وتدل الأخبار المبثوثة في كتب التراث على أن الشعر العباسي دوّنه الشعراء بأشكاله كافة وبكل ماتهيأ لهم من مواد كتابة وتدوين ، ونستطيع القول بأن هناك نمطين من هذا التدوين المباشر للشعر العباسي .

أما أولهما فهو مايختص بمقطعات الشعر العباسي مما لم يبلغ مبلغ القصيدة الكاملة ، تلك المقطعات التي كانت تمليها على الشاعر ظروف مختلفة ، وكان الشاعر العباسي يدون مقطعاته هذه في أوراق صغيرة عرفت عند القدامى وتكرر ذكرها كثيراً وهي الرقاع .

وغير خفي أن هذه الرقاع كانت لاتستوعب إلا هذا القدر من الشعر العباسي الذي لايصل إلى مقدار القصيدة الطويلة ، وكان الشاعر العباسي في جميع مناسباته وظروفه يعمد الى تدوين شعره في مثل هذه الرقاع ويبعث بها إلى من يعنيه الأمر مادحاً ومستعطفاً حيناً ، معتذراً ومهنئاً حيناً آخر ومخبراً عن حادثة معينة في بعض الأحايين ، مترجماً عواطفه ازاء من يحب أو ازاء صديق له حيناً آخر ؛ الى غير هذا من المناسبات العديدة الكثيرة التي كانت تستدعي نظم الشعر وتستدعي تسجيله في مثل هذه القراطيس الصغيرة أو الرقاع .

وواضح ان الشعر الذي حملته مثل هذه القراطيس الصغيرة هو ذلك النمط الذي كان ينظمه الشاعر العباسي آنياً ويدونه في حينه ، والأخبار الكثيرة المبثوثة في كتب التراث تؤيد هذا الذي نقوله وحسبنا هنا الاشارة الى قليل منها فيه غنى عن الكثير .

وذكروا عن محمد بن أبي أمية أنه لما اغضبه احد أولاد

الكتاب طلب من غلامه دواة وكتب من وقته بعض الابيات في رقعة رفعها الى من اغضبه فاعتذر إليه[٧]، وفي هذا إشارة صريحة الى الصفة الآنية في النظم والتدوين في مثل هذا النوع من مواد الكتابة، كما ذكروا أن أبا نواس حينما حبسه الأمين بعث اليه بعض الأبيات يستعطفه فيها حتى أمر الأمين باطلاق سراحه[٨] كما ذكروا أن ابا العتاهية حينما مرض الرشيد يوماً نظم بعض الابيات وكتبها في رقعة أرسلها الى الفضل بن الربيع فقرأها الفضل على الرشيد[٩]، هذا إلى كثير جداً من الأخبار التي تشير صراحة الى مثل هذا النظم القصير المدون في الرقاع مما حفلت به كتب التراث.[١٠].

والذي يظهر في تتبع هذه الأخبار الكثيرة التي تدل على مثل هذا النوع من التدوين أن تلك الرقاع والقراطيس الصغيرة التي دون الشعراء العباسيون مقطعاتهم فيها لم يكن استعمالها مقصوراً على الشاعر العباسي وحده، بحيث تصير اهميتها محدودة الأثر ضئيلة القيمة بالنسبة الى المؤلفين وجامعي الشعر العباسي، اذ كان تداول هذه الرقاع بين العلماء والرواة وغيرهم من الأدباء أمراً معروفاً شائعاً، فقد ذكر المرزباني نقلاً عن أحد الأدباء قوله. «... صرت بعد أيام إلى الفضل بن الربيع فأخرج إليّ رقعة فقال: اقرأ مرثية أبي العتاهيه لسعيد بن وهب..»[١١] كما ذكر التوحيدي بضعة أبيات لابن المعتز وقال بعدها: «نقلت هذا من خط ابن المعتز»[١٢] وذكروا أن الشاعر العباسي علي بن الجهم وجدت معه رقعة حين نزعت ثيابه بعد موته فيها بعض الابيات يرثي بها نفسه»[١٣]، وتكثر الاشارات في كتب الأدب والتراجم التي عنيت بالشعراء العباسيين الذين وجدوا منذ القرن الرابع وما بعده الى مثل هذا النوع من الرقاع الذي كان مصدراً مهماً من مصادر اولئك المؤلفين.[١٤]

ومثل هذا التداول لتلك الرقاع والبطاقات التي دون فيها الشعراء العباسيون مقطعاتهم يحمل على الظن أن مثل هذه الرقاع التي كانت متداولة بين الأدباء والعلماء كانت معروفة الاستعمال بتداولها بين هؤلاء العلماء، ومن ثم كانت - فيما نرى - أصلاً أول من الأصول التي استمدّ منها جامعو الدواوين العباسية مادتهم، ومثل هذا الأصل لايمكن بطبيعة الحال أن يرقى إلى اصناف الأصول الأخرى للدواوين - مما سنعرض له في ثنايا هذا البحث - إلا أنه يبقى ضمن نطاق هذه الأصول التي صدرت عنها الدواوين العباسية.

والنمط الثاني من أنماط التدوين المباشر للشعر العباسي هو تدوين القصائد الطوال مما يتجاوز حد المقطوعات التي رأينا فيما سبق أنها دونت في الرقاع والقراطيس الصغيرة.

ومن الواضح أن هذا النوع من التدوين لايختلف عن سابقه من حيث الكم فقط وانما يختلف عنه في الناحية الأخرى التي لاحظناها على سابقه، وهي الآنية والتدوين المباشر السريع مما لوحظ على تدوين المقطعات، إذ كان مثل هذا النمط من التدوين يتطلب وقتاً وجهداً ومراجعة كما لايخفى.

والاشارات الى هذا التأني في نظم القصائد الطويلة وتدوينها اكثر من أن تحصى وحسبنا هنا الاشارة الى قليل منها.

ذكر صاحب الورقة عن احد الرواة قوله: «قلت لعلي بن جبلة: عارضت أبا نواس في قصيدته:

أيها المنتاب من عفره

فقال: «من أبو نواس؟ إنما عارضت امرأ القيس في قوله:

رب رام من بني ثعل ....»[١٥]

والذي يعنينا من هذا ان معارضة الأصل القديم في الشعر إنما يتطلب هذا الذي ذكرناه قبل قليل من تدوين ومراجعة وتأن مما يجعله مختلفاً كل الاختلاف عن النمط السابق له من التدوين.

وذكر عن حمدان اللاحقي أنه حينما شرع بترجمة كتاب كليلة ودمنة كان يضع لوحاً بين يديه وهو يصلي «فاذا صلىّ أخذ اللوح فملأه من الشعر الذي صنعه»[١٦].

ونستطيع أن نتبين مظاهر هذا التأني والتريث في مثل هذا النوع من التدوين في كثير من الاشارات التي تدل على عناية الشعراء العباسيين بما يكتبونه من هذه القصائد المطولة ومراجعتها مراراً وتكراراً، فقد ذكروا أن منصوراً النمري قال لأبي العتاهية: «في كم تقول القصيدة وتحكمها؟ قال: ماهو إلا أن أضع قنينتي بين يدي حتى أقول ماشئت. قال: أما على قولك:

ألا ياعتبة الساعة ...

فأنت تقول ماشئت، ولكني ماأخرج القصيدة إلا بعد شهر حتى أمحو بيتاً وأجدد بيتاً ثم أخرجها»[١٧] ومن هنا عرف عندهم كتابة مثل هذه القصائد مراراً بأن تراجع مسوّدة القصيدة مرات ويغير فيها مايغير، حتى صار مثل هذا الأمر عندهم شبه تقليد، واستغربوا من الشاعر الذي يخرج عن نطاقه كشاعر مثل

ابن الرومي عرف بسرعة نظمه للشعر . وإذا كان في النص السابق إشارة الى هذا فان في هذا النص الذي نورده كفاية للتدليل على مانقول ، فقد ذكر الحصيري عن الناجم الشاعر قوله متحدثاً عن ابن الرومي : « فوجدت بين يديه قصيدة طويلة جداً أولها .... فعجبت من سرعة عمله وقلت : أعزك الله متى عملتها ؟ قال : الساعة . قلت : واين مسودتها ؟ قال : هي هذه . قلت : وما فيها حرف مصلح ؟ قال : قد استوت بديهتي وفكرتي ، فما أعمل شيئاً فأكاد أصلحه .. »[18] واستغراب الناجم الشاعر من مسودة ابن الرومي كقصيدته هذه دليل على أن عادة الشعراء جرت في أن تراجع المسوّدة مرات ويجري عليها مايجري من تصحيحات كما ذكرنا قبل قليل .

وغير خفي أن النمط المناسب لهذا النوع من التدوين الخاص بالقصائد الطوال هو ذلك النمط من الشعر الرسمي الذي كان يتوجه به الشاعر الى المتنفذين وأصحاب السلطان ، وكان مثل هذا الشعر يعد ابتداء ويدون ويراجع في مثل هذه القراطيس الكبار التي تستوعبه كما هو واضح ، وهناك نص طريف ذكروه عن سلم الخاسر مروي عن أحد الأدباء وهو قوله :

« دخلت يوماً على سلم الخاسر واذا بين يديه قراطيس فيها أشعار يرثي ببعضها أم جعفر وبعضها جاريه وغير مسماة وببعضها اقواماً لم يموتوا وام جعفر يومئذ باقية ، فقلت له : ويحك ماهذا ؟ قال : تحدث الحوادث فيطالبوننا بأن نقول فيها ويستعجلوننا ولا يجمل بنا أن نقول غير الجيد فتعد لهم هذا قبل كونه فمتى حدث حادث آخر أظهرنا ماقلناه فيه قديماً .. »[19]

ويحتل شعر المديح مكانة متميزة في مثل هذا النوع من التدوين ، والسبب في هذا واضح فيما نحسب ، إذ كان الشاعر العباسي يدون مدحته ويعدها ثم يتوجه بها الى ممدوحه منتظراً الاذن له بالقائها ، فقد ذكر الشريف المرتضى انه « لما قعد الرشيد للمظالم بالرقة حضر شيخ حسن الهيئة .. معه قصيدة فأشار بها ، فأمر الرشيد بأخذها منه ، فقال : يا أمير المؤمنين أنا أحسن قراءة لها من غيري فأذن لي في قراءتها »[20] ، ومن ثم عرف وشاع بينهم عرض مثل هذه القصائد وتداولها بين أصحاب السلطان بسبب من اعدادها السابق والتوجه بها الى أصحاب السلطان أو المقربين اليهم من مثل مايذكر عن أبي الخطاب البهدلي من أنه لما قال رائيته سأل احدهم إيصالها الى المهدي فاوصلها إليه وقرئت عليه فأعجب بها .»[21] .

ولم يتوقف الأمر على هذا النوع الشعر الرسمي في تدو القصائد الطوال واعدادها بل شمل جميع اتجاهات الشـ العباسي مما كان يتجاوز حدود المقطوعة إلى القصيدة المطولة .

وتدل الأخبار أيضاً على ان الشعراء العباسيين كانـ يحتفظون بنسخ هذه القصائد الطوال التي يكتبونها . فقد ذكر عن مروان بن أبي حفصة أنه سمع رجلاً من باهلة ينشد قو قصيدة له في مدح مروان بن محمد ، وقد قتل مروان قبل أ يلقاه ، فأعجبته القصيدة « فأمهل الباهلي حتى قام من مجلسه ـ أتاه في منزله فقال له : أني سمعت قصيدتك وأعجبتني .. أتبيعني القصيدة حتى انتحلها ؟ قال : قد ابتعتها ، فأعط الدراهم ... وانصرف بها الى منزله فغير منها أبياتاً وزاد فيـ وجعلها في معن .. »[22] ، كما ذكروا عن ابراهيم بن العبا الصولي انه كان صديقاً لاسحاق بن ابراهيم فانسخه شعره ـ علي بن موسى الرضا .. ودفع إليه شيئاً بخطه منه»[23] .

ولا شك في أن مثل هذه العناية التي كانت تصاحب تدو القصائد الطويلة هذه تجعلها أصلاً مهماً من الأصول الـ إعتمدها جامعو الدواوين العباسية ، ذلك أن مثل هذه القصا الطوال كانت تحفظ عند الشعراء وعند غيرهم من الأدباء ، وهـ إضافة الى هذا كانت تحفظ لدى اصحاب السلطان ـ قصورهم ، وخصوصاً ماكان منها في المديح والشعر الرسمي فقد ذكر ابن المعتز في ترجمة ربيعة الرقي أنه أنشد الرشيد قصيد في مديح العباس بن محمد وقال : ياأمير المؤمنين كيف تراها قال : مامدح الخلفاء بمثلها حسناً فقال : ياأمير المؤمنين اـ وصلني عنها بدينارين ... فلما سمع الرشيد ذلك خجل وأطر وأحب أن يتأمل القصيدة فقال : ائتني بها ، فاستحـ العباس ... فقال له الرشيد بمسألتك بحقي إلا جئتني بها فأ غلامه بحملها إليه فتأملها وأعجب بها .. »[24] .

ولم يتوقف مثل هذا التقليد في حفظ القصائد لـد اصحاب السلطان على جمع قصائد المديح وحفظها في دورهم بل تعداه الى تدوين القصائد التي تعجبهم وحفظها في منازلـ حتى وإن لم تكن في المديح ، فقد ذكر ابن المعتز عن الأصمع قوله في مجلس الفضل بن يحيى : « قاتل الله أبا نواس حيـ يقول :

إذا ما أتت دون اللهاة من الفتى ... دعا همّه من صدره برحيـ

فقال الفضل : هذا البيت له ؟ قلت نعم . . . قال : وليس الا هذا البيت الواحد ؟ قلت : أعز الله الوزير هي ابيات . قال : هاتها ؛ فأنشدته :

وخيمة ناطور . . . . . .

قال : قاتله الله ماأشعره . ياغلام : أثبتها »[٢٦] .

وفيما تقدم كفاية ـ فيما نحسب ـ للدلالة على أن هذا النمط الثاني من التدوين المباشر كان أصلاً مهماً من أصول الدواوين العباسية يفوق النمط الأول في مدى اعتماد جامعي الشعر العباسي إياه .

التدوين غير المباشر

وهو ماكان يقوم به العلماء من تدوين للشعر العباسي عن الشاعر نفسه او عن رواته . ومن الواضح ان بين هذا النوع من التدوين والنوع السابق له فروقاً واضحة في النتيجة التي يمكن أن تستخلص من النوعين وهي كونهما مصدراً أو أصلاً أول من أصول الدواوين العباسية ، فاذا كنا لاحظنا في التدوين السابق أنه ترك أصولاً أولى للدواوين متمثلة في تلك الرقاع والقراطيس الكبار التي كان الشعراء العباسيون يدونون فيها أشعارهم وكانت تحفظ ويتناقلها العلماء والادباء فيما بينهم ، فان في هذا الصنف الثاني من التدوين دلالة اكبر على هذا الأمر .

والسبب الواضح في هذا أن هذه المدونات بأشكالها كافة كان القائمون بها من المعنيين بالشعر العباسي والمهتمين به رواية وتدويناً . ومن ثم نتوقع أن مسألة التداول والحفظ وتكوين المجاميع الأولى للاشعار العباسية كان لها نصيب أوفر في هذا النوع من التدوين .

ويبدو أن العادة جرت لدى اولئك المعنيين بالشعر العباسي على تدوين مايسمعونه من الشعراء والاحتفاظ به ، ولهذا كانوا مستعدين لهذه العملية مهيئين للوازمها وما تستوجبه من أدوات كتابية وغيرها .

ذكر التنوخي أن المفجع البصري عمل بيتين في أبي خليفة الجمحي « فكتبهما عنه بعض أهل الأدب في رقعة لطيفة وجعلها في مقلمته »[٢٧] وذكر السراج الوراق عن أحد الأدباء قوله « كنت لا أمر في طريقي ولا في حاجة الا ومعي ألواح ، فحججت فرأيت أعرابي تقدم حتى قام حذاء الكعبة .. ثم رفع صوته فقال . . . فرآني وأنا اكتب ماينشده »[٢٨]

وكان شأن الحكام واصحاب السلطان شأن الأدباء والعلماء في تدوين الشعر والأحتفاظ به ، فقد كانوا يأمرون بتدوين مايستحسنونه من الشعر ، وقد يأمر بعضهم بكتابته في صدر مجلسه كما ذكر صاحب الاغاني[٢٩] وكذلك كان الشأن في مجالس العلماء والشعراء ، فقد كان الحاضرون في هذه المجالس يدونون مايسمعونه فيها[٣٠] ، مما يدل دلالة اكيدة على أن الشعر العباسي دُوّن عن شعرائه في جميع المجالات والمناسبات المتاحة لأنشاده وروايته .

وصور هذا التدوين غير المباشر للشعر العباسي شبيهة بالصورتين اللتين لاحظناهما في التدوين المباشر ، إذ تشير الأخبار الكثيرة الى ان هناك نمطين من هذا التدوين :

النمط الأول هو تدوين المقطعات والابيات القليلة التي تلقى في مناسبات خاصة أو تستحسن لأسباب خاصة ، والشكل المناسب لهذا التدوين هو التدوين في الرقاع والقراطيس الصغار كما لاحظنا في التدوين المباشر .

والشعر المدوّن في مثل هذه المواد هو شعر المقطعات والأبيات القليلة كما سبق القول ، إذ يذكر الصولي عن المبرد أنه أنشد ابياتاً لأشجع السلمي كتبها عنه بعض جلسائه[٣١] كما يذكر القالي أن السكري أملى أبياتاً لأبي العتاهية في بعض اخوانه[٣٢] ، ويذكر الخطيب البغدادي عن أحد الأدباء مجلساً أدبياً كانت تنشد فيه اشعار عبدالصمد بن المعذل قام بعض الحضور بتدوين بيتين أنشدهما خالد الكاتب لنفسه في ذلك المجلس[٣٣] .

واذا كان في مثل هذه الأخبار التي تكثر في كتب التراث إشارات غير صريحة إلى هذا النوع من التدوين فان في كثير غيرها إشارات صريحة جداً الى تدوين مثل هذه المقطعات في الرقاع والقراطيس الصغار ، كذلك الخبر الذي يذكره التنوخي من نظم المفجع البصري بيتين من الشعر « كتبها عنه بعض أهل الأدب في رقعة لطيفة »[٣٤] .

والذي يلاحظ بوضوح من خلال النصوص السابقة وكثير غيرها ان هذا التدوين في الرقاع لم يكن محدود الأثر آنياً يقوم به بعض العلماء والأدباء في مجالسهم ثم ينتهي أثره بعد هذا ، بل يلاحظ كما لوحظ في النوع المشابه له في التدوين المباشر ـ أن مثل هذه القراطيس الصغار كانت تحفظ ويتداولها العلماء والأدباء فيما بينهم بحيث يمكن اعتبارها أصلاً أو مادة أساسية من مواد تكاليف

كتب الأدب القديمة ، فقد ذكر ابن رشيق ان جماعة من الكتاب وردوا على العتابي الشاعر فوجدوه يتأمل رقعة فيها أبيات لأبي نواس[٣٥] ، مما يشير اشارة صريحة الى تداول هذه الرقاع والقراطيس الصغار بين الادباء والعلماء ، واذا كان في هذا مايدل صراحة على اعتماد هذه القراطيس الصغار مواد لجمع المعلومات بالنسبة الى المؤلفين والعلماء ، فان فيه مايشير ايضاً الى أن هذه القراطيس الصغار شكلت كسابقتها أصلاً أول من أصول الدواوين العباسية ، إذ لا يخفى ان اعتماد المؤلفين والعلماء اياها يدل على اعتمادها في جميع المجالات ومنها جمع الدواوين وتنظيمها ، ومع هذا يبقى لهذا النوع من التدوين دور في التأليف اكبر منه بالنسبة الى صنع الدواوين وتنظيمها .

والنمط الثاني من التدوين غير المباشر هو تدوين القصائد الطوال في القراطيس الكبار وما شابهها من دروج وغيرها كانت تستعمل لنقل النصوص المطولة . وقد جرت عادة الادباء والعلماء على تدوين الشعر العباسي في نصوصه المطولة هذه عن الشعراء مباشرة أو عن غيرهم من الرواة والعلماء ، والاحتفاظ بما يدونونه وتداوله بينهم .

والنصوص الدالة على هذا كثيرة جداً في كتب التراث ، فقد ذكر صاحب الأغاني عن الأصمعي قوله : « كنت أشهد خلف بن ابي عمرو بن العلاء وخلفاً الأحمر يأتيان بشاراً ويسلمان عليه .. ثم يقولان : ياأبا معاذ ما أحدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما ويسألانه ويكتبان عنه متواضعين له .. » [٣٦] ، وفي هذا إشارة صريحة الى تدوين هذين العالمين عن الشاعر مباشرة مواكبين لما ينظمه من قصائد باستمرار ، وشبيه به ماينقل عن أبي نواس من أنه لما احتضر سأل بعض عواده أن يكتبوا مايقول من أبيات نظمها في الزهد[٣٧] ، وفي بعض النصوص الأخرى إشارات إلى أن مثل هذا التدوين غير المباشر كان يتم عن طريق التدوين عن أشعار نظمها الشاعر في أوقات مختلفة فينقلها العلماء عما دُوِّنت فيه كما يبدو ، وهذا مايفهم مما ذكره ابن المعتز عن أحد قدماء الكتاب من قوله : « كنت آتي أبا العتاهية فأنسخ أشعاره في الزهد وغيره[٣٨] .

ولعل في هذا مايشير الى أن هذا الكاتب كان يعمد الى أشعار مدونة لدى أبي العتاهية وينسخها لنفسه ، مما يدل على أن هذا النوع من التدوين كان مرحلة ثانية ـ إن صح التعبير ـ تأتي بعد التدوين المباشر الذي كان يقوم به الشاعر نفسه ، وشبيه به ماينقل عن أبي العباس المبرد من قوله : « قدم عمارة بن عقيل بغداد ، فاجتمع الناس إليه وكتبوا شعره وسمعوا منه »[٣٩]

وإذا كان في النصوص السابقة مايفهم منه هذا الذي استنتجناه من تدوين غير مباشر يأتي مرحلة ثانية بعد التدوين المباشر ويعتمد النقل عن نصوص مدونة لدى الشعراء ، فان في بعض النصوص الأخرى الكثيرة إشارات صريحة إلى مثل هذا الاستنتاج من مثل ماينقله صاحب الأغاني عن أحد الرواة من قوله : « جاءنا عبدالصمد بن المعذل إلى منزل محمد بن عمر الجرجرائي فأنشدنا قصيدة له في صفة الحمىٰ ، فقال لي محمد بن عمر : إمض الى منزل محمد بن عمر حتى تكتبها ، فمضيت إليه حتى كتبتها » [٤٠] ، ومن الواضح أن توجه هذا الأديب الى منزل الشاعر لكتابة قصيدته هناك معناه أنه نقلها عن نسخة مدونة عند هذا الشاعر ، ومثل هذا الأمر كان ظاهرة عامة بين الأدباء والعلماء فيما يبدو ، ومن ثم كانوا يحتفظون بما ينقلونه من نصوص عباسية مطولة عن الشعراء ويتداولونه بينهم ويفيد بعضهم بعضاً بما لديه من هذه النصوص في التأليف ، إذ يبعث بما لديه من هذه النصوص الى مؤلف آخر ليستفيد منها في تأليف كتاب له ، ونجد النص على مثل هذا الصنيع صريحاً في قول صاحب الورقة : « وكتب اليّ الكراني : أنشدني ابن أخي الأصمعي لعمه ارجوزة طريفة أولها ... وهي نيف وخمسون بيتاً »[٤١] ، ومن الواضح أن صاحب الورقة استفاد مما كتبه إليه أحد الأدباء في تدوين قصيدة طويلة للأصمعي ، وشبيه به مايذكره الصولي في قوله : « ولأبي القاسم يوسف بن القاسم أشعار ومكاتبات وأخبار أنا استقصيها بعون الله .. فمن شعره ما وجدته بخط اليوسفي محمد بن عبدالله .. »[٤٢] .

ولما كانت مثل هذه القصائد الطوال محفوظة منقولة بهذا الشكل ، وكانت متداولة معروفة بين العلماء والمؤلفين ، فمن الواضح أن اعتماد جامعي الدواوين العباسية اياها لايقل درجة عن اعتماد المؤلفين إياها ، ومن هنا كنا نرى أن هذا الصنف من التدوين بنوعيه المباشر وغير المباشر كان من الأصول المهمة للدواوين العباسية ، وهو ـ كما سبق القول ـ اكثر أهمية في تكوين الأصول الأولى للدواوين العباسية من الصنف الأول وهو تدوين المقطعات في الرقاع والقراطيس الصغار ، وهو زيادة على هذا يعد الأصل لما عرف في العصر العباسي من مجاميع شعرية أولى كانت الشكل الأول من أشكال الدواوين العباسية مما سنعرض له في القسم الآتي من البحث .

(٢)

المجاميع الشعرية الأولى

لاحظنا فيما سبق أن تدوين القصائد العباسية كان على نطاق واسع ومعروف بين العلماء والأدباء . وقد لاحظنا أيضاً أن مثل هذه المدونات كانت تتداول بين المعنيين بالشعر العباسي ، وقد عرف عند كثير منهم إضافة الى هذا عنايتهم بقصائد خاصة كانت تكتسب ميزة معينة بسبب موضوعها أو قيمتها العلمية والفنية كما يبدو ، وكانت مثل هذه القصائد تنقل عن طريق العلماء والرواة بشكل ملفت للنظر ، إذ تكثر الاشارات في كتب التراث إلى رواية هذه القصائد الخاصة ، ومن ضمن مايذكر منها قصيدة دعبل التائية التي رواها أحمد بن القاسم[٣] ، وقصيدة دعبل التائية التي يفخر فيها باليمن والتي بلغت حوالي ستمائة بيت ، ورواها اكثر من عالم وكان لميزتها العصبية أن عمد بعض العلماء الى حفظها كما يذكر صاحب تاريخ بغداد[٤] ، وكذلك الحال بالنسبة الى قصيدة مروان بن أبي حفصة في رثاء معن بن زائدة التي يذكر ابن الأنباري أن أباه أنشده إياها عن غير واحد من شيوخه .[٥] وقصيدة صالح بن عبد القدوس القافية التي رويت عن طريق اكثر من عالم كما يفهم هذا مما أورده الخطيب البغدادي في ترجمته[٦] وقصيدة طويلة في الرثاء لأبي الفضة البصري ذكر ابن المعتز أنها قصيدة مشهورة موجودة في أيدي الناس »[٧]

والى جانب هذه القصائد ذات الموضوعات الخاصة كانت هناك قصائد طوال اخرى رويت ودونت بالشكل نفسه ، وهي ذات طابع تعليمي على العموم منها مايذكره ابن النديم من قصائد قيلت في الغريب كقصيدة الشاعر العباسي ابن هرمة[٨] وقصيدة ابن دريد المقصورة التي عني بها كثير من العلماء ذكر ابن خير الاشبيلي بعضاً منهم[٩] ، كما ذكر قصيدة اخرى لابن دريد رويت عن طريق عدد من العلماء[١٠] وقصيدة في الدلالة يذكرها ابن النديم لشاعر اسمه محمد بن سامي الشعباني[١١] ، وقصيدة في السنة لابي بكر بن أبي داود يذكرها الخطيب البغدادي[١٢] .

والذي يلاحظ في هذا المجال أن عناية هؤلاء العلماء والرواة بمثل هذه القصائد الطوال دفعت بهم الى تدوينها وضمها الى بعضها مما كوّن المجاميع الشعرية الأولى فيما نحسب ، فقد ذكر الخطيب البغدادي عن التنوخي الأديب أن أباه التنوخي الكبير كان ينشد قصيدة دعبل التي يفخر فيها باليمن وكانت هذه القصيدة التي بلغت حوالي ستمائة بيت مدونة في كتاب يحتفظ به التنوخي ويعنى به ،[١٣] وذكر ابن خير جملة من القصائد الخا هذه منها ماهو في موضوعات خاصة ومنها ماهو ذو طا تعليمي ،[١٤] مما يشير الى أن هذه القصائد كانت مجموعة في كتا يشبه المجموع الشعري . على أننا نواجه بنص صريح الدلا على قيام العلماء والادباء بصنع مثل هذه المجاميع الشعرية ، ذكر ابن المعتز في ترجمة الشاعر أبي الفضة البصري مانصه « ولأبي الفضة مرثية في جارية له جيدة ، قد أدخلوها في المرا الطوال التي جمعوها »[١٥] .

وواضح من كلام ابن المعتز ان مثل هذه المجاميع الشعر كانت تصنف في معظمها حسب موضوعات قصائدها ، ومن تصادفنا في كتب التراث كثير من الاشارات الى مثل هذه المجام الشعرية الأولى الخاصة بموضوع واحد التي كان تضم عدداً القصائد لشعراء مختلفين في الموضوع نفسه ، واكثر هذه المجام ذكراً هي مجاميع المديح .

كانت مجاميع المديح هذه تلقى عناية ملحوظة في ذل العصر على مستويين اثنين أولهما المستوى الاجتماعي ، وثانيهما المستوى الرسمي ، مما جعلها مجاميع متميزة تحتل مكاناً بارزاً كتب التراث .

أما المستوى الاجتماعي فهو ذو علاقة وطيدة بالمستو الثاني ، فمن الواضح والمعروف في تاريخ الأدب العباسي و سبقه أن الشعراء الذين اشتهروا قديماً واحتلوا مكانة متميزة ذلك العصر هم اولئك الشعراء الذين نالوا حظوة لدى أصحا السلطان ، ومن هنا كان لابد للأدباء والمتعلمين من أن يعن بشعر هؤلاء في محافلهم الادبية والعلمية وبهذا النوع من الش خصوصاً ، وقد يكون للشاعر العباسي دوره الواضح في تشج الاهتمام بهذا الضرب من الشعر الرسمي كما يفهم هذا من قو الصولي متحدثاً عن مجلس لابي عبدالله بن الحسين القطربلي « ... فاجتمعنا بعد ذلك عنده أياماً حضر في بعضها العباس المبرد ، وكان أبو هاشم يقرأ على البحتري شعره بحض أبيه ، فمما قرأ عليه ، باختياره مرة وباختياري مرة قصيدته الفتح .... وقرا عليه قصيدته في أبي نهشل : .... ، وا اسمع ، وقصيدته في عبدالله بن الحسين ... وما قرأت أنا عا شيئاً من شعره الا قصيدته التي يعتذر فيها الى الفتح ... »

وقد يكون في هذا النص إشارة الى أن هذا الذي يقراونه عـ الشاعر العباسي من قصائد معظمها يندرج تحت إطار الش

الرسمي هو ماشكل عند هؤلاء المعنيين بالشعر القارئين إياه على شعرائه مجاميع شعرية اولى من هذا الموضوع الشعري المعروف .

والجانب الرسمي في تشجيع تدوين هذا الشعر الذي يقال في المديح وجمعه والاحتفاظ به أوضح دلالة مما سبق والاشارات اليه اكثر صراحة ، فقد ذكر ابن المعتز في معرض كلامه على الشاعر مخلد الموصلي مانصه : « وكان مخلد خرج الى العراق وبها شعراء من الناس فاجتمعوا بباب المعتصم فاذن لهم فدخلوا ، فجعلوا ينشدون .. فأنشد المعتصم في ذلك اليوم شعراً استحسنه فقال له من أنت ؟ قال : أنا مخلد ، قال : الموصلي ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين قال : قد أثبتنا كلمتك قبل خروجك إلينا »(٥٧) ومن الواضح من هذا النص أن بعض القصائد التي كانت تسير في الآفاق ، كانت تثبت ويحتفظ بها لدى أصحاب السلطان ، وأوضح دلالة منه ماذكره ابن المعتز أيضاً في ترجمة ربيعة الرقي ، إذ ذكر أنه أنشد الرشيد قصيدته في العباس بن محمد وقال : « يا أمير المؤمنين كيف تراها ؟ قال : مامدح الخلفاء بمثلها حسناً . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه وصلني عنها بدينارين .. فلما سمع الرشيد ذلك خجل وأطرق وأحب أن يتأمل القصيدة فقال : فاستحيى العباس .. فقال له الرشيد : سألتك بحقي ألا جئتني بها ، فأمر غلامه بحملها إليه فتأملها وأعجب بها »(٥٨) ومن الواضح جداً هنا أن قصائد المديح كانت تحفظ دور المتنفذين وكان مثل هذا الامر تقليداً وعادة متبعة كما يبدو ، إذ إن الرشيد طلب نسخة القصيدة من الممدوح مباشرة ليقرأها بعد أن استنكر عدم اثابة الشاعر عليها بما يجب .

ومن هنا نلاحظ ان قصائد المديح هذه شكلت المجاميع الأولى للشعر العباسي بسبب هذا الصنيع الذي كان يقوم به الحكام ومن إليهم ولهذا نرى أن هذا العمل يتحول على مر الزمن الى عمل رسمي ، إذ نلاحظ أن الحكام كانوا يخصصون بعض موظفي قصورهم للقيام به كلما تقدمنا في العصر العباسي ، إذ يذكر العماد الأصفهاني في ترجمة الوزير عون الدين ابن هبيرة مانصه : « ... سمعت صاحب الخبر ابن المهدي يقول يوماً له : قد جمعتُ من القصائد التي مُدحت بها مايزيد على مئتي الف بيت ، وكان كل سنة يحمل منها مجلداً »(٥٩) ولهذا عرف عند هؤلاء المتأخرين مجاميع مدائح موسومة باسم الممدوح نجد الأشارات إليها كثيرة في تلك الكتب التي ترجمت لشعراء العصر العباسي المتأخرين ، من مثل مانجده في كتاب الخريدة من إشارات الى مجاميع شعرية من هذا القبيل كمجموع في مدائح المكين أبي علي(٦٠) ، ومجموع في مدائح جمال الدولة(٦١) ، ومجموع في مدائح عميد الدولة ابن جهير(٦٢) . وتميّز المجاميع الشعرية الخاصة بشعر المديح بهذا الشكل لدى المتأخرين دليل على أنها وجدت وعرفت في الفترة المخصصة لبحثنا هذا بالشكل الذي هيأ لها لأن تنضج وتتنوع بهذا الشكل الذي نراه عند المتأخرين .

والى جانب مجاميع المديح هذه وجدت بعض المجاميع الشعرية الأخرى ، فهناك كما يفهم من قول ابن المعتز الذي سبق أن استشهدنا به بعض المجاميع الخاصة بشعر الرثاء إذ إنه يقول : « ولأبي الفضة مرثية في جارية له جيدة قد أدخلوها في المراثي الطوال التي جمعوها(٦٣) ، ونحن نتوقع استناداً الى هذا أن هناك مجاميع أخرى في جميع الموضوعات الشعرية المختلفة .

والى جنب هذه المجاميع الشعرية ذات الموضوع الشعري الواحد ، وجد نوع ثان من المجاميع العامة التي تتجاوز الموضوع الواحد إلى موضوعات متعددة لشعراء عديدين ، إذ يذكر الصولي في ترجمة أبان بن حمدان اللاحقي أنه قليل الشعر جداً ولم يعرف له من الشعر إلا غزلاً وجده « في بعض كتب اهله »(٦٤) ويفهم من هذا أن بعض الأسر الشعرية كانت تدون شعر شعرائها بهذا الشكل القريب من المجاميع . وأظهر من هذا النوع من المجاميع العامة . واكثر منه ذكراً في كتب التراث نوع ثان اعتمد الاختيار من شعر شعراء عديدين يبدو أن العلماء اتجهوا إليه بعد أن تزايد الاهتمام بشعر المحدثين وروايته ، ومن هذه المجاميع كتاب لابن المعتز اسمه الاختيار من شعر المحدثين »(٦٥) واختيار مجرد من أشعار المحدثين صنعه أبو تمام الشاعر العباسي المشهور(٦٦) وكتاب لجعفر بن حمدان الموصلي اسمه الباهر في الاختيار من أشعار المحدثين(٦٧) .

ومثل هذه المجاميع هي كما نرى الصنف الأول من أصناف دواوين الشعر العباسي التي رافقت تدوين الشعر بأشكاله كافة وكانت إحدى نتائجه . ولا ندعي بقولنا هذا أن مثل هذه المجاميع هي أول عمل تجميعي للشعر العباسي قام به العلماء ، فمن الواضح أن جمع الدواوين الخاصة بالشعراء رافق عملية صنع المجاميع هذه وكانت العمليتان تسيران جنباً إلى جنب فيما يبدو ، الا أننا مع هذا نستطيع أن نستنتج أن المجاميع الشعرية في مثل هذه الحقبة المتقدمة للشعر العباسي كانت اكثر شهرة واكثر

اولاً لما لاحظناه من اهتمام اجتماعي ورسمي بها . أما ـواوين الخاصة بالشعراء التي كان يقوم بجمعها الشعراء ـسهم أو رواتهم ـ كما سنلاحظ هذا فيما بعد ـ فكان جمعها ـوداً في البداية ، الا انه اتسع وتعددت طرائقه كلما تقدمنا في ـصر العباسي ، وهذا ماسنعرض له في الصفحات القابلة .

ـ ٣ ـ

جمع الدواوين وتنظيمها

جمع الدواوين

لاحظنا فيما سبق أن الشعراء العباسيين كانوا يدونون ـعارهم التي ينظمونها في المناسبات المختلفة ، وينتج عن هذا ـ ـهو واضح ـ على مر الزمن تجمع نسخ لقصائد كثيرة لدى ـلاء الشعراء تكوّن فيما نحسب الشكل الأولي من أشكال ـواوين الخاصة بالشعراء ، وهي تلك الدواوين التي يجمعها ـعراء بأنفسهم مواكبة لما ينظمونه خلال سني حياتهم .

وإذا حاولنا التماس هذا الشكل الأولي لديوان الشاعر ـباسي وجدنا الأخبار التي تنص صراحة عليه نزرة قليلة جداً ـساعد على تكوين صورة واضحة لأسس ترتيب هذه الدواوين ، جمعها الشعراء بأنفسهم أو طريقة جمعها ، الا أننا مع هذا ـطيع استنتاج بعض المؤشرات العامة لصورة هذه الدواوين ـتناثر من أخبار هؤلاء الشعراء .

والصورة الأولى للديوان العباسي تظهر في شكل مدوّنات ـة على القراطيس الكبار والدروج ، وهي مسألة طبيعية أن ـن الشاعر العباسي ـ كما لاحظنا سابقاً ـ أشعاره على مثل هذه ـراطيس الكبار التي تمثل بمجموعها الشكل الأولي للديوان . ـا الشكل يختلف عما لاحظناه سابقاً من تدوين في مثل هذا ـوع من القراطيس ، إذ إنه يضم قصائد عديدة مختلفة ـموعات بشكل يجيز لنا أن نعده شكلاً أول من اشكال ـواوين . وهناك اشارات الى مثل هذا النوع من الديوان نذكر ـ ماورد في أخبار الشاعر العباسي ديك الجن إذ نقل عن أحد ـسائه أنه « دخل عليه حدث فأنشده شعراً عمله ، فأخرج ـ الجن من تحت مصلاه درجاً كبيراً فيه كثير من شعره فسلمه وقال . يافتى تكسب بهذا واستعن به على قولك . . »(٢٨)

وإذا كان في هذا الذي يذكرونه عن ديك الجن وغيره ـل الشكل الأولي الساذج للديوان فان مايذكر عن غيره من الشعراء يمثل شكلاً اكثر تطوراً له ، إذا نجد اشارات عديدة الى وجود نسخة من ديوان الشاعر جمعها بنفسه ، فيذكر عن اليزيدي أنه كان له « جامع شعر وأدب ، وفيه قصيدته التي يمدح بها نحويي البصرة »(٢٩) كما ينقل عن احمد بن سليمان بن وهب بأنه كان له من التصانيف « كتاب ديوان شعره وكتاب ديوان رسائله »(٣٠) وعن ابراهيم الصولي أنه كان له « كتاب ديوان رسائله وكتاب ديوان شعره »(٣١) وكل هذا يشير الى أن هؤلاء الشعراء جمعوا دواوينهم بأنفسهم فنُسب تصنيفها إليهم .

وأول مظهر من مظاهر التطور في صنع دواوين الشعراء في حياتهم فيما نحسب ـ هو انتشار هذه النسخ التي يجمعونها بأنفسهم بوساطة العلماء والرواة الآخرين الذين كانوا يتوجهون إليهم فيستنسخون مالديهم من أشعار مجموعة ، وهذا يمثل ـ فيما نرى ـ الشكل الثاني من أشكال جميع الدواوين وهو جمعها بوساطة الأخرين عن طريق الاستنساخ او الاملاء ونجد الاشارات الى وجود مثل هذه العملية منذ عصر مبكر بالنسبة الى الشعر العباسي إذ يذكر ابن المعتز عن شيخ من قدماء الكتاب أنه قال : « كنت آتي أبا العتاهية فانسخ أشعاره في الزهد وغيره »(٣٢) وعن عمارة بن عقيل أنه لما قدم بغداد « اجتمع الناس اليه وكتبوا شعره وسمعوا منه »(٣٣) ، كما ذكروا أن الناشيء الشاعر كان يملي شعره في المسجد الجامع بالكوفة والناس يكتبونه عنه(٣٤) ، ونحسب أن مثل هذا الذي كان يملي الشاعر منه شعره هو النسخة التي جمعها الشاعر بنفسه من ديوانه ، وغير خفي أن هذه النسخة لاتعد نسخة كاملة من الديوان إلا أنها مع هذا يمكن أن تعد صورة أولى لديوان الشاعر العباسي المجموع في حياته ، وهذه النسخة كانت تتعدد وتشيع بين الناس بوساطة املاء الشاعر اياها كما لاحظنا في النصوص السابقة ، ومن هنا تمر هذه النسخ الأولى للدواوين بالطريق الذي اعتاد عليه العلماء وطالبو العلم في مثل هذه الحال ، وهو توثيق النسخ التي يستنسخونها عن الشعراء بقراءتها أو قراءة قسم منها على الشعراء انفسهم ، وهناك نص صريح يشير إلى هذا ، اذ يذكر الصولي في أخبار أبي تمام نصه : « حدثني أبو مالك عون بن محمد الكندي . . . وما رأيت أعلم بشعر أبي تمام منه ، وكان قد قرأ على أبي تمام عشرين قصيدة من شعره ، وقرأتها عليه »(٣٥) » ، وشبيه به ماورد في تاريخ بغداد من قوله : « . . . أخبرني الصولي قال : قرىء على البحتري لنفسه ، وأنا أسمع »(٣٦) .

ونحن ان نلتمس الصورة الثانية هذه الدواوين العباسية المبكرة فيما يذكر من نسخ قديمة لدواوينهم يبدو أنها جمعت في عصر هؤلاء الشعراء أو بعد وفياتهم بسنين قلائل . ومثل هذه النسخ فيما نحسب يمكن ان تكون بهذا القياس نسخة كاملة من الديوان لانسخة ناقصة غير مكتملة ، إذ تكثر الاشارات في المصادر القديمة الى ديوان هذا الشاعر العباسي او ذاك لدى العلماء عاصروا هؤلاء الشعراء وعاشوا بعدهم قليلاً ، فابن المعتز بعد أن يذكر لمروان بن أبي حفصة شيئاً من قصيدة له يقول : « والقصيدة مشهورة وهي طويلة ، وانما ذكرت فقراً وعيوناً ومن أراد شعر القوم على الوجه فان دواوينهم موجودة ولا سيما هؤلاء المشهورين عند اكثر الناس »(٧٧) ، وهي إشارة واضحة صريحة الدلالة على توفر مثل هذه النسخ الكاملة من دواوين الشعراء العباسيين الأوائل في عصر قريب منهم أو من سني وفياتهم ، يشبهها ماجاء في معرض الحديث عن أبي تمام من قول بعضهم : « دخلت على حبيب بن أوس بقزوين وحواليه من الدفاتر ماغرق فيه فما يكاد يرى . . . وإذا بحزمتين واحدة عن يمينه وواحدة عن شماله ، وهو منهمك ينظر فيهما ويميزهما من دون سائر الكتب . . . فاذا عن يمينه شعر مسلم بن الوليد صريع الغواني وعن يساره شعر أبي نواس »(٧٨) ، وشبيه به ماورد في ديوان ابي نواس برواية الصولي إذ ينقل عن أحدهم قوله : « كنا مع أبي تمام وبين يديه أشعار المحدثين يختار منها فلما بلغ الى شعر ابن ابي عيينة قال : وهذا نختار كله »(٧٩) ، والذي يهمنا من هذا النص ، ان هذا الشاعر المذكور كان معاصراً لأبي تمام وكانت وفاة أبي تمام بعده بسنين قلائل مما يؤكد ماسبق أن قلناه من وجود نسخ كاملة من دواوين الشعراء العباسيين في عصرهم وبعد وفياتهم بقليل ، وهناك إشارات كثيرة جداً الى هذا ،(٨٠) ، يبدو واضحاً من خلالها أن عملية جمع الدواوين في القرن الثالث الهجري كانت عملية نشيطة واسعة النطاق تصدى لها الكثيرون ، ومن هنا كثرت الاشارات أيضاً الى صعوبة جمع شعر الشعراء المكثرين ، وعدم قدرة أحد من المتصدين لجمعه مما يؤكد هذه العملية التي قام بها الأدباء والعلماء عموماً منذ عصر مبكر في جمع الدواوين ؛ إذ ورد في كتاب الأغاني مانصه : « ويقال : اطبع الناس بشار والسيد وأبو العتاهية ، وما قدر أحد على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرته »(٨١) .

وواضح ان مثل هذه العملية في جمع دواوين الشعراء العباسيين وتعقبها منذ عصر مبكر أدت الى كثرتها وتعددها ، مما ادى بالتالي الى قيام حركة أخرى تعد تالية لعملية الجمع و[...] عملية الاختيار ، ويمكن أن يكون وجود هذه العملية دليلاً [...] على توكيد عملية الجمع المبكر للدواوين التي اشرنا اليها [...] قليل ؛ إذ من الواضح أن الاختيار يعني وجود نسخة كاملة شا[...] من هذا الديوان أو ذاك ، فقد ذكر عن احمد بن عمار أنه [...] ينتقص ابن الرومي في حياته « فلما مات ابن الرومي عمل كتاب[...] تفضيله ويختار شعره »(٨٢) ، كما ذكر صاحب الفهرست كثيراً [...] مختارات الدواوين هذه ؛ اشهرها : اختيارات شعر أبي نوا[س] هي كثيرة قام بها عدد من العلماء(٨٣) ، الى جانب اختيارات [...] من شعر الشعراء العباسيين قام بها أحمد بن أبي طاهر كاختيا[ر] شعر بكر بن النطاح واختيار شعر دعبل الخزاعي ومسلم [بن] الوليد وأبي العتاهية(٨٤) ، كما ذكر صاحب تاريخ بغداد أن لله[...] اختيارات من شعر العطوي(٨٥) ، وذكر ياقوت كثيراً [من] الاختيارات الخاصة بالشعراء العباسيين مما قام به بعض [...] القرن الثالث وادبائه(٨٦) .

ومثل هذه الحركة النشطة في جمع الدواوين تؤدي الى [...] نسخ الدواوين وتعدد نسخ ديوان الشاعر الواحد ، وخصو[صاً] اولئك الشعراء المشهورين ، ففي القرن الثالث الهجري [...] يشار الى ان هناك حوالي خمسمائة ديوان للشعراء المعاصر[ين] للبحتري(٨٧) ، وإذا استعرضنا أسماء بعض الشعراء المشهوري[ن] العصر العباسي وجدنا ديوان كل شاعر منهم يجمعه اكثر من [...] وأديب ، فأبو نواس مثلاً كثرت نسخ ديوانه بشكل متميز و[...] جامعو شعره كالصولي والاصفهاني الى هذا(٨٨) ، كما ذكرو[ا] لديوان العباس بن الاحنف نسخاً عديدة(٨٩) ، وفي أدب الك[...] مايشير الى تعدد نسخ ديوان أبي يعقوب الخريمي(٩٠) ، أما أبو [...] فحالة ديوانه تشبه حالة ديوان أبي نواس ، إذ كثرت الاشارات [في] المصادر القديمة الى وجود نسخ عديدة لديوانه أخرجها اكثر [من] عالم(٩١) ، وكذلك الحال بالنسبة الى البحتري وديوانه ، إذ [...] الأمدي الى وجود اكثر من نسخة لهذا الديوان .(٩٢) .

تنظيم الدواوين وترتيبها :

يدل تعدد نسخ الديوان الواحد على ان هذه النسخ قام بجمعها علماء وأدباء متعددون لابد وأن تختلف فيما بينها [من] حيث كمية الشعر الموجود فيها وما تتضمنه من أخبار أو شو[...] تستدعي بطبيعة الحال اختلاف هذه النسخة أو تلك ، وقد [...] القدامى على هذا ، إذ يذكر ابن النديم في معرض كلامه

ديوان ابن هرمة مانصه : « وشعره مجرد نحو مائتي ورقة ، وفي صنعة أبي سعيد السكري نحو خمسمائة ورقة »[93] ، وواضح من كلام ابن النديم هذا أن بعض جامعي الشعر كان يعمد الى ايراد الشعر مجرداً من الشروح والأخبار في حين كان بعضهم الآخر يورد الاخبار أو الشروح أثناء الشعر المجموع ، وشبيه به ماذكروه عن ابن العلاف من أن بعض أهله عمل شعره مع « اخباره مع من مدحه ومقداره اربعمائة ورقة »[94] ، وما ذكروه عن ديوان أبي نواس من أن السكري عمل شعره وتكلم على معانيه وغرضه نحو ألف ورقة[95]

والذي يهمنا في هذا المجال أن هذا الاختلاف بين نسخ الديوان الواحد إضافة الى تعدد الدواوين وكثرتها يشير بلا شك الى وجود اسس معينة لترتيب هذه الدواوين وتسلسل القصائد فيها ، وهو ماسماه القدامىٰ بـ « صنع الدواوين » ، ومن هنا لابد من التوقف اخيراً عند هذه المسألة وتبيانها استكمالاً لموضوع البحث .

يفهم من الاشارات العديدة أن الدواوين الاولى التي تمثل الشكل الأولي لديوان الشاعر العباسي والتي قام الشعراء بجمعها مما لاحظناه في بداية هذا القسم أن هناك طريقتين لتنظيمها أو ترتيب القصائد فيها :

الاولى هي الترتيب الزمني للقصائد ، وهي الطريقة المتبعة في تلك الدواوين المبكرة التي لاحظنا أنها تمثل الشكل الأولي للديوان من مثل ذلك المجموع الشعري الذي كان لدى ديك الجن وغيره ، وليس فيما بين أيدينا من نصوص مايشير صراحة الى هذا الذي نقوله ، ولكننا نحسب أنه الطريقة الطبيعية في الترتيب ، فالشكل الأولي الذي يمثل الديوان غير المكتمل ، والذي كان مجموعاً من القراطيس الكبار التي دون الشاعر شعره فيها يبدو أنه يتجمع بهذا الشكل الزمني طبيعياً ، فالشاعر يدون قصيدة ينظمها ثم يدون بعدها القصيدة التالية لها وتتجمع القصائد بمثل هذا الترتيب الزمني .

الثانية : ترتيب قصائد الديوان حسب الموضوع الشعري ومثل هذه الطريقة تفهم من جملة الاشارات الواردة في المصادر مما يتعلق بالاشكال الاولى للدواوين التي لم تكتمل بعد ، فقد ورد في تاريخ بغداد أن أبا العتاهية في أول قدومه بغداد نزل هو وصديقين له كانا من شعراء الكوفة في موضع واحد ، متعشق الثلاثة ثلاث جوار من جواري قصر الخلافة ونظموا فيهن الاشعار ، ولم يزالوا كذلك حتى « التأمت لهم أشعار كثيرة في الجواري الثلاث ورفعوها إليهن »[96] مما يشير الى أن هذه المجاميع الاولى للدواوين جمعت على اساس الموضوع الشعري الواحد ، ويشبه هذا ماذكره المرتضى في اماليه من أن ابراهيم بن العباس الصولي كان صديقاً لاسحاق بن ابراهيم « فأنسخه شعره في علي ابن موسىٰ الرضا »[97] ، مما يشير ايضاً الى ان هذا الشاعر كان يجمع أشعاره على أساس الموضوع الشعري الواحد ، وفي أخبار البحتري ما يشير أيضاً إلىٰ مثل هذا النوع من الجمع في حياة الشاعر ، اذ ذكر الصولي مانصه : « . . . وكان أبو هاشم يقرأ على البحتري شعره بحضرة أبيه ، فمما قرأه عليه باختياره مرة واختياري مرة قصيدته في الفتح . . . وقرأ عليه قصيدته في أبي نهشل . . . وقصيدته في عبدالله بن الحسين . . . »[98] ، وجميع هذه القصائد المذكورة في النص السابق من قصائد المديح ، مما يدل بوضوح على هذا الذي قلناه قبل قليل من أن الطريقة الثانية لجمع الدواوين في حياة الشعراء كانت على أساس الموضوع الشعري الواحد اضافة الى الترتيب الزمني للقصائد مما استنتجناه استنتاجاً .

ويبدو أن جمع الدواوين خلال القرن الثالث الهجري في مرحلته الثانية ، وهي جمع الدواوين بوساطة الادباء والعلماء ، سار على اساس واحد من الترتيب وهو الترتيب حسب الموضوع الشعري ودليلنا على هذا نصوص صريحة تشير الى أن هذه الطريقة كانت هي الطريقة المتبعة حتى نهاية هذا القرن وبداية القرن الرابع :

ذكر صاحب الفهرست في كلامه على السكري مانصه : « وعمل شعر أبي نواس وتكلم على معانيه وغرضه نحو ألف ورقة »[99] ، كما ذكر في موضع آخر مانصه : « فممن عمل شعر أبي نواس على غير الحروف [و] يته ، وجعله عشرة أصناف ، ومن العلماء أبو يوسف يعقوب بن السكيت وفسره في نحو ثمانمائة ورقة وجعله أيضاً عشرة أصناف ، وعمله أبو سعيد السكري ولم يتمه . . . في مقدار ألف ورقة »[100] ، وفي هذا النص إشارة صريحة الى أن الرواة والعلماء الذين تصدوا لجمع شعر الشعراء العباسيين استندوا في ترتيب قصائد الدواوين إلى اساس الموضوعات الشعرية أو الأصناف كما سموها .

وهناك نصوص كثيرة أخرى تشير صراحة الى ان طريقة ترتيب الدواوين على الحروف أو القوافي وجدت في مطلع القرن الرابع على يد الصولي، مما يدل على أن هذه الطريقة لم تتبع في القرن الثالث، إذ ذكر ابن النديم في كلامه على أبي تمام مانصه «ولم يزل شعره غير مؤلف يكون مائتي ورقة الى أيام الصولي، فانه عمله على الحروف»[١٠١]، وشبيه به ماقاله عن البحتري: كان شعره على غير الحروف الى ايام الصولي فانه عمله على الحروف[١٠٢] ومما قاله على ابن الرومي كان شعره على غير الحروف رواه عنه المسيبي، ثم عمله الصولي على الحروف»[١٠٣]

ومما تقدم يبدو واضحاً أن حركة صنع الدواوين العباسية في القرن الثالث الهجري عرفت طريقتين من طرق جمع الدواوين وترتيبها مما عرف فيما بعد هذا القرن، الأولى: هي الطريقة الزمنية في الترتيب، والثانية: هي ترتيب القصائد حسب الموضوعات الشعرية، ومن هنا نرى أن علماء القرن الثالث أوجدوا الأسس الأصلية في ترتيب الدواوين الشعرية وجمعها على أسس واضحة، ذلك أن ماعرف منذ القرن الرابع على يد الصولي؛ وهو ترتيب الدواوين حسب القوافي انما وجد استناداً إلى ماقام به علماء القرن الثالث هؤلاء، ويبدو أن الصولي واضرابه لم يفعلوا شيئاً اكثر من ترتيب قصائد الموضوع الواحد حسب القوافي، إذ إن نظرة واحدة على ماجمعه الصولي من دواوين الشعر تشير إلى أن الديوان مرتب أساساً حسب الموضوعات، وهو ماأوجده علماء القرن الثالث، وفي داخل كل موضوع شعري نلاحظ أن القصائد مرتبة حسب القوافي. ومن هنا نستطيع القول ان هذه الأصول الأولى لدواوين الشعر العباسي التي استعرضناها خلال صفحات هذا البحث كانت هي الأساس لتلك الحركة المنظمة المتطورة في صنع الدواوين مما وجد منذ القرن الرابع وما بعده، مما سنتناوله في بحث لاحق انشاء الله.

الهوامش

(١) تاريخ بغداد ٤ / ٣٥٨.

(٢) جامع بيان العلم ١ / ١٧٩.

(٣) الاغاني ١٤ / ٤٧.

(٤) الموشح ٣٩٧.

(٥) تاريخ بغداد ٣ / ٣٤١.

(٦) الأغاني ٤ / ٩.

(٧) تاريخ بغداد ٢ / ٨٥ - ٨٦.

(٨) ينظر: الشعر والشعراء ٦٨٧، تاريخ بغداد ٣ / ٣٤١.

(٩) الاغاني ٤ / ١٣ - ١٤.

(١٠) ينظر على سبيل المثال: الأخبار الموفقيات ٨١ - ٨٢، طبقات الشعراء ٣٤ - ٣٥، ٢٣١، ٢٨٠ - ٢٨١، الموشح ٤٧ اخبار الزجاجي ١٨١، الأغاني ٤ / ٨٦، ٧ / ٢١٧٠ - ١٧١، ذيل الأمالي ٨٦، معجم الشعراء ١٤٩، ٢٩١، ٣٦٦، جمع الجواهر ٢٨ - ٢٩، تاريخ بغداد ٢ / ٣٢٥، ٤ / ٦٦، ٦ / ٢١٠، ٢٥٣ - ٢٥٤، ٨ / ٤٩١، ١٠ / ١٤٠، المختار من شعر بشار ١٥٣ - ١٥٤، معجم الأدباء ١ / ١٣٨.

(١١) الموشح ٤٠٠.

(١٢) البصائر والذخائر ٣ / ٤٨٤ - ٤٨٥.

(١٣) تاريخ بغداد ١١ / ٤٨٥.

(١٤) ينظر على سبيل المثال: خريدة القصر (مصر) ٢ / ١٥٧، معجم الأدباء ٢ / ٣٢٦ - ٣٢٧.

(١٥) الورقة ١١٥.

(١٦) أخبار الشعراء ١، تاريخ بغداد ٧ / ٤٤.

(١٧) الموشح ٣٩٧ - ٣٩٨.

(١٨) جمع الجواهر ٢٩٢.

(١٩) الأغاني ١٩ / ٢٧٦.

(٢٠) أمالي المرتضى ١ / ١٤٦ - ١٤٧.

(٢١) طبقات الشعراء ١٣٢، وتنظر: الورقة ١١٣ - ١١٤ في قصيدة للمكوك طلب عرضها على المأمون، الفاضل للوشاء ١٦٩ - ١٧٠، أخبار أبي تمام ٢٠٧ في قصيدة لأبي تمام عرضت وقرئت على الواثق، الوزراء والكتاب ١٧٣ في قصيدة لسلم الخاسر عرضت على الهادي الأغاني ١ / ٢٣٣، تاريخ بغداد ١٣ / ١٥٣ - ١٥٤، ١٤ / ١٦ - ١٧، معجم الأدباء ١ / ٢٢٥.

(٢٢) ينظر على سبيل المثال: الاغاني ٧ / ٢٠٨ - ٢٠٩ في قصيدة غزلية للحسين بن الضحاك دونها في صحيفة كانت احدى الجواري تقرؤها معه، تاريخ بغداد ٥ / ٢٣٨ - ٢٣٩، في قصيدة طويلة كتب بها ابن المرزبان إلى أحد اصدقائه يعاتبه.

(٢٣) الأغاني ١٠ / ٨٣ - ٨٤.

(٢٤) أمالي المرتضى ١ / ٤٨٥.

(٢٥) طبقات الشعراء ١٥٨.

(٢٦) طبقات الشعراء ٢١٥ - ٢١٦.

(٢٧) نشوار المحاضرة ٤ / ٢٩٠.

(٢٨) مصارع العشاق ٢ / ٧٥.

(٢٩) الأغاني ٣ / ١٩٢.

(٣٠) ينظر على سبيل المثال: أخبار الشعراء ٨٤، أمالي القالي ١ / ٢٧٦ - ٢٧٧، زهر الآداب ٥٣٣ - ٥٣٤، تاريخ بغداد ٨ / ٣٠٨ - ٣٠٩.

(٣١) اخبار الشعراء ٨٤ .
(٣٢) امالي القالي ١ / ٢٧٦ - ٢٧٧ .
(٣٣) تـريخ بغداد ٨ / ٣٠٨ - ٣٠٩ ، وينظر أيضاً : الأغاني ٤ / ٣٠ - ٣١ ، ٤٠ - ٤٥ وأخبار أبي تمام ١٨٤ .
(٣٤) نشوار المحاضرة ٣ / ٢٩٠ .
(٣٥) العمدة ٢ / ١٢٠ .
(٣٦) الأغاني ٣ / ١٨٩ - ١٩٠ .
(٣٧) نزهة الالباء ٦٦ - ٦٧ .
(٣٨) طبقات الشعراء ٢٢٨ .
(٣٩) أخبار ابي تمام ٥٩ .
(٤٠) الأغاني ١٣ / ٢٥٣ .
(٤١) الورقة ٣٣ .
(٤٢) أخبار الشعراء ١٤٨ .
(٤٣) تاريخ بغداد ٨ / ٣٨٣ .
(٤٤) تاريخ بغداد ١٢ / ٧٨ - ٧٩ .
(٤٥) تاريخ بغداد ١٣ / ٢٤١ - ٢٤٤ .
(٤٦) تاريخ بغداد ٩ / ٣٠٤ .
(٤٧) طبقات الشعراء ٣٨٠ .
(٤٨) الفهرست ١٧٠ .
(٤٩) فهرسة ابن خير ٤٠٠ - ٤٠٢ .
(٥٠) المصدر السابق نفسه .
(٥١) الفهرست ١٦٩ .
(٥٢) تاريخ بغداد ١ / ٣١٧ - ٣١٨ .
(٥٣) تاريخ بغداد ١٢ / ٧٨ - ٧٩ .
(٥٤) فهرسة ابن خير ٤٠٠ - ٤٠٢ .
(٥٥) طبقات الشعراء ٣٨٠ .
(٥٦) أخبار البحتري ٥٢ - ٥٣ .
(٥٧) طبقات الشعراء ٢٩٩ .
(٥٨) طبقات الشعراء ١٥٨ .
(٥٩) خريدة القصر (عراق) ١ / ٩٨ .
(٦٠) نفسه ٢ / ١٧٥ .
(٠١) نفسه ٢ / ٢٠٥ .
(٦٢) نفسه ١ /٨٢ .
(٦٣) طبقات الشعراء ٣٨٠ .
(٦٤) أخبار الشعراء ٦٣ .
(٦٥) ديوان أبي نواس (حمزة الاصفهاني) ١ / ١٣ .
(٦٦) الموازنة ١ / ٥٥ .
(٦٧) الفهرست ١٤٩ .
(٦٨) وفيات الأعيان ٣ / ٢١٨٤ - ١٨٥ .
(٦٩) نزهة الألباء ٧٠ .
(٧٠) معجم الأدباء ١ / ١٣٦ ، وينظر ١ / ٢٧٧ .
(٧١) معجم الأدباء ١ / ٢٧٧ .
(٧٢) طبقات الشعراء ٢٢٨ .
(٧٣) أخبار أبي تمام ٥٩ ، وينظر : معجم الشعراء ٧٨ ، تاريخ بغداد ١٢ / ٢٨٢ .
(٧٤) معجم الأدباء ٥ / ٢٣٩ - ٢٤٠ .
(٧٥) أخبار أبي تمام ٣١ .
(٧٦) تاريخ بغداد ١٣ / ٤٤٩ .
(٧٧) طبقات الشعراء ٤٧ - ٤٨ .
(٧٨) طبقات الشعراء ٢٨٤ ، وينظر : أخبار أبي تمام ١٧٣ .
(٧٩) ديوان أبي نواس ٥٧ .
(٨٠) ينظر على سبيل المثال : أخبار أبي تمام ١٠١ ، ديوان أبي نواس (الأصفهاني) ٢ / ١٠٤ - ١٠٥ ، الموازنة ١ / ٢٠٥ ، الفهرست ١٦٨ ، معجم الشعراء ٤٩٣ ، الموشح ٤٤٨ ، ٤٥٢ ، الوساطة ٥١ ، الابانة ٢٣ ، العمدة ١ / ٢٠٥ ، تاريخ بغداد ١١ / ٣٦٧ ، ١٤ / ٢٢٨ .
(٨١) الاغاني ٤ / ١ - ٢ وينظر : الفهرست ١٥٩ - ١٦٠ ، ١٨٤ .
(٨٢) معجم الأدباء ١ / ٢٢٧ .
(٨٣) الفهرست ١٦٠ .
(٨٤) الفهرست ١٤٦ - ١٤٧ .
(٨٥) تاريخ بغداد ٣ / ١٣٧ .
(٨٦) معجم الأدباء ١ / ١٥٥ .
(٨٧) الابانة ٢٣ .
(٨٨) ينظر : ديوانه برواية الصولي ١٧٦ ، وبرواية الاصفهاني ١ / ٨٦ ، ٩١ - ٩٢ / ٢٩٢ ، ٨٨ ٣٢٤ - ٣٢٥ ، وينظر : وفيات الأعيان ٦ / ٩ .
(٨٩) الأغاني ٨ / ٣٥٣ .
(٩٠) ادب الكتاب ٤٩ .
(٩١) ينظر : الموازنة ١ / ٢١٦ - ٢١٧ ، أخبار البحتري ٥٩ - ٦٠ .
(٩٢) الموازنة ١ / ٣٨٦ .
(٩٣) الفهرست ١٥٩ .
(٩٤) الفهرست ١٦٨ .
(٩٥) الفهرست ٧٨ ، ومسألة شروح الدواوين وما تركته من آثار في دواوين الشعر العباسي مسألة كان لأستاذنا الزبيدي اهتمام خاص بها ، ولهذا لم نشأ التعرض لها في هذا البحث اضافة الى أن هذه المسألة تحتاج إلى بحث كامل مستقل .
(٩٦) تاريخ بغداد ٦ / ٢٥٤ .
(٩٧) أمالي المرتضى ١ / ٤٨٥ .
(٩٨) أخبار البحتري ٥٢ - ٥٣ .
(٩٩) الفهرست ٧٨ ، وينظر : معجم الادباء ٣ / ٦٤ .
(١٠٠) الفهرست ١٦٠ .
(١٠١) الفهرست ١٦٥ ، وفيات الأعيان ٢ / ٢١٧ .
(١٠٢) الفهرست ١٦٥ ، وفيات الأعيان ٦ / ٢٨ .
(١٠٣) الفهرست ١٦٥ ، وفيات الأعيان ٣ / ٣٥٨ .

المصادر والمراجع

١ ـ الابانة عن سرقات المتنبي ـ العميدي (٤٣٣ هـ) تحـ : ابراهيم الدسوقي القاهرة ـ دار المعارف ١٩٦١ .

٢ ـ أخبار أبي تمام ـ أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (٣٣٥ هـ) تحـ : خليل عساكر وآخرون ، القاهرة ١٩٣٧ (طبعة مصورة ـ بيروت) .

٣ ـ أخبار البحتري ـ الصولي ، تحـ : د . صالح الاشتر ، دمشق ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ١٩٥٨ .

٤ ـ أخبار الزجاجي ـ ابو القاسم الزجاجي (١٣٤٠ هـ) تحـ : د . عبدالحسين المبارك ـ بغداد ـ منشورات وزارة الاعلام ١٩٨٠ .

٥ ـ أخبار الشعراء ـ الصولي ، تحـ : هيورث دن ، القاهرة ، مطبعة الصاوي ١٩٢٤ .

٦ ـ الأخبار الموفقيات ـ الزبير بن بكار (٢٥٦ ـ) تحـ : د . سامي مكي العاني ، بغداد ، مطبعة العاني ١٩٧٢ .

٧ ـ أدب الكتاب ـ الصولي ، تصحيح : محمد بهجة الأثري ، القاهرة المطبعة السلفية ١٣٤١ هـ .

٨ ـ الأغاني ـ أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (٣٥٦ هـ) القاهرة ، دار الكتب المصرية .

٩ ـ الأمالي ـ أبو علي القالي (٣٥٦ هـ) تحـ : اسماعيل يوسف دياب ، القاهرة دار الكتب المصرية ١٩٢٦ .

١٠ ـ أمالي المرتضى ـ الشريف المرتضى (٤٣٦ هـ) تحـ : محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ١٩٥٤ .

١١ ـ البصائر والذخائر . أبو حيان التوحيدي (٤١٤ هـ) تحـ : ابراهيم الكيلاني ، دمشق ، مطبعة الانشاء ١٩٦٤ .

١٢ ـ تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ) القاهرة ـ مطبعة السعادة ١٩٣١ .

١٣ ـ جامع بيان العلم ـ ابن عبدالبر النمري (٤٦٣ هـ) صححه وراجعه عبدالرحمن محمد عثمان ، القاهرة ، ط٢ ، مطبعة العاصمة ١٩٦٨ .

١٤ ـ جمع الجواهر ـ أبو اسحاق الحصري (٥٤٦ هـ) تحـ : علي البجاوي ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ط ٢ ، ١٩٦٩ .

١٥ ـ خريدة القصر ـ العماد الاصفهاني (٩٥٧ هـ) ـ القسم العراقي ، تحـ : محمد بهجة الأثري ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٥ ـ ١٩٦٤ (قسم شعراء مصر) تحـ : احمد امين وآخرون ، القاهرة ؛ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥١ .

١٦ ـ ديوان أبي نواس ـ (رواية أبي بكر الصولي) تحـ : د . بهجة الحديثي ، بغداد ، دار الرسالة ١٩٨٠ .

١٧ ـ ديوان أبي نواس ـ رواية حمزة الاصفهاني (٣٦٠ هـ) تحـ : ايفالد فاغنر ج١ ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨ ، ج٢ فيسبادن ١٩٧٢ .

١٨ ـ زهر الآداب ـ الحصري ، تحـ : د . زكي مبارك ، لبنان ـ دار الجليل ١٩٧٢ .

١٩ ـ الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦ هـ) بيروت ـ دار الثقافة ١٩٦٤ .

٢٠ ـ طبقات الشعراء ـ ابن المعتز (٢٩٦ هـ) تحـ : عبدالستار فراج ، القاهرة ، دار المعارف ، ط١ ، ١٩٥٦ .

٢١ ـ العمدة ـ ابن رشيق القيرواني (٤٥٦ هـ) تحـ : محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة ، ط ع ، ١٩٨٢ .

٢٢ ـ الفاضل في صفة الأدب الكامل ـ الوشاء (٣٢٥ هـ) تحـ : يوسف يعقوب مكسوني ، بغداد ـ مطبعة شفيق ١٩٧١ .

٢٣ ـ الفهرست ـ ابن النديم (٣٨٥ هـ) تحـ : رضا تجدد ، طهران ، مطبعة دانشكاه طهران ١٩٧١ .

٢٤ ـ فهرسة ابن خير الاشبيلي ـ ابن خير (٥٧٥ هـ) تحـ : قدارة زيدين ، ط٢ ، ١٩٦٣ (تصوير : المكتب التجاري بيروت .

٢٥ ـ المختار من شعر بشار ـ الخالديان ـ اختصار وشرح

التجيبي ، تحـ : محمد بدر الدين العلوي ، القاهرة ، مطبعة الاعتماد .

٢٦ ـ مصارع العشاق ـ السراج الوراق (٥٠٠ هـ) ، بيروت ، دار بيروت ودار صادر ١٩٥٨ .

٢٧ ـ معجم الأدباء ـ ياقوت الحموي (٦٢٦ هـ) تحـ : مرجيليوث ، القاهرة ـ مطبعة أمين هندية (تصوير مكتبة المثنى ببغداد) .

٢٨ ـ معجم الشعراء ـ المرزباني (٣٨٤ هـ) ، تحـ : عبد الستار فراج ـ القاهرة ، مطبعة الحلبي ١٩٦٠ .

٢٩ ـ الموازنة ـ أبو الحسن الآمدي (٣٧٠ هـ) تحـ : السيد أحمد صقر ، القاهرة دار المعارف ١٩٦٥ .

٣٠ ـ الموشى ـ الوشاء ، تحـ : كمال مصطفى ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٥ .

٣١ ـ الموشح ـ المرزباني ، تحـ : علي البجاوي ، القاهرة ، دار نهضة مصر .

٣٢ ـ نزهة الألباء ـ ابن الانباري (٥٧٧هـ) تحـ : د . ابراهيم السامرائي بغداد ـ مطبعة مكتبة الاندلس ط٢ ـ ١٩٧٠ .

٣٣ ـ نشوار المحاضرة ـ المحسن التنوخي (٣٨٤ هـ) تحـ : عبود الشالجي ، بيروت ، دار صادر ١٩٧١ ـ١٩٧٢ .

٣٤ ـ الورقة ـ ابن الجراح (٢٩٦ هـ) تحـ : عبدالوهاب عزام،عبدالستار فراج ، القاهرة ، دار المعارف ، ط٢ .

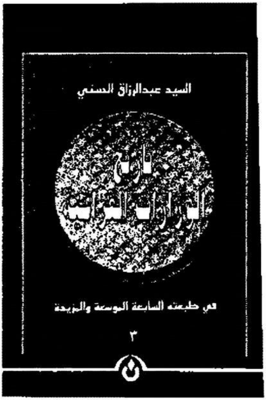
٣٥ ـ الوزراء والكتاب ـ محمد بن عبدوس الجهشياري (٣٣١ هـ) تحـ : مصطفى السقا وآخرون ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ، ط١ ، ١٩٣٨ .

٣٦ ـ الوساطة ـ القاضي الجرجاني (٣٩٢ هـ) تحـ : محمد ابو الفضل ابراهيم ، علي البجاوي ـ القاهرة ، مطبعة الحلبي ، ط ٤ ، ١٩٦٦ .

٣٧ ـ وفيات الأعيان ـ شمس الدين بن خلكان (٦٨١ هـ) ، تحـ : د احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ١٩٦٨ ـ ١٩٧٦ .

* * *

صدر عن دار الشؤون الثقافية



لمحات من تاريخ طب الأطفال في الموصل

د . محمود الحاج قاسم محمد

مستشفى الاطفال ـ الموصل

الحقيقة القائلة بان العلوم على اختلافها ليست من صنع امة واحدة ولا شعب معين ، وان الأزدهار الذي نجده في مختلف الميادين انما هو محصلة حضارات متعاقبة على مرّ العصور باتت مسألة ثابتة ومتفقاً عليها من قبل المفكرين ومؤرخي تاريخ العلم . وان صحة هذه الحقيقة في نظرنا تتجلى بشكل واضح وملموس في دراسة علم الطب ، فالتقدم الهائل الذي نجده فيه اليوم لم يكن من نتاج الحضارة المعاصرة فحسب ، وانما كان حصيلة خبرات وتجارب اجيال وأجيال من قوافل الاطباء على مرّ السنين .

وهذا هو ما اكده احمد بن ابي الاشعث الذي درّس الطب في الموصل قبل اكثر من الف سنة لطلابه عندما امتدح تطور مهنة الطب وتقدمها على مرّ العصور فقال « لأن الصناعة طويلة ولم تصل لهذه الغاية الآ بالآف السنين والوف الرجال » .

والدور الريادي للأطباء العرب والمسلمين في هذه المسيرة التاريخية اثبته الدراسات المنصفة العديدة بعد ان كشفت غطاء الحقد وستار التعصب لدى البعض الذين اعتبروا كنوز الفكر الطبي العربي الاسلامي نبتاً غريباً عن العقل العربي الاسلامي واستطاعت تلك الدراسات ان تبرهن على ان ما قام به الاطباء العرب والمسلمون كان امتداداً وتطوراً وبلورة لعناصر ونظريات ومكتشفات ابدعوها عندما فتحوا نوافذهم على علوم امم سبقتهم واخرى عاصرتهم .

وقبل ان ندخل في صلب الموضوع لابد من التنويه الى انه يستحيل الاحاطة في هذه العجالة بمساهمات جميع من نسب او ولد او عاش او درس او درّس الطب في الموصل في حقل طب الاطفال . . لذا سوف استمحيكم عذراً واقصر بحثي لألقاء الضوء على مساهمات اربع شخصيات بارزة من هذا البلد حيث نجد في اعمالهم اصالة دائمة بالنسبة لتطور طب الاطفال على مر العصور ، وحسب تسلسلهم الزمني هم / .

الأول / احمد بن ابي الاشعث

لقد رسم ابن ابي اصيبعة لهذه الشخصية في ترجمته صورة جديرة بالتسجيل اذ يقول :

« هو ابو جعفر احمد بن محمد بن ابي الاشعث كان وافر العقل سديد الرأي محباً للخير كثير السكينة والوقار ، متفقهاً في الدين ، وعمّر طويلاً وله تلاميذ كثيرة . وكان فاضلاً في العلوم الحكمية متميزاً فيها . . . . . فخرج من بلده هارباً ودخل الموصل بحالة سيئة من العري والجوع . . وكانت وفاة احمد بن ابي الاشعث رحمه الله في سنة ثلثمائة ونيف وستين للهجرة »(١) .

وعن كيفية اشتهار ابن ابي الاشعث في الطب يقول :

« انه لم يكن منذ ابتدأ عمره يتظاهر بالطب ، بل كان متصوفاً فخرج من بلده هارباً ودخل الموصل بحالة سيئة من العري والجوع واتفق انه كان لناصر الدولة ولد عليل في حالة قيام الدم والأغراس ، وكان كلما عالجه الاطباء ازداد مرضه ، فتوصل الى ان دخل عليه وقال لأمه انا اعالجه ، ويبدأ يريها غلط الاطباء في التدبير ، فسكنت اليه وعالجه فبرء ، واعطي واحسن اليه . . »(١) فهكذا كانت بداية شهرته كمعالج لمرض مستعص من امراض الاطفال « واتخذ له تلاميذ عدة الا ان الخاص به والمتقدم عنده كان ابو الفلاح ويرع في صناعة الطب » .

وكان له عدة اولاد والذي وجدته مشهوراً في صناعة الطب محمد(٣) ومن تلاميذه ايضاً احمد بن محمد البلدي ومحمد بن ثواب الموصلي كما جاء في كتابه الادوية المفردة .

مؤلفاته :

لم يؤلف احمد بن ابي الاشعث كتاباً خاصاً بامراض الاطفال الا اننا نجد في كتبه شذرات بسيطة هنا وهناك لها علاقة بطب الاطفال اما سر تميز ابن الاشعث وتميز كواحد من الطبقة الاولى للاطباء العرب في نظرنا هو تأليفه العديد من الكتب والمصنفات ذات المستوى المختلف حيث الف كتاباً لدارسي الطب المبتدئين واخرى لمن جاوز حد تعلم الطب وتهيأ للدراسات العليا كما ولم تقتصر مؤلفاته على الطب فحسب بل كان شانه شان اطباء وعلماء زمانه الذين كانوا يكتبون في كل ما تيسر لهم من العلوم ويمكن تقسيم مؤلفاته الى اربعة انواع :

النوع الاول : المؤلفات غير الطبية وهي :

١ ـ كتاب الحيوان .

٢ ـ مقالة في النوم واليقظة .

النوع الثاني ـ تصانيف كتب الاقدمين من الاعلام والاطباء .

دراسة كتب الاقدمين من الاطباء وخاصة اليونانين منهم كانت العمدة في دراسة الطب وكان لابد لطالب الطب في ذلك الزمان الاحاطة بها لانها كانت الاساس لتقدم هذا العلم عند العرب الامر الذي دفع ابن الاشعث كما دفع غيره من الاطباء العرب الى اقصر وتصنيف الكثير من الامور المعقدة والغامضة ليسهل على المبتدئين من دارسي الطب هضمها في اقصر وقت واقل جهد .

« فقد شرح كثيراً من كتب جالينوس الذي فصل كل واحد من الكتب الستة عشر التي لجالينوس الى جمل وابواب وفصول ، وقسمها تقسيماً لم يسبقه الى ذلك احد غيره » .

« وفصل ايضاً كذلك كثيراً من الكتب وخاصة كتب ارسطوطاليس وغيره ، وجملة مصنفات احمد بن ابي الاشعث في صناعة الطب وغيرها كل منها تام في معناه لايوجد له نظير في الجودة » .

كما وانه « شرح كتاب الفرق لجالينوس ومقالتان فرغ منه في رجب سنة اثنين واربعين وثلثمائة ، وشرح كتاب الحميات لجالينوس العالم »(٤) .

النوع الثالث ـ مؤلفاته الطبية :

وهي كما ذكر إبن ابي اصيبعة .

١ ـ كتاب السرسام والبرسام ومداواتهما ، ثلاث مقالات .

٢ ـ كتاب في القولنج واصنافه ومداواته والادوية النافعة منه مقالتان .

٣ ـ كتاب في البرص والبهق ومداواتهما مقالتان .

٤ ـ كتاب في الصرع .

٥ ـ كتاب في الجدري والحصبة والحميقاء مقالتان .

٦ ـ كتاب في الاستسقاء .

٧ ـ كتاب في ظهور الدم مقالتان .

٨ ـ كتاب في ترتيب الادوية .

٩ ـ كتاب في الماليخوليا .

١٠ ـ كتاب في امراض المعدة ومداواتها .

النوع الرابع : مؤلفاته للدراسات العليا .

ان مكان ابن الاشعث في الطب العربي الاسلامي هو مكان العالم الذي رسم بنفسه منهجاً للتأليف العلمي ذي المستوى العالي التخصصي سبق بذلك المؤلفين اليوم لطلبة الدراسات العليا (ممن يريدون التخصص في الدراسة بعد الحصول على البكالوريوس) وكان ابرز حصيلات فكره في هذا الباب :

١ ـ كتاب الادوية المفردة ثلاث مقالات :

وكان السبب الباعث له على تصنيفه قوم من تلاميذه حيث يقول « سألني احمد بن محمد البلدي فتكلمت في الكتاب وقديماً كان سألني محمد بن ثواب فتكلمت في هذا الكتاب بحسب طريقتهما وكتبته اليهما وبدأت به في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة وهما في طبقة من تجاوز تعلم الطب ودخلا في جملة من يتفقه فيها علم من هذه الصناعة ويفرع ويقيس ويستخرج ، والى من في طبقتهما من تلاميذي ومن اهتم بكتبي ، فان من اراد قراءة كتابي ، وكان قد تجاوز مبدأ التعلم الى حد التفقه فهو الذي سينتفع به ويحظى بعلمه » (٥) .

اما المواضيع التي يشملها الكتاب فهي :

أ ـ القوانين والشرائع التي تنظم علم الادوية والغذاء واستعمالاتها وتأثيرها وكذلك الضوابط الصحية لها .

ب ـ الكليات والخواص ، مقادير الادوية ، التأثير الدوائي للعلاجات النباتية والمعدنية وشبه المعدنية والحيوانية .

جـ ـ استعمال العلاجات بصورة عامة بشكل يبين نبوغه في علم الادوية والعلاجات وصحة البيئة ، واضافة لما ذكر فان الكتاب يحوي اراءه القيمة بالنسبة للدراسة وممارسة واخلاق الاطباء وهي كما يلي :

أ ـ يحذر الاطباء من التفرقة في علاج مرضاهم وان يشعروا بمسؤوليتهم امام الله عن اعمالهم .

ب ـ وحذر الناس من تصديق الدجالين وغير المدربين ـ والجهلاء من المطببين .

جـ ـ ويؤكد على طلاب الطب قراءة كتب الطب الجيدة وضرورة التدريب والتمرن في المستشفيات باشراف اطباء مشهورين وزيارة المرضى لكسب قدرة اكثر . ويمتدح تطور مهنة الطب وتقدمها مدى العصور « لان الصناعة طويلة ولم تصل لهذه الغاية الاّ بالاف السنين والوف الرجال » .

د ـ كرس فصلاً لابراز مسألة مهمة في عصرنا الحاضر الا وهي فوائد اختيار طبيب العائلة الجيد (٦) .

هـ ـ فيه دعوة واضحة لاعلاء منار صناعة الطب والارتفاع بمستواها المهني والاخلاقي اذ يقول « ان الله فرض البلاغ ايها الاطباء ان الله سيسألكم عما عملتم في ابدان الناس فهذا ما اعظ به الطبيب » .

٣ ـ كتاب الغاذي والمغتذي ـ مقالتان فرغ من تأليفه بقلعة برقى من ارمينية في صفر سنة ثمان واربعين وثلثمائة (٧) . في هذا الكتاب يشرح المؤلف اعضاء جسم الانسان من الناحية التشريحية والفسلجية وكذلك المنافع الطبية لكل منها وعلاقتها وتغذية الجسم (٨) .

وبذلك نأتي على نهاية هذا الموجز اليسير للحياة العريقة الخصبة التي عاشها ابن الاشعث في الموصل الحدباء مداوياً للمرضى ومدرساً للطب ومؤلفاً للكتب الرائعة والشاهدة على نبوغه وشهرته .

الثاني احمد بن محمد البلدى

ترجمة حياته : هو الشيخ ابو العباس احمد بن محمد يحيى البلدى . عربي مسلم من مدينة بلد (بلط) وهي مدينة اسكي موصل الحالية والقريبة من الموصل .

من ابناء القرن الرابع الهجري . لانعرف بالتحديد تاريخ وفاته الاّ اننا نرجح أنه كان حياً قبل عام ٣٦٨هـ .

درس الطب في الموصل على يد احمد بن ابي الاشعث .

ذهب الى مصر والتقى بالوزير ابي الفرج يعقوب بن كلّس وزير المعز الفاطمي والف له كتاب تدبير الحبالى والاطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الامراض العارضة لهم في او بعد سنة ٣٦٨ هـ والذي قمنا بتحقيقه وطبع الكتاب ضمن سلسلة كتب التراث التي تصدرها وزارة الثقافة والاعلام العراقية سنة ١٩٨٠ .

لم يذكر لنا المؤرخون شيئاً اكثر مما ذكرناه عن حياته ونشاطه الطبي .

اما عن مؤلفاته الاخرى فاننا لم نجد لها ذكراً في المصادر والفهارس سوى اشارة (لها علاقة بموضوعنا) من البلدى نفسه في الباب الثاني والخمسين من المقالة الثالثة في كتابه تدبير الحبالى حول عزمه تأليف كتاب مستقل عن الجدرى والحميقاء .

ولا نعلم ان كان قد الفه ام انه لم يؤلفه وذلك لعدم ورود ذكره من قبل المؤرخين (٩) .

ان هذه الاشارة لتاليف كتاب حول الجدرى والحميقاء فيها دليل قاطع على ان هذا المرض نال اهتماماً خاصاً من البلدى .

مرض الحميقاء (الجديري) عند البلدى

تناول البلدى في الباب التاسع والخمسين من كتابه تدبير الحبالى والاطفال والصبيان العلامات المنذرة الدالة على الجدرى والحصبة والحميقاء (الجديرى) واعطى لكل مرض من هذه الامراض وصفاً منفصلاً مما يدل على انه كان على دراية تامة بانها امراض مختلفة وليست مرضاً واحداً .

واذا كان الرازي (في رسالته عن الجدرى والحصبة) وباتفاق مؤرخي تاريخ الطب اول من وصف مرضي الجدري والحصبة كلا على حدة وميزهما عن بعضهما فانه حان الوقت الذي يجب فيه اعادة الحق لنصابه والاعتراف بحق البلدى في اعتباره اول من وصف مرض الحميقاء (الجديرى) وميزه عن الجدرى والحصبة ودليلنا على ذلك هو عدم ذكر هذا المرض من قبل احد من المؤلفين اليونانيين وكذلك العرب المسلمين من الذين سبقوه (من امثال الرازي ، احمد الطبري ، ابن سينا ، ابن الجزار) وغيرهم .

ذكر ابن ابي اصيبعة بين مؤلفات ابن ابي الأشعث « كتاب في الجديرى والحصبة والحميقاء » الا اننا لم نستطع معرفة محتويات هذا الكتاب ولا نعلم ان كان موجوداً ام مفقوداً ، كما واننا لم نعثر عند البلدي تلميذه اية اشارة للكتاب او لأقوال ابن الاشعث بالنسبة لمرض الحميقاء لذا فالى ان يتهيأ لنا او لغيرنا العثور على كتاب ابن الاشعث ودراسته فاننا نعتبر البلدى اول من فرّق مرض الحميقاء عن الحصبة والجدرى . هذا التفريق الواضح والمهم للحميقاء عن الحصبة يظهر جلياً عندما اكد على ان المصاب بالحصبة يمكن ان يصاب بالحميقاء وعندما اعطى الصورة الكاملة لاعراض هذا المرض وخاصة عند وصفه شكل الطفح يقول البلدى .

« الحميقاء / فاما الحميقا فانها لاتكاد ان يتعرض معها في الحمى وجع الظهر ولا التفزع وان عرض منه شيء فيسير ويكون سنة واحدة في المزاج وتخص هذه الحمى قشعريرة يجدها العليل في جميع جسده ليست بنافض ولا برد ويوجد البدن مع هذه الحال حاراً مسربلاً احمر حمرة موردة ليست بالقانية والعينان ملامستين جاحظتين غير موردتين يدمعان ورأس الانف عظيم ليس بالاحمر والعليل كأن جسده جسد انسان قد خرج من حمام غير حار فهو يؤثر الدثار وسواه وما يكون منها في سن الرضاع لايتقدمه حمى وان كان كثيراً متحصد في البدن وظهور البثر في هذا يكون مع الرابع الى السابع واذا ظهر لم يشبه الجدرى ولا الحصبة في حال البتة وذلك ان اشكاله قرصية او كاكبر ما يكون من العدس الجبلي وليس له رؤوس البتة وبثرته مطوقة بحمرة وسطها ابدا ابيض فاذا نضج فتصور معه موضعه من بدن الانسان قد رش عليه ماء مغلي فعمل في سطحه تنفط الا ان في ذلك الشكل وكثيراً مايسود ويجف مكانه ولا يسيل منه شيء فان سال بعضه لرطوبة جملة بدن العليل او لرطوبة موضع منه او بقيت به العلة سال منه شيء شبيه بماء يسيل في نفط النار وخروجه مسدد فليس يكاد يكثر في موضع واذا ظهر فقد امنت آفته وليس في تدبيره مشقة واكبر منه بمقدار او تحقيقه ومداواته لاغير وان مال الى بعض الاعضاء الرئيسية فالحال في تليينه يسره واكثره الى تمام اربعة عشر سنة وما احفظ اني رايتها بعد الاربعة عشر سنة ولا قال لي من اثق به انه رآها بعد

مرض الحميقاء (الجديري) عند البلدى

تناول البلدى في الباب التاسع والخمسين من كتابه تدبير الحبالى والاطفال والصبيان العلامات المنذرة الدالة على الجدرى والحصبة والحميقاء (الجديرى) واعطى لكل مرض من هذه الامراض وصفاً منفصلاً مما يدل على انه كان على دراية تامة بانها امراض مختلفة وليست مرضاً واحداً .

واذا كان الرازي (في رسالته عن الجدرى والحصبة) وباتفاق مؤرخي تاريخ الطب اول من وصف مرضي الجدري

والحصبة كلا على حدة وميزهما عن بعضهما فانه حان الوقت الذي يجب فيه اعادة الحق لنصابه والاعتراف بحق البلدى في اعتباره اول من وصف مرض الحميقاء (الجديرى) وميزه عن الجدرى والحصبة ودليلنا على ذلك هو عدم ذكر هذا المرض من قبل احد من المؤلفين اليونانيين وكذلك العرب المسلمين من الذين سبقوه (من امثال الرازي ، احمد الطبري ، ابن سينا ، ابن الجزار) وغيرهم .

ذكر ابن ابي اصيبعة بين مؤلفات ابن ابي الأشعث « كتاب في الجديرى والحصبة والحميقاء » الا اننا لم نستطع معرفة محتويات هذا الكتاب ولا نعلم ان كان موجوداً ام مفقوداً ، كما واننا لم نعثر عند البلدي تلميذه اية اشارة للكتاب او لأقوال ابن الاشعث بالنسبة لمرض الحميقاء لذا فالى ان يتهيء لنا او لغيرنا العثور على كتاب ابن الاشعث ودراسته فاننا نعتبر البلدى اول من فرّق مرض الحميقاء عن الحصبة والجدرى . هذا التفريق الواضح والمهم للحميقاء عن الحصبة يظهر جلياً عندما اكد على ان المصاب بالحصبة يمكن ان يصاب بالحميقاء وعندما اعطى الصورة الكاملة لاعراض هذا المرض وخاصة عند وصفه شكل الطفح يقول البلدى .

« الحميقاء / فاما الحميقا فانها لاتكاد ان يتعرض معها في الحمى وجع الظهر ولا التفزع وان عرض منه شيء فيسير ويكون سنة واحدة في المزاج وتخص هذه الحمى قشعريرة يجدها العليل في جميع جسده ليست بنافض ولا برد ويوجد البدن مع هذه الحال حاراً مسربلاً احمر حمرة موردة ليست بالقانية والعينان ملامستين جاحظتين غير موردتين يدمعان ورأس الانف عظيم ليس بالاحمر والعليل كأن جسده جسد انسان قد خرج من حمام غير حار فهو يؤثر الدثار ويهواه وما يكون منها في سن الرضاع لايتقدمه حمى وان كان كثيراً متحصد في البدن وظهور البثر في هذا يكون مع الرابع الى السابع واذا ظهر لم يشبه الجدرى ولا الحصبة في حال البتة وذلك ان اشكاله قرصية او كاكبر ما يكون من العدس الجبلي وليس له رؤوس البتة وبشرته مطوقة بحمرة وسطها ابدا ابيض فاذا نضج فتصور معه موضعه من بدن الانسان قد رش عليه ماء مغلي فعمل في سطحه تنفط الا ان في ذلك الشكل وكثيراً مايسود ويجف مكانه ولا يسيل منه شيء فان سال بعضه لرطوبة جملة بدن العليل او لرطوبة موضع منه او بقيت به العلة سال منه شيء شبيه بماء يسيل في نفط النار وخروجه مسدد فليس يكاد يكثر في موضع واذا ظهر فقد امنت آفته وليس في تدبيره مشقة واكبر منه بمقدار او تخفيفه ومداواته لاغير وان مال الى بعض الاعضاء الرئيسية فالحال في تليينه يسره واكثره الى تمام اربعة عشر سنة وما احفظ اني رايتها بعد الاربعة عشر سنة ولا قال لي من اثق به انه رآها بعد هذه السن اخص بها لغلبة الرطوبة على مزاج الطفل في هذه المدة واكثر ما يظهر بالعراق والبلدان الحارة الرطبة » (١٠) .

وعندما تناول علاج الجدرى والحميقاء والحصبة نجده فصّل معالجة كل مرض بشكل يختلف عن الآخر تأكيداً منه على انها امراض مختلفة وليست مرضاً واحداً يقول : « فاما الحميقة فلست بمحتاج فيها الى اخراج الدم اذا لم تتقدمها حمى فافهم هذا . واسقي العليل اقراص الكافور واقراص الطباشير بماء الرمان الحامض » (١١) . ولسوء الطالع بقي اكتشاف البلدى هذا كشخصه وكتابه « تدبير الحبالى والاطفال والصبيان » طي النسيان حيث لم ينتشر ذكره بشكل واسع ملموس كبقية اعلام الطب من امثال الرازي ، ابن سينا ، الزهراوي ، ابن النفيس .

والامر المحير حقاً هو عدم وجود اي ذكر لمرض الحميقاء لدى المتاخرين من الاطباء العرب من الذين جاءوا بعده من امثال مهذب الدين ابن هبل البغدادي (توفي ١٦١٠/ ١٢١٣م) وابن القف (١٢٣٢ - ١٢٨٦ م) وابن الازرق (المتوفى بعد ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م) والانطاكي (من اطباء القرن العاشر الهجري) ترى هل انهم كانوا يجهلون هذا المرض ؟ ام انهم لم يطلعوا على كتاب البلدى ؟ واذا اطلعوا عليه فلماذا لم يذكروا عنه وعن مرض الحميقاء شيئاً ؟ .

اسئلة كثيرة لاتعرف الاجابة عنها ، وكل مانعرفه هو عدم وجود ذكر لمرض جدري الماء في المصادر الطبية العربية منها والاجنبية لأكثر من خمسة قرون تلت مجيء البلدى .

هذه الحقيقة دفعت البعض الى الاعتقاد بانه لم يكن لمساهمات البلدى اي تأثير في الطب العربي وهذا ما لايمكن قبوله وتصديقه فبالاضافة لما ذكرناه بالنسبة لمرض الجدرى فان للبلدى فضل اخر بالنسبة للامراض المعدية وعلم الحصانة حيث يمكن

اعتبار اول من كانت لديه فكرة الحصانة ضد الامراض وليس ابن رشد كما هو معروف . فقد سبقه البلدي في ذلك حينما اكد ان المصاب بالجدري او الحميقاء او الحصبة مرة لايصاب بها مرة اخرى يقول « فالغشى اخص العلامات بالجدري فاذا رأيت ذلك فاعلم انه يثور بالعليل حصبة ولا سيما اذا كان العليل لم يحصب وبخاصة اذا كان قد جدر وظهرت به الحميقا » (١٢) .

ونجد للبلدي ايضاً في هذا الباب التفاتة لها دلالة على احاطة عميقة بالنسبة للتوزيع الجغرافي للأمراض حيث يؤكد كما ذكرنا سابقاً على ان مرض الحميقاء (الجديري) ينتشر في المناطق الحارة وفي العراق .

مرض الحميقاء (الجديري) في المصادر الغربية :

فاذا اعدنا الى المصادر الطبية الغربية بالنسبة لهذا المرض فاننا نجد بان (فيدس فيديوس Vidus Vidius) كان احد اوائل الذين ذكرتهم المصادر الطبية من الذين قاموا بوصف الحميقاء = الجديرى (١٣) حيث كتب يقول « كثيرون اضافوا البلورية للحصبة والجدرى . واطلقوا ذلك على البثور المملوءة بالماء والبراقة كالبلورات ، ينتشر عدد كبير من هذه البثور في مناطق مختلفة من الجلد ، ويطلق عليها الأن Ravaglione لايصاب بها كل واحد كالجدرى والحصبة . ولاتكون اصابة الاشخاص بها شديدة ، لذا يجب عدم اعتبار هذه التنفطات كنوع متحور ثالث من الجدرى والحصبة (١٤) .

يقول الدكتور ارهرت كالة (استاذ تاريخ طب الاطفال في معهد تاريخ الطب ـ جامعة ورزبيرك ـ المانيا الغربية) .

« ان فيدس فيديوس لم يستطع هنا تفريق الجديرى عن الجدرى والحصبة بل شاهد فيها نوعاً بسيطاً متغيراً من الأثنين) .

اما المؤلف الثاني الذي يشار اليه كاول واصف لمرض الجديرى فهو (جيوفاني فيليبو انكراسيا (١٥١٠ ـ ١٥٨٠ م) (Giovanni Filipo Ingrasia) من باليرموفي كتاب نشره سنة ١٥٥٣ (١٥)

يقول انكراسيا عن الجديري :

« . . . حبيبات ترمسية تنتشر على الجسم كله . بيضاء تعكس الضوء كالبلورات . واذا تفتحت يخرج منها سائل . . انها اقل خطورة ، وعادة تكون بدون حمى » (١٦) .

يقول الدكتور ارهرت كاله « ان انكرسيا فرق بشكل واضح بين الحصبة والجدرى وبين الطفح البلوري . . الآ انه مهما يكن فان هذين الوصفين من القرن السادس عشر ليسا دقيقين كوصف البلدى » .

ويؤكد ارهرت القول فيقول لذا من الآن فصاعداً يجب ان يقترن اسم البلدى كاول واصف لمرض الجديري او جدري الماء في تاريخ طب الأطفال » (١٧) .

وبعد هذا اقول لقد حان الوقت الذي يجب ان نفي لهذا الرجل الذي نشأ ودرس في هذا البلد بعضاً من حقوقه ونساويه بغيره من العمالقة من الاطباء العرب المسلمين (امثال الرازي وابن سينا والزهراوي وابن النفيس) فنطلق اسم البلدي على قاعة من قاعات التدريس في كلية الطب او مستشفى من مستشفيات الاطفال في هذه المحافظة تخليداً لذكرى تأليفه اوسع واكمل كتاب في طب الاطفال والولادة قبل عشرة قرون وتثميناً لقيامه بوصف معالم واعراض مرض الجديرى الذي يعتبر احد امراض الاطفال بشكل واضح وجلي قبل من نسب لهم اكتشاف هذا المرض باكثر من خمسة قرون واخيراً لأرسائه الدعامة الاولى لعلم الحصانة ضد الأمراض .

الثالث ابن هبل البغدادي (توفي سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣م) .

هو ابو الحسن علي بن احمد بن هبل ، ولد في بغداد ، حفظ القرآن ودرس الفقه في المدرسة النظامية ببغداد . تعلم الطب على ابي البركات علي ملكاً . فعرف في بغداد فقيها واديباً وطبيباً ماهراً ، ثم اقام في الموصل ، ومنها سافر الى اذربيجان ثم ماردين وعاد الى الموصل حيث عمل له مجلساً يعلم فيه الحكمة والطب وهو فاقد البصر وعاش اكثر من مائة سنة . اشهر مؤلفاته كتاب المختارات في الطب كتبه في الموصل (سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٤) وهو باربعة اجزاء يتميز بحسن التبويب وسهولة العثور على المراجع والأختصار .

عقد اربعة فصول عن تدبير المولود وتغذيته ومداواة امراض الأطفال في كتابه المختارات في الطب الجزء الأول . وفيها الكثير من الأفكار القيمة والأراء السديدة .

حيث سرد في فصل « خلق الانسان » علم الأجنة بالنسبة لزمانه وفي فصل « في تدبير المولود » ابتدأ بتقديم النصائح للحامل للحفاظ على الجنين من اي مكروه ولتسهيل ولادته . ثم تكلم عن كيفية استقبال المولود والعناية به عند الولادة وكيفية تغذيته ونومه . وصفات الحليب الجيد وشروط المرضعة وكيفية تغذيتها . وكيفية تعويد الطفل على الأكل وفطامه والعناية به عند بروز اسنانه ومشيه .

وفي الفصل الذي يلي ذلك تحدث عن مداواة امراض الأطفال .

والأمراض التي ذكرها كانت (التشنج ، الأسهال ، القلاع ، اورام في ناحية اوتار اللحيين ، الكزاز ، ورم السرة ، سهر وبكاء ، زكام وسعال ، التفزع سيلان الرطوبة من الأذن ، عطاس ، ورم اللوزتين اللهاة ، ريح الصبيان ، الفتق ، الحمى ، البثور ، انتفاخ الأجفان ، سحج الفخذين ، الدود) .

وفي الفصل الذي بعد ذلك تكلم عن كيفية العناية بغذاء الطفل وتربيته بعد ان يكبر وكيفية اختيار المعلم الجيد وتعويده الخصال الحميدة وتوجيهه الوجهة الصحيحة بالنسبة لمستقبله . (١٨)

الرابع عبداللطيف البغدادي .

هو موفق الدين محمد بن عبداللطيف البغدادي الطبيب السائح الفيلسوف العربي . موصلي الأصل ولد في بغداد وساح في العراق وبعد ان اكمل علومه فيها ذهب الى دمشق واجتمع بعلمائها وناظرهم ثم ذهب الى مصر واجتمع بعلمائها .

كان عبداللطيف يقرىء الناس الطب في الجامع الأزهر ثم توجه الى القدس والتقى فيها بصلاح الدين الأيوبي ثم قصد دمشق ونزل فيها في المدرسة الوزيرية وشرع في التدريس والأشتغال بالطب ثم استقر في حلب واشتغل فيها بتدريس وممارسة صناعة الطب .

اشتهر باعلان ارائه ومخالفته لجالينوس وغيره ممن سبقوه من الأطباء العرب . له مؤلفات في مختلف العلوم ومن كتبه المشهورة في الطب / مقالة في الحواس ، كتاب الأفادة والأعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر .

نجد في اقوال عبداللطيف البغدادي في مقالته عن الحواس ، اشارات لعمل بعض الهرمونات وعلاقتها بتغيرات الشكل والتشوهات الخلقية من ذلك (القوة النامية) التي تشبه عمل هورمون النمو و (القوة الغاذية) التي تقابل عمل الهورمونات الأبتنائية و(الألتحاء) الذي يوازي عمل هورمون الجنس ، يقول :

« ان القبح انما هو تناسب الأعضاء ورداءة السحنة وقلة النضارة .

واما القماءة فهي محق الخلقة ، ونقصان النمو والحسن ، واما الجمال فهو عظم الصورة لتناسب الأعضاء وتمام حسنها ، وقد يعرض لبعض الصبيان القبح لعدم التناسب ورداءة السحنة وقلة النضارة ، وتعرض له القماءة لضعف النمو ، فاذا راهق والتحى حصل له باللحية اعتدال وتناسبت وسترت من الأعضاء ماكان سيئاً وسبب القبح ثم حصلت له النضارة بحسب سن الشباب ، فانها سن من شأنها ان تولد الدم وتغلب فيها الحرارة وتقل الرطوبة ويحدث الجمال بالنمو الكائن عند الأنبات ، مضافاً الى التناسب الحاصل باللحية مع النضارة ، وبعض الصبيان يكون معتدل الشكل حسن الصورة ، فاذا التحى اختل التناسب ، ونقص الاعتدال ، وتعرض له القماءة لفتور من القوة النامية ، ونفاذ من المادة القابلة » .

ويضيف البغدادي « واعلم ان كثيراً مانجدد الحسن والجمال عند الانبات وبعده لسببين سوى ماتقدم ، احدهما ان تكون امراض ممكنة في بعض الأعضاء او في المزاج نفسه ، فاذا نهضت الطبيعة عند البلوغ وتنبهت قويت على شفاء تلك الاسقام وتصحيح تلك الاعضاء ، فعاد البدن حينئذ الى اعتداله ، فحسنت لذلك حاله » (١٩) .

والاختلاف بين القوة الغاذية والقوة النامية واضح في ظواهر يذكرها عبداللطيف البغدادي فيقول (٢٠) انك ترى هذه الاختلافات في الذين وقف بهم النشء واستمر فيهم فعل الغاذية وفي الذين خارت فيهم القوة الغاذية واستمر فيهم النمو ، بحيث ترى الواحدة منها قوية والثانية ضعيفة او بالعكس . ترى مثلاً الصبيان المعلولين او المبطونين يطولون والشيوخ يخصبون ، ونرى القروح تندمل والجراح تلتئم ، والعظام تنجبر في ابدان

المسلولين .

و ونحن نطلع على هذه الأراء لابد ان نعترف بانها تنم على تحليل دقيق لعمليات النشء والنمو والتطور وكأننا نطلع على آخر ماعرف عن اشتراك (الجينات) الممثلة لكل جزء من الجسم في تركيب كروموسومات المني ، وعلى اخر ماعرف عن هورمون النمو وعن تباين افعاله عن الافعال التي لاترمي الا الى مجرد زيادة الحجم او الوزن واستقلالها الى حد بعيد عن الحالة الغذائية ، بل عن اتجاه هذا الهورمون احياناً اتجاها عكسياً ، مثلاً في الأقزام البدان المصابين بتوقف وظيفة الفص الامامي من الغدة النخامية او بخلل في المراكز العصبية المسيطرة على هذه الغدة او بقلة افراز الغدة الدرقية .

وباختصار فاننا نرى الغذاء يتحول الى مني في الأنثيين اي الغدد الجنسية بفعل القوى العاملة على بقاء النوع ، وبالتحديد بفعل القوة المولدة ، ثم تفصل القوة المولدة اجزاء المني التي استمدتها من جميع اعضاء الجسم الى امزجة تلائم امزجة الاعضاء عضواً عضواً ثم تسلط عليها القوى النفسانية والطبيعية والحيوانية لتحويلها الى معدنها ، ومن ثم تقع هذه الامزجة تحت تأثير القوة المصورة الطابعة المخدومة من القوتين الغاذية والنامية والتي تخطط الاعضاء وتشكل الاشكال والتجاويف والاوضاع والمشاركة والملامسة والخشونة »(٦)

الهوامش والمصادر

١ ـ ابن ابي اصيبعة طبقات الاطباء ص ٢٤٥ ـ ٢٤٧ .

٢ ـ المصدر نفسه ص ٢٤٧ .

٣ ـ المصدر نفسه ص ٢٤٨ .

٤ ـ المصدر نفسه ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

٥ ـ ابن ابي الاشعث ـ احمد / الادوية المفردة نسخة المتحف البريطاني الخطية ص ١٢ .

٦ ـ حارنة سامي خلف فهرس المخطوطات العربية في الطب والصيدلة في المكتبة البريطانية ص ٦٦ .

٧ ـ ابن ابي اصيبعة طبقات الاطباء ص ٢٤٨ .

٨ ـ حارنة المصدر المذكور سابقاً ص ٦٦ .

٩ ـ البلدى ـ احمد بن محمد / كتاب تدبير الحبالى والاطفال والصبيان تحقيق الدكتور محمود الحاج قاسم محمد ص ٣٥ ـ ٣٦ .

١٠ ـ المصدر نفسه ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥ .

١١ ـ المصدر نفسه ص ٣٢٥ .

١٢ ـ المصدر نفسه ص ٣٢٤ .

١٣ ـ كالة ـ ارهرت / وصف البلدى لجدرى الماء ـ بحث قدم للندوة العالمية حول الطفل في الطب العربي ـ ١٥ ـ ٢٠ مارس ١٩٨٢ . طرابلس ـ ليبيا . مجلد ابحاث الندوة باللغة الانكليزية :

The DESCRIPTION OF VARICELLA BY AL — BALADI

ERHART KAHILLE/ F. R. G. P. 241.

١٤ ـ المصدر نفسه بالاصل منقول عن Ebstein 1906. p 183. AShort History of Medicine P. 203.

١٥ Charles Singer And E. Ashworth Underwood

١٦ ـ كالة ارهرت / المصدر السابق بالاصل عن Ebstein 1906 P. 184.

١٧ ـ المصدر نفسه .

١٨ ـ الحاج قاسم ـ الدكتور محمود / تاريخ طب الاطفال عند العرب الطبعة الثانية . ص ١٤١ .

١٩ ـ البغدادي ـ عبداللطيف مقالتان في الحواس . تحقيق د . بول غليونجي ، د . سعيد عبده ص ١١٩ ـ ١٢٠ ـ ١٢١ .

٢١ ـ المصدر نفسه ص٩٦ .

٢٢ ـ غليونجي ـ د . بول / الجنس والنمو في طب العصر الاسلامي ص٣ / بحث قدم للندوة العالمية عن الطفل في الطب العربي طرابلس ليبيا ١٥ ـ ٢٠مارس ـ ١٩٨٢ .

أثر الغناء في ظهور الموشحات الأندلسية

د. يونس شنوان

جامعة اليرموك - الاردن

الموشحات متفرعة من جذور الشعر العربي القديم . وقد اخذت من هذا الشعر شيئاً من لغته وانغامه ، وخرجت عليه احياناً في لغتها واوزانها . فلغة الموشح هي لغة عربية فصيحة ، وان مالت الى السهولة والبساطة التي تقربها من لغة العامة احياناً . ولكن الخرجة وهي الفعل الاخير في الموشح قد تأتي عامية احياناً واعجمية احياناً اخرى . والموشحات في اوزانها تخضع احياناً لاوزان الشعر العربي المعروفة كما ذكرها الخليل بن احمد ، وتخرج عليها في اغلب الاحيان . وفي هذا البحث محاولة للتعرف على اسباب هذا الاختلاف والتشابه ، من خلال العودة الى جذور الشعر العربي والحديث عن صلته الوثيقة بالغناء ، فالحداء هذا الغناء الذي يتردد برتابة هو صورة عن القصيدة العربية التي تتكرر فيها القافية من اول بيت الى اخر بيت وهو بالتالي صورة من طبيعة الجزيرة العربية التي تقوم في الغالب على الوحدة ، ومن العناصر السكانية المتجانسة التي عاشت فيها . واذا كانت هذه الوحدة هي التي تميز القصيدة فان التعدد ، والتنوع ، والزركشة ، والزخرفة هي التي تلفت الانتباه في الموشح . وهذا التنوع في اللغة والاوزان ناتج عن تعايش اللغات المختلفة في الاندلس : العربية ، والاعجمية ، والبربرية والعبرية ، وعن امتزاج الانغام العربية والاعجمية . ومن هذا التزاوج نشأت الموشحات والتي هي بالتالي صورة من البيئة والطبيعة الاندلسية .

اثر الغناء في ظهور الموشحات الاندلسية

الاندلس في ذاكرتنا ، نحن العرب ، كلمة مضمخة بعبير التاريخ ، ومرادفة للجمال والشاعرية والسحر كلمة تشنف اسماعنا ، وتعود بمخيلتنا الى مئات السنين ، الى ذلك الفردوس المفقود ، والى زمان الاندلس ، الذي مر وكأنه لم يكن ، كسحابة صيف او حلم جميل ، او كما قال لسان الدين بن الخطيب الاندلسي :

جادك الغيث اذا الغيث همى
يازمان الوصل في الاندلس
لم يكن وصلك الا حلما
في الكرى او خلسة المختلس[1]

لقد كان فتح العرب للاندلس ، من اسرع الفتوحات في العالم واغربها . واما خروج العرب من الانـدلس ، فهو اشبه ما يكون بالحكاية ، لكن البحث العلمي ينزلنا من هذا العالم الشاعري السحري الى عالم الواقع والى ما يتطلبه البحث من دقة وموضوعية .

الجذور المشرقية :

عند الحديث عن الشعر الاندلسي ، بانماطه المختلفة : القصيدة والموشح والزجل ، لابد من الرجوع الى الجذور ، وجذور ذلك الشعر موجودة في المشرق . وسأركز هنا على علاقة الشعر بالغناء والموسيقى واثر ذلك في ظهور الموشحات . يرى المستشرق « فارمر » ان الموسيقى العربية في اصولها الاولى كانت عربية خالصة ، لكنها تأثرت فيها بعد بالموسيقى الاغريقية والرومية ، ويلاحظ « فارمر » التشابه بين الادوات الموسيقية المستعملة لدى المجموعات السامية وبين بعض الكلمات التي لها صلة بالغناء[١]

يبدو ان الشعر والموسيقى والغناء لقيت رواجاً في جنوب الجزيرة العربية في فترة سابقة على مجيء الاسلام وقد نتج عن الازدهار الاقتصادي الذي كانت الحجاز تنعم به تقدم في هذه الفنون . ومعروف ان الشعراء كانوا يتنافسون في سوق عكاظ ، (وهو سوق بين مكة والطائف ، كانت القبائل تجتمع فيه في شهر شوال) . وينشدون اشعارهم هناك[٢] .

لقد وصلتنا المعلقات باوزانها المحكمة الصنع ، وهذا يدفعنا الى الاعتقاد بان جذورها ممتدة في ازمنة بعيدة . وعلينا ان نقر بأن هذه الاوزان المكتملة هي اوزان محلية نظمت من قبل العرب وللعرب .

ولا نشك ان هناك علاقة بين القصيدة وبين الحداء الذي ربما كان اصل الغناء العربي . والحداء هو ذلك النمط من الغناء الذي كان حادي العيس يردده ليتناسب مع وقع خطوات الابل الرتيبة المتكررة . انه صورة من القصيدة التي تتكرر فيها القافية الواحدة من المطلع الى اخر بيت .

وهذا هو الفرق الاول بين القصيدة والموشح . فبينما يقوم هذا الفن الاندلسي الاصيل ، على التعدد والتنوع في القوافي ، وعلى الزركشة والزخرفة والتزيين ، تقوم القصيدة على نمط واحد يتكرر ، في كل بيت ويفرض نفسه على القصيدة كلها .

وهذه الرتابة هي ايضا صورة من طبيعة الارض في الجزيرة العربية ، وهي طبيعة موحدة لانجد فيها تنوعاً الا بحدود ضيقة ، بخلاف الطبيعة الاندلسية التي تقوم على التعدد والتنوع .

ولعل هذا هو احد الاسباب العديدة التي تفسر ظهور الموشح في الاندلس .

يلاحظ ان انشاد الشعر ، منذ الجاهلية ، كان متصلاً اتصالاً وثيقاً بالغناء ، ونجد ان ذكر القيان المغنيات يتردد كثيراً في الشعر الجاهلي وفي الشعر الاسلامي ، وقد شاع الغناء شيوعاً كبيراً في المدينة المنورة وهناك ادلة كثيرة مبثوثة في ثنايا كتاب الاغاني ، تؤيد ماانذهب اليه ، ولا شك بأن هذا الازدهار كانت له جذوره البعيدة ، لقد كان الشعر الجاهلي شعراً غنائياً وقد غنى بعضهم مقاطع من قصائدهم كالمهلهل (ت حوالي ٥٠٠ م)[٣] ويذكر صاحب كتاب الاغاني مراراً ان شاعراً جاهلياً غنى ابياته كالسليك بن السلكة (ت حوالي ٦٠٥م)[٤] اما الاعشى ميمون ابن قيس (ت عام ٦٢٩ م) فقد كان ينشد اشعاره بمرافقة اداة موسيقية تسمى الصنج ، وربما سمي لذلك « صناجه العرب »[٥] .

ويقول ابن قتيبة في كتابه « الشعر والشعراء » عن امرىء القيس : ومما يتغنى به من شعره :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

قوله :

تقول وقد مال الغبيط بنا معا
عقرت بعيري ياامرأ القيس فانزل

ويخاطب ابو النجم بن قدامة ، احدى الفتيات بابيات من الشعر يقول فيها :

تغنى ، فان اليوم يوم من الصبا
ببعض الذي غنى امرؤ القيس او عمرو
فظلت تغنى بالغبيط وميله
وترفع صوتاً في اواخره كسر[٦]

ويقول حسان بن ثابت :

تغن بالشعر اما كنت قائله
ان الغناء لهذا الشعر مضمار

ويقول ابن عبدربه الاندلسي عن شعر حسان « ان اكثره

كان يغني»[٨] .

وكانت الموسيقى الى جانب الغناء تلعب دوراً اساسياً في اسرار العرافين والسحرة ، ومن هنا جاءت الاسطورة التي تقول بأن الشعراء والمغنين يلهمون اشعارهم والحانهم عن طريق الجن .

وكان زرياب في الاندلس يدعي ان الجن كانت تكلمه وتعلمه افضل اغانيه والحانه ، « فكانت تعلمه في كل ليلة نوبه او صوتاً واحداً ، وكان يفيق من نومه ، ويدعو بجاريته غزلان . وهنيدة فتأخذان عوديهما ، ويأخذ هو عوده ، فيطارحهما ليلته ويكتب الشعر ، ثم يعود عجلاً الى مضجعه ، وكذلك يحكي عن ابراهيم الموصلي في لحنه المعروف بالماخوري ان الجن طارحته اياه » والله اعلم[٩] .

وتؤكد بعض الكلمات في اللغة العربية طبيعة العلاقة بين الموسيقى والجن ، فكلمة « عزف » مثلاً تعني صوت الجن وكذلك الايقاع الموسيقي ، واظن ان الشعراء والمغنين ارادوا من وراء ذلك ان يميزوا انفسهم عن بقية الناس ، وان يلقوا في روعهم ان ابداعهم يأتي من مصادر عليا وان الناس يعجزون عن الاتيان بمثل هذا الشعر او ذلك الغناء فادعوا وجود واد اسمه وادي « عبقر » فيه تابعة لكل شاعر ، تلهمه الشعر ، وفي الاندلس كتب ابو عامر بن شهيد رسالته المشهورة « التوابع والزوابع » ،[١٠] السابقة على رسالة الغفران لابي العلاء المعري ، وهي رسالة خيالية التقى فيها الكاتب في عالم الجن بتوابع الشعراء والكتاب في الجاهلية والاسلام .

كل ماقيل سابقاً يؤكد العلاقة الوطيدة بين الشعر والغناء ويؤيد ماذهبنا اليه من ان قسماً كبيراً من الشعر الجاهلي كان يغنى ، ولا نستبعد وجود مؤثرات اجنبية في الغناء في العصر الجاهلي ولكن علينا ان نحذر المبالغة في حجمها .

فتح الاندلس واول التأثيرات المشرقية :

فتح العرب الاندلس عام ٩٢هـ / ٧١١م وكانت ولاية تابعة لدمشق ، واستمر هذا الامر حتى سقوط الخلافة الاموية في المشرق عام ١٣٢هـ . وعاشت الاندلس فترة اضطراب بين عام ١٣٢ هـ حتى عام ١٣٨هـ وهو العام الذي دخل فيه عبدالرحمن الى الاندلس وبدأ فيه عصر الامارة .

كان النشاط الادبي والفني محدوداً في تلك الفترة وهذا امر طبيعي لان اغلب الفاتحين كانوا جندا وكان قسم كبير منهم من المسلمين البربر .

وفي عصر الولاة واوائل عصر الامارة كانت التأثيرات المشرقية قادمة من الشام ومن الحجاز وظلت الاندلس تعتمد اعتماداً يكاد يكون تاماً ، على الاغاني والتلاحين المشرقية ، وهذا لاينفي بطبيعة الحال وجود مؤثرات محلية بصورة محدودة ، وكان امراء بني امية يستقدمون المغنيات من المشرق ومن المدينة بالذات ، فقد اشترى عبد الرحمن الداخل جارية اسمها فضل وكانت حاذقة بالغناء كاملة الخصال واشتريت معها صاحبتها علم المدينة ، وصواحب غيرها اليهن تنسب دار المدنيات في القصر في قرطبة .

وكان يؤثرهن لجودة غنائهن ونصاعة ظرفهن ورقة ادبهن ، وتضاف اليهن جارية يقال لها قلم ، وهي ثالثة فضل وعلم في الحظوة عند الامير المذكور ، وكانت اندلسية الاصل رومية من سبي البشكنس ، وحملت صبية الى المشرق ، فوقعت بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتعلمت هناك الغناء فحذقته[١١] .

وكان الامير الحكم الربضي احد الامراء الذين اهتموا كثيراً بالغناء ، فقد كان يلقي على جواريه بعض الابيات ويقترح عليهن غناءها ، ومن اشهر المغنيات في بلاطه مهجة وعزيز وفاتن ، وفي احدى المرات منعنه من الدخول الى القصر فنظم ابياتاً يصور فيها تدلل الجواري وتمنعهن قال :

ظل من فرط حبه مملوكاً
ولقد كان قبل ذاك مليكا
ان بكى او شكا الهوى زيد ظلما
وبعاداً يدني حماماً وشيكا
تركته جآذر القصر صبّاً
مستهاماً على الصعيد تريكا
هكذا يحسن التذلل في الحب
اذا كان في الهوى مملوكا[١٢]

وهذا الشعر يذكرنا بابيات مشهورة تنسب لهارون الرشيد

حول الموضوع نفسه يقول :

ملك الثلاث الآنسات عناني
وحللن من قلبي بكل مكان
مالي تطاوعني البرية كلها
واطيعهن وهن في عصياني
وماذاك الا ان سلطان الهوى
وبه قوين اعز من سلطاني[١٣]

وكان امراء بني امية يجزلون العطايا للمبدعين من المغنين والمغنيات .

ومن بين المغنين في بلاط الحكم عباس النسائي وكان يغني مقطوعات نظمها الامير نفسه ، اما سالم مولى المغيرة بن الحكم ، فقد كان مغنياً بارعاً ، ويبدو انه تعلم بعض الالحان من بعض رسل ملوك النصارى الاسبان ، فقد كان يعمد الى تأخيرهم في بيته ومطارحتهم بعض الالحان ، وكان المغيرة بن الحكم قد اشترى مغنية عراقية كانت تغني الى جانب سالم ، وهكذا فان سالم هذا قد مزج بين غناء الاسبان والغناء العربي القادم من المشرق ، وقد ساعد الغناء على شيوع الشعر على الالسنة وعلى سهولة لغتة وميلها الى الرقة والعذوبة[١٤]

وصول زرياب الى الاندلس :[١٥]

وبقدوم زرياب واولاده وجواريه فتحت صفحة جديدة في تاريخ الشعر والغناء في الاندلس ، فقد اخملوا ذكر من سبقهم وكان زرياب تلميذاً للمغني المشهور اسحق الموصلي ، ولكن اسحق هذا عندما رأى اعجاب خلفاء بني العباس بزرياب دفعة حسده لزرياب على ارغامه على الهجرة بعيداً عن بغداد والمشرق كله .

راسل زرياب الامير الحكم الربضي مبدياً رغبته في الرحلة الى الاندلس ، فسر بذلك الحكم ، وشجعه على القدوم ، ولكن المنية عاجلت الحكم ، قبل وصول زرياب ، ولم يكن الامير عبدالرحمن الثاني باقل رغبة من الحكم في الغناء فحثه على المجيء وسر بقدومه .

وحظي زرياب بمكانة عند الامير عبدالرحمن الثاني ، وكتب له الامير في كل شهر بمائتي دينار ، واجرى عليه من المصروف العام ثلاثة آلاف دينار ، منها لكل عيد الف دينار ، ولكل مهرجان ونوروز خمسمائة دينار ، واقطعه من الدور والمستغلات بقرطبة وبساتينها من الضياع مايقوم باربعين الف دينار ، ولما سمع غناءه اطرح كل غناء سواه ، واحبه حباً شديداً وقدمه على جميع المغنين . وكان زرياب محدثاً لبقاً وعارفاً بسير الخلفاء ونوادر الملوك مما زاد في علو مكانته عند الامير .

ولقد اثارت مكانة زرياب هذه حسد بعض الشعراء الذين هجوه ومن بينهم الشاعر المشهور يحيى بن الحكم الغزال ، وعزم الامير على نفي شاعره الى المشرق لولا توسط كبار رجال الدولة .

ادخل زرياب تجديدات على صنع العود وزاد في اوتاره وتراً خامساً واخترع له مضراباً من قوادم النسر معتاضاً به عن الخشب والاهم من هذا كله هو ان زرياب كان صاحب مدرسة في الغناء لها تقاليدها التي استمرت في الاندلس وشمال افريقيا لحقبة طويلة من الزمن .

يقول المقري : « واستمر بالاندلس ان كل من افتتح الغناء فيبدأ بالنشيد اول شدوه باي نقر كان ، ويأتي اثره بالبسيط ، ويختم بالمحركات والاهزاج تبعاً لزرياب[١٦] وقد نجد بذور الموشحات الاندلسية الاولى في هذا النوع من الغناء ، الذي يقوم على التنوع والتعدد .

ولم تقتصر التجديدات التي ادخلها زرياب على فن الغناء فقط ، وانما تعدته الى التجديد في طرق المآكل والمشرب والملبس وتصفيف الشعر وما الى ذلك ، واصبح زرياب وجواريه رواداً يقتدى بهم في المجتمع الاندلسي في كثير من التقليعات .

وشاع الغناء في الاندلس على يد زرياب وتلاميذه شيوعاً واسعاً ، ولقي قبولاً لدى اكثر الناس ، حتى ان رجلاً فقيها مثل ابن عبدربه لم يجد حرجاً من سماع الغناء والاعجاب ، وقد خصص فصلاً في الجزء السادس من كتابه « العقد الفريد » للغناء ، يدل على مدى تعلقه وشغفه به يروى ان ابن عبدربه كان يستمع الى غناء مصابيح وهي تلميذة من تلاميذ زرياب في الغناء عندما كان في طريقه الى المسجد ، وكانت مصابيح غاية في النبل وحلاوة الصوت ويبدو انه منع من سماع صوتها فكتب الى مولاها يقول :

يامن يضن بصوت الطائر الغرد
ماكنت احسب هذا البخل من احد

لو ان اسماع اهل الارض قاطبة
اصغت الى الصوت لم ينقص ولم يزد

فخرج صاحب الجارية حافياً لما وقف على ذلك ، وادخل ابن عبدربه الى البيت[١٧] .

وشاهد آخر على شيوع الغناء وانتشاره وعدم تحرج الناس من سماعه هو مايروى عن القاضي ابو عبدالله محمد بن عيسى قاضي قرطبه فقد استمع الى جارية تغني الابيات التالية :

طابت بطيب لثاتك الاقداح
وزهت بحمرة خدك التفاح
واذا الربيع تنسمت ارواحه
طابت بطيب نسيمك الارواح
واذا الحنادس البست ظلماءها
فضياء وجهك في الدجا مصباح

فكتبها القاضي في ظهر يده يقول القاضي ابن الصفار :
فلقد رأيته يكبر للصلاة والابيات مكتوبة على ظهر كفه !![١٨] .

وكان ابن حزم الظاهري يشبه ابن عبدربه في اعجابه بسماع الغناء ، وقد كتب رسالة عن الغناء ، وروي في طوق الحمامة اكثر من حكاية تدل على شغفه بالسماع وكانت احدى كرائم المظفر بن ابي عامر قد طلبت اليه ان ينظم لها ابياتاً من الشعر لغاية الغناء فلبى طلبها .

كان ابن حزم معجباً بجارية تحسن الغناء وكانت مع مجموعة من النساء يحضرن حفلاً في بيتهم يقول عن النسوة : « ثم نزلن الى البستان ، فرغبت عجائزنا وكرائمنا الى سيدتها في سماع غنائها ، فأمرتها فاخذت العود وسوته بخفر وخجل عهد لي بمثله وان الشيء يتضاعف حسنه في عين مستحسنه ، ثم اندفعت تغني بابيات العباس بن الاحنف حيث يقول :

اني طربت الى شمس اذا غربت
كانت مغاربها جوف المقاصير
شمس ممثلة في خلق جارية
كأن اعطافها طي الطوامير
ليست من الانس الا في مناسبة
ولا من الجن الا في التصاوير
فالوجه جوهرة والجسم عبهرة
والريح عنبرة ، والكل من نور
كأنها حين تخطو في مجاسدها
تخطو على البيض او حد القوارير

فلعمري لكان المضراب انما يقع على قلبي ، وما نسيت ذلك اليوم ولا انساه الى يوم مفارقتي الدنيا[١٩] .

العناصر السكانية في الاندلس والازدواج اللغوي :

كان المجتمع الاندلسي مجتمعاً قائماً على التعدد والتنوع ، فالمولودن ، الذين نتجوا عن التزاوج وبين السكان الاصليين والمسلمين الفاتحين ، كانوا يشكلون نسبة كبيرة في ذلك المجتمع ، وكانوا يعرفون الاعجمية (الرومانث) الى جانب معرفتهم للغة العربية ، اما المستعربون ، وهم السكان الاصليون الذين ظلوا على النصرانية بعد فتح الاندلس ، فقد كانوا يعرفون اللغة العربية معرفة جيدة الى جانب معرفتهم لغتهم ، لكنهم كانوا لايحسنون اللاتينية وكانت هي لغة الدين آنذاك ، وقد تحسر على ذلك الراهب البرو القرطبي بقوله :

« ان اخواني في الدين يجدون لذة كبرى في قراءة شعر العرب وحكاياتهم ، يقبلون على دراسة مذاهب اهل الدين والفلاسفة المسلمين لا ليردوا عليها وينقصوها ، وانما لكي يكتسبوا من ذلك اسلوباً عربياً فصيحاً . واين تجد الآن واحداً من غير رجال الدين يقرأ الشروح اللاتينية التي كتبت على الاناجيل المقدسة ؟ ومن سوى رجال الدين يعكف على دراسة كتابات الحواريين وآثار الانبياء والرسل ؟ ياللحسرة ! ان الموهوبين من شباب النصارى لايعرفون اليوم الا لغة العرب وآدابها ويؤمنون بها ويقبلون عليها في نهم . وهم ينفقون اموالاً طائلة في جمع كتبها . ويصرحون في كل مكان بأن هذه الآداب جديرة بالاعجاب . فاذا حدثهم عن الكتب النصرانية اجابوك في ازدراء بأنها غير جديرة بأن يصرفوا اليها انتباههم . للألم ! لقد نسي النصارى حتى لغتهم ، فلا تكاد تجد بين الألف منهم واحداً يستطيع ان يكتب الى صاحب له كتاباً سليماً من الخطأ ، فأما عن الكتابة في لغة العرب فانك واجد منهم عدداً عظيماً يجيدونها في اسلوب منمق ، بل هم ينظمون في الشعر العربي مايفوق شعر العرب انفسهم فناً وجمالاً[٢٠] .

أما في وقتنافقد انعكست الصورة وحالنا ليست بحاجة الى شرح وهذا كما يقول ابن خلدون بحق مظهر من مظاهر التغلب[٢١] .

اما البربر فقد دخلوا الاندلس بأعداد كبيرة وأسر كاملة بخلاف العرب الذين دخلوا جنداً في الغالب . وكان البربر يعرفون العربية والاعجمية الى جانب لهجاتهم الخاصة . وكان العرب ايضاً يعرفون الاعجمية ، وكذلك اليهود الى جانب معرفتهم بالعبرية . وقد تعايشت هذه الاجناس وهذه اللغات جنباً الى جنب تحت مظلة الاسلام في جو انساني سمح شفاف وهذا باعتراف المستشرقين انفسهم .

لقد كان هذا التعدد والتنوع سبباً في الازدهار والتحضر في الاندلس وذلك حينما كان الامويون يمسكون بزمام الامور ويسيرون بحكمة واتزان ، وعندما كانوا يقفون موقفاً معتدلاً من مختلف العناصر دون تعصب ولا تحيز ، لقد كان المجتمع الاندلسي اشبه ما يكون بالموشح في تنوعه وزركشته ولكن هذا التعدد والتنوع كان سبباً في انقسام الاندلس وانهيار الحكم العربي هناك .

الموشحات والغناء :

اشرنا الى الصلة الوثيقة بين الشعر والغناء . وهذه الصلة هي اكثر وضوحاً بين الموشح والغناء وللتيفاشي صاحب كتاب « متعة الاسماع » رأي في الغناء الاندلسي يقول : « يبدو ان اهل الاندلس في القديم كان غناؤهم اما بطريقة النصارى او بطريقة حداة العرب . ولم يكن عندهم قانون يعتمدون عليه : « الى ان تأثلت الدولة الاموية ، وكانت مدة الحكم الربضي فوفد عليه من المشرق ومن افريقيا من يحسن غناء التلاحين المدنية ، فأخذ الناس عنهم الى ان وفد الامام المقدم في هذا الشأن علي بن نافع الملقب بزرياب غلام اسحق الموصلي على الامير عبدالرحمن الاوسط ، فجاء بما لم تعهده الاسماع واتخذت طريقته مسلكاً ونسي غيرها الى ان جاء ابن باجة الامام الاعظم واعتكف عدة سنين مع جوار محسنات فهذب الاستهلال والعمل ، ومزج غناء النصارى بغناء المشرق ، واخترع طريقة لاتوجد الا بالاندلس مال اليها طبع اهلها فرفضوا ماسواها »[٢٢] .

وهذا المزج بين غناء النصارى وغناء العرب هو ايضاً احد الاسباب التي تفسر ظهور الموشحات في الاندلس دون غيرها من البلاد الاسلامية .

لقد اقترنت الموشحات بالاندلس ، ففيها نشأت وتأصلت ، ومنها خرجت الى بقية انحاء العالم الاسلامي ، لقد كانت التأثيرات المشرقية عاملاً اساسياً في الثقافة الاندلسية ، وقد ردت الاندلس هذا الدين باختراع هذا الفن الجديد ونقله الى المشرق ، وقد اعترف المشارقة لاهل الاندلس بفضل التقدم . يقول ابن سناء الملك المصري : « الموشحات مما ترك الاول للآخر . وسبق بها المتأخر المتقدم ، واجلب بها اهل المغرب على اهل المشرق .. صار المغرب بها مشرقاً لشروقها بأفقه : واشراقها في جوه وصار اهلها بها اغنى الناس لظفرهم بالكنز الذي ذخرته لهم الايام وبالمعدن الذي غاب عنه الانام »[٢٣] .

وقد كتب ابن سناء الملك هذا دراسة قيمة عن الموشحات فقد وضع اصولها وقواعدها ، وتحدث عن خصائصها واوزانها ، وهي دراسة لايستغني عنها دارس للموشحات .

وفي آخر المقدمة يعترف ابن سناء الملك بتواضع جم بأن المشارقة لايستطيعون مجاراة اهل الاندلس في فن الموشحات يقول : « واعذر اخاك فانه لم يولد بالاندلس ولا نشأ بالمغرب ، ولا سكن اشبيلية ، ولا ارسى على مرسية ولا عبر على مكناسة ولا سمع الأرغن (والارغن اداة موسيقية تصدر انغاماً متنوعة) . . »[٢٤] .

يقول الصفدي في توشيع التوشيح : الموشح فن تفرّد به اهل المغرب وامتازوا به على اهل المشرق[٢٥] ويخصص ابن خلدون في آخر مقدمته فصلاً عن الموشحات يقول فيه .

« واما اهل الاندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فناً سموه الموشح »[٢٦] .

ظهور الموشحات :

اما تاريخ ظهور الموشحات فيعود الى اواخر القرن الثالث الهجري ايام حكم الامير عبدالله (٢٧٥ ـ ٣٠٠ هـ) واختلف الكتاب في اقدم الوشاحين هل هو محمد محمود القبري ام مقدم ابن معافي القبري ، ام ابن عبدربه الذي كان قد نظم الموشح ايضاً .

ومن الملفت للانتباه انه على الرغم من شيوع الموشحات واعجاب الكثيرين بها الا ان الكتاب لم يعنوا بتدوينها وتسجيلها الا في فترة متأخرة وعلل بعضهم ذلك « بأن اكثرها على غير اعاريض الشعر العربي » او « ان العادة لم تجر على تدوينها في الكتب المخلدة »[٢٧] ويعود هذا الاهمال في رأيي الى ان للقديم على نفوسنا ، نحن العرب ، سلطاناً فلا نتقبل الجديد في البداية

بسهولة والصراع بين القديم والجديد موجود منذ القدم . لقد تعودت الاذن العربية على نغم رتيب يتكرر في القصيدة من اولها الى آخرها ، وعندما جاءت الموشحات ثورة على الرتابة في الاوزان لقيت معارضة وعزوفاً عن تدوينها في البداية على الرغم من شيوعها واعجاب الناس بها .

ان اول مايميز الموشحة عن القصيدة هو انها لاتلتزم بقافية واحدة ، فهي تتيح للناظم حرية في القوافي لكن هذا لايعني ابداً ان الموشحات بدون ضوابط وقواعد ، بل انها تزيد على القصيدة في قواعدها .

اوزان الموشحات :

عجز الدارسون حتى الآن عن حصر اوزان الموشحات وكان ابن سناء الملك قد قسمها الى قسمين[٢٨]

ـ ماجاء على اوزان اشعار العرب وهذا اقرب الى المسمطات والمخمسات منه : الى الموشح ، وابن سناء الملك لايظهر ميلاً لهذا النوع .

ـ اما القسم الثاني فهو مالا مدخل لشيء منه في شيء من اوزان العرب يقول عن هذا القسم : « وهذا القسم منها هو الكثير ، والجمّ الغفير ، والعدد الذي لاينحصر ، والشارد الذي لاينضبط وكنت اردت ان اقيم عروضاً يكون دفتراً لحسابها ، وميزاناً لاوتادها واسبابها فعزّ ذلك واعوز لخروجها عن الحصر وانفلاتها من الكف ، وما لها عروض الا التلحين ولا ضرب ، الا الضرب ، ولا اوتاد الا الملاوي ولا اسباب الا الاوتار ، فبهذه العروض يعرف الموزون من المكسور ، والسالم من المزحوف ، واكثرها مبني على تأليف الارغن ، والغناء على غير الارغن مستعار وعلى سواه مجاز » .

ويرى ابن سناء الملك انه لايجوز للوشاح عمل شيء لايمشيه التلحين له لانها ستظهر فضيحته وقت غنائه « فان المغني ببعض الالات يحتاج الى ان يغير في شد الاوتار عند خروجه من القفل الى البيت وعند خروجه من البيت الى القفل » ويرى ان

من طالب ـ ثأر ظبيات الحدوج ـ فتانات الحجيج

اكثر الموشحات تدرك اوزانها عن طريق الذوق والسمع وبعضها لايستقيم وزنها الا بالتلحين ، وبعضها لايكتفي بالتلحين لمعرفة استقامة وزنه الا بأن يتوكأ على لفظة لامعنى لها تكون دعامة للتلحين كقول ابن بقي :

فان التلحين لايستقيم الا بأن يقول : لا لا بين الجيمين من هذا القفل . يتألف الموشح من مجموعة من الاقفال والادوار ، والقفل هو عبارة عن مجموعة من الاغصان ويشترط ان تكون القافية موحدة بين الاقفال المختلفة اما الدور فهو مجموعة من الاسماط ، تتوحد القافية داخل الدور الواحد ، ولكنها قد تختلف بين الدور وبقية الادوار ، اما البيت في الموشح فهو يختلف كثيراً عن البيت في القصيدة . وهو عبارة عن الدور اضافة الى القفل الذي يليه . لكن اهم جزء في الموشح هو الخرجة ، وهي التي تميز الموشح كثيراً عن القصيدة والخرجة هي القفل الاخير في الموشح ولكن الوشاح يبدأ بها عند نظم الموشح فهي السابقة وان كانت الاخيرة او يمسك الذنب وينصب عليه الرأس كما يقول ابن سناء الملك وتفسير ذلك ان الخرجة غالباً ماتكون اغنية تتردد على ألسنة عامة الناس فلذلك تسبق الخرجة عادة بكلمة غنّى او غنت او غنيت . وغالباً ماتأتي الخرجة بالعامية الاندلسية او بأعجمية اهل الأندلس وقد تأتي بالفصحى اذا كان موضوع الموشح مدحا وذكر اسم الممدوح فاجلالا له تكون الخرجة معربة وقد تأتي معربة اذا كانت كلماتها غزلة جداً ، ورقيقة ناعمة تقترب من العامية ، وان لم تك عامية وهذا نادر وقليل . اما لغة الموشح في بقية اجزائه فهي معربة وما الخرجة الاعجمية الا صورة من تأثير العناصر الاسبانية المحلية وكان التأثر والتأثير امراً بديهياً بين المسلمين وجيرانهم وهذا الموضوع بحاجة الى دراسة مستقلة

الهوامش

(١) انظر ديوان الموشحات الاندلسية ، المجلد الثاني ص ٤٨٤ ، تحقيق.د . سيد غازي نقله الى العربية جرجيس فتح الله المحامي .

(٢) انظر : فارمر : تاريخ الموسيقى العربية ص ٥٨

(٣) انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ٤ ، ص١٤٢ .

(٤) انظر الاصفهاني ، الاغاني ، جـ٤ ، ص١٤٧ .

(٥) المصدر السابق ، جـ١٨ ، ص ١١٤ .

(٦) انظر : ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، جـ١ ، ص ٢٥٨ .

(٧) انظر : المصدر السابق ، جـ ، ١١٣ .

(٨) انظر ابن عبدربه ، العقد الفريد ، جـ٦ ، ص٦ .

(٩) انظر : المقري ، نفح الطيب ، جـ٣ ، ص١٢٥ - ١٢٦ .

(١٠) انظر ، ابن بسّام ، الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ص٢٤٥ وما بعدها .

(١١) انظر : المقري ، نفح الطيب ، جـ٣ ، ص ١٤٠ .

(١٢) انظر : ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٤٩ ، ابن عذارى ، البيان المغرب . جـ٢ ، ص٧٩ - ٨٠ .

(١٣) انظر : ابن عبدربه ، العقد الفريد ، ج٦ ، ص٤٦ .

(١٤) انظر : احسان عباس ، تاريخ الأدب الاندلسي ، عصر سيادة قرطبة ص ٦٠ .

(١٥) انظر : المقري ، نفح الطيب ، جـ٣ ، ١٢٢ - ١٣٣ .

(١٦) المصدر السابق ص ١٢٨ .

(١٧) المصدر السابق ص ١٣١ .

(١٨) انظر ، المقري ، نفح الطيب ، جـ٢ ، ص١٢ - ١٣ .

(١٩) انظر ابن حزم ، رسائل ابن حزم ، جـ١ ، ص٢٥٠ - ٢٥١ .

(٢٠) انظر : انخل جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٤٨٥ ، نقله الى العربية د . حسين مؤنس .

(٢١) انظر ابن خلدون ، المقدمة ص ١١٧ يقول ابن خلدون في حديثه عن تقليد اهل الاندلس للجلالقة : « فانا نجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم واحوالهم ، حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة انه من علامات الاستيلاء » .

(٢٢) انظر : مجلة عالم الفكر ، مجلد ١٢ / ١٩٨١ ، ص٢٠ .

(٢٣) انظر : ابن سناء الملك ، دار الطراز ، ص٢٩ - ٣٠ .

(٢٤) المصدر السابق ، ص٥٣ .

(٢٥) انظر : الصفدي ، توشيع التوشيح ص ٢٠ .

(٢٦) انظر ابن خلدون ، المقدمة ص٥٨٣ .

(٢٧) انظر ديوان الموشحات الاندلسية ، تحقيق د . سيد غازي ص٦ .

(٢٨) انظر : ابن سناء الملك ، دار الطراز ، ص ٤٤ - ٥٠ .

المصادر والمراجع

ابن الابار الحلة السيراء تحقيق : د . حسين مؤنس طـ . الشركة العربية ، للطباعة ، القاهرة سنة ١٩٦٣ .

الاصفهاني ، ابو الفرج الاغاني طـ ـ دار الفكر للجميع بيروت ١٩٧٠ مصوره عن طبعة بولاق .

بالنثيا ، انخل جونثالث تاريخ الفكر الاندلسي ، عرّبه حسين مؤنس ، طـ . المكتبة المصرية القاهرة سنة ١٩٥٥ .

ابن بسام الذخيره ، تحقيق د . احسان عباس . ط . الثقافة بيروت ١٩٧٩ .

ابن حزم رسائل ابن حزم ، تحقيق د . احسان عباس ط . المؤسسه العربية للدراسات والنشر بيروت سنة ١٩٨٠ .

الحموي ، ياقوت معجم البلدان ، ط دار مصادر بيروت .

ديوان الموشحات الاندلسية تحقيق الدكتور سيد غازي ط ـ منشأة المعارف ، الاسكندرية ١٩٧٩ .

ابن سناء الملك دار الطراز ، تحقيق الدكتور جودت الركابي ط . دار الفكر دمشق ١٩٨٠ .

ابن عبدربه العقد الفريد ، تحقيق احمد امين ورفاقه ، ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر .

عباس ، احسان تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة ، ط . دار الثقافة ، بيروت ١٩٨١ .

ابن قتيبة الشعر والشعراء ، تحقيق احمد شاكر ، ط . دار المعارف ١٩٦٦ .

فارمر ، هنري جورج تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي ، عربه جرجس فتح الله المحامي ، ط . دار مكتبة الحياه .

المقري ، نفح الطيب ، تحقيق احسان عباس ط . دار الثقافة بيروت .

الدوريات

مجلة عالم الفكر : المجلد الثاني عشر ١٩٨١ عدد عن حضارة الاندلس .

الرسوم التزيينية في الدور الحلبية

د. سلمان قطاية
(باريس)

عرفت حلب عصراً ذهبياً متأخراً خلال القرنين الميلاديين السابع والثامن عشر، إذ كانت مركزاً تجارياً اقتصادياً هاماً تتبعه كل القوافل بين بريطانيا والهند، هولندا وسوماترا، فرنسا والهند والصينية، .. والصين، واليابان، وفارس .. الخ. وانتشرت فيها صناعة الأقمشة، فوصل عدد الأنوال اليدوية فيها الى خمسة عشر الفاً. ومن الحقائق الثابتة ان معامل مدينة ليون الفرنسية أكملت صناعتها الحريرية الثمينة بتقليد الانسجة الحلبية، لأنها كانت تصدر الى اوربا .. وهكذا وفي عام ١٥٥٦، قدرت صادرت حلب بمئة الف دوقة وفي عام ١٧٧٠ كان حجم التجارة العامة السنوية للمدينة ١٨ مليون فرنك فرنسي. وكانت كمية الاقمشة المصدرة والمستوردة من والى اوربا عام ١٧٧٥ ستة آلاف وثمان وعشرون بالة.

ولقد وصفها السائح الفرنسي فولني VOLNEY الذي زار حلب في منتصف القرن السابع عشر بأنها « اكبر مدينة تجارية في جميع بلاد السلطان ».

وجاء ذكرها في مسرحيتي « ماكبيث » و « عطيل » لشكسبير.

وحلب شهيرة بابنيتها الحجرية الجميلة بسبب وجود مقالع يقتطع منها حجرها الأصفر الجميل المسمّى السوريّ (نسبة الى السور) وهو لينٌ عند اقتلاعه لكنه لايلبث ان يصلب مع الزمان، ومنه نوع ذي لون بني غامق يدعى « بقلدونسي ». واشتهر معمارو حلب حتىٰ ان الأمير بشير الشهابي (١٦٩٧ ـ ١٧٠٦) عندما بنىٰ قصره ببيت الدين بلبنان استعان بمعماري حلب ومهرة بنّائيها.

ونظراً لمناخ حلب القاريّ، اذ ترتفع الحرارة صيفاً فتجاوز الأربعين في شهر آب الملقب باللهّاب، وتنزل احياناً حتى عشرة أو خمسة عشر درجة تحت الصفر في الشتاء، ويهطل الثلج. لذا عمل الحلبيون على عزل منازلهم وذلك ببنائها على طبقتين: (أعني جدران المنازل) خارجية حجرية سورية وداخلية من حجر رَخص لين كاسيّ يُدعي لُبنٌ. ثم يكسون الجدران من الداخل بطبقة من الخشب زيادةً في

العزل ، وتجميل المنزل . واصبحت ، مع مرور الأيام ، هذه الطبقة موضع تفنّن وابتكار ، فزُيِّنتْ برفوف ، وخزائن ومكتبات . كما غدت موضوعاً لتزيينها بالزخارف والرسوم .

وعلى اعتبار ان الشرقي منطوٍ على نفسه ، وان يحب ان يعيش بين افراد عائلته ، حيث تجتمع احياناً في الدار الواحدة ، عدة اجيال ، ونظراً لأنه يقضي معظم وقته في داره ، لذا اهتم بتزيينها وتزويقها وتحليتها خاصة عندما إزدهرت المدينة وكثر المال وارتفع الذوق بسبب التماس والتبادل في الافكار والبضائع بين الشرق والغرب كما ذكرنا .

ولكن ومع مضي الأيام واختلاف الأفكار وتخلخل البنية الاجتماعية ، هجر الحلبيون هذه المنازل الجميلة وراحوا يندسّون في الطوابق أو في « فيلات » لاتتناسب لامَعَ ذوق البلد ولا مع مناخه . وزاد الطين بلّه ان الشرقي أُصيب بمركب نقص عبّر عنه الشاعر الشعبي الشهير عمر الزعْني بأغنية مطلعها :

كل شيء فرنجي برنجي

اي افنذلكة وحب التقليد الاعمى للاوربي . ولكن هذا عليم بما هو جميل وقيّم لذا سرعان ماراحت هذه الرسوم الجميلة واللوحات الظريفة والكتابات الرائعة التي كانت تزين الدور الحلبية تختفي لتظهر في اسواق بيروت ودمشق ثم لترقد في منازل باريس ومتاحف لندن . . . وبرلين .

ولقد قمت بدراسة متواضعة لبعض هذه الرسوم في ثلاثة دور حلبية : واحدة يسكنها مسلمون في حي باب المقام ، واخرى في حي الجديدة ، على غاية من الجمال ولكنها في تدهور مستمر اذ حولت الى مدرسة ابتدائية ، واخيرة حوّلت الى ميتم مسيحي تشرف عليها راهبات كاثوليك .

وكنتُ كلما زرت هذه البيوت كلما وجدتُ الرسوم في تدهور مستمر حتى ان البعض منها إمّحى أو كاد .

ومواضيع الرسوم هي مايسمى الآن بالطبيعة الجامدة أو الميتة Nature Marte كالأزهار ، والفواكه ، والأشجار ، ومناظر المدن .

والازهار متنوعة : كالقرنفل والياسمين ، والزنبق ، والفُلّ . وهي منسّقة بشكل متناظر بيضي الشكل او شبه مستدير . والألوان كلها او تكاد من مشتقات اللون الأصفر او الأحمر لكنها كامدة اللمعة بمعنى انها بعيدة عن حدة الألوان التي نراها في الرسوم الشعبية .

والخط واضح وصريح في كل الرسوم ، لكننا لانستطيع إدراجها كرسوم ملوّنه ، انها فن تصوير كامل .

والأنسجام بين الألوان جيد ، والكل يخلق جوّاً ناعماً هادئاً « صميمياً » مثل الوان لوحات الفنانين الاوربيين الذين اطلق عليهم اسم الصميمين INTIMIMISTES

والالوان قريبة جداً من الوان رسوم المخطوطات العربية القديمة كلوحات الواسطي في مقامات الحريري ، او كتاب الترياق .

ومعظم الفواكه أو كلها من النوع المزروع في المنطقة . كالعنب والتين والبطيخ الأحمر ، والكرز ، والتفاح والرمان ، والمشمش .

ولكنني لم اجد اثراً للفستق الحلبي الشهير او القراصيّة الحلبيّة . ربما كان ذلك لكونها غير معتبرة من الفواكه ، ولكونها موسمية او انها صعبة الرسم .

وطبعاً لاأثر لما هو مستورد كالموز والبرتقال . والفواكة منضدة على صحن مختلف الأشكال ، وقد يرسم الفنان السكين إلى جانبها . والألوان هي هي .

اما الرسوم فهي مرتّبة ضمن رسوم هندسية مثمنة الاضلاع ثلاثة او اربعة ، تتوالى فيها المواضيع : زهور ، فواكه ، زهور ، فواكه . . . الخ . وبين الأشكال الهندسية زخارف رقشية عربية . تكثر الفواكه في الغرف أو الأقسام من الغرف التي تكرس لتناول الطعام ، وتكثر الزهور في الغرف الأخرى .

اما المدن فهي نادرة وتبدو وكأنها اسطورية لاعلاقة لها بالواقع فلم اجد منها مايشير ، ولو من بعيد ، إلى مناظر المدينة وينبعث منها شعور عجيب : بالوحدة ، والكآبة ، فهي خالية لابَشر فيها ، مهجورة ، وغريبة !! . . وتكوينها



هندسي دقيق أنيق ورقيق وناعم . وهي مأطرة بشكل واضح بحيث يخيل للناظر اليها ولاول وهلة انها نافذة مفتوحة على منظر سيريالي ولم اجد توقيعاً او اسماً او تاريخاً يدل على صانعها او تاريخ صنعها .

وكان في حلب بسبب وقوعها على طريق الهند ، جالية انجليزية جيدة والسبب ان القوافل الآتية من الشرق كانت تتوقف في حلب ثم تذهب منها الى اسكندرونة التي كانت المرفأ الطبيعي لحلب ، ومنها كانت تُنزَل البضائع الواردة من بريطانيا فتحملها القوافل الى الشرق مروراً بحلب .

ولكن ، وعندما ، افتتحت قناة السويس عام ١٩٧٠ تحولت الطرق التجارية ، ففقدت حلب اهميتها وانهار اقتصادها تدريجياً .

وكان احد اطباء الجالية البريطانية المدعو اليكسي راسل A. Russel عاش في المدينة وألف كتاباً عنها لم ينهه إذ عاجلته المنية فجاء اخوه باتريك واكمل عمل اخيه ونشر الكتاب في لندن عام ١٧٩٤ تحت عنوان « التاريخ الطبيعي لمدينة حلب » واعيد طبعه في السبعينات .

وجاء وصف هذه الرسوم في الكتاب كما يلي :

« الجدران والسقوف مزينة بزهور وفواكه ، واشياء اخرى مرسومة بالوان حارة يخالطها الذهب ، ومزوقة بغنى . وتوجد في بعض الغرف مناظر مدن ، وحدائق ، ومنازل مصورة على الابواب . ولكن لاتوجد صوره إنسانية . ولا اهمية لقواعد المنظور فيها وكتبت على اللوحات الخشبية فوق النوافذ والابواب امثلة وحكم وآيات قرآنية ،



٦ - منظر من الغرفة الحلبية بمتحف برلين بالمانيا الشرقية

وابيات شعرية ، واحيانا بعض الجمل التي تمدح صاحب الدار ، بلغة عربية وخطوط جميلة مزوقة ،

وعبثاً بحثت في الكتب المكرسة لتاريخ حلب ورجالاتها عن اسماء فنانين او معماريين او حتى اشباه . . . فلم اجد إذ انها كلها مكرسة لرجال الدين !؟ واشهر هذه الكتب ، « نهر الذهب في تاريخ حلب » للمقدسي ، و « إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للطباخ .

ولكنني وجدت اسمين فقط في كتاب أحمد تيمور باشا « التصوير عند العرب » من بين التسعة وثلاثين مصوراً مذكورين في كتابه وهما :

ـ احمد بن يوسف بن هلال الحلبي : الذي « كان يصنع الأوضاع العجيبة وبرع في النقش والتزميك[١] . واولع بصنع الاوضاع المستحسنة في الأوراق المذهبة . توفي عام ٧٣٧ هـ ، وقيل عام ٧٣٨ هـ (١٣٣٧م) . »

وعائلة هلال معروفة في حلب ولا يزال من ابنائها من هوحي برزق .

والثاني هو : ابو بكر بن محمد الجلومي الحلبي : « شيخ مسنّ ، خدم اساتذة النقاشين من غير العرب ، واستفاد منهم ، ومهر في نقش البيوت ، وكتابة الطرازات على طريق القاطع والمقطوع ، وفي نقوش ماكان لكُفّال حلب وغيرهم من الرماح والسروج والذهب واللازورد . مع معرفة طريقة حله ، وفي صنعه التركاش وضعاً ونقشاً ، وصنعة اللوح الذي يكتب فيه ، وصنائع أخرى تتم عشرين صنعة ، وكانت له سَلعة عظمى تناهز بطن بالقرب من

كتفه ، سببها أنه طُلب إلى آمد للنقش في عمارة جُدِّدَت بها ، فرافق نقاش شرقي فشعر باسمه ، فضربه على ظهره بخشبه ضرباً مبرحاً فأمرضه مدة ، وادّى إلى ان كانت له هذه السلعة . ولما أسَنّ هيأ له كفناً وقبراً ، وسالني في بيتين ينقشهما عليه فقلت :

ابـو بكـر النقـاش احـوج سـائـل ينقشهـا
إلى رحمـة تـغـضـيـه عـن مـوجـب الـوزر

فيا أيها المجتاز نحو ضريحه
تمهـل قليـلاً داعيـاً لأبي بكـر

ثم مات سنة سبعين وتسعمائة بعد جلوسه في بيته يتلو القرآن (٩٧٠هـ = ١٥٦٢م) »

والسيرة هذه تستدعي عدة ملاحظات :

١ ـ الجلّومي : نسبة الى حي الجلّوم في حلب . وتميز فيه محلة الجلوم الصغرى ، ومحلّة الجلوم الكبرى . فهو حلبي قحّ .

٢ ـ تعلم عن النقاشين « الاجـانب » ونحن نجهل هوياتهم .

٣ ـ الطّرازات على طريقة القاطع والمقطوع : لعلها الطريقة التي وصفتها اي المثّمنات وترتيبها !!

٤ ـ كان يرسم ويزخرف السروج والاسلحة مستعملاً الذهب والاحجار الكريمة .

٥ ـ صنعة التركاش : تقنية لم اعثر على تفسير لها :

٥ ـ السُّلعة . ربما كانت نزفاً دموياً وتمزقاً عضلياً تكتل وتكّلس تحت الجلد فشكل تلك السُّلعة .

٦ ـ النقاش الشرقي المجهول ! والواقع أننا نرى في بعض الرسوم تأثيراً دخيلاً واضحاً كما في الغرفة الحلبية التي سنتعرض لها بعد قليل .

وكـان الاوربيون في القرن التاسع عشر في إبان الرومانسية والتغريبية EXOTISME واستهواهم الشرق وشدهم اليه لدرجة كبيرة وهكذا حضر الى حلب احد المستشرقين الألمان ، وكـان من كبار هـواة الآثـار ومقتنيها ، فاعجب بالزخارف الحلبية فاشترى غرفة بكاملها ، فنقلها الى بلاده وهي اليوم محفوظة تحت الرقم ١٧ في متحف برلين الاسلامي بالمانيا الديمقراطية .

والغرفة هي كل الغطاء الخشبي للقاعة أي غرفة استقبال الضيوف ، اي واجهة البيت ، وعنوان رقي وغنى صاحب الدار . وكان تاجراً من تجار المدينة ويُدعى « حج عيسى بن بدروس » ولابد انه كان مسيحياً من سكان محلة الجُدَيْدَة أو ربما المحلة التي كان يسكنها مسيحيو حلب قبل ان ينتقلوا الى الجديدة ثم من بعدها الى العزيزية (التي بناها عزيز باشا حاكم حلب) .

وفي اعلى القاعة يقرأ البيت التالي :

« تنـام عينيـك والمـظلوم منتـبـهـاً
يـدعـو عليـك وعينِ الله لم تنم

انشأ هذا المكان حج عيسى ابن بدروس في شهر جمادى الاول سنة الف واثنا عشر »
(١٦٠٠ ـ ١٦٠٣ م)

وفوق البابين بيتان من الشعر ، وهي ادعية مسبوكة باسلوب ركيك .

والخط فارسيّ تعليق جيد ومزخرف . وتحت التأريخ زخرفة خشبية مقرنصة ، ثم رسوم دقيقة زخرفية تذكّر بزخارف السجاجيد العجمية . وثمة رسوم تذكر بلوحات « ميلاد السيد المسيح عليه السلام » الى جانب زخارف ذات اسلوب دخيل واضح .

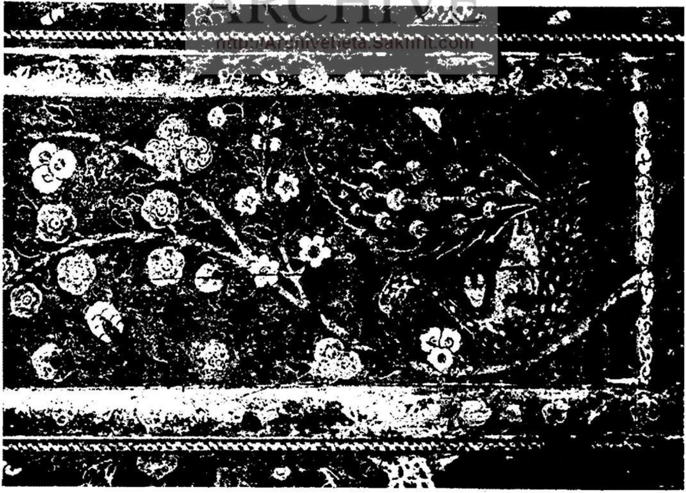
والقاعة هذه مفتوحة نحو الباحة الداخلية اي صحن الدار ، وهي كما هو معلوم ، البقعة المتوسطة لكل بيوت حلب التقليدية ، والشرقية عامة . وتعلو القاعدة قبّة عالية ، فيها فتحات مغطاة بالزجاج الملون ليسقط منها الضوء لأنارة المكان .

ويبدو لخبراء المتحف ان الرسوم مصنوعة بالرسم الشمعي ! لذا كان الاحتفاظ بها صعباً !؟

ويوجد رسم لمشهد غريب إذ يُرى في السطح الأيسر حاكم شرقي مع أتباعه ، وهو يتناول رؤوس الأعداء القتلى ويضعها في وعاء !!؟! ويستعد للصيد باسلوب المنمنمات .

دار « المفينين » بحي الجلوم بحلب رسوم جدارية بالزيت على الخشب





فما السبب ياتُرى الذي دفع بصاحب البيت أو بالفنان الى تصوير هذا المشهد الرهيب !

وثمة رسوم اخرى يرى فيها موسيقيون وقديسون ومصارعون واشكال اسطورية وحيوانات .

والرسوم ذات مستوى فني جيد متأثر بالذوق الذي كان سائداً في العصر العثماني .

وتم تجهيز الغرفة وتأثيثها عام ١٩٦٠ ضمن شكلها الأصلي ذي الابعاد الثلاثية . وهي تقدم صورة واقعية للحضارة السكنية لسكان مدينة حلب في بداية القرن السابع عشر .

وخلاصة : إن لهذه الرسوم قيمة كبرى ، ولجمعها وحفظها في المتاحف فائدة جُلّى . كذلك طبعها في كتب ملونة مع نصوص علمية جيدة .

وتكريس اطروحات في كليات الفنون لها امر هام وجدير بلفت الانظار لأننا نبحث دوماً عن مصادر لفن عربي حديث ، ولأننا متهمون دوماً بالتقصير في هذا الميدان .

ودراستي هذه محاولة متواضعة ، ولكنها تهدف الى التنبيه الى اهمية هذا النوع من الفنون ، وكنت قد لفتُ الانظار الى هذا الموضوع في مجلة « عاديات حلب » الصادرة عن جامعتها منذ اكثر من عشر سنوات .

المصادر والمراجع

١ ـ المصادر العربية :

ـ عكاشة : ثروت ـ « فن الواسطي من خلال مقامات الحريري » ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٧٤ .

ـ تيمور باشا : أحمد ـ « التصوير عند العرب » ـ القاهرة ـ ١٩٤٢ .

ـ قسطون : وديع ـ « الافرنج في حلب في القرن الثامن عشر ـ حلب ١٩٦٩ .

ـ كنّد : جميل ـ « تاريخ الآلة والتصنيع وتطوراتها ـ حلب . ١٩٦٢ .

٢ ـ المصادر الاجنبية :

LES REFERENCES

— SAUVAGET : S. — Alep Paris 1942.

— VOLNEY : — Voyage en Egypte et en Syrie Paris 1959

— RUSSEL : Alex— The Natural History of Aleppo London 1794.

— STAATLICHE MUSEEN ZU BERLIN photographische Ableitung.

* * *

دار الخلافة العباسية وجامع القصر في بغداد

ـ القسم الثاني ـ

د. حسين احمد الزاوي

ثالثاً موقع المدرسة النظامية

قال الدكتور مصطفى جواد عن المدرسة النظامية وموقعها في كتاب دليل خارطة بغداد ما يلي :

١ ـ ص ١٢٨ : في اوائل القرن الرابع الهجري اقام الامير مؤنس المظفر دارا فخمة على دجلة من شمالي قصور الخلفاء وفي قسم من هذه الدار انشأت فيها بعد المدرسة النظامية على عهد السلاطين السلاجقة .

٢ ـ ص ١٥٤ : ومن الابنية المهمة الاخرى التي انشئت في عهد السلطان الب ارسلان والد ملك شاه ايضاً المدرسة النظامية التي كانت في محلة الحظائر القديمة في اخر سوق الثلاثاء ومحلة الحظائر هذه كانت في موضع سوق الكمرك الحالي وخان جغان الذي حول الى اسواق وان المدرسة تقع في سوق الخفافين الحالية وقد ذكرنا انها شيدت على قسم من دار الامير مؤنس المظفر . . الخ .

٣ ـ ص ١٧٤ : وكانت اهم محلة من المحلات المحيطة بدار الخلافة داخل السور الكبير محلة سوق الثلاثاء التي كان فيها اعظم سوق في الجانب الشرقي . . . وهي اليوم محلة باب الاغا وجديد حسن باشا وفيها الصفارين وسوق البزازين الكبير وسوق الكيابجية وسوق الكمرك وسوق المرج وقد ذكر ان منها دار مؤنس المظفر الواسعة التي منها المدرسة النظامية ورباط بهروز المعروف برباط الدرجة . . . الخ .

٤ ـ ص ١٨٨ : ومن جملة الابنية التي ترجع الى هذا العهد العباسي الاخير من الخلافة العباسية المسجد الذي شيدته زمرد خاتون زوجة المستضيء وأم الناصر وكان يعرف بمسجد الحظائر كما ذكرنا نسبة الى محلة الحضائر القديمة المجاورة له وهي التي تقع فيها المدرسة النظامية .

٥ ـ ص ٢٠٣ (واحسن من وصف بغداد في العهد الايلخاني المشار اليه هو ابن بطوطه الرحالة المغربي فقد زار بغداد في سنة ٧٢٧هـ . . . وذكر سوق الثلاثاء ووصفه بانه اعظم اسواق المدينة وفي وسطه المدرسة النظامية العجيبة وفي اخره المدرسة المستنصرية) .

٦ ـ وقال الدكتور جواد في كتاب بغداد عرض تاريخي مصور عن دار مؤنس المظفر في ص (٤١) ما يلي : وكانت على شاطىء دجلة بمحلة سوق الثلاثاء التي يعرف موضعها اليوم بسوق الحيدرخانه وسوق باب الاغا وما يليه من سوق البزازين حتى شاطىء دجلة وكانت دارا واسعة تمتد من مشرعة الابريين المجاورة لدار الخلافة من الشمال الى مشرعة الصباغين التي كانت في الموضع المجاور لراس

الجسر الحالي (الشهداء) المعروف بالعتيق فهي دار كاملة المرافق يظن انها كانت تحتوي على كل ما يستوجبه السكن الكامل لصاحب جيش حتى الاصطبلات .

٧ ـ وقال في ص (٤٥) من كتاب بغداد عرض تاريخي مصور ما يلي : ـ وانشأ نظام الملك الوزير في السنة نفسها اي سنة ٤٥٩ هـ مدرسة في قطعة من ارض دار مؤنس المظفر عند الحظائر في سوق الثلاثاء ومحلة الحظائر هذه كانت في موضع سوق الكمرك العتيق وخان جغان الذي حول الى اسواق وموضع المدرسة النظامية يعرف اليوم بسوق الخفافين .

٨ ـ ص (٤٦) من كتاب بغداد عرض تاريخي مصور ما يلي : ـ ان ياقوت الحموي لم يذكر المدرسة النظامية وانما ذكرها في مادة القرية فقال (القرية محلتان ببغداد احداهما في حريم دار الخلافة والقرية ايضاً محلة كبيرة جدا كالمدينة في الجانب الغربي مقابل مشرعة سوق المدرسة النظامية) انتهى يفهم من اقوال الدكتور جواد ما يلي :ـ

١ ـ ان المدرسة النظامية بنيت على قسم من ارض دار الامير مؤنس المظفر .

٢ ـ ان دار مؤنس المظفر كانت تقع بين جسر الشهداء الحالي وبين شريعة شارع السموأل (شريعة المصبغة) حالياً وهي اذن كانت تقع شمالي دار الخلافة الواقعة جنوبي شارع السموأل الحالي حسب رأي الدكتور جواد وان دار مؤنس هذه كانت على دجلة وهي في محلة سوق الثلاثاء .

٣ ـ ان موقع المدرسة النظامية في الوقت الحاضر هي ارض سوق الخفافين الحالية عند جامع الخفافين الذي كان يسمى مسجد الحظائر وهذا المسجد من ابنية العصور العباسية المتأخرة وان ام الناصر لدين الله هي التي بنته وهذه كلها تقع في محلة الحظائر القديمة التي تقع في اخر سوق الثلاثاء ، وان محلة الحظائر تقع اليوم في موقع سوق الكمرك وخان جغان .

٤ ـ ان المدرسة النظامية كانت تقع في وسط سوق الثلاثاء حسب قول ابن بطوطة .

٥ ـ ان القرية الغربية من الجانب الغربي من دجلة تقع مقابل مشرعة سوق المدرسة النظامية .

ان تعين الدكتور مصطفى جواد لموقع دار مؤنس المظفر وبالتالي لموقع المدرسة النظامية جاء مخالفاً للاوصاف التي ذكرها المؤرخون عن دار مؤنس المظفر وموقعها وموقع المدرسة النظامية التي بنيت على قسم من ارض هذه الدار .

كما ترد على اقوال الدكتور جواد الملاحظات التالية :ـ

١ ـ قال الدكتور جواد ان المدرسة النظامية تقع في محلة الحظائر التي كانت في موضع سوق الكمرك العتيق وخان جغان في حين لم يكن في بغداد العباسية محلة تسمى محلة الحظائر وانما كان هناك محلات لبيع الاحطاب . تقع على دجلة تسمى حظائر الحطب ومنها التي كانت على شاطئ دجلة الشرقي قرب المدرسة النظامية وقد قال ياقوت في مادة حضيرية[1] : قال ابو سعد هي محلة بشرقي بغداد قلت لا اعرف هذه المحلة ولكن على شاطئ دجلة مواضع يباع فيها الحطب يقال لكل موضع منها حظيرة ويجمعونها على حظائر فان كان سماها فانما سميت بذلك للحطب الذي فيها لا لانه علم لموضع ولكن ببغداد محلة يقال لها الخطيرية) انتهى .

لذا يتضح من ذلك ان ليس هناك محلة بشرقي بغداد تسمى محلة الحظائر وانما الدكتور جواد سمى موقع الاحطاب محلة اضافة الى ذلك ان تعيينه لموقع هذه الحظائر في سوق الكمرك العتيق وخان جغان غير وارد لان موضع الحظائر كان على دجلة كما قال ياقوت وخان جغان وسوق الكمرك لا يقعان على دجلة .

٢ ـ عين الدكتور جواد موقع المدرسة النظامية في موقع سوق الخفافين الحالي في حين قال ان المدرسة النظامية التي هي قسم من دار مؤنس المظفر التي تقع في سوق الثلاثاء وهذا التعيين لموقع المدرسة النظامية يجعلها خارج سوق الثلاثاء لان سوق الثلاثاء ينتهي عند المستنصرية اي عند جسر الشهداء الحالي الذي تقع المستنصرية عنده .

حيث قال ابن بطوطة في رحلته عند زيارته لبغداد سنة ٧٢٧ هـ[2] ان المدرسة النظامية تقع في وسط سوق الثلاثاء وان المدرسة المستنصرية تقع في اخره وهذا يعني ان المدرسة النظامية تقع شمالي المدرسة المستنصرية الموجودة اثارها لحد اليوم في حين ان الدكتور جواد عين موقع المدرسة النظامية في سوق الخفافين الحالي الذي يقع جنوبي المدرسة

المستنصرية مع العلم ان سوق الخفافين المجاور لجامع الحظائر او جامع الخفافين كما يسمى في الوقت الحاضر لا يعتبر من سوق الثلاثاء لان سوق الثلاثاء ينتهي عند المستنصرية التي تقع في اخره لذا فان هذا التعيين لموقع المدرستين يخالف ويتعارض ووصف أبن بطوطة لموقعها .

٣ - قال الدكتور جواد ان دار مؤنس المظفر على دجلة وهذا يتعارض وقول ابن الجوزي عن هذه الدار وموقعها حيث قال انها بسوق الثلاثاء(٣) وسوق الثلاثاء ليس على دجلة ، كما قال ايضا عند اخباره عن الجسر الذي عمله بهاء الدولة عام ٣٨٣ هـ ونصبه في مشرعة القطانين من الجانب الغربي وبحضرة دار مؤنس من الجانب الشرقي(٤) والمقصود بحضرة دار مؤنس هو قرب دار مؤنس(٥) كما ان الدكتور احمد سوسة قد عين موقع هذه الدار بعيدا عن دجلة وفي موقع يقع شرقي جسر سوق الثلاثاء المنصوب في مشرعة القطانين اي في سوق البزازين الحالي(٦) شرقي موقع المستنصرية في حين ان الدكتور جواد قال عن هذه الدار انها تقع بين شارع المأمون الحالي وبين شارع السموأل الحالي - وهذا يظهر الخلاف بين المؤلفين لكتاب دليل خارطة بغداد وكلا التعيينين يتعارض مع اقوال المؤرخين الذين وصفوا موقع هذه الدار .

٤ - قال الدكتور جواد ان دار مؤنس المظفر كانت تقع بين جسر الشهداء الحالي وبين شريعة المصبغة الحالية اي بين شارع المأمون وبين شارع السموأل الحاليين وهذا التعيين جاء مخالفا للموقع الحقيقي الذي عينه ابن الجوزي لموقع هذه الدار حيث قال (فرغ من الجسر الذي عمله بهاء الدولة في مشرعة القطانين وبحضرة دار مؤنس المظفر(٧) وقال ايضا (ولما عمر بهاء الدولة داره بسوق الثلاثاء التي كانت معروفة بدار مؤنس المظفر)(٨) هذا مع العلم ان الدكتور جواد عين موقع هذا الجسر الذي سماه جسر سوق الثلاثاء فقال(٩) (مشرعة القطانين تقابل اليوم شريعة بيت الايلجي قرب بيت النواب على شاطيء دجلة الغربي وعلى هذا يكون الطرف الشرقي للجسر في شارع المحاكم المدنية المعروف بشارع المتنبي) .

وبناء على ذلك يتضح لنا ان دار مؤنس المظفر كانت تقع في شارع المتنبي الحالي وليس في الموقع الذي عينه لها الدكتور جواد بين جسر الشهداء وشريعة المصبغة الحالية ، لذا فان موقع المدرسة النظامية التي كانت قد بنيت على قسم من ارض دار مؤنس المظفر يكون والحالة هذه في شارع المتنبي وليس في سوق الخفافين كما عين موقعها الدكتور جواد .

وعلى هذا يكون موقع النظامية على الارجح في موضع المخبز العسكري سابقاً قرب سوق السراي الحالي والواقع في شارع المتنبي الحالي الذي بنيت في موقعه عمارة جديدة كبيرة تعود للاوقاف وهذا يؤكد ان هذا الموقع هو موقع المدرسة النظامية ولعل الاسواق التي تقع خلفها وقربها هي سوق المدرسة واما مشرعة سوق المدرسة فعلى الارجح كانت تقع في موقع جامع الوزير او موقع جسر الشهداء الحالي حيث انها كانت تقابل محلة القرية الغربية كما قال عنها ياقوت الحموي الذي اشار اليه الدكتور جواد .

لذا يتضح لنا من ذلك ان دار مؤنس المظفر التي بنيت المدرسة النظامية على قسم من ارضها كانت تقع في شارع المتنبي الحالي وليس كما عينها الدكتور جواد بين جسر الشهداء وبين شريعة المصبغة الحالية وبالتالي فان المدرسة النظامية كانت تقع في شارع المتنبي الحالي وليس في سوق الخفافين .

٥ - قال الدكتور جواد ان دار الخلافة كانت تقع جنوبي المدرسة النظامية وهذا القول غير وارد حيث تبين لنا ان موقع دار الخلافة كان في موقع وزارة الدفاع الحالية لذا فان موقع دار الخلافة كان يقع شمالي المدرسة النظامية ، ومما يؤكد ذلك الخبر الذي اورده ابن الجوزي عن حوادث سنة ٥١٠ هـ(١٠) بنشوب حريق في حظائر الحطب وانتقاله الى دروب باب المراتب ودرب السلسلة ورباط بهروز والدور الشاطئية على دجلة ودار كتب النظامية وقد بحثنا ذلك في موضوع موقع دار الخلافة فقرة (٤) و (٣) ولو كانت حظائر الحطب والمدرسة النظامية في سوق الكمرك وخان جغان وسوق الخفافين الحالية لانتقل الحريق الى ما يقرب منها من مواقع خاصة وانها تقع قرب باب الغربة من دار الخلافة الواقع حسب راي الدكتور جواد في شريعة السموأل الحالي

فكان من الاولى والمعقول ان ينتقل الحريق الى باب الغربة هذه بدلا من انتقاله الى باب المراتب ودروبها التي تقع في شريعة المربعة الحالية كما عين موقعها الدكتور جواد لان انتقال الحريق الى باب المراتب في شريعة المربعة يقتضي ان ياتي على المواقع الواقعة بين موقع الحريق (سوق الكمرك القديم وخان جغان) وبين باب المراتب وهي في هذه الحال قصور ودور دار الخلافة وهذا لم يقع بتاتا لعدم ذكره من ابن الجوزي او غيره من المؤرخين في حين ان الخبر يفيد بانتقاله الى المواقع القريبة من الحظائر التي شب فيها الحريق وهي درب السلسلة ورباط بهروز ودار كتب النظامية ودروب باب المراتب وهذا ما يؤكد ويدل على ان باب المراتب ومحلتها كانت تقع شمالي حظائر الحطب والمدرسة النظامية ، علماً بان باب المراتب هذه هي الباب الجنوبي لدار الخلافة ، هذا ولما ثبت لدينا ان المدرسة النظامية كانت تقع في شارع المتنبي الحالي وهي قرب حظائر الحطب التي شب فيها الحريق وانتقل الى باب المراتب لذا فان باب المراتب هي قرب النظامية والحظائر وتقع شماليها لا جنوبيها فبناء عليه تكون دار الخلافة شمالي المدرسة النظامية وليس جنوبيها كما قال الدكتور جواد .

٦ - ذكر صاحب كتاب الحوادث الذي حققه الدكتور جواد ونشره عام ١٩٣٢ ونسبه الى ابن الفوطي خبرا في حوادث سنة ٦٤٦ فقال ونبع الماء من اساس المدرسة المستنصرية ومن دار سنقرجا زعيم خوزستان المجاورة للمدرسة المستنصرية ومن مسجد الحظائر المعروف بام الناصر المجاور لهذه الدار . . . الخ[11] .

لم يرد في هذا الخبر ذكر المدرسة النظامية علما بان الدكتور جواد قد عين موقعها في سوق الخفافين الحالي المجاور لجامع الخفافين (مسجد الحظائر) وبجوار دار سنقرجا الذي كان بجوار مسجد الحظائر (الخفافين) وهذا يؤكد لنا ان المدرسة النظامية لم تكن في الموضع الذي عينه الدكتور جواد في سوق الخفافين اذ لو كانت هناك لنبع الماء فيها مثل ما نبع في المواقع المجاورة الاخرى ولذكرها صاحب الحوادث في جملة المواقع والابنية التي نبع فيها الماء من جراء فيضان دجلة سنة ٦٤٦ هـ هذا مع العلم انه تبين لنا ان موقعها كان في شارع المتنبي الحالي لان دار مؤنس المظفر كانت تقع هناك وانها اي المدرسة النظامية كانت قد بنيت على قسم من ارض تلك الدار .

٧ - اما بالنسبة لموقع حظائر الحطب ومسجد ام الناصر ، فان الدكتور جواد عين موقع الحظائر في موقع سوق الكمرك العتيق وخان جغان وهذا التعيين لموقع الحظائر غير وارد لان حظائر الحطب كانت على دجلة كما قال ياقوت الحموي[12] وانها كانت قرب المدرسة النظامية التي كانت تقع في شارع المتنبي الحالي وعلى دجلة كما قال ابن الجوزي في الخبر الذي اورده عن نشوب حريق في حظائر الحطب حيث قال[13] في سنة ٥١٠ هـ وقعت النار في حظائر الحطب ودكاكين الحطب التي على دجلة . . . . الخ وكان موقعها على الارجح قرب شارع المتنبي الحالي الذي تقع عليه المدرسة النظامية وعلى دجلة بين بناية المحاكم المدنية الحالية في شارع المتنبي وبين جسر الشهداء الحالي ولذا فقد انتقلت النار التي شبت فيها سنة ٥١٠ هـ وسنة ٥٨٣ هـ[14] الى المدرسة النظامية ورباط بهروز ودرب السلسلة ودور باب المراتب .

اما بالنسبة لموقع مسجد الحظائر الذي قال الدكتور جواد انه جامع الخفافين الحالي وانه كان يقع بجوار الحظائر وبجوار المدرسة النظامية التي كانت تقع في موقع سوق الخفافين اليوم فمن المؤكد انه لم يكن بجوار حظائر الحطب وبجوار المدرسة النظامية حتى سنة ٥٨٣ هـ لانه لم يذكر في جملة الابنية والمناطق التي انتقل اليها الحريق الذي شب في حظائر الحطب سنة ٥١٠ هـ وسنة ٥٨٣ هـ ولو كان بجوار الحظائر لانتقلت النار اليه كما انتقلت الى غيره واغلب الظن انه بني بعد سنة ٥٨٣ هـ ولعله بني في اواخر حياة ام الناصر المتوفاة سنة ٥٩٩ هـ كما قال سبط ابن الجوزي[16] كما ان من المؤكد ايضا انه لم يكن قرب المدرسة النظامية لان المدرسة المذكورة كانت تقع في شارع المتنبي الحالي وليس في سوق الخفافين الحالي حسبما ظهر لنا عند بحثنا (موقع المدرسة النظامية) من البند ثالثاً اعلاه ولذكرها صاحب الحوادث في جملة المواقع التي نبع فيها الماء من جراء فيضان دجلة سنة ٦٤٦ هـ .

هذا من جهة ومن جهة اخرى ذكر ابن الدبيثي موقع هذا المسجد في مشرعة المزملات وذلك عند ترجمته لابي حفص عمر بن يوسف المقرىء المتوفى سنة ٦١١ هـ حيث قال[١٦] (وام بالناس بالمسجد الذي انشأته والدة الناصر بشرعة المزملات) علما بان مشرعة المزملات هذه كما قال الدكتور جواد عنها انها موضع المدرسة المستنصرية[١٧] هذا ولم يسم ابن الدبيثي هذا المسجد بمسجد الحظائر وانما سماه بالمسجد الذي انشأته ام الناصر وهذا يؤكد ان المسجد المذكور حتى سنة ٦١١ هـ لم يكن يعرف بمسجد الحظائر كما ان المدرسة المستنصرية لم تكن بعد قد انشأت لانه شرع في بنائها سنة ٦٢٥ هـ وتكاملت عمارتها وافتتحت للدرس سنة ٦٣١ هـ[١٨] وان مسجد ام الناصر كان قد بني قبل بناء المدرسة المستنصرية .

واغلب الظن ان حظائر الحطب التي كانت قرب المدرسة النظامية التي كانت تقع في شارع المتنبي الحالي قد انتقلت الى مشرعة المزملات وعلى دجلة الى جوار مسجد ام الناصر بعد تكرار الحرائق فيها وذلك سنة ٥١٠ هـ وسنة ٥٨٣ هـ وانتقال النار الى المواقع والمحلات المجاورة لها خاصة وان مشرعة المزملات التي انتقلت اليها لم يصل العمران اليها الا بعد بناء المدرسة المستنصرية ، وبمرور الزمن اصبح مسجد ام الناصر يعرف بمسجد الحظائر لقرب حظائر الحطب منه وذلك كما سماه صاحب الحوادث في الخبر الذي نقله الينا عن فيضان دجلة سنة ٦٤٦ هـ[١٩] .

ومن كل ذلك يتضح لنا ان مسجد ام الناصر او مسجد الحظائر لم يكن قرب النظامية وان المدرسة النظامية كانت تقع على قسم من دار مؤنس المظفر التي ظهر لنا انها تقع في شارع المتنبي الحالي وبناء عليه فان تعيين الدكتور جواد لموقع هذه المدرسة في موقع سوق الخفافين غير صحيح ولا يتفق والاوصاف التي ذكرها المؤرخون عن موقع هذه المدرسة .

هذا وان حظائر الحطب كانت قرب المدرسة النظامية حتى سنة ٥٨٣ هـ او بعدها ثم انتقلت من موقعها الكائن قرب المدرسة النظامية الى جوار مسجد ام الناصر وان مسجد ام الناصر لم يكن يعرف بمسجد الحظائر حتى عام ٦١١ هـ وانما سمي بذلك بعد هذا التاريخ .

رابعاً : موقع رباط بهروز

قال الدكتور مصطفى جواد في كتاب دليل خارطة بغداد عن رباط بهروز ما يلي :-

١ - حاشية ص (١٤٧) : - ورباط بهروز في موقع قهوة الشط الحالية وقد ذكر سبط ابن الجوزي بناءه في حوادث سنة ٥٠٢ هـ .

٢ - ص (١٥٣) : وبنى بهروز رباطا للصوفية قريبا من النظامية .

٣ - ص (١٧٤) : - وقد ذكرنا ان منها دار مؤنس المظفر التي منها المدرسة النظامية ورباط بهروز المعروف برباط الدرجة الذي جعل دار شفاء ايام ال جلائر .... الخ .

٤ - ص (٢٥٠) رباط بهروز الاسفل وهو دار الشفاء في عصر ال جلائر بالجانب الشرقي .

اما رباط بهروز الاعلى فهو في موقع المجلس النيابي او دار الضباط او تحتها بقليل بالجانب الشرقي .

يظهر من اقوال الدكتور جواد اعلاه انه كان في بغداد رباطين لبهروز الاول بني سنة ٥٠٢ هـ وهو الذي سماه الدكتور جواد الرباط الاسفل او الدرجة والذي اشار اليه سبط ابن الجوزي فقال انه بني سنة ٥٠٢ هـ وهذا الرباط كان قرب النظامية وعلى قسم من ارض دار مؤنس المظفر وان موقعه في الوقت الحاضر هو موقع قهوة الشط التي تقع في نهاية شارع السموأل الحالي .

ان تعيين موقع رباط بهروز الاسفل في موقع قهوة الشط الحالية غير وارد لان موقع قهوة الشط ليس من دار مؤنس المظفر وان دار مؤنس المظفر لم تكن تقع في هذه المنطقة بل كما سبق ان تبين لنا ان موقع دار مؤنس المظفر كانت بسوق الثلاثاء وقرب جسر سوق الثلاثاء ذلك الجسر الذي عمله بهاءالدولة البويهي سنة ٣٨٣ هـ ونصبه بين مشرعة القطانين من الجانب الغربي وبين المشرعة التي تقع قرب دار مؤنس المظفر من الجانب الشرقي وذلك كما اخبرنا به ابن الجوزي[٢٠] وان الدكتور جواد نفسه كان

قد عين موقع مشرعة القطانين في موقع شريعة بيت الايلجي من الجانب الغربي والتي تقابل شريعة المحاكم الحالية[1] الواقعة في شارع المتنبي الحالي لذا فان دار مؤنس المظفر كانت تقع في شارع المتنبي المذكور وبناء عليه فان رباط بهروز الاسفل المبني سنة ٥٠٢ هـ كان يقع في شارع المتنبي الحالي وهذا الموقع قريب من المدرسة النظامية التي كانت تقع في هذا الشارع ايضا كما ان كلا الموقعين كانا قرب موقع حظائر الحطب كما اخبرنا بذلك ابن الجوزي[2] عن نشوب حريق في حظائر الحطب القريبة من النظامية وانتقال الحريق الى رباط بهروز ودار كتب المدرسة النظامية وهذا مما يدل ان حظائر الحطب والمدرسة النظامية ورباط بهروز كانت كلها تقع في منطقة واحدة لذا يتضح لنا من ذلك ان رباط بهروز الاسفل او رباط الدرجة كان يقع في شارع المتنبي الحالي وموقعه على الارجح في موقع بناية المحاكم في الشارع المذكور وليس كما قال الدكتور جواد بانه كان يقع في موقع قهوة الشط لان دار مؤنس المظفر كانت تقع في شارع المتنبي الحالي حسبما ثبت لدينا ذلك .

اما بالنسبة لرباط بهروز الاعلى كما سماه الدكتور جواد او الرباط المستجد المعروف برباط الخدم كما سماه ابن الجوزي[3] فكان يقع حسب رأي الدكتور جواد في موقع بناية المجلس النيابي السابق جنوبي القصر العباسي الموجود حاليا او في موقع نادي الضباط الحالي على دجلة او جنوبيه بقليل اي في بناية وزارة المعارف سابقا المجاورة لنادي الضباط من الجنوب وهذا التعيين لموقع رباط بهروز الاعلى او رباط الخدم قد ثبت لدينا في اعلاه في بحث موقع دار الخلافة فقرة (٧) انه تعيين صحيح ، وكان يقع قريبا من جامع القصر كما اخبرنا بذلك ابن الجوزي عن الحريق الذي شب في باب درب بهروز وانتقاله الى باب جامع القصر سنة ٥٦٨ هـ[4] . وهو بالتالي يقع في حريم دار الخلافة وفي جنوبيها وكذلك الحال بالنسبة لرباط بهروز الاسفل او رباط الدرجة وهما بالتالي يقعان جنوبي دار الخلافة وليس شماليها لان دار الخلافة كانت تقع في موقع وزارة الدفاع الحالية كما ثبت لدينا ذلك في اعلاه .

خامسا : موقع درب السلسلة

قال الدكتور مصطفى جواد في كتاب دليل خارطة بغداد عن درب السلسة وموقعه ما يلي :

١ ـ ص (٣١٩) : وقد كان بالجانب الشرقي في محلة سوق الثلاثاء (محلة باب الاغا الحالية) درب يسمى السلسلة وهو فرع من سوق البزازين الكبير القريب من خان دلة الممتد شمالا حتى جامع القبلانية (مسجد الشريف الزيدي ودار كتبه) .

وقال ابن الجوزي في وفيات سنة ٤٦٣ هـ في سيرة الخطيب البغدادي (توفي سابع ذي الحجة من هذه السنة في حجرة كان يسكنها بدرب السلسلة في جوار النظامية وقد ذكرنا ان المدرسة النظامية كانت في موضع سوق الخفافين الحالي . . .

٢ ـ ص (٣٢٤) : ودرب السلسلة كان اسما لدربين احدهما كان بالجانب الغربي هو الدرب الذي كان يسكن فيه ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني من محلة باب الكوفة . . . والاخر بالجانب الشرقي بجوار النظامية .

٣ ـ قال الدكتور جواد في حاشية ص (٣٨) من كتاب تاريخ ابن الساعي الجزء التاسع الذي حققه الدكتور جواد ونشره عام ١٩٣٤ م ان درب السلسلة هو سوق الصفافير .

يتبين لنا من ذلك ان درب السلسلة كان بجوار المدرسة النظامية التي كانت تقع في سوق الخفافين حسب راي الدكتور جواد ولكنه عين موقع درب السلسلة مرة في عام ١٩٣٤م عند تحقيقه تاريخ ابن الساعي في موقع سوق الصفافير ومرة اخرى عام ١٩٥٨ في كتاب دليل خارطة بغداد في سوق من اسواق البزازين وهو الواقع بين خان دلة وبين جامع القبلانية وكلا الموقعين بعيدين عن المدرسة النظامية او سوق الخفافين الحالي لان هذين الموقعين ليسا بجوار النظامية وانما يبعدان عنها مسافة لا تقل عن سبعمائة مترا او اكثر ومن المعروف لغويا ان الجوار يقصد به الذي يجاورك بيت بيت كما جاء في لسان العرب[5] وكان من المفروض ان يعينه في موقع خان جغان او قربه لانه بجوار سوق الخفافين . هذا مع العلم ان المدرسة النظامية كما تبين لنا في اعلاه (موقع المدرسة النظامية) كانت تقع في شارع المتنبي وليس في سوق الخفافين لذا فان تعيين موقع درب السلسلة في موقع سوق

الصفافير او في سوق البزازين غير وارد وتعيين غير الصحيح .

هذا وسبق ان علمنا كما اخبرنا ابن الجوزي[٣٦] أن الحريق الذي شب في حظائر الحطب وانتقاله الى رباط بهروز ودار كتب النظامية ودروب باب المراتب والى درب السلسلة ان هذه المواقع قريبة من بعض وكلها تقع في منطقة واحدة ، هذا ولما ثبت لدينا ان المدرسة النظامية ورباط بهروز كانا يقعان في شارع المتنبي الحالي فيكون والحالة هذه ان درب السلسلة يقع في شارع المتنبي الحالي وجوار النظامية .

لقد ذكر الخطيب البغدادي درب السلسلة عند كلامه عن النهر الذي استمده عضدالدولة البويهي من نهر الخالص لسقي بستانه التي كانت بالمخرم عند قصره حيث قال :

(فاخرج المهندسين الى الانهار التي في ظاهر الجانب الشرقي من مدينة السلام ليستخرجوا منها نهرا يسيح ماؤه الى داره فلم يجدوا ما ارادوا الا في نهر الخالص .... فلما بلغ الى منازل البلد وارادوا سوق النهر الى داره عمد الى درب السلسلة فدك ارضه دكا قويا ورفع ابواب الدور واوثقها ... الخ حتى وصل الماء الى الدار وسقى البستان[٣٧] .

يفهم من ذلك ان درب السلسلة الذي ذكره الخطيب كان يقع في اعلى البلد قرب السور من ناحية المخرم اي شرقي محلة المخرم (العيلوازية الحالية) فهل هذا الدرب هو نفسه الذي تقع بجواره المدرسة النظامية اي انه يمتد من اعلى بغداد شرقي المخرم حتى يصل الى جوار النظامية ام انه درب اخر لا علاقة له بالدرب المجاور للنظامية ولكن يظهر انه درب واحد ياتي من اعلى البلد فيسير باتجاه دار الخلافة اي في حريم دار الخلافة بباب العامة ثم يتجه نحو الجنوب الى النظامية اي في جوارها لان ابن الجوزي ذكر لنا في حوادث سنة ٥٢٨ هـ[٣٨] خبرا حيث قال : (في حادي عشر شوال وقع حريق في خان السلسلة الذي بباب دار الخليفة) من هذا الخبر يمكن الاستنتاج ان درب السلسلة كان يمر بالخان المذكور الواقع في حريم دار الخلافة فسمي الخان باسم الدرب المذكور او لعل خان السلسلة هذا هو الاصل فسمي الدرب باسمه فكان من عند الخان يتجه شمالا الى ان يصل الى طرف البلد ومن الخان يتجه شرقا الى ان يصل الى جوار النظامية ولعله الدرب المتفرع من شارع المتنبي الواقع حاليا خلف بناية متصرفية بغداد سابقا وخلف بناية امانة العاصمة سابقا متجها نحو الشمال الى الميدان ومن بعد يمر من عند جامع المرادية متجها نحو الشمال الى ان يصل قرب سور بغداد القديم .

ومن كل ذلك يتضح ان درب السلسلة هذا لم يكن واقعا في سوق الصفافير ولا في سوق البزازين كما حدد موقعه الدكتور جواد وانما كان يقع بجوار النظامية التي كانت واقعة في شارع المتنبي الحالي حيث يبدأ من هناك متجها الى الميدان الحالي ثم يتجه الى الشمال نحو سور بغداد القديم .

سادساً : موقع سوق الثلاثاء

قال الدكتور مصطفى جواد في كتاب دليل خارطة بغداد عن سوق الثلاثاء وموقعه ما يلي :

١ - ص (١٦) كما ان سوق الثلاثاء كانت سوقاً لاهل كلواذا يقيمونها في اول ثلاثاء من كل شهر قبل ان يعمر المنصور بغداد .

٢ - ص (٣٤) : - لما كانت المنطقة الواقعة في جنوب قطيعة المخرم تعرف بأسم سوق الثلاثاء وقد قال ياقوت ان هذا السوق سمي بذلك لانه كان يقام عليه سوق لاهل كلواذا واهل بغداد قبل ان يعمر المنصور بغداد في كل شهر مرة بيوم الثلاثاء فنسب الى اليوم الذي يقام فيه السوق) انتهى . وقد بقي هذا الموضوع على اسمه الاصلي بعد ان شيدت مدينة بغداد الشرقية .

٣ - ص (١١٧) : وكان الشارع الرئيس الذي يمتد الى المخرم في الجنوب يعرف بأسم الشارع الاعظم فيمر بباب سوق الثلاثاء وهو الباب الواقع الى الحد الجنوبي من سور بغداد الشرقية الذي اقامه المستعين .

٤ - ص (١١٨) : ومن باب المخرم يمتد الشارع الاعظم الى الجنوب حتى يصل سوق الثلاثاء .

٥ - ص (١٢٨) : وكانت قصور الخلفاء خارج السور المذكور (سور المستعين) في جنوب سوق الثلاثاء .

٦ - ص (١٤٩) : وعلى هذا كان في اخر العهد البويهي جسران ، جسر سوق الثلاثاء عند مشرعة القطانين وجسر الرصافة المزدوج عند باب الطاق .

٧ - ص (١٥٤) : ومن الابنية المهمة - ايضا المدرسة النظامية التي كانت في محلة الحظائر في اخر سوق الثلاثاء ... قول ابن بطوطة ان المدرسة كانت في وسط سوق

الثلاثاء ... الخ .

٨ - ص (١٦٠) : وقد جعل للسور اربعة ابواب فسمي الباب الشمالي باب السلطان كان يقع هذا الباب عند باب المعظم الحالي في جنوب جامع السلطان وفي جنوبي هذا الباب كانت السوق المعروفة بسوق السلطان المؤدية الى سوق الثلاثاء .

٩ - ص (١٧٤) : وكانت اهم محلة من المحلات المحيطة بدار الخلافة داخل السور الكبير محلة سوق الثلاثاء وهي اليوم محلة باب الاغا وجديد حسن باشا وفيها سوق الصفارين وسوق البزازين الكبير وسوق الكيابجية وسوق الكمرك العتيق وسوق الهرج وقد ذكرنا ان منها دار مؤنس المظفر التي منها المدرسة النظامية ورباط بهروز والمدرسة البهائية التي بنيت في موضعها القلندر خانه ورباط شيخ الشيوخ الذي هو خان الباجه چي الحالي وفي هذه المحلة درب دينار الذي ذكرنا انه شارع المأمون الحالي والمدرسة المستنصرية ودار القران المستنصرية التي هي الجامع الاصفي ومسجد الشريف الزيدي الذي هو الجامع القبلاني .

١٠ - ص (١٧٨) : ان ابن بطوطة وصف هذه المدرسة (المدرسة المستنصرية) بقوله انها تقع في اخر سوق الثلاثاء .

١١ - ص (٢٢٠) : وخان الاور تمة اي الخان المستور بالتركية وهو قائم بالقرب من مدرسة مرجان في سوق الثلاثاء القديم .

يرى الدكتور جواد حسبما جاء في اقواله ان سوق الثلاثاء يبدأ من باب سوق الثلاثاء والواقع بعد السوق المعروفة بسوق السلطان التي تقع جنوبي باب السلطان (باب المعظم) ويسير باتجاه شارع الرشيد من شرقي الميدان الحالي حتى باب الاغا ثم يمر في شارع المأمون الحالي وفي سوق البزازين وسوق الكمرك وسوق الخفافين الى ان يصل رباط بهروز الواقع في محل قهوة الشط الواقعة عند شريعة شارع السموأل الحالي ثم يصعد في شارع السموأل الى المدرسة المرجانية (جامع مرجان الحالي) لانه يعتبر المدرسة المذكورة وخان مرجان من سوق الثلاثاء .

وهذا التعيين لموقع سوق الثلاثاء غير وارد للاسباب التالية :-

١ - لم يذكر الدكتور جواد السند التاريخي الذي يثبت صحة تعيينه لموقع سوق الثلاثاء وهذا يعتبر نقص للبحث التاريخي العلمي خاصة وان المؤرخين قدموا لنا النصوص التاريخية التي يمكن الاستناد اليها في تعيين مواقع بغداد القديمة ومنها سوق الثلاثاء .

٢ - ان سوق الثلاثاء كان موجودا قبل وجود سوق السلطان ، ومن المعلوم ان سوق السلطان كان قد انشىء في العهد السلجوقي وفي زمن السلطان ملك شاه كما قال ابن الجوزي[٢٩] وذلك سنة ٤٨٥ هـ وكان هذا السوق قرب جامع السلطان وفي محلة المخرم ومحلة المخرم التي تقع فيها دار السلطنة السلجوقية وجامع السلطان كانت تقع خارج سور بغداد الشرقية القديم وكما قال عنها ياقوت الحموي[٣٠] انها تقع بين الرصافة ونهر المعلى وفيها كانت الدار التي يسكنها السلاطين البويهيون والسلجوقيون خلف الجامع المعروف بجامع السلطان اي انها كانت تقع بين محلة الرصافة وبين محلة المعلى ، علما بان محلة نهر المعلى كما تبين لنا عند البحث عن موقع دار الخلافة فقرة[٣١] كانت تقع بين محلة المخرم وبين محلة المأمونية اي من عند سور بغداد الشمالي ومن عند باب السلطان (باب المعظم) حتى شرقي جامع القصر .

لذا يتضح لنا ان سوق الثلاثاء كان يبدأ من باب سوق الثلاثاء الواقع جنوبي باب السلطان الواقع على سور بغداد (باب المعظم) ومن هذا يظهر ان سوق السلطان لم يكن داخل بغداد المسورة وانما خارجها ، اما سوق الثلاثاء فكان داخل بغداد المسورة وكان يقع مباشرة بعد باب السلطان حيث يبدأ من هناك ومن عند باب سوق الثلاثاء والذي يؤكد ذلك ما قاله ياقوت الحموي عن شارع الميدان حيث قال : (من محال بغداد ايضا بالجانب الشرقي خارج الرصافة وكان شارعا مادا من الشماسية الى سوق الثلاثاء ...) وهذا يدل على ان شارع الميدان المذكور يتصل مباشرة بسوق الثلاثاء وليس بسوق السلطان الذي يقول عنه الدكتور جواد انه كان يقع بين باب السلطان وبين باب سوق الثلاثاء الواقع شرقي الميدان الحالي بل انه جعل سوق السلطان مكان سوق الثلاثاء وهذا غير وارد .

لذا يظهر لنا من كل ذلك ان سوق الثلاثاء كان يبدأ من حيث ينتهي شارع الميدان وان سوق الثلاثاء يقع مباشرة بعد شارع الميدان الذي كان ينتهي عند سور بغداد او عند باب السلطان .

٣ - قال ابن بطوطة [٣٢] ان المدرسة النظامية تقع في وسط سوق الثلاثاء وان المدرسة المستنصرية تقع في اخره هذا القول يعتبر نقطة دالة تفيدنا في تعيين موقع سوق الثلاثاء لأن المدرسة المستنصرية التي تقع في اخره لازالت بقاياها موجودة لحد هذا اليوم وهي الواقعة على دجلة جنوبي جسر الشهداء الحالي ، وهو اذن ينتهي عند المدرسة المستنصرية وبناء على ذلك لايدخل في سوق الثلاثاء سوق البزازين ولا الصفارين ولا الخفافين ولا شارع السموأل ولا مدرسة مرجان ولا خانة لانها خارجة عن سوق الثلاثاء الذي ينتهي عند المدرسة المستنصرية .

٤ - لما كانت المدرسة النظامية تقع في منتصف سوق الثلاثاء كما قال ابن بطوطة علما بانها كانت تقع على قسم من دار مؤنس المظفر الواقعة في سوق الثلاثاء كما قال ابن الجوزي [٣٣] وحيث قد تبين لنا ان دار مؤنس هذه كانت تقع في شارع المتنبي الحالي ، فالنظامية ايضا كانت تقع في هذا الشارع فشارع المتنبي اذن هو من سوق الثلاثاء وهو منتصف سوق الثلاثاء كما قال ابن بطوطة الذي تقع عنده المدرسة النظامية ولم تكن تقع في اخره كما قال الدكتور جواد .

٥ - ان سوق الكمرك وخان جغان وسوق الهرج وسوق البزازين المجاور للمدرسة المستنصرية حاليا لم تكن من سوق الثلاثاء لان اغلب هذه الاماكن كانت من ضمن المدرسة المذكورة القديمة لان البناية الموجودة حاليا منها هي جزء من اصل المدرسة وملحقاتها ، فالمدرسة المذكورة كانت في الواقع عبارة عن اربع مدارس للمذاهب الاربعة وغرف لسكن طلابها وحماما ملحقا بها ودار تمريض ومطبخ خاص بها للطلاب والمدرسين ومخبز للخبز الذي يقدم لهم ومخزنا خاصا بالمدرسة ومكتبة المدرسة او دار كتبها اضافة الى دكة الطبيب الذي يعالج الطلاب وايوان الساعات الذي كان مقابل باب المدرسة وهي واسعة بحيث كانت في موقع الاسواق المجاورة لها حاليا ، علما بان سوق المدرسة المذكورة كان من ملحقاتها ايضا ، لذا فان الاسواق التي ذكرها الدكتور جواد وقال عنها انها من سوق الثلاثاء ليست في الواقع من السوق المذكورة لان السوق هذا كان ينتهي عند المدرسة المستنصرية وكانت هذه الاسواق او اغلبها من ضمن المدرسة المستنصرية .

٦ - يرى الدكتور جواد ان سوق الثلاثاء يبدأ من عند باب سوق الثلاثاء الذي كان يقع حسبما ظهر في خريطة بغداد في اول ادوارها العباسية [٣١] في شرقي الميدان في منطقة الحيدرخانة الحالية وهذا غير وارد لاننا كما سبق وعلمنا ان سوق الثلاثاء كان يبدأ عند نهاية شارع الميدان كما قال ياقوت الحموي وان نهاية هذا الشارع كان عند سور بغداد عند باب السلطان (باب المعظم) فباب سوق الثلاثاء او بدايته كان يقع غربي الميدان الحالي وقرب باب السلطان وموقعه على الارجح بين باب المعظم وبين الباب الرئيس لوزارة الدفاع حيث كان عند هذا الباب يدخل نهر المعلى الى دار الخلافة ليسقي قصر الفردوس ثم يصب في دجلة وبناء عليه فان باب سوق الثلاثاء كان يقع شمال الباب الرئيس لوزارة الدفاع الحالية وجنوبي باب السلطان (باب المعظم) .

٧ - ان سوق الثلاثاء كان مجاورا لحريم دار الخلافة ويمتد الى المدرسة المستنصرية ولما كانت دار الخلافة في موقع وزارة الدفاع فسوق الثلاثاء تقع شرقي وجنوبي دار الخلافة وليس في شماليها كما قال الدكتور جواد . والدليل على ذلك ما ذكره ابن الجوزي في حوادث سنة ٣٧٢هـ من تعيين قاض بسوق الثلاثاء وحريم دار الخلافة [٣٤] ، وهذا يعني ان سوق الثلاثاء مجاورة لحريم دار الخلافة . ولو كان سوق الثلاثاء شمالي دار الخلافة فانه في هذه الحالة يبعد عن حريم دار الخلافة الذي عين موقعه الدكتور جواد بين محلة صبابيغ الال وبين شريعة المربعة الحالية بما لا يقل عن كيلومترين بينها لو كان حريم دار الخلافة يقع بين دار الخلافة التي كانت تقع في محل وزارة الدفاع الحالية وبين شارع المتنبي الحالي فان سوق الثلاثاء سيكون مجاورا له مباشرة ولذا فقد عُيِّنَ قاض واحد للموقعين وهذا يدل على ان سوق الثلاثاء كان يقع قرب او جنوبي دار الخلافة لا

شماليها .

٨ - ان سوق الثلاثاء كان يقع بين باب سوق الثلاثاء الذي كان غربي الميدان وشمال الباب الرئيس لوزارة الدفاع الحالية وبين المدرسة المستنصرية حيث ينتهي عندها . وكان يسير من باب سوق الثلاثاء باتجاه الجنوب الشرقي ومحاذيا لسور حريم دار الخلافة الواقع في الميدان الحالي وبموقع شارع الرشيد اليوم ثم يسير نحو الجنوب الشرقي الى نقطة التقاء شارع المتنبي الحالي بشارع الرشيد حيث يتجه من هناك الى دجلة فيمر بالمدرسة النظامية التي كانت تقع في منتصفه ثم يمر بسوق السراي الحالي متجها نحو المدرسة المستنصرية الواقعة على رأس جسر الشهداء الحالي حيث ينتهي عندها .

لذا فان سوق الثلاثاء كان في موقع شارع الرشيد حاليا مبتدأ من عند جنوبي باب المعظم بقليل ثم يمر بشارع المتنبي الحالي ثم سوق السراي ثم ينتهي عند المستنصرية وبهذا فان الاسواق التي ذكرها الدكتور جواد وقال عنها انها من سوق الثلاثاء لم تكن من سوق الثلاثاء لانها تقع خارجه .

سابعا : سوق السلطان

قال الدكتور مصطفى جواد عن سوق السلطان وموقعه في كتاب دليل خارطة بغداد ما يلي :-

١ - ص (١٦٠) : وقد جعل للسور اربعة ابواب فسمي الباب الشمالي باب السلطان وكان يقع هذا الباب عند باب المعظم في جنوب جامع السلطان وفي جنوبي هذا الباب كانت تقع السوق المعروفة بسوق السلطان المؤدية الى سوق الثلاثاء .

٢ - ص (١٨٥) : ومسجد سوق السلطان يتعين بتعيين سوق السلطان وهو سوق الميدان الحالي فهل كان في موضع جامع الاحمدية او موضع جامع القلعة المجدد .

٣ - ص ١٩٢ و ١٩٣ : ثم ظهر جسر جديد عند سوق السلطان في الجانب الشرقي والظاهر ان الخليفة الظاهر بن الناصر لدين الله امر بانشائه سنة ٦٢٢هـ كما قال ابن الطقطقى في سيرة الظاهر والتاريخ الفخري ص (٢٤٢) من الطبعة المصرية .... وقال ابن الفوطي في ترجمة عزالدين مودود بن عبدالمؤمن بن كرد مير التركستاني (رايته باوجان في المحرم سنة سبع وسبعمائة وهو اخو علاء الدين علي صاحب المدرسة الشاطئية الراكبة على كرسي الجسر العتيق المحاذي لمدرسة الشيخ ضياء الدين ابي النجيب عبدالقاهر السهروردي ، وقبر الشيخ المذكور ومدرسته قائمان اليوم مقابل دار الضباط .

٤ - وقال في حاشية ص (٣٠٠) وكانت الجعفرية قريبة من محلة سوق السلطان وكان سوق السلطان يمتد شمالا الى قريب من باب السلطان (باب المعظم) فسوق الميدان يصلح لان يكون ابتداء سوق السلطان الممتد نحو الجنوب الى محلة سوق السلطان وكانت هذه المحلة كبيرة جدا وقد ذكر ابن الساعي انه وقع قتال في تلك السنة (٦٠١هـ) بين اهل محلة سوق السلطان والمحلة الجعفرية بباب الجعفرية من المقبرة ... ومقبرة الجعفرية تشبه ان تكون موضع دار المعلمات الابتدائية وجامع الخاتون القائمين اليوم ... الخ .

يرى الدكتور مصطفى جواد ان سوق السلطان ومحلة سوق السلطان ومسجد سوق السلطان كانت كلها تقع داخل بغداد الشرقية المسورة فسوق السلطان حسب رأيه كان يقع جنوبي باب السلطان ويؤدي الى سوق الثلاثاء هذا من جهة ومن جهة اخرى قال مرة اخرى ان سوق السلطان يمتد شمالا الى قريب باب السلطان (باب المعظم) ثم قال اخيرا ان سوق الميدان الحالي يصلح لان يكون ابتداء سوق السلطان الممتد نحو الجنوب الى محلة سوق السلطان .

ثم قال ان محلة الجعفرية قريبة من محلة السلطان وقال ان مقبرة الجعفرية تشبه ان تكون موضع دار المعلمات الابتدائية وجامع الخاتون القائمين اليوم . ولم يعين لنا موقع محلة سوق السلطان ولا موقع محلة الجعفرية .

وقال ايضا ان الخليفة الظاهر نصب جسرا عند سوق السلطان سنة ٦٢٢هـ حسب قول ابن الطقطقى صاحب كتاب التاريخ الفخري .

وترد على هذه الاقوال الملاحظات التالية :

١ - يظهر من اقوال الدكتور جواد اختلاف في تعيين موقع سوق

السلطان فمرة يقول انه جنوبي باب السلطان ويؤدي الى سوق الثلاثاء ويقول مرة اخرى ان سوق السلطان يمتد شمالا الى قريب باب السلطان (باب المعظم) ومرة ثالثة يقول ان سوق الميدان الحالي يصلح لان يكون ابتداء سوق السلطان الممتد نحو الجنوب الى محلة سوق السلطان ، فلا تدري ايهما الصحيح ؟ هل ان سوق السلطان يبدأ من جنوب باب السلطان ام انه يبدأ من سوق الميدان ثم اين تقع محلة سوق السلطان هذه التي تقع جنوبي سوق السلطان ؟ أهي قرب محلة الجعفرية التي لم يعين موقعها وانما عين مقبرتها التي قال انها تشبه ان تكون موضع دار المعلمات الابتدائية وجامع الخاتون القائمين اليوم ؟ كل ذلك يدل على انه غير متأكد من موقع سوق السلطان ومحلة سوق السلطان وموقع محلة الجعفرية .

٢ ـ قال ان سوق السلطان يقع داخل بغداد المسورة ويبدأ من جنوبي باب المعظم ولكنه لم يحدد موقع الابتداء بالضبط وقال ايضا انه يؤدي هذا السوق الى سوق الثلاثاء ولم يحدد لنا موقع انتهائه والتقائه بسوق الثلاثاء .

٣ ـ قال ان مسجد سوق السلطان يتعين بتعيين سوق السلطان ثم اردف وقال هو سوق الميدان الحالي ثم تساءل قائلا هل كان يقع في موقع جامع الاحمدية او موقع جامع القلعة المجدد وهذا يعني انه غير واثق من كلامه ثم ان هذا القول غير وارد لان سوق السلطان كما هو معروف يقع خارج بغداد المسورة وفي محلة المخرم كما اخبرنا ابن الجوزي في تاريخه حيث قال[٣٦] في سنة ٤٨٥ هـ امر ملكشاه ببناء سوق المدينة المقاربة لداره التي بمدينة طغرلبك وبنى فيها خانات وسوق ودروب وآدر وبنت خاتون حجرة لدار الضرب ثم بعمارة الجامع الذي تم على يد بهروز الخادم سنة ٥٢٤ هـ وكثرت العمارة بالسوق .

٤ ـ ان سوق السلطان كما ذكر ابن الجوزي كان قد بني زمن السلطان ملكشاه السلجوقي سنة ٤٨٥ هـ وبني مع السوق دروب وخانات ودور وكثرت العمارة فيه وما حوله بحيث أصبحت محلة تدعى محلة سوق السلطان وبني حولها سور خاص بها سمي سور سوق السلطان وقد اشار الى هذا صاحب الحوادث الذي حقق كتابه الدكتور جواد وذلك في اخبار سنة ٦٤١ هـ اذ قال[٣٧] وفيها زادت دجلة زيادة مفرطة غرقت مواضع كثيرة . . . وخرب محلة كان استجدها الغرباء من الجند بظاهر سور سوق السلطان وراء جامع المدينة . . . . الخ .

من هذا يفهم ان المحلة التي استجدها الغرباء كانت بظاهر سوق السلطان ووراء جامع المدينة او جامع السلطان وبناء عليه فان سوق السلطان كان عند جامع السلطان خارج بغداد المسورة وليس في داخلها .

٥ ـ واشار صاحب الحوادث الى سور سوق السلطان ايضا في حوادث سنة ٦٢٨ هـ حيث قال[٣٨] وفي شوال تكامل بناء المدرسة التي انشأها شرف الدين اقبال الشرابي بسوق العجم بالشارع الاعظم بالقرب من عقد سور سوق السلطان مقابل درب الملاحين . . . . الخ

وقال الدكتور جواد تعليقا على ذلك ان درب الملاحين المذكور يوافق درب مستشفى المجيدية اليوم الممتد من باب المعظم الى دجلة[٣٩] وهذا يعني ان سوق السلطان وسوره كانا خارج بغداد وسورها علما بان لنا رايا في موقع المدرسة الشرابية المذكورة وموقع درب الملاحين المذكور سنبحثه فيما بعد .

٦ ـ قال صاحب كتاب الحوادث عن اخبار سنة ٦٣٠ هـ وبمناسبة عودة اقبال الشرابي من فتح اربل ما يلي[٤٠] . . . ثم رحل في حادي عشر ذى الحجة متوجها الى بغداد فلما وصل ظاهر سوق السلطان خلع على جميع اسحابه ومن كان في خدمته . . . وخرج اليه جميع الولاة وارباب المناصب فلقوه بظاهر السور . . . ثم سار حتى وصل دجلة ونزل عند المسناة في شبارة الخليفة . . . وانحدر الى دار الخلافة . . . . الخ)

يفهم من هذا الخبر ان سوق السلطان ومحلة سوق السلطان كانا خارج بغداد المسورة وظاهر السور وهي على الاغلب المنطقة الواقعة بين سور بغداد القديم الذي موقعه الان عند باب المعظم الحالي وبين بانزيتخانة الصرافية الواقعة على شارع الامام الاعظم الحالي مقابل جامع العادلية المبنى حديثا لان الخبر يفيد ان من خرج لاستقباله من الولاة والاعيان وأرباب المناصب لقوه بظاهر السور

خارج بغداد المسورة ، كما انه كان قد خلع على اصحابه ومن كان في خدمته عند وصوله ظاهر سوق السلطان وقبل ان يلتقي بمن جاء لاستقباله وهذا يعني ان سوق السلطان كان شمالي سور بغداد وليس جنوبيه اي داخل بغداد .

٧ ـ قال صاحب كتاب الحوادث المنوه عنه اعلاه في حوادث سنة ٦٣٥ هـ ما يلي[١] « وفيها في تشرين الاول جاء رعد هائل وبرق عظيم ووقعت صواعق كثيرة منها صاعقة اصابت انساناً بظاهر سور سوق السلطان قريباً من سوق الخيل .. الخ » .

من هذا الخبر يستفاد ان سوق السلطان كان يقع قريبا من سوق الخيل او سوق الدواب الذي كان يقع خارج بغداد المسورة في المخرم ، اي في منطقة الوزيرية الحالية كما عين موقعه الدكتور احمد سوسة في خارطة بغداد في أول ادوارها العباسية[٢] ومن هذا يظهر لنا ان سوق السلطان ومحلة سوق السلطان كانت بظاهر بغداد وسورها .

٨ ـ ذكر صاحب كتاب الحوادث في اخبار سنة ٦٣٧هـ ما يلي[٣] (وفيها تقدم بهدم بعض اماكن قد عمرها التركمان بظاهر بغداد مما يلي سوق السلطان مساكن ودكاكين واصطبلات وغير ذلك وكانت تزيد على الف موضع) .

وهذا الخبر يؤكد لنا ان سوق السلطان كان يقع خارج بغداد المسورة وان هذه المحلة التي عمرها التركمان كانت تقع ظاهر بغداد وسورها ومما يلي سوق السلطان المذكور الذي كان يقع في المخرم .

٩ ـ قال الدكتور جواد ان مسجد سوق السلطان يتعين بتعيين سوق السلطان وهو سوق الميدان الحالي ثم تساءل هل كان في موقع جامع الاحمدي او موقع جامع القلعة المجدد .

ان هذا القول غير وارد لان سوق السلطان ليس هو سوق الميدان الحالي كما تبين لنا في الفقرات اعلاه كما انه لم يكن هناك مسجد يسمى مسجد سوق السلطان اذ لم يذكر المؤرخون المعاصرون للعصور العباسية مسجدا باسم مسجد سوق السلطان فهذا ابن الجوزي وهذا ابن الاثير وابن الساعي وصاحب الحوادث الذي حقق كتابه الدكتور جواد وهذا ياقوت الحموي وهذا ابن الطقطقى وابن الدبيثي وغيرهم كثير لم يذكروا مسجدا باسم مسجد سوق السلطان وانما ذكروا جامع السلطان الواقع بظاهر البلد وخارج سوق بغداد وعند دار السلطنة السلجوقية في المخرم ولكن سبط ابن الجوزي صاحب مرآة الزمان ذكر في حوادث سنة ٦٢٢هـ[٤] وفاة الناصر لدين الله وذكر عماراته فاشار الى جملة من العمارات والربط والترب ومنها مسجد سوق السلطان والظاهر ان سبط ابن الجوزي اخطأ في الاسم لانه كان يسكن دمشق وبعيداً عن بغداد ولعله توهم أسم المسجد فبدل من ان يقول مسجد او جامع السلطان ، قال مسجد سوق السلطان لانه حسب الظاهر كان المسجد المذكور قرب سوق السلطان الواقع في المخرم فنسبه الى سوق السلطان بدلا من ان ينسبه الى السلطان كما هو معروف .

اما القول بأن جامع الاحمدية او جامع القلعة المجدد هو جامع سوق السلطان فغير وارد لان هذين الجامعين يقعان داخل بغداد المسورة ، وكما علمنا ان سوق السلطان كان خارج سور بغداد فان كان هناك مسجد يدعى بمسجد سوق السلطان فالاولى أن يكون عند سوق السلطان الواقعة خارج سور بغداد هذا وكما سبق ان بينا ان الجامع الاحمدي هو اصل جامع القصر لانه يقع عند القصر الحسني الذي من بقاياه القصر العباسي الحالي الواقع جنوبي وزارة الدفاع الحالية . اما جامع القلعة فعلى الارجح انه جامع استحدث خلال العصور العثمانية عندما اتخذوا موقع دار الخلافة مقرا لجيوشهم وعسكرهم .

١٠ ـ ان جامع السلطان كان يقع عند دار السلطنة السلجوقية وكان قد أتمه بهروز الخادم سنة ٥٢٤هـ كما قال ذلك ابن الجوزي[٥] وقد اشار اليه ابن جبير في رحلته عند مروره ببغداد سنة ٥٨٠هـ فقال عند ذكره جوامع بغداد التي تصلى فيها الجمع (وجامع السلطان هو خارج البلد ويتصل به قصور تنسب للسلطان ايضا . . . الخ)[٦] .

وقد اشار اليه صاحب الحوادث الذي حقق كتابه الدكتور جواد ونسبه الى ابن الفوطي خطأ فسماه مرة جامع المدينة[٧] اي مدينة طغرلبك اي دار السلطنة السلجوقية كما سماه ايضا جامع السلطان[٨] وذكره ايضا ابن الساعي

في تاريخه الذي حققه الدكتور جواد ونشره عام ١٩٣٤م فقال ان جامع السلطان بظاهر البلد[٤٩] .

يتضح لنا من ذلك ان جامع السلطان هو الجامع الذي امر ببنائه السلطان ملك شاه السلجوقي سنة ٤٨٥هـ واتم بناءه بهروز الخادم سنة ٥٢٤هـ والواقع خارج سور بغداد عند دار السلطنة السلجوقية وعند سوق السلطان ومحلة سوق السلطان المسورة والواقعة ايضا قرب جامع السلطان وكل هذه العمارة كانت تقع في المخرم خارج سور بغداد وليس داخل بغداد المسورة هذا مع العلم ان ليس هناك مسجدا او جامعا يسمى جامع سوق السلطان .

١١ - قال الدكتور جواد وكانت الجعفرية قريبة من محلة سوق السلطان وكان سوق السلطان يمتد شمالا الى قريب من باب السلطان (باب المعظم) ثم قال فسوق الميدان يصلح لان يكون ابتداء سوق السلطان الممتد نحو الجنوب الى محلة سوق السلطان وكانت هذه المحلة كبيرة ثم اشار الى وقوع قتال سنة ٦٠١هـ بين اهل محلة سوق السلطان ومحلة الجعفرية ثم قال ان مقبرة الجعفرية تشبه ان تكون موضع دار المعلمات الابتدائية وجامع الخاتون القائمين اليوم .

هذه الاقوال فيها اختلاف كثير فمرة يقول ان سوق السلطان يمتد شمالا الى قريب من باب السلطان ومعنى ذلك ان سوق السلطان يبدأ من عند باب السلطان ومرة اخرى يقول ان سوق الميدان يصلح لان يكون ابتداء سوق السلطان الممتد نحو الجنوب الى محلة سوق السلطان ، اي جعل ابتداء سوق السلطان عند سوق الميدان فأين كان يبدأ سوق السلطان هذا ؟ عند باب السلطان (باب المعظم) او عند سوق الميدان وبين الموقعين مسافة تقرب اكثر من سبعمائة متر علما بان هذه المنطقة الواقعة بين سوق الميدان وباب المعظم خاصة المنطقة المحصورة بين الباب الرئيس لوزارة الدفاع الحالية وبين باب المعظم كانت اسواقا عديدة وخانات ومراكز تجارية قرب دار الخلافة التي هي الان وزارة الدفاع منها مثلاً سوق الريحانيين وسوق عبدون وغيرها من الاسواق هذا من جهة ومن جهة اخرى قال ان سوق السلطان يمتد جنوبا الى محلة سوق السلطان ولكنه لم يحدد موقعها ، ثم قال ان محلة سوق السلطان كانت قريبة من الجعفرية ولم يحدد موقع المحلة الجعفرية كذلك ولكنه حدد موقع مقبرة محلة الجعفرية فقال ان مقبرة الجعفرية تشبه ان تكون موقع دار المعلمات الابتدائية وجامع الخاتون القائمين اليوم .

يتضح من هذا ، انه يحدد موقع مقبرة الجعفرية ولكنه لم يحدد موقع محلة الجعفرية . ان محلة سوق السلطان كانت قرب محلة الجعفرية هذا صحيح ولكن كان يفصل بينهما سور بغداد لان محلة سوق السلطان كما سبق ان ذكرنا ذلك وثبت عندنا من الادلة التاريخية التي استندنا اليها ، كانت تقع في المخرم عند جامع السلطان اما محلة الجعفرية فكانت داخل بغداد المسورة وقرب سور بغداد ، وذلك استنادا الى ما قاله ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٤٣هـ حيث قال : (فاصبح العسكر واذا باب السور مسدود فركب منهم نحو الف فارس وجاءوا الى السور مما يلي باب الجعفرية . . . الخ)[٥٠] من هذا يستند على ان محلة الجعفرية ومقبرتها كانت تقع داخل بغداد وقرب السور وعلى هذا يكون موقعها الان محلة قمرالدين وقسم من محلة السور الحالية وليس في موقع دار المعلمات الابتدائية وجامع الخاتون الحاليين .

من كل ذلك يتضح لنا ان سوق السلطان لم يكن داخل بغداد المسورة بل خارجها في محلة المخرم عند جامع السلطان ودار السلطنة السلجوقية وان محلة سوق السلطان كانت هناك ايضا عند سوق السلطان المذكورة ، كما لم يكن هناك مسجد يسمى مسجد سوق السلطان بل ان المقصود به هو جامع السلطان الذي يقع خارج البلد والواقع عند سوق السلطان ، كما ان محلة الجعفرية ومقبرتها لم تكن قرب دار المعلمات الابتدائية وجامع الخاتون بل كانت هذه المحلة ومقبرتها قرب سور بغداد وهي في موقع محلة قمرالدين وقسم من محلة السور الحاليتين .

١٢ - قال الدكتور جواد (ثم ظهر جسر جديد عقد عند سوق السلطان في الجانب الشرقي والظاهر ان الخليفة الظاهر بن الناصر لدين الله أمر بانشائه سنة ٦٢٢هـ وذلك نقلا عن التاريخ الفخري لابن الطقطقى ص (٢٢٤) ثم قال ان

هذا الجسر كان منصوبا عند المدرسة الشاطئية الراكبة على كرسي الجسر العتيق المحاذي لمدرسة الشيخ ضياءالدين ابي النجيب السهروردي وقبر الشيخ ومدرسته قائمان اليوم مقابل دار الضباط ، اي ان الجسر المذكور كان في الشريعة بين بناية البرلمان القديم وبين نادي الضباط الحالي ، وان الجسر هذا كان منصوبا عند سوق السلطان .

ان هذا القول غير وارد لان سوق السلطان كما تبين لنا في اعلاه لم يكن في هذه المنطقة ولا في بغداد المسورة وانما كان ظاهر سور بغداد عند جامع السلطان في محلة المخرم بمدينة طغرلبك ، هذا من جهة ومن جهة اخرى لو رجعنا الى الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية لابن الطقطقى وليس كما سماه الدكتور جواد التاريخ الفخري صفحة (٢٣٨) من الطبعة المصرية وليس ص (٢٢٤) كما اشار اليها ، لرأينا ان ابن الطقطقى قال عن هذا الجسر ما يلي[٥] : (وايضا فان الظاهر (الخليفة) هو الذي عمل هذا الجسر الجديد الموجود الان ببغداد ولما فرغ عمل الشعراء فيه المدائح ووصفوا الجسر فيها) .

من هذا يتضح ان ابن الطقطقى لم يذكر ان الجسر المذكور كان قد نصب عند سوق السلطان بل انه لم يذكر بتاتا الموقع الذي نصب عنده الجسر هذا . كما ان الشعر الذي اورده عن هذا الجسر لم يذكر فيه موضع الجسر ولا نعلم من اين جاء الدكتور جواد بذكر سوق السلطان ونسبة الجسر اليه او القول بانه منصوب عند سوق السلطان .

اما لو رجعنا الى كتاب تلخيص مجمع الادباء في معجم الالقاب لابن الفوطي الجزء الرابع القسم الاول الذي حققه الدكتور جواد ونشرته وزارة الثقافة والارشاد القومي في سوريا في ترجمة عزالدين مودود بن عبدالمؤمن بن كرد مير التركستاني الذي اشار فيها الى جسر سماه الجسر العتيق فقال :[٦] (وهو اخو الامير علاءالدين علي صاحب المدرسة الشاطئية الراكبة على كرسي الجسر العتيق المحاذي لمدرسة الشيخ ضياءالدين ابي النجيب السهروردي) .

ومن هذا يتضح لنا ايضا ان ابن الفوطي لم يذكر ان الجسر المذكور المسمى العتيق كان منصوبا عند سوق السلطان ، وانما قال انه كان منصوبا عند المدرسة الشاطئية الراكبة على كرسي الجسر العتيق المحاذي لمدرسة ابي النجيب السهروردي وهي الواقعة في الوقت الحاضر مقابل نادي الضباط .

والملاحظ ان ابن الفوطي سمى هذا الجسر بالعتيق وذلك بعد سنة ٧٠٧هـ لانه قال انه رأى عزالدين مودود المترجم له بمدينة اوجان سنة ٧٠٧هـ علما بان ابن الفوطي توفي سنة ٧٢٣هـ مع العلم ان ابن الطقطقى كان قد سماه الجسر الجديد وذلك حوالي سنة ٧٠٠هـ لانه كان قد انتهى من تأليف كتابه المذكور سنة ٧٠١هـ فهل هذا الجسر الجديد الذي اشار اليه ابن الطقطقى هو نفس الجسر الذي سماه ابن الفوطي بالعتيق ؟ علما بأن المؤرخين متعاصرين فابن الطقطقى سماه الجديد سنة ٧٠٠هـ وابن الفوطي سماه العتيق سنة ٧٠٧هـ او بعدها بقليل .

والظاهر ان ابن الطقطقى لم يكن معاصرا لنصب الجسر الذي اشار اليه لانه كان قد عمل سنة ٦٢٢هـ أي قبل تأليفه كتابه بحوالي ثمانين سنة ، كما انه لم يعين موقع نصبه بينما ذكر ابن الفوطي ان الجسر العتيق كان قرب مدرسة ابي النجيب السهروردي ، فهل كان الجسر الجديد الذي ذكره ابن الطقطقى الذي عمله الخليفة الظاهر سنة ٦٢٢هـ هو نفس الجسر الذي اشار اليه ابن الفوطي بعد سنة ٧٠٧هـ الذي سماه الجسر العتيق .

ومع كل ذلك سواء كان الجسر الجديد هو نفسه المسمى الجسر العتيق ام لا فانه لم يكن منصوبا عند سوق السلطان لان المؤرخين المذكورين لم يشيرا الى ذلك ضمنا او صراحة ، بل ان هذا القول هو من عند الدكتور جواد وهو قول يعوزه الدليل والسند التاريخي .

١٣ـ لم يذكر الدكتور جواد اي سند تاريخي عند بحثه عن سوق السلطان يثبت ان موقعه كان داخل بغداد المسورة ، علما بأن المؤرخين كلهم ذكروا ان سوق السلطان هو خارج بغداد وظاهر السور في منطقة المخرم قرب جامع السلطان ودار السلطنة السلجوقية وكذلك محلة سوق السلطان التي كانت تجاور جامع السلطان ومحاطة بسور هو سور سوق السلطان اما القول بانها كانت داخل بغداد المسورة فقول يعوزه الدليل التاريخي والسند المقبول ومن هذا يتضح لنا

ان سوق السلطان ومحلة سوق السلطان وجامع السلطان او مسجد سوق السلطان كما سماه سبط ابن الجوزي خطأً في كتابه مرآة الزمان كانت كلها تقع خارج بغداد وسورها وعند دار السلطنة السلجوقية .

واخيرا نقول ان لسوق السلطان سور خاص به ومحلة تسمى محلة سور سوق السلطان وهذا مما يؤكد ان سوق السلطان ومحلته لم يكن داخل بغداد وانما خارجها ولها سورها الخاص بها ولو كانت داخل بغداد وفي الموقع الذي عينه الدكتور جواد (سوق الميدان الحالي) لما احتيج الى بناء سور خاص بها لانها داخل بغداد المسورة وسور بغداد يكفي لحمايتها ولكن لما كانت في ظاهر بغداد بُني لها سور خاص بها سمي سور سوق السلطان وهذا يؤكد ان سوق السلطان ومحلة سوق السلطان كانت خارج بغداد المسورة وليس بداخلها .

ثامناً : مقابر باب أبرز وموقعها

قال الدكتور مصطفى جواد في كتاب دليل خارطة بغداد عن مقابر باب أبرز وموقعها ما يلي :ـ

١ ـ ص (١٢٢) والفرع الثاني الذي يتشعب من مقسم الماء يسمى نهر المعلى فيسير باتجاه الجنوب الغربي خارج سور المستعين حتى يدخل المدينة وبعد ان يمر من غرب باب أبرز الذي على سور المستعين ومن المقبرة التي بجنبه المعروفة بمقبرة باب ابرز . . . . الخ وكانت مقبرة باب أبرز واسعة تتصل بمقبرة اخرى من الشرق تدعى مقبرة الوردية وهي التي دفن فيها شهاب الدين عمر السهروردي القائمة تربته الى اليوم ، وقال صاحب الحوادث في اخبار سنة ٦٣٢هـ عن عمر السهروردي (ودفن بالوردية في تربة عملت له هناك على جادة سور الظفرية من جهة باب الظفرية) المعروف بالباب الوسطاني اليوم وعلى هذا تكون مقبرة باب ابرز محلة الفضل والمهدية وقمرالدين والبارودية الحالية ، ويؤيد ذلك ما قاله ابن الفوطي في ترجمة قمرالدين الامير المتوفى سنة ٦٣٩هـ فقال (ودفن بباب أبرز ولايزال قبر قمرالدين قائما في المحلة المنسوبة اليه يعني قمرالدين) .

٢ ـ حاشية ص (١٧٦) مقبرة باب أبرز هي محلة الحمام المالح والفضل والمهدية والسيد عبدالله واخر قمرالدين .

٣ ـ ص (٢٤٦). ومحلة باب أبرز صارت محلة قمرالدين وقسم من محلة باب أبرز صارت السيد عبدالله لان عبيدالله العلوي مدفون فيها قديما .

يلاحظ على اقوال الدكتور جواد اعلاه عن مقابر باب أبرز وموقعها الملاحظات التالية :

١ ـ سمى الدكتور مقبرة باب أبرز محلة باب أبرز وذلك في ص ٢٤٦ ، علما بانه لم يكن هناك محلة تسمى محلة باب أبرز بالجانب الشرقي من باب بغداد وانما كانت هناك مقبرة تسمى مقبرة باب أبرز او مقابر باب أبرز وهكذا سماها المؤرخون والبلدانيون ، فهذا ابن الجوزي ومبسطه وصاحب الحوادث الذي نسبه الدكتور جواد الى ابن الفوطي خطأ ، وهذا ابن الساعي وياقوت الحموي لم يسموا مقابر باب ابرز محلة كل ذلك يؤكد ان ليس هناك محلة بهذا الاسم كما ان الدكتور جواد اشار الى موقع المقبرة المذكورة او المقابر المذكورة عندما قال انها هي محلة حمام المالح والفضل والمهدية والسيد عبدالله واخر قمرالدين . ثم اشار الى محلة باب أبرز فقال انها صارت محلة قمرالدين وقسم منها صار محلة السيد عبدالله ، فهل كانت المحلة المذكورة في موقع محلتي قمرالدين والسيد عبدالله التي اشار اليها في صفحة (١٧٦) كانت مقبرة ؟ ولو القينا نظرة على خريطة بغداد ومحلاتها في الوقت الحاضر تبين لنا ان بين محلة قمرالدين وبين محلة السيد عبدالله تقع المحلات التالية وهي محلة البارودية ومحلة الفضل ومحلة تبة الكرد ومحلة القره غول ومحلة خان لاوند ومحلة حمام المالح ، فهل كانت كل هذه المحلات مقبرة باب أبرز ؟

٢ ـ قال الدكتور جواد ان مقبرة باب أبرز مجاورة لباب أبرز الذي كان على سور المستعين وانها كانت تجاور مقبرة اخرى هي مقبرة الوردية (مقبرة الشيخ عمر حالياً) وتقع هذه المقبرة شرقي مقبرة باب ابرز وان مقبرة الشيخ عمر او الوردية تقع على جادة الظفرية من جهة باب الظفرية المعروفة بالباب الوسطاني وهذا كله صحيح يتفق والاوصاف التي ذكرها المؤرخون عن موقع مقبرة باب أبرز ، ومن هذه الاوصاف

التي ذكرها الدكتور جواد عن موقع هذه المقبرة يفهم منها انها تقع قرب سور بغداد وفي غربي مقبرة الوردية او الشيخ عمر كما ان الدكتور احمد سوسة عين موقع هذه المقبرة في خريطة بغداد في العهد السلجوقي[٣] قرب سور بغداد وفي غربي مقبرة الوردية او الشيخ عمر التي جعل موقعها قرب باب الظفرية (الباب الوسطاني) وهذا التعيين من قبل الدكتور سوسة جاء موافقا للاوصاف التي ذكرها المؤرخون والدكتور جواد عن موقع المقبرة المذكورة ، ولكن الدكتور جواد حينما اراد تعيين موقعها في الوقت الحاضر قال انها تقع في محلة الفضل والمهدية وقمرالدين والبارودية حاليا[٤] وقال مرة اخرى انها تقع في محلة الحمام المالح والفضل والمهدية والسيد عبدالله واخر قمرالدين[٥] ولا ندري اي الموقعين هو الصحيح ؟ كما ان هناك محلات اخرى تقع ضمن هذه المحلات التي اشار اليها مثل محلة تبة الكرد ومحلة القرەغول ومحلة خان اللاوند ، فهل كانت هذه المحلات ضمن مقابر باب أبرز ام لا ؟

٣ ـ ان المحلات التي ذكرها الدكتور جواد وقال عنها انها هي موقع مقابر باب أبرز تقع جنوبي مقبرة الوردية (الشيخ عمر) وليس في غربيها كما انها بعيدة عن موقع باب أبرز الذي كان على سور المستعين والذي عين موقعه الدكتور سوسة في خريطة بغداد في اول ادوارها العباسية[٦] الذي كان شمالي المدينة (بغداد) بينما تقع المحلات المذكورة في وسط بغداد ، لذا يتضح ان تعيين الدكتور جواد لموقع مقابر باب أبرز جاء غير صحيح لانه لا يتفق والاوصاف التي ذكرها المؤرخون عن هذه المقبرة وكذلك تخالف ما ذكره هو من اوصاف موقع هذه المقبرة .

٤ ـ ان المحلات التي ذكرها الدكتور جواد على انها موقع مقابر باب أبرز هي على الارجح موقع خرابة ابن جردة التي كانت مجاورة لمقابر باب أبرز كما اخبرنا ابن الجوزي عن نشوب حريق في خرابة ابن جردة سنة ٥٠١هـ[٧] والتي تبين لنا انها تجاور هذه المقابر وذلك في موضوع موقع دار الخلافة بند اولاً فقرة (٨) منه :

٥ ـ ان محلة قمرالدين ليست من مقابر باب أبرز بل انها كانت في موقع محلة الجعفرية ومقبرتها كما تبين لنا ذلك عند بحثنا موقع سوق السلطان اعلاه (بند سابعا فقرة (٧) .

اما جامع قمرالدين وقبر قمرالدين الموجود في الجامع المذكور والمنسوبة اليه المحلة المذكورة فقد يكون لا علاقة له بقمرالدين هذا الذي هو الامير قمرالدين ابي منصور منكوبرس بن عبدالله الناصري المتوفى سنة ٦٣٩هـ والمدفون بباب أبرز لان ابن الفوطي لم يذكر ان قمرالدين دفن في تربة خاصة به فيكون له جامع وانما قال انه دفن بباب أبرز مما يدل على ان الجامع والقبر لا علاقة له لقمرالدين المذكور وعلى الاغلب ان هذا الجامع مستحدث في العصور المتأخرة وان القبر من قبور مقبرة محلة الجعفرية التي هي الان محلة قمرالدين الحالية وهذا يحدث كثيرا في بغداد وغيرها اذ اشار الى هذا الدكتور جواد فقال ان الناس جهلا منها او لفائدة ترجوها تزور اسماء المواضع والمشاهد ولعلها تخترعها[٨] ثم ان قمر الدين المذكور لم يكن من الصالحين او الشيوخ الزهاد او من العلويين الذين يحترمهم اهل بغداد حتى يبنى له جامع ومشهد يزار ، لذا فان الجامع المذكور والقبر الموجود فيه نسب الى قمرالدين في الايام المتأخرة ظناً بأنه من الشيوخ الزاهدين الصالحين لغرض جر مغنم وفائدة وان كثيرا من القبور والمشاهد نسبت زورا الى غير اصحابها وقد ذكر الدكتور جواد أمثالا منها كما ذكر المؤرخون القدامى حوادث عديدة منها ، لذا فان الراجح ان هذا القبر والمسجد ما هما الا من قبور محلة الجعفرية ولعله على الاغلب هو موقع رباط علي بن بختيار البغدادي المتوفى سنة ٥٩٠هـ الذي دفن في تربة بجوار الرباط المذكور[٩] وقد ذكر ابن الدبيثي ان احمد بن علي بن بختيار المتوفى سنة ٦٤٣هـ دفن بالرباط ذاته وكان هذا الرباط بمحلة الجعفرية[١٠]هذا وقد ثبت لدينا عند بحث موقع سوق السلطان المذكور في اعلاه بند (سابعا) فقرة (٧) ان محلة الجعفرية كانت تقع في موقع محلة قمرالدين الحالية ، ولما كانت محلة الجعفرية ومقبرتها ليستا من مقبرة باب أبرز لذا فان القبر والجامع المنسوب الى قمرالدين ليس لقمرالدين المذكور .

ومع ذلك فليس من المعقول والمقبول ان تكون مقبرة باب أبرز في موقع المحلات التي اشار اليها الدكتور جواد

وهي الحمام المالح والفضل والمهدية والسيد عبدالله والبارودية وقمرالدين وما حواليها .

٦ - وصف الدكتور جواد مقبرة أبرز بانها كانت واسعة وقد يكون هذا الوصف في محله ولكنها لم تكن تشمل المحلات التي ذكرها ولا كانت في مواقع هذه المحلات لان هذه المواقع التي اشار اليها لا تتفق والاوصاف التي اوردها المؤرخون عن موقع هذه المقبرة ، حيث ذكروا انها كانت تقع غربي مقبرة الوردية (مقبرة الشيخ عمر الحالية) وان هذه المقبرة كانت تقع شرقي مقبرة باب أبرز وباب أبرز ومن المعلوم ان المحلات التي ذكرها الدكتور جواد تقع جنوبي مقبرة الوردية وليست غربيها ، هذا وان مقبرة باب أبرز توسعت على مرور الزمن ولم تبق على ما كانت عليه عند نشوئها فقد ذكر ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٧٨ هـ ان الخليفة المقتدي وهب ضيعة له تسمى الاجمة لتكون مقبرة ليدفن فيها الموتى الكثيرون بسبب الطاعون الذي حل ببغداد تلك السنة[٦١] والظاهر ان مقبرة الاجمة كانت مجاورة لمقبرة أبرز لان ابن الجوزي سماها مقبرة الاجمة بباب أبرز[٦٢] .

ومقبرة باب أبرز قديمة ولكن الخطيب البغدادي لم يذكرها في تاريخه عند بحثه مقابر بغداد مع العلم انها كانت موجودة قبل وفاته حيث ذكرها ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٥٤ هـ علما بان الخطيب البغدادي كان قد توفى سنة ٤٦٣ هـ وقد دفن في هذه المقابر كثير من المشهورين ومن العلماء ورجال الدولة والوجهاء وكان فيها بعض الترب الخاصة والمشاهد التي تزار والمدارس والربط وقد دفن فيها ابو أسحق الشيرازي مدرس المدرسة النظامية المشهور المتوفى سنة ٤٧٥ هـ[٦٣] وغيره كثير .

يتضح لنا من ذلك ان مقبرة باب أبرز كانت تقع غربي مقبرة الوردية (مقبرة الشيخ عمر الحالية) وليس في جنوبها كما عين موقعها الدكتور جواد وانها كانت عند باب أبرز الذي كان عند سور المستعين ، هذا وان مواقع المحلات التي أشار اليها الدكتور جواد التي قال انها مقابر باب أبرز تقع بعيدا عن باب ابرز وعن سور المستعين ولـذا فان موقعها الحقيقي على الارجح في الوقت الحاضر يكون في موقع القسم الغربي من محلة العزة الحالية الواقعة قرب شارع الشيخ عمر وعلى قسم من محلة السور الحالية التي تقع غربي محلة العزة ولم تكن تقع في موقع المحلات الست التي اشار اليها الدكتور جواد اذ ليس من المعقول ان مقبرة واحدة تشمل هذه المحلات كلها وتكون على هذه السعة والامتداد فاذا كانت مقبرة واحدة تشمل كل هذه المنطقة الواسعة الواقعة في منتصف بغداد العباسية فاين اذن كانت المحلات المسكونة بالاحياء وقتذاك ؟

تاسعا : موقع قبر النذور او مشهد عبيدالله العلوي ومصلى الاعياد

قال الدكتور مصطفى جواد في كتاب دليل خارطة بغداد عن قبر النذور او مشهد عبيدالله العلوي وموقعه ما يلي :-

١ - ص ١٠٨ : وبالقرب من جامع الرصافة ايضا قبر عبيدالله العلوي المعروف اليوم بأسم ابي رابعة وام رابعة ويقع على مسافة قليلة من شرق الشارع الاعظم بازاء منعطف الضريح الملكي . . . وكانت زوجة الامير احمد بن المستعصم ثم زوجة علاء الدين الجويني والى العراق وخوزستان قد انشأت عند هذا المشهد رباطاً للصوفية ومدرسة سميت بالمدرسة العصمتية ، ولما توفيت سنة ٦٧٨ هـ دفنت في التربة التي بنتها بجوار مدرستها عند مشهد عبيدالله وفي سنة ٦٨٥ هـ توفيت ابنتها رابعة العباسية بنت الامير احمد ودفنت في تربة والدتها وقد سماه الخطيب قبر النذور . وقد ذكره ياقوت في قبر النذور من معجم البلدان كما ذكره ابو الحسن علي بن ابي بكر الهروى في مقبرة الخيزران مع بعدها عنه قال (وعبيدالله بن عمر الاشرف وعنده جماعة من الاشراف في مشهد قبر النذور) ووصف ابن الجوزي في مناقب بغداد هذا القبر بانه قريب من جامع الرصافة وفيه بعض اولاد علي عليه السلام ويقال انه قبر عبيدالله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين ، وقد ذكر هذا القبر عند غرق بغداد الشرقية سنة ٦٤٦ هـ وقد نقل مؤلف كتاب الحوادث في ذكر حوادث تلك السنة ان مشهد عبيدالله قد هدمه الماء مع رباط الاصحاب الذي كان مجاورا له اما الرباط المذكور فيرجع الى عهد منشئته السيدة زمرد خاتون والدة الناصر لدين الله المتوفاة سنة ٥٩٩ هـ .

ان هذا التعيين لموقع قبر النذور او مشهد عبيدالله العلوي غير وارد للاسباب التالية .

١ - ان قبر النذور او مشهد عبيدالله العلوي هو غير قبر زوجة الامير احمد بن المعتصم لان زوجة الامير احمد كانت قد دفنت في تربة خاصة بها بنتها عند المدرسة العصمتية قرب قبر النذور او مشهد عبيدالله العلوي ، لذا فالقول بان قبر ام رابعة او ابو رابعة الموجود في الاعظمية اذا تحقق انه قبر زوجة الامير احمد لا يعني انه قبر النذور او مشهد عبيدالله لانها لم تدفن في هذا المشهد وانما دفنت بتربتها قرب المشهد المذكور او مجاورة له .

٢ - ان الموقع الذي عينه الدكتور جواد لقبر النذور او لمشهد عبيدالله الواقع في الاعظمية الحالية بالقرب من جامع الرصافة لا يتفق والاوصاف التي ذكرها ياقوت الحموي عن موقع هذا المشهد اذ قال : (مشهد بظاهر بغداد على نصف ميل من السور يزار وينذر له . . الخ)[٦٤] فاذن يظهر من قول ياقوت الحموي ان قبر النذور او مشهد عبيدالله لم يكن واقعا في الرصافة وانما كان يقع ظاهر بغداد وعلى بعد نصف ميل من السور في حين ان الرصافة تبعد عن السور مسافة لا تقل عن ثلاثة اميال او خمسة كيلومترات ، ثم ان الرصافة ليست بظاهر بغداد لانها كانت محلة معروفة بهذا الاسم بينما المقصود بظاهر بغداد هو خارج سور بغداد وهي المناطق القريبة من السور . فلو ان قبر النذور هذا كان في الرصافة كما قال الدكتور جواد لذكره ياقوت الحموي في مادة الرصافة من معجمه اذ قال عنها (رصافة بغداد بالجانب الشرقي لما بنى المنصور مدينته بالجانب الغربي . . . ثم قال وبرصافة بغداد مقابر جماعة الخلفاء من بني العباسي وعليهم تربة عظيمة بعمارة هائلة المنظر عليها هيبة وجلالة ـــ الخ)[٦٥] .

ومن هذا يظهر ان قبر النذور او مشهد عبيدالله لم يكن في الرصافة اذ لو كان فيها لذكره ياقوت كما ذكر ترب الخلفاء وجامع الرصافة وغيره ، علما بانه سبق وان عين موقعه بظاهر بغداد وعلى نصف ميل منه بينما الرصافة على بعد ثلاثة أميال على الاقل من سور بغداد .

٣ - ان موقع قبر النذور او مشهد عبيدالله الذي عين موقعه الدكتور جواد في الرصافة لا يتفق والاوصاف التي ذكرها الخطيب البغدادي في تاريخه عن هذا الموقع حيث قال : (وعند المصلى بصلاة العيد كان قبر يعرف بقبر النذور ويقال ان المدفون فيه رجل من ولد علي بن ابي طالب رضي الله عنه يتبرك الناس بزيارته . . . ثم قال (حدثني القاضي ابو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال حدثني ابي قال : كنت جالسا بحضرة عضد الدولة ونحن بالقرب من مصلى الاعياد في الجانب الشرقي من مدينة السلام نريد الخروج معه الى همدان في اول يوم نزل العسكر فوقع طرفه على البناء الذي على قبر النذور فقال لي ما هذا البناء قلت هذا مشهد النذور . . . الخ)[٦٦] .

هذا هو قول الخطيب البغدادي العالم المشهور والمؤرخ المعروف الذي عاصر هذا القبر وبناءه وقد عين موقع هذا المشهد عند المصلى بصلاة العيد وهو العارف بما يقول وليس في الرصافة كما قال الدكتور جواد .

ومصلى الاعياد هو المصلى الذي كان يصلي فيه الخليفة ورجال دولته صلاة العيدين والذي كان قريبا من دار الخلافة وليس في الرصافة حيث انها تبعد عن بغداد بما لا يقل عن خمسة كيلومترات ، وليس من المعقول ان يكون المصلى على هذا البعد من دار الخلافة او من بغداد .

٤ - لاجل تعيين موقع قبر النذور الذي قال عنه الخطيب البغدادي انه عند مصلى الاعياد علينا ان نعرف موقع مصلى الاعياد هذا لنتمكن من تعيين موقع مشهد النذور او قبر النذور ولما كان مصلى الاعياد هذا هو المصلى الذي يصلي فيه الخليفة ورجال دولته صلاة العيدين فمن المفروض ان يكون قريباً من دار الخلافة . ولذا علينا ان نرجع الى اقوال المؤرخين عن ذلك .

أ - قال ابن الاثير : [٦٧] ان قصر الثريا المعروف عند مصلى الاعياد وعند حير الوحوش .

ب - قال المسعودي في مروج الذهب[٦٨] وقد كان المعتضد في هذه السنة وهي سنة ٢٧٩ هـ ركب يوم الفطر الى المصلى الذي اتخذه بالقرب من داره الثريا .

جـ ـ قال الطبري في تاريخه[٦٩] وفي يوم النحر من سنة ٢٧٩ هـ ركب المتضد الى المصلى الذي اتخذه بالقرب من القصر الحسني وعطل المصلى العتيق فلم يصل فيه .

د ـ قال ابن الساعي في تاريخه[٧٠] مصلى العيد ظاهر باب الحلبة .

هـ ـ ذكر فيلكس جونس الرحالة الانكليزي في رحلته الى بغداد في اواخر العهد العثماني سنة ١٨٤٦م محلات بغداد ودروبها والتي نقلها الينا الدكتور جواد في كتاب دليل خارطة بغداد[٧١] ان في محلة الميدان الحالية درب او عقد يسمى (قهوة المصلى) ومن المحتمل ان هذه القهوة قد انشأت في العصور المتأخرة في موضع مصلى الاعياد في العهد العباسي المتأخر وقد ظل اسم المصلى باقيا وزال المصلى نفسه مما يستنتج ان مصلى الاعياد كان في هذه المنطقة الواقعة في محلة الميدان التي تقع قرب دار الخلافة التي هي وزارة الدفاع حاليا .

يتضح لنا من كل ذلك ان مصلى الاعياد كان في بغداد وليس في الرصافة وبناء على ما قاله الخطيب وغيره عن موقع قبر النذور ، فان هذا المشهد او القبر كان قريبا من مصلى الاعياد والواقع في بغداد وليس في الرصافة (الاعظمية حاليا) .

٥ ـ قال صاحب الحوادث ذلك الكتاب الذي حققه الدكتور جواد ونسبه الى ابن الفوطي خطأ عن حوادث سنة ٦٧١ هـ ما يلي[٧٢] : وفيها تكاملت عمارة المدرسة التي امرت بانشائها زوجة علاءالدين صاحب الديوان مجاور مشهد عبيدالله ظاهر بغداد وسميت العصمتية . . . الخ من هذا الخبر يتبين لنا ان موقع مشهد عبيدالله والمدرسة العصمتية التي امرت ببنائها زوجة علاءالدين الجويني التي كانت زوجة الامير احمد بن المستعصم قبله ، كانا يقعان ظاهر بغداد وليس في الرصافة ، لان ظاهر بغداد يقصد به المواقع التي تقع خارج سور بغداد والقريبة منه اما الرصافة فكانت محلة معروفة بهذا الاسم ولا يعبر عنها بظاهر بغداد ولو كان هذا المشهد وهذه المدرسة في الرصافة او قرب جامعها لاخبرنا صاحب الحوادث بذلك ولقال انها يقعان في الرصافة قرب جامعها .

٦ ـ اخبرنا ان الجوزي في حوادث سنة ٤٦١ هـ[٧٣] : (بلغ الفيضان الثريا وفجرت دجلة بثقا في دار الغربة وبلغ الماء الى مشهد النذور ومشهد السبتي) انتهى .

يفيد هذا الخبر ان الماء المتسرب من البثق الذي فجرته دجلة في دار الغربة كان قد بلغ الثريا ومشهد النذور ومشهد السبتي وكل هذه المواقع تقع في منطقة واحدة وهي قرب سور بغداد فالثريا قرب مقسم الماء الذي تتفرع عنده الانهر التي تسقي دار الخلافة والمخرم وهو قريب من مصلى الاعياد الذي ذكر الخطيب البغدادي انه قرب مشهد النذور او قبر النذور او مشهد عبيدالله العلوي وكذلك مشهد السبتي كما ان دار الغربة التي فجرت دجلة بثقا فيها وتسرب ماء الفيضان منها الى هذه المناطق كانت خارج سور بغداد وقربه على دجلة عند شجرة الغرب التي نسبت اليها هذه الدار كما نسبت اليها ايضا باب الغربة الباب الشمالي لدار الخلافة ، وكانت هذه الدار للخليفة المتقي وكان قد سكنها سنة ٤١٨ هـ عزالدولة البويهي كما قال ابن الجوزي[٧٤] .

والدليل على ان هذه الدار كانت خارج سور بغداد وعنده هو تسرب ماء الفيضان الى المواقع التي بقرب السور فالثريا يقع قرب السور عند مقسم الماء ومشهد النذور او قبر النذور قرب السور كما قال ياقوت انه يبعد نصف ميل عنه ، وقال الخطيب انه عند مصلى الاعياد الذي قال المؤرخون انه قرب قصر الثريا ولو كان مشهد النذور او قبر النذور في الرصافة لما بلغ ماء الفيضان المتسرب من دار الغربة اليه لان الرصافة تبعد عن دار الغربة مسافة لا تقل عن اربعة او خمسة كيلومترات ولو صح ان قبر النذور في الرصافة وبلغ ماء الفيضان اليه لاغرق ماء الفيضان المنطقة الواقعة بين دار الغربة والرصافة وهي دار السلطنة السلجوقية في المخرم ولأغرق جامع الرصافة الواقع بجواره قبر النذور وهذا لم يحدث ولم يذكره المؤرخون .

من كل ذلك يتضح لنا ان قبر النذور او مشهد عبيدالله العلوي وكذلك المدرسة العصمتية لم تكن تقع في الرصافة كما قال الدكتور جواد وعين موقعها عند جامع الرصافة بل

ان هذه الامكنة كانت قرب سور بغداد وبظاهر بغداد وظاهر بغداد لا يعني الرصافة بتاتا .

عاشرا : موقع دار المسناة

قال الدكتور مصطفى جواد في كتاب دليل خريطة بغداد عن دار المسناة وموقعها ما يلي :

١ - ص (١٧٣) : وشاهد ابن جبير الخليفة الناصر ينحدر من منظرته في الجانب الغربي اذ كان يسكن ابن جبير قربها وقد صعد الزورق الى قصره بأعلى الجانب الشرقي على الشط وهو دار المسناة التي تسمى اليوم القصر العباسي داخل القلعة العتيقة بلصق مجلس النواب .

٢ - ص (١٨٦) وفي الجانب الشرقي بقايا قصر ضخم يرجح انه من المباني التي شيدت في العهد العباسي الاخير وهو المسمى اليوم بالقصر العباسي واقع على ضفة دجلة اليسرى شمالي بناية مجلس الامة واشهر الاقوال وادعاها الى التصديق انه دار المسناة التي انشأها الناصر واقام فيها خزانة كتب فهي على التحقيق دار علم ولذلك كانت بنايتها اقرب الى بنايات المدارس وقد اقتبس من تصميماتها المعمار الذي شيد المستنصرية .

٣ - ص (١٨٧) وقد توصل المعنيون بشؤون خطط بغداد القديمة الى ان البناية المذكورة هي القصر الذي ذكره ابن جبير حين قال انه رأى الناصر ينحدر من منظرته في الجانب الغربي الى دجلة صاعدا في الزورق الى قصره باعلى الجانب الشرقي على الشط .

وقد ذهب احد مؤلفي الكتاب الدكتور مصطفى جواد والاستاذ يعقوب سركيس الى ان بناية القصر هي الدار التي ورد ذكرها في كتاب الحوادث باسم دار المسناة مستندين بذلك الى ان وصفها في الكتاب المذكور جاء موافقا لوصف ابن جبير اي انها بأعلى بغداد على شاطىء دجلة (حوادث سنة ٦٨٠هـ و سنة ٦٩٦هـ) ، وقد وصفت ايضا بانها بجوار خندق السور والخندق مما يليها ، وانها كانت دار علم كما جاء في اخبار الحكماء للقفطي فقد قال في ترجمته مبشر بن احمد بن علي الرازي المتوفى سنة ٥٨٩هـ (واعتمده الناصر لدين الله في اختيار الكتب التي وقفها بالرباط الخاتوني السلجوقي وبالمدرسة النظامية وبدار المسناة فانه ادخله الى خزائن الكتب بالدار الخليفية وافرده لاختيارها) .

وبهذا الخبر نعلم ان الناصر انشأ خزانة كتب في هذا القصر لمفاوضة العلماء ومشاركتهم .

٤ - ص (١٨٨) : واما أشاعة أنه قصر المأمون فهي قول من لا علم له بخطط بغداد ولا بالمواد التي بنيت اثارها منها ولا بتأثير الرطوبة . . . وقد ذكرنا ان المأمون اقام بدار الخلافة بالجانب الغربي وبالقصر الحسني الذي سمي قبل ذلك بالقصر المأموني ثم الحق بدار الخلافة بالجانب الشرقي وكانت دار الخلافة هذه بين شارع السموأل الحالي الذي هو حدها الاعلى والمربعة الحالية التي هي حدها الاسفل .

ترد على اقوال الدكتور مصطفى جواد اعلاه الواردة بشأن دار المسناة وموقعها الملاحظات التالية :

١ - ان القصر العباسي الموجود حاليا جنوبي وزارة الدفاع حاليا لايقع بأعلى الجانب الشرقي من بغداد وقتذاك كما قال ابن جبير عن قصر الخليفة الناصر لدين الله وليس هو بأعلى البلد كما قال صاحب الحوادث عن دار المسناة ، لان المقصود بأعلى الجانب الشرقي كما قال ابن جبير او باعلى البلد كما قال صاحب الحوادث هو وقوعه قرب السور اي سور بغداد لان هذا الموقع يعتبر اعلى البلد او اعلى الجانب الشرقي والدليل على ذلك ما قاله الدكتور جواد بان هذه الدار اي دار المسناة قد وصفت ايضا بانها بجوار خندق السور والخندق مما يليها ، بينما يقع القصر العباسي الموجود حاليا جنوبي القلعة حسب قول الدكتور جواد او جنوبي وزارة الدفاع حاليا يقع بعيدا عن السور وفي جنوبيه بمسافة تقرب من كيلومتر لذا فانه ليس باعلى الجانب الشرقي وليس بأعلى البلد ولذا فهو ليس دار المسناة لان دار المسناة كانت بجوار خندق السور والخندق مما يليها اي عند خندق سور بغداد الذي كان يقع شمالي وزارة الدفاع الحالية .

بناء عليه ان دار المسناة كانت تقع في موقع بهو امانة العاصمة سابقا قبل سنة ١٩٦٣م والذي كان يقع جنوبي شريعة المجيدية (مدينة الطب حاليا) والذي ادخل ضمن وزارة الدفاع مؤخرا .

٢ - قال صاحب الحوادث الذي حققه الدكتور مصطفى جواد عن حوادث سنة ٦٣٥هـ ما يلي (ثم تقدم بعمارة سور بغداد فقسم بين ارباب الدولة فسلم الى نواب ديوان الابنية منه قطعة مما يلي دار المسناة)[٣٥] انتهى .

من هذا الخبر يفهم ان السور كان مما يلي دار المسناة وهذا الوصف لا ينطبق على القصر العباسي الموجود حاليا جنوبي وزارة الدفاع لانه يبعد عن موقع السور بمسافة لا تقل عن كيلومتر لذا فان القصر العباسي ليس دار المسناة .

٣ - قال صاحب الحوادث ايضا في كتابه عن حوادث سنة ٦٤١هـ (وفيها زادت دجلة زيادة مفرطة غرقت مواضع كثيرة . . . وصليت الجمعة على طرف الخندق مما يلي دار المسناة[٣٦] .

وهذا الخبر يؤكد ايضا ان دار المسناة كانت تقع عند خندق السور والخندق مما يليها وهذا لا ينطبق على القصر العباسي الموجود حاليا الواقع جنوبي وزارة الدفاع والذي يبعد عن موقع السور وخندقه مسافة لا تقل عن كيلومتر لذا فانه ليس دار المسناة .

ولكن الدكتور جواد تجاهل اقوال صاحب كتاب الحوادث ذلك الكتاب الذي حققه ونشره سنة ١٩٣٢م والذي قال فيه ان دار المسناة تقع عند الخندق مما يلي السور والخندق مما يليها وهذا هو المقصود بأعلى البلد . وليس أعلى البلد هو موضع القصر العباسي الذي يبعد عن السور وخندقه بما لا يقل عن كيلومتر .

٤ - ذكر صاحب كتاب الحوادث عن حوادث سنة ٦٣٠هـ عند فتح اربل ورجوع اقبال الشرابي الى بغداد ما يلي[٣٧] (ثم رحل في حادي عشر ذى الحجة متوجها الى بغداد وخرج اليه جميع الولاة وارباب المناصب . . . فلقوه بظاهر السور . . . ثم سار حتى وصل دجلة ونزل عند المسناة في شبارة الخليفة . . . . وانحدر الى دار الخلافة) يفهم من هذا الخبر ان اقبال الشرابي عند رجوعه الى بغداد بعد فتحه اربل التقى بالولاة وارباب المناصب خارج سور بغداد ثم سار حتى وصل دجلة ونزل عند المسناة في شبارة الخليفة والمسناة هذه هي مسناة دار المسناة التي نسبت اليها وتقع حسبما جاء باعلاه عند سور بغداد على دجلة لان الشرابي انحدر الى دار الخلافة من عند المسناة او من عند مسناة دار المسناة المجاورة لسور بغداد .

٥ - ان القول بان القصر العباسي الموجودة بقاياه في جنوبي وزارة الدفاع الحالية هو دار المسناة قول لا يسنده اي سند تاريخي او دليل مقبول بل انه يتعارض والوصف الذي ذكره صاحب كتاب الحوادث الذي اشرنا اليه كما سبق وان اثبتنا بالادلة التاريخية ان بقايا القصر العباسي المذكور هو بقايا القصر الحسني او التاج عند بحثنا موضوع دار الخلافة البند اولا فقرة (١ و ٢) لذا فان القصر العباسي ليس هو دار المسناة وانما دار المسناة كان يقع عند السور وخندقه والخندق مما يليه وهو كما ذكرنا كان في موقع بهو امانة العاصمة سابقا الذي هدم واحترق سنة ١٩٦٣م وضمت ارضه الى بنايات وزارة الدفاع .

٦ - ان القول بان دار المسناة كانت دار علم قول لا يسنده سند تاريخي يستفاد منه انها كانت دار علم والواقع انها كانت قصرا من قصور دار الخلافة بناها الناصر لدين الله كما ذكر ذلك سبط ابن الجوزي[٣٨] كما بني ايضا الدار البيضاء التي كان يسكنها[٣٩] التي تقع شمالي التاج او القصر العباسي الحالي . ولعل ابن جبير يقصد بخبره الدار البيضاء التي كان يسكنها الخليفة الناصر لدين الله .

٧ - ان الدكتور جواد قد استند حسب الظاهر في قوله ان دار المسناة دار علم على الخبر الذي اورده القفطي في كتابه اخبار الحكماء عند ترجمته لمبشر بن احمد بن علي الرازي حيث قال : (ان الخليفة الناصر لدين الله كان قد اعتمده في اختيار الكتب التي وقفها بالرباط الخاتوني السلجوقي وبالمدرسة النظامية وبداره المسناة . . الخ) ليس في هذا الخبر اي دلالة تفيد ان دار المسناة كانت دار علم سوى ذكرها مع الرباط السلجوقي والمدرسة النظامية وتوهم القارىء للمخبر ان الكتب التي اختيرت لدار المسناة كانت موقوفة ايضا في حين ان الكتب هذه اختيرت للخليفة نفسه حيث لم يذكر المؤرخون ان خزانة الكتب التي كانت في دار المسناة كانت موقوفة حتى يمكن ان نعتبر دار المسناة كانت دار علم لانها كانت تحتوي على دار كتب موقوفة على العلماء وطلاب العلم ، علما بان هذه الكتب كانت قد اختيرت

للخليفة الناصر نفسه وقد قال الدكتور جواد عنها انها اختيرت للناصر او ان الناصر انشأ خزانة كتب في هذا القصر اي دار المسناة لمفاوضة العلماء ومشاركتهم . . . الخ .

اي ان هذه الكتب التي اختارها مبشر بن احمد بن علي الرازي لدار المسناة كانت للخليفة نفسه وليست موقوفة على العلماء وطلاب العلم كي نعتبر دار المسناة دار علم ، هذا وان اغلب الخلفاء الذين سبقوا الخليفة الناصر كانوا يملكون خزانات كتب في دورهم وقصورهم ولم يقل احد من المؤرخين ان هذه الدور كانت دور علم ومما يؤكد ذلك ما ذكره القفطي في الخبر المذكور اعلاه قوله (وادخله الى خزائن الكتب بالدار الخليفية) وهذا يعني ان هناك في دار الخلافة خزائن كتب عديدة لذا فان انشاء الناصر لدين الله خزانة كتب في دار المسناة لا يجعلها دار علم ابدا ، مع العلم ان المؤرخين والادباء رووا لنا ان من عادة الخلفاء السابقين للناصر المحبين للعلم كانوا يجتمعون بالعلماء والمفكرين والادباء والشعراء واللغويين وغيرهم ويتناقشون في المسائل العلمية والفكرية واللغوية وغيرها في دورهم وقصورهم وبحضرتهم وكانت لديهم خزانات كتب تحتوي على الاف المجلدات ولكن لم يذكر احد ان هذه الدور والقصور وخزانات الكتب الموجودة فيها كانت دور علم لذا فان القول بان دار المسناة كانت دار علم امر غير وارد ولم يقل به احد .

٨ - قال الدكتور جواد ان من يقول ان القصر العباسي هو قصر المأمون فهو لا علم له بخطط بغداد ولا المواد التي بنيت منها اثارها ولا بتأثير الرطوبة . . . الخ .

ان المواد التي بنيت منها بغداد العباسية واثارها هي نفس المواد التي بنيت منها المدرسة المستنصرية والقصر العباسي الموجودين حتى الان في بغداد ولو لا الحروب والنكبات والتخريب والهدم الذي اصاب بغداد خلال عصور مختلفة لرأينا كثيرا من الاثار العباسية رغم عوامل التعرية والرطوبة والاهمال واكبر دليل على ذلك بقيت اثار لم تنلها يد التخريب والهدم رغم مرور ما يزيد على ثمانمائة سنة على انشائها مثل المستنصرية والقصر العباسي والباب الوسطاني وتربة الشيخ عمر وتربة الشيخ معروف وقصور العباسيين في سامراء وغيرها من اثار العباسيين خلاف الاثار الاخرى القديمة مثل ايوان كسرى واثار بابل وأور وغيرها كثير لذلك فان قول الدكتور جواد المشار اليه اعلاه غير وارد ، لقد تناسى الدكتور جواد وهو العالم في خطط بغداد واثارها ان المقصود من ان القصر العباسي هو القصر المأموني او الحسني يعني انه اصل دار الخلافة الذي كان يقع في موقع القصر العباسي الموجود حاليا هذا مع العلم ان القصر المأموني او الحسني قد تناولته يد التعمير مرات عديدة وفي عصور متعددة وانه نقض ووسع وبني في محله وبدلا منه قصر جديد عدة مرات وكان اخرها القصر الذي اصبح مقر الخلافة الرسمي والمسمى التاج وذلك كما قال عنه ياقوت الحموي[٨٠] (والحسني قصر في دار الخلافة منسوب الى الحسن بن سهل وهو المعروف اليوم بالتاج وبه منازل الخلفاء) وقال ابن الجوزي[٨١] عن القصر الحسني ان الخليفة أمر سنة ٥٢٤ هـ بهدم التاج الذي على دجلة لانه اشرف على الوقوع ثم اعيد بناء التاج في تمام السنة . وقال ياقوت الحموي[٨٢] ان التاج هذا قد هدم بامر الخليفة الراشد سنة ٥٢٤ هـ كما انه هدم سنة ٥٧٢ هـ بامر المستضيء وأبرز المسناة التي بين يديه واستعملت انقاض التاج مع ما كان اعد من الالات في عمل هذه المسناة ووضع موضع الصحن الذي يجلس فيه الأئمة للمبايعة وهو الذي يدعى اليوم التاج) وقال ابن الجوزي[٨٣] ان قصر التاج او القصر الحسني هو صحن السلام الذي تجلس فيه الأئمة للمبايعة ورواق وبيت بجانب الرواق على دجلة فهو اذن كان قصرا للمراسم الخاصة بالبيعة للخليفة والمراسم الخليفية الاخرى اي انه مخصص للامور الرسمية .

وقال صاحب المراصد[٨٤] (ان الخليفة المستنصر قد جدد بناء التاج بعد بناء المستضيء لهذا القصر ، من كل ذلك يتضح لنا ان القصر الحسني او المأموني قد تناولته يد التعمير والتجديد خلال عصور متعددة اخرها في عهد المستنصر وكان قد سمي التاج في العصور المتأخرة وكان عبارة عن صحن السلام ورواق وبيت على الشط ولم يبق

الان في القصر العباسي الموجود حاليا سوى الرواق اما صحن السلام فقد تهدم ولم يبق له اثر اما البيت الذي على الشط فقد زال ولم يبق الا بعض الاساطين وذلك في اوائل هذا القرن اما الان فغير موجود ، لذا يتضح من كل ذلك ان القصر العباسي الموجود حاليا في جنوبي وزارة الدفاع ما هو الا قصر التاج من دار الخلافة او القصر المأموني اصلا .

٩ ـ قال الدكتور جواد (ان دار المسناة او القصر العباسي الموجود حاليا جنوبي وزارة الدفاع هي على التحقيق دار علم لذلك كانت بنايتها اقرب الى بنايات المدارس وقد اقتبس من تصميماتها المعمار الذي شيد المستنصرية) .

ان القصر العباسي الموجود حاليا جنوبي وزارة الدفاع كما سبق ان بينا ليس دار المسناة كما ان دار المسناة لم تكن دار علم ولا القصر العباسي الحالي الذي يقول الدكتور جواد انه دار علم لانه يشبه بنايات المدارس لانه اتضح لنا سابقا انه قصر التاج او القصر الحسني او قصر المأمون في الاصل . اما التشابه بينه وبين المدرسة المستنصرية حسب قول الدكتور جواد وان معمار المستنصرية قد اقتبس من تصميماته فامر قد يكون واقعيا لان هذا البناء الحالي للقصر العباسي المتبقي من قصر التاج كان قد بني اوجلد في عهد المستنصر كما قال صاحب مراصد الاطلاع[88] :

(قصر التاج مجلس كالرواق بدار الخلافة ببغداد على اساطين رخام وخمس طاقات بين كل طاقين منها خمس اساطين اربعة والخامس في الوسط غاية في العلو والارتفاع وقد كان على شاطىء دجلة مسناة يجري من تحتها الماء و حال الماء عنها حتى اصبح بين الماء والتاج اكثر من سبعين مترا وهذا الموجود الان من بناء المستضيء وجدده الامام المستنصر وقد كان في موضع اسفل من موضعه الان من بناء المعتضد فاستهدم ونقض وبنى هذا فوقه وخلفه الدار المعروفة بالدار الشاطئية وفيها القبة التي كان يجلس فيها الخلفاء للمبايعة من شباك كبير الى صحن كبير يجتمع فيه الناس) انتهى .

من هذا يظهر ان قصر التاج كان قد بني في موقع القصر الحسني وكان في العهد الاخير من العصر العباسي قد بني او جدد من قبل الخليفة المستنصر باني المدرسة المستنصرية ، وكان يتألف من مجلس كالرواق وخلفه الدار الشاطئية وفيها القبة التي كان يجلس فيها الخليفة للمبايعة ، وهذا القصر كما قال ياقوت الحموي[86] في مادة (الحسني) انه قصر في دار الخلافة منسوب الى الحسن بن سهل وهو المعروف اليوم بالتاج وبه منازل الخلفاء ببغداد .

كل ذلك يؤكد ان بقايا القصر العباسي الموجود حاليا جنوبي وزارة الدفاع ما هو الا بقايا القصر الحسني او قصر التاج ولا علاقة له بدار المسناة التي كانت تقع شمالي دار الخلافة وعند السور وخندقه والخندق مما يليها اما مشابهته للمدرسة المستنصرية فلأنه بني زمن المستنصر بالله باني المستنصرية ولعل الذي بنى هذا القصر والمدرسة المستنصرية واحد لذا كان التشابه بينهما واضح لانهما بنيا في عهد واحد زمن خلافة المستنصر وان المعمار الذي بناهما واحد وان باني احدهما قد اقتبس من بناء الاخر فجاءا متشابهين .

١٠ـ قال الدكتور جواد ان بناية القصر العباسي الموجود حاليا الذي قال عنه انه دار المسناة اقرب الى بنايات المدارس . . . الخ . . ولا ندري من اين علم ذلك ولعله توصل الى هذا الاستنتاج من التشابه بين بناية القصر العباسي وبناية المدرسة المستنصرية ، وقد سبق لنا ان ذكرنا ان كلا البنايتين بنيتا في عهد المستنصر في القرن السابع الهجري وان القصر العباسي هو في الواقع قصر التاج من دار الخلافة كما مثبت لنا من الادلة التي ذكرناها ، وهو ما تبقى من هذا القصر لحد هذا اليوم لان المتبقي من القصر ما هو الا جزء من اصل القصر حيث انه لا يتجاوز عن رواق وبعض الغرف فيه ، علما باننا سبق وان علمنا انه لم يبق من قصر التاج غير صحن السلام الذي تجلس فيه الأئمة للمبايعة وبجنبه رواق وبيت على دجلة وهي الدار الشاطئية ، علما بان الدكتور وصف القصر العباسي او اثاره انه بقايا قصر ضخم فاذا كان قصرا فمعنى ذلك انه لم يكن مدرسة او دار علم هذا ولو رجعنا الى الاثار العباسية المتبقية في سامراء مثلا فانها من حيث الاساس لا تختلف بناياتها عن بناية القصر العباسي . فهل يقال لتلك القصور المتبقية اثارها في سامراء انها كانت دور علم لانها من حيث

التصميم تشبه بنايات المدارس .

ان طراز البناء في العراق منذ القديم وقبل العهود العباسية وفي عهد العباسيين وبعده طراز واحد لافرق بين دار السكن او القصور والدور والمدارس لان البناية في العادة تتكون من صحن مكشوف للدار واروقة حول هذا الصحن تسمى في بغداد قديما لواوين جمع ليوان وتوزع الغرف في هذه الاروقة وقد ظل هذا الطراز سائدا في بغداد حتى الثلاثينيات من هذا القرن وكان هذا الطراز من البناء هو السائد في زمن العباسيين سواء بالنسبة لدور السكن والقصور او المدارس ولا يختلف عن هذا الطراز الا بناء المساجد .

ان الدكتور جواد يريد من هذا القول التأكيد على ان القصر العباسي الموجود حاليا هو دار المسناة التي وصفها بانها كانت دار علم لذا قال انها تشبه المدارس في بنايتها ، وهذا غير وارد لانه لو افترضنا صحة رايه بأن القصر العباسي هو دار المسناة فان دار المسناة لم تكن مدرسة ولم تبنى لتكون مدرسة وانما كانت قصرا او دارا من دور الخلفاء بناها الناصر ولم يذكر المؤرخون انها كانت مدرسة أو دار علم او ما شابه وانما سموها دار المسناة ونسبت الى المسناة التي بنيت عندها . من كل ذلك يتضح اولا ان القصر العباسي الموجود جنوب وزارة الدفاع الحالية ليس دار المسناة وانما هو بقايا قصر التاج او الحسني او قصر المأمون من دار الخلافة هذا وان دار المسناة كانت تقع عند خندق السور والخندق مما يليها اي في شمالي وزارة الدفاع الحالية التي هي موقع دار الخلافة وكانت هذه الدار أي دار المسناة تقع في موقع بهو امانة العاصمة الذي ضم بعد سنة ١٩٦٣م الى وزارة الدفاع ، كما انه لم يكن دار علم لا هو ولا دار المسناة اما التشابه الموجود بين بناية القصر العباسي وبين المدرسة المستنصرية فانه ناتج عن ان كلا البنايتين كانت قد بنيتا في عهد المستنصر ولعل المعمار لكليهما كان واحدا فجاء منه هذا التشابه الذي اشار اليه الدكتور مصطفى جواد .

حادي عشر ـ قصر عيسى ومصب نهر عيسى (الرفيل)

قال الدكتور مصطفى جواد في كتاب دليل خارطة بغداد عن قصر عيسى وموقعه وموضع مصب نهر عيسى او الرفيل ما يلي :

١ ـ ص (١٠ و ١١) وكان عند مصب نهر الرفيل في دجلة قصر ساساني يعرف باسم قصر سابور وقد نصب عنده جسر يصل الجانب الشرقي بالغربي من دجلة . . . وقد انشأ عيسى عم المنصور قصرا في موضع قصر سابور المذكور فسمي قصر عيسى ، وقد ذكر ياقوت انه اول قصر بناه الهاشميون في ايام المنصور ببغداد وكان على شاطيء نهر الرفيل عند مصبه في دجلة وكان قرب جامع او مسجد قمرية الحالي .

٢ ـ ص (٦٣-٦٤) اما نهر الرفيل فصار يعرف في هذا العهد باسم نهر عيسى نسبة الى الامير عيسى أبن علي عم المنصور الذي جدد انشاءه وشيد عند مصبه في دجلة قصرا في موضع قصر سابور العتيق سمي باسم قصر عيسى . . . الخ

٣ ـ ص (٨٨) وصار القسم الذي يقع على نهر دجلة يعرف في هذه الحقبة الاخيرة باسم قطيعة قصر عيسى وكانت تمتد على ضفة دجلة من مصب نهر عيسى الى مصب نهر الصراة ، قال الخطيب نقلا عن ابراهيم بن عرفة الملقب بنفطويه : واما شاطيء دجلة فمن قصر عيسى الى الدار التي ينزلها في هذا اليوم ابراهيم بن احمد فانما كان اقطاعا لعيسى بن علي واليه ينسب قصر عيسى ونهر عيسى ومحلة قصر عيسى واقطاعه اليوم محلة سوق الجديد وبعض الشيخ بشار والجعيفر في غربي بغداد .

٤ ـ وقال في كتاب بغداد عرض تاريخي مصور المنشور من قبل جمعية المهندسين العراقيين سنة ١٩٦٩م وفي ص (٢٨) منه ما يلي :

(من القصور الفخمة . . . وقد انشأه عيسى عند مصب نهر الرفيل في دجلة بالجانب الغربي وكان في موضع قصر ساساني انشأه سابور الثاني في القرن الرابع الميلادي . . . وقال صاحب مراصد الاطلاع (نهر الرفيل اسم لأعلى النهر الكبير المعروف بنهر عيسى القديم وكان يرمي فاضله الى الصراة فاستخرج عيسى بن علي هذا البز الذي يرمي الى دجلة عند قصره ليكون جاريا عنده فسمي بنهر عيسى لذلك .

ثم قال ولما كان نهر عيسى او الرفيل على الصحيح يصب عند القصر وكان الرباط البسطامي المنشأ بعد ذلك مطلا على النهر وكان الرباط نفسه مقابلا لمسجد قمرية المعروف حتى اليوم بجامع قمرية على شاطيء دجلة بالجانب الغربي علمنا ان قصر عيسى ومصب نهر عيسى كانا قرب جامع القمرية المذكور من محلة الشيخ بشار .

٥ - عين الدكتور مصطفى جواد وشريكه في تأليف كتاب دليل خارطة بغداد الدكتور احمد سوسة في خريطة بغداد في اول ادوارها العباسية[٨٧] مصب نهر الرفيل او نهر عيسى في دجلة في موقع مشرعة القطانين عند الجسر الذي سماه الدكتور جواد جسر سوق الثلاثاء اي عند شريعة بيت الايلجي بالجانب الغربي من دجلة في الوقت الحاضر بينما عين موقع قصر عيسى في نفس الخريطة المذكورة شمالي مصب نهر عيسى او الرفيل بين محلة التستريين ومحلة الشرقية اي في شريعة خضر الياس عند جامع خضر الياس (موقع جسر ١٤ رمضان الجديد) وجعل القصر على نهر الدجاج لانهر عيسى والذي جعل مصبه عند القصر المذكور .

٦ - قال الدكتور مصطفى جواد في كتاب تاريخ ابن الساعي الذي حققه ونشره عام ١٩٣٤[٨٨] ان قصر عيسى كان في الموضع الذي بنيت فيه دار السفارة البريطانية في غربي بغداد الحالية على ما تحققناه وكان نهر عيسى (نهر الرفيل) الذي يصب ماءه الى دجلة قريبا من هذا القصر وبقي النهر مهملا الى عهد غير بعيد حتى ردم في عهد الاحتلال البريطاني) .

ترد على اقوال الدكتور مصطفى جواد والتعيينات لقصر عيسى ونهر عيسى الملاحظات التالية :

١ - يتضح لنا من اقوال الدكتور جواد والتعيينات التي عينها لموقعي قصر عيسى ونهر عيسى تناقضات واختلافات عما يدل على انه غير متأكد من تعيينه لهذه المواقع ، فمرة يقول ان قصر عيسى ونهر عيسى يقعان في محلة الكريعات الحالية وفي دار السفارة البريطانية ومرة سنة ١٩٥٨م في كتاب دليل خارطة بغداد يقول انه يقع قرب جامع قمرية الواقع في محلة الشيخ بشار ثم في خريطة بغداد في العهود الاولى للعصر العباسي يعين موقع مصب نهر الرفيل او نهر عيسى وقصر سابور الذي بني في موقعه قصر عيسى في موقع مشرعة القطانين عند جسر سوق الثلاثاء اي شريعة بيت الايلجي الحالية بالجانب الغربي من دجلة ، كما عين في نفس الخريطة المذكورة موقع قصر عيسى في موقع محلة خضر الياس الحالية فاي موقع من هذه المواقع هو الموقع الصحيح يا ترى ؟ اضافة الى ذلك قال ان مصب نهر عيسى وقصر عيسى يقع قرب جامع القمرية الذي يقع في محلة الشيخ بشار ، علما بان جامع القرية يقع في محلة سوق الجديد الحالية وليس في محلة الشيخ بشار ، كما يلاحظ الاختلاف والتردد في الخريطة التي وضعها الدكتور سوسة شريك الدكتور جواد في تأليف كتاب دليل خارطة بغداد فنلاحظ مثلا في خريطة بغداد في الدور العباسي الاول ص(٤ و ٥) من اطلس بغداد التناقضات والاختلافات فنرى مثلا انه عين مصب نهر الرفيل او نهر عيسى في موقع مشرعة القطانين وكذلك عين موقع قصر سابور ولكنه عين موقع قصر عيسى شمالي هذا الموقع اذ عينه بين محلة الشرقية ومحلة التستريين اي في شريعة خضر الياس الحالية عند موقع جامع خضر الياس سابقا وموقع جسر (١٤) رمضان الجديد الذي يقابل شريعة المجيدية سابقا (مدينة الطب) وهذا التعيين يخالف اراء الدكتور جواد لانه قال في دليل خارطة بغداد ان مصب نهر عيسى او الرفيل هو قرب جامع القمرية ، ثم ان واضع الخريطة المذكورة جعل قصر عيسى على نهر الدجاج الذي يصب في دجلة وهذا أمر لم يقل به احد . من كل ذلك تظهر الاختلافات عند الدكتورين في تعيين موقع قصر عيسى ومصب نهر عيسى في دجلة .

٢ - قال الدكتور جواد : ان قصر عيسى كان على شاطيء نهر الرفيل عند مصبه في دجلة وكان قرب مسجد قمرية الحالي . ان الدكتور جواد لم يعين موقع قصر عيسى ومصب نهر عيسى بالدقة المطلوبة حيث قال قرب قمرية او جامع قمرية فاين يقع من قمرية ؟ هل هو شمالي جامع القمرية ام في جنوبيه ؟ وهل هو ملاصق او بجوار جامع

القمرية من الشمال ام من الجنوب ؟ وهل هو بعيد عن جامع قمرية شمالا ام جنوبا ؟ وما هو موقعه في الوقت الحاضر ، كل ذلك لم يذكره بل اطلقه اطلاقاً وعلى القارىء ان يجد الموقع . فاذا كان شمالي موقع جامع القمرية فهل كان يقع في الارض الخلاء التي كانت تجاور جامع القمرية والتي كانت تدعى الكودى ام انه كان في موضع مستشفى الكرخ القديم قرب جامع خضر الياس والذي هدم ام كان في موضع جامع خضر الياس وبيت السويدي سابقا واللذين هدما ايضا ؟ لا نعرف . اما اذا كان جنوبي قمرية فهل كان في موقع ثانوية الكرخ للبنين وثانوية البنات وبيت النواب ام كان في جنوبي هذه المواقع حيث تقع بيوت اسد خان وحميد خان وبيت الايلجي وشريعة بيت الايلجي التي هي مشرعة القطانين ومربعة القطانين في العصر العباسي ؟ لا نعلم . هذا مع العلم ان المسافة بين جامع القمرية وجامع الياس حوالي الكيلومتر والمسافة بين جامع القمرية وبيت الايلجي وشريعته تقارب هذه المسافة ، فاذا كان في شريعة بيت الايلجي كما عين موقع قصر سابور عندها والذي بني في موقعه قصر عيسى فحينئذ لا يعتبر قصر عيسى قرب جامع القمرية واذا كان في محلة خضر الياس فهو ايضا ليس قرب جامع القمرية وانما قرب جامع خضر الياس .

لذا يتضح لنا ان تعيين الدكتور جواد لموقع قصر عيسى وموقع مصب نهر عيسى او الرفيل غير واضح وغير معلوم .

٣ ـ اخبرنا ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٥٢[٨٩] عندما جرى القتال بين عسكر الخليفة وبين عسكر محمد شاه السلجوقي فقال ان القتال بين الطرفين كان يجري تحت قصر عيسى وقمرية ، ومن المعلوم ان جامع القمرية الموجود حاليا يقع في منطقة قمرية لذا نسب الجامع اليها ، اما قصر عيسى فهو كان يقع في موضع جامع خضر الياس السابق وبيت السويدي وما جاورهما اي في محلة خضر الياس الحالية التي تقع شمالي جامع القمرية وعلى بعد حوالي كيلومتر ، وقد ثبت لدينا بالادلة التاريخية ان هذا الموقع الذي كان موجودا بين قمرية وقصر عيسى كان يسمى الرقة التي كانت تقع مقابل دار الخلافة بالجانب الشرقي من دجلة اي موقع وزارة الدفاع الحالية .

وقد يقول قائل ان قصر عيسى كان يقع جنوبي جامع القمرية وبقربه فنقول ان الدكتور جواد عين موقع الرباط البسطامي في موقع ثانوية الكرخ للبنين وهذا الموقع يقع جنوبي جامع القمرية وبقربه وهو يقع في محلة سوق الجديد التي كانت محلة العقبة في زمن العباسيين وتقع جنوبي ثانوية الكرخ مشرعة الساج وهي شريعة بيت النواب كما قال الدكتور جواد وفي جنوبيها تقع مشرعة القطانين (شريعة بيت الايلجي) التي هي من مربعة القطانين ومربعة القطانين من محلة القرية الغربية في زمن العباسيين لذا يتضح من ذلك ان قصر عيسى لم يكن يقع جنوبي جامع القمرية بل يقع في شماليه وشمالي الرقة التي كانت تقع بين جامع قمرية او قمرية وبين قصر عيسى ، وبناء عليه ان موقع قصر عيسى كان في محلة خضر الياس الحالية وفي موقع جامع خضر الياس وبيت السويدي السابقين وما حولها من دور ودروب وهي الان مهدمة .

٤ ـ قال الدكتور جواد ومحلة قصر عيسى واقطاعه هي اليوم محلة سوق الجديد وبعض الشيخ بشار والجعيفر وهذا التحديد لموقع محلة قصر عيسى واقطاعه لا يتفق وماقاله الخطيب البغدادي عن موقعها اذ قال : (هي من قصر عيسى الى قرن نهر الصراة)[٩٠] والواقع ان محلة قصر عيسى واقطاعه كان يقع في محلة خضر الياس والست نفيسة والتكارتة والقسم الجنوبي من محلة الجعيفر الحالية . لان مصب نهر عيسى او الرفيل كان يقع في شريعة خضر الياس الواقعة بين جامع خضر الياس السابق وبيت السويدي السابق حيث كان هناك قصر سابور لان هناك من دجلة يوجد اثر بناء يسمونه السن الذي هو في الواقع من بقايا قصر سابور اما مصب نهر الصراة فيقع في محلة العطيفية الحالية وعلى الارجح فان المصب هو في موقع جسر الحديد (القطار) اي عند نهاية الكورنيش الواقع في العطيفية التي هي على الاغلب كانت محلة التستريين في ومن العباسيين . اما سوق الجديد والشيخ بشار الحاليتين فليستا من قطيعة عيسى او محلة قصر عيسى لان محلة سوق الجديد هي من

محلة العقبة زمن العباسيين اما محلة الشيخ بشار فهي مربعة القطانين . من محلة القرية الغربية ولا يوجد في محلة القرية هذه موقع يسمى قصر عيسى هذا وان محلة قصر عيسى غير محلة القرية الغربية .

٥ ـ قال الدكتور جواد:ان موضع قصر عيسى كان في موضع قصر سابور الذي انشأه سابور الثاني ثم عين موقعه على الخريطة المنشورة (ص ٢٦) من كتاب بغداد عرض تاريخي مصور عند موقع مشرعة القطانين اي عند شريعة بيت الايلجي الحالية بالجانب الغربي ، كما عين الدكتور سوسة هذا القصر في نفس الموقع في خريطة بغداد في اواخر العهد الساساني[٢١] ، وكلا التعيينين غير صحيح لان ليس في هذه المشرعة اي اثر لقصر سابور او اي قصر اخر ومشرعة القطانين من القرية الغربية وليست من محلة قصر عيسى الذي يقول الدكتور جواد ان قصر عيسى بني فوق قصر سابور او في محله ، هذا مع العلم هناك اثر بناء يسمى السن في محلة خضر الياس عند بيت السويدي سابقا وقرب جامع خضر الياس . في نهر دجلة يظهر احيانا عند الصيهود في الصيف وهو على الارجح بقايا قصر عيسى المبنى فوق قصر سابور المذكور وهو الان يقع تحت جسر ١٤ رمضان الجديد .

٦ ـ قال الدكتور جواد : ولما كان نهر عيسى يصب عند القصر وكان رباط البسطامي المنشأبعد ذلك مطلا على النهر وكان الرباط نفسه مقابلا لمسجد قمرية المعروف حتى اليوم الواقع على شاطىء دجلة بالجانب الغربي علمنا ان قصر عيسى ومصب نهر عيسى كانا قرب جامع القمرية المذكور في محلة الشيخ بشار .

ان هذا التحديد لموقع قصر عيسى ومصب نهر عيسى تحديد غير دقيق وغير واضح ولا يمكن للقاريء ان يعرف موقع قصر عيسى ومصب نهر عيسى منه بالضبط او على التقريب فهل هذا القصر ومصب النهر يقعان شمالي جامع قمرية ام جنوبيه ، ملاصقا ومجاورا للجامع او بعيدا عنه ؟ كل ذلك غير معروف بصورة دقيقة ، هذا من جهة ومن جهة اخرى ان جامع قمرية لا يقع في محلة الشيخ بشار بل يقع في محلة سوق الجديد على دجلة وشمالي موقع ثانوية الكرخ للبنين .

ان هذه الاقوال لم تزدنا الا غموضا في تعيين موقع قصر عيسى ومصب نهر عيسى لاننا لا نعرف اين يقع الرباط البسطامي سوى انه كان مطلا على نهر عيسى وانه مقابل جامع القمرية ، فاين يقع نهر عيسى من هذا الرباط هل هو شمالي الرباط ام جنوبيه ، ام غربيه ام شرقيه ؟ ثم اين موقع الرباط من جامع القمرية هل كان يقع شمالي قمرية ام جنوبية غربية او شرقية ؟ كل ذلك لا نعرفه حتى نعين موقع الرباط ثم موقع مصب نهر عيسى وقصر عيسى ، اضافة الى ذلك فان جامع القمرية يقع في محلة سوق الجديد الحالية وليس من محلة الشيخ بشار كما بينا سابقا .

٧ ـ سبق للدكتور جواد ان عين موقع قصر عيسى ومصب نهر عيسى (الرفيل) عند موقع دار السفارة البريطانية حاليا وما حواليها اي في محلة الكريمات الحالية[٢٢] لانه يرى ان موقع دار الخلافة كان يقع في شارع المستنصر ، ولما كان قصر عيسى يقع مقابل دار الخلافة بالجانب الشرقي لذا فقد عينه في موقع دار السفارة البريطانية من الجانب الغربي لانها تقع مقابل شارع المستنصر ثم عين ارض الرقة عند هذا الموضع او جنوبيه ولكنه في كتاب دليل خارطة بغداد غير رأيه في موقع قصر عيسى ومصب نهر عيسى فعينه عند مشرعة القطانين التي قال عنها انها شريعة بيت الايلجي على اساس ان قصر سابور القديم كان في هذا الموضع والذي بنى على عقره في زمن العباسيين قصر عيسى ، ثم قال مرة اخرى في نفس الكتاب ان قصر عيسى ومصب نهر عيسى كانا يقعان قرب جامع قمرية الحالي ولم يعين لنا موقعهما بالضبط هل هما شمالي قمرية ام جنوبيها ؟ كما لم يذكر لنا السبب الذي دعاه الى هذا التغيير علما بأنه أبقى موقع ارض الرقة في محلة الكريمات او جنوبيها ، وكان من المفروض ان ينقل ارض الرقة ايضا الى الموقع الذي نقل اليه قصر عيسى ومصب نهر عيسى لان ارض الرقة كما تبين لنا مما ذكره ابن الجوزي[٢٣] كانت تقع بين قصر عيسى وبين قمرية ، ولكنه ابقى الرقة في الكريمات لكي يبقى

موقع دار الخلافة في شارع المستنصر لانـه قال ان الـرقة بالجانب الغربي كانت تقع مقابل دار الخلافة من الجانب الشرقي ، وفي حالة نقله موقع ارض الرقة الى جنب موقع قصر عيسى فمن المفروض ان ينقل ايضا موقع دار الخلافة الى الموقع الذي يقابل موقع قصر عيسى من الضفة الشرقية لدجلة وهو في هذه الحالة يكون في مـوقع وزارة الـدفاع حاليا . وفي هذه الحالة تتنقض اقوالـه وتعييناتـه لمواقـع ومحلات بغداد العباسية ومعالمها .

لذا يتضح لنا من كل ذلك ان الدكتور جواد في تعيينه لمـواقع قصـر عيسى ومصب نهر عيسى جاء مبهـما وغير واضح وبدون سند او دليل تاريخي مما يدل على ان تعييناته كانت بناء على رأي شخصي مبني على الحدس والتخمين ويؤكـد ذلك تغيير رأيه في مـواقع المحـلات التي يعينهـا والغموض في كلامه عند تعيينها كل ذلك يؤيد قولنا هذا ويفيد ان تعييناته كانت في غـير المحلات او المـوقع التي عينها .

اضافة الى ذلك انه يعين مواقع بعض الابنية والاماكن الموجودة حاليا في محلات بغداد في غير المحلات الموجودة فيها فعلا فمثلا انه قال ان جامـع القمريـة يقع في محلة الشيخ بشار في حين ان الجامع المذكور يقع في محلة سوق الجديد علما بان محلة الشيخ بشار تقع بـين شريعـة بيت النواب وهو حدها الشمالي وبين محلة رأس الجسر التي هي حدها الجنوبي ، بينما يقع جامع القمرية شمالي محلة الشيخ بشار وفي محلة سوق الجديد ، هـذا وان معرفـة المحلات الحالية في بغداد وتعيين موقعها ليس عسيرا فما كان عليه الا الاطلاع على خريطة بغداد ومحلاتها ص (٢٠) من اطلـس بغـداد للدكتـور سـوسـة او العبـور الى الجـانب الغـربي والانتقال الى جامع قمرية والسؤال من اهل المنطقة عن المحلة التي يقع فيها الجامع المـذكور لكي يـذكر مـوقعه بصورة مضبوطة وصحيحة لان كتابه يعتبر مرجعا في مثل هذه الامور .

لذا يظهر لنا من كل ذلك ان قصر عيسى ومصب نهر عيسى لم يكونا يقعان في محلة الكريمات الحالية ولا في موقع شريعة بيت الايلجي (مشرعة القطانين سابقا) ولا في محلة الشيخ بشار ولا قرب جامع القمرية وانما كانا يقعان على الارجح شمالي جامع القمرية بمسافة تقرب من كيلومتروفي موقع جامع خضر الياس القديم وموقـع بيت السـويـدي سابقا اي شمالي الرقة الواقعة بين قصر عيسى وبين جامع القرية وهما مقابل دار الخلافة (موقع وزارة الدفاع حاليا من الجانب الشرقي) ونتيجة لذلك فان الخرائط التي وضعها الدكتور احمد سوسة لبغداد العباسية والمنشورة في اطلس بغداد على الصفحات (٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٨ و ٩) التي عين عليها موقع قصر سابور ومصب نهر الرفيل او نهر عيسى وموقع دار الخلافة وغيرها من المواقع التي ذكرها على هذه الخرائط جاء مخالفا لـلاوصاف التي ذكرهـا المؤرخـون والبلدانيون عن هذه المواقع كما من المفروض ايضـا ان يعدل مسار الانهار التي تسقي الجانب الغربي من بغداد .

ثاني عشر الرباط البسطامي

قال الدكتور جواد عن موقع الرباط البسطامي ما يلي :

١ ـ جاء في كتاب الحوادث الجامعة المنسوب خطأ لابن الفوطي ان الرباط البسطامي كان يقع في موقع السراي اليوم وهو يقابل جامع قمرية .

٢ ـ وقال في كتاب دليل خارطة بغداد ص (٦٧) وكان هذا النهر (نهر عيسى) يصب عند رباط البسطامي (ولم يعين موقع الرباط البسطامي ولا مصب نهر عيسى .

٣ ـ وقال في كتاب دليل خارطـة بغداد ص (١٩٠) نقلا عن كتاب الحوادث المنسـوب لابن الفوطي في سنـة ٦٢٦هـ (وفي شعبان تكامـل المسجد المعروف بقمريـة بالجـانب الغربي على شاطىء دجلة المقابل لرباط البسطامي) وقـد ذكرنا سابقا ان رباط البسطامي كان راكبا على ضفة نهر عيسى الفرع وضفة نهر دجلة في ملتقاهما فان كان جامع قمرية القائم الى اليوم مقابلا له دل ذلك على ان موضـع رباط البسطامي اما مدرسة الكرخ الثانوية واما المستشفى الجديد وهو اقرب الى المراد لان الارض بينه وبين الجامع لا تزال رملية يصح ان تكون مصباً لنهر عيسى الفرع .

٤ ـ وقـال في حاشيـة ص (٢٠٣) من كتـاب تلخيص مجمع

الاداب في معجم الالقاب لابن الفوطي (الجزء الرابع القسم الاول) عن الرباط البسطامي ان موضعه في الوقت الحاضر هو مدرسة الكرخ الثانوية الحالية وكان قبل ذلك دار المعلمين الابتدائية .

يتضح لنا من اقوال الدكتور جواد انه لم يحدد من موقع الرباط البسطامي في الوقت الحاضر وذلك لانه يعدد عدة مواضع متباعدة بعضها عن بعض لا تتفق مع ما ذكره المؤرخون عن موقع هذا الرباط ونرد على أقوال الدكتور جواد هذه بعض الملاحظات هي التالية .

١ - ذكر الدكتور جواد ان موقع الرباط البسطامي هو السراي بالجانب الشرقي لانه مقابل جامع قمرية الواقع بالجانب الغربي ، وهذا القول غير وارد وتعيين موقع الرباط البسطامي في السراي غير صحيح لان موقعه في الجانب الغربي من بغداد وليس في الجانب الشرقي .

٢ - قال الدكتور جواد ان موقع الرباط البسطامي كان في موقع مدرسة الكرخ الثانوية وهذا التعيين غير صحيح ، لان الرباط المذكور كان يقع مقابل جامع قمرية وعلى ضفة دجلة وموقع ثانوية الكرخ ليس على دجلة بل بينها وبين دجلة مسافة كما انها ليست مقابل جامع قمرية .

٣ - وقال الدكتور جواد ان موقعه في موقع المستشفى الجديد الواقع شمالي جامع القمرية لان الارض لا تزال رملية يصح ان تكون مصباً لنهر عيسى الفرع ، وهذا القول لا يتفق والواقع لان المستشفى الذي سماه الجديد كان يقع على ارض الرقة التي ذكرها ابن الجوزي في حوادث سنة (٥٥٢)هـ عن الحرب التي دارت بين الخليفة وملكشاه حيث جرى القتال هناك بين قصر عيسى وقمرية والمستشفى المذكور كان بجانب جامع خضر الياس القديم والذي هدم مؤخرا عند نصب الجسر الجديد في منطقة خضر الياس وان مصب نهر عيسى الفرع كان هناك بين جامع خضر الياس وبيت السويدي سابقا الواقع حاليا تحت الجسر الجديد .

٤ - قال الدكتور جواد ان نهر عيسى يصب عند رباط البسطامي ولم يعين موقع الرباط ولم يعين موقع مصب نهر عيسى في دجلة .

٥ - وقال اخيرا سنة ١٩٦٢ في كتاب معجم الالقاب لابن الفوطي ان موضع الرباط هو مدرسة الكرخ الثانوية الحالية . وقد سبق ان بينا ان موقع ثانوية الكرخ ليس على دجلة حتى تكون موقع الرباط المذكور .

هذا الموقع والاختلاف في تعيين موقع الرباط البسطامي يدل على عدم تحديد الدكتور جواد لموقع الرباط المذكور وان تعييناته المختلفة لموقع الرباط هذا يؤكد على ان تعيينه لمواقع الابنية والاثار مبنى على رأي شخصي لذا فهو يتغير من وقت لاخر .

ولعل في الامكان تعيين موقع هذا الرباط استنادا الى ما جاء بأقوال بعض المؤرخين الذين ذكروا هذا الرباط وموقعه .

فقد ذكر ابن الجوزي عند ذكره وفاة محمد بن طاهر ابو الفضل المقدسي فقال انه دفن بمقبرة العقبة بالجانب الغربي عند رباط البسطامي[٩٤] وقال صاحب الحوادث المنسوب الى ابن الفوطي خطأ : وفي شعبان ٦٢٦هـ تكامل بناء المسجد المستجد المعروف بقمرية بالجانب الغربي على شاطيء دجلة المقابل للرباط البسطامي . . . الخ[٩٥] .

يتضح لنا من هذه الاوصاف ان الرباط البسطامي كان يقع عند مقبرة العقبة ومقابل مسجد قمرية . ولما كان موقع مسجد قمرية معروف لدينا لانه لا زال قائما لحد اليوم على شاطيء دجلة بالجانب الغربي فعلينا ان نعرف موقع مقبرة العقبة ثم نعين موقع الرباط البسطامي على ضوء ذلك .

ومقبرة العقبة هذه كانت تقع عند محلة العقبة بالجانب الغربي ، وقد قال عنها ياقوت الحموي في معجم البلدان[٩٦] انها محلة تقع وراء نهر عيسى قريبة من دجلة وقال الدكتور جواد انها محلة الشيخ صندل ولكن الواقع ان محلة العقبة هذه كانت تقع في مواقع محلات سوق الجديد والشيخ صندل وبارودة الحالية وهذه المحلات متجاورة بعضها من بعض وتحتل المنطقة المرتفعة من الجانب الغربي حيث تتدرج بالارتفاع من محلة سوق الجديد حتى تصل الى اعلى منطقة فيها وهي منطقة الشيخ صندل وبارودة ثم تبدأ بالانحدار نحو محلة الفحامة وما جاورها من محلات والعقبة لغويا تعني المرقى الصعب اي الارض العالية وهذه المحلات التي

ذكرناها هي المنطقة العالية ولذا سميت بالعقبة لارتفاعها . وقال ياقوت في تعريفه للعقبة : هو الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه وهو طويل صعب . وهذا ما يدل على ان هذه المواقع التي ذكرناها هي موقع محلة العقبة .

اما مقبرة العقبة فقد كانت عند محلة العقبة وموقعها على الارجح في الوقت الحاضر في موضع مركز تراموي بغداد الكاظمية واسطبلاتها سابقا التي هي الان شارع موسى الكاظم والساحة التي تقع امام مدرستي ثانوية الكرخ للبنين والبنات ومواقع البنايات والدور الواقعة على يسار ويمين شارع موسى الكاظم الحالي باتجاه الشمال وهي موقع مسجد حبيب العجمي وجزء من ثانويتي الكرخ ومدرسة التربية الاسلامية سابقا ومديرية اوقاف بغداد حاليا والدكاكين المجاورة لها وجزء من الأرض الواقعة خلفها التي كانت قبل عدة سنين مضت محلات بيع الاحطاب والاخشاب في سوق الجديد وان هذه الاراضي واغلب هذه البنايات تعود للاوقاف حتى الوقت الحاضر واذا صح ما قيل بأن رباط البسطامي كان يشرف على نهر عيسى المار بقربه الى مصبه في دجلة فيكون هذا النهر شمالي الرباط في طريقه الى مصبه عند جامع خضر الياس وبناء على ذلك يكون موقع رباط البسطامي في الارض الخلاء الواقعة بين دجلة وبين الدكاكين الملحقة بمدرسة التربية الاسلامية سابقا وهي التي يسميها اهل الكرخ الكَودى وهذه تقع مقابل جامع القمرية الحالي فيحدها من الشمال نهر عيسى الفرع ومن الشرق دجلة ومن الجنوب جامع القمرية ومن الغرب والجنوب الغربي الدكاكين الملحقة بمدرسة التربية الاسلامية سابقا الواقعة على شارع موسى الكاظم الحالي وهي مقبرة العقبة اوجزءا منها .

هذا مع العلم ان كل هذه الاراضي الواقعة من بيت النواب سابقا الى نهاية الدكاكين الملحقة بمدرسة التربية الاسلامية ومن دجلة الى شارع موسى الكاظم اراض تعود للاوقاف لحد اليوم مما يدل على انها كانت مراكز دينية مثل المدارس والجوامع والاربطة والمقابر وكلها تقع حول ويقرب جامع القمرية .

ثالث عشر : المارستان العضدي

قال الدكتور مصطفى جواد عن موقع المارستان العضدي ما يلي :

١ - قال في كتاب دليل خارطة بغداد ص (١٤٠-١٤١) ومن المباني الاخرى التي شيدها عضد الدولة المارستان الكبير في بغداد الغربية الذي صار يعرف باسم المارستان العضدي نسبة الى مشيده ، وقد انشىء المارستان المذكور في موضع قصر الخلد الذي كان متهدما يوم ذاك او بجواره على قول بعضهم . . . وانشيء حول المارستان العضدي في الايام المتأخرة السوق الذي سمي بسوق المارستان وانشأت حوله محلة واسعة تمتد من محلة باب البصرة في الجنوب الى محلة الشارع في الشمال وكانت تعرف هذه المحلة محلة المارستان ، وقد شملت معظم الاراضي التي كانت فيها حدائق قصر الخلد وقصر القرار كما شملت مباني المنصور العتيقة بين باب خراسان ودجلة .

٢ - وجاء في ص (١٤٢) من نفس الكتاب اعلاه : وقال عبدالله ابن جبرائيل بن عبيدالله بن بختيشوع الطبيب النصراني (لما عمر عضد الدولة البيمارستان الجديد الذي على طرف الجسر من الجانب الغربي من بغداد) من هذا الخبر يفهم ان البيمارستان العضدي كان قريبا من طرف الجسر الغربي في بغداد الغربية ويقربه من ارض قصر الخلد . . . . وذكر المقدسي ان الجسر بجانب المارستان .

٣ - وجاء في ص (١٤٣) من كتاب دليل خارطة بغداد ما يلي : وكتب بنيامين التطيلي الذي دون رحلته واخباره في حدود منتصف القرن السادس الهجري وصف المارستان بقوله (ويقوم في الجانب الغربي من مدينة بغداد بين نهر دجلة ونهر اخر يأتي من الفرات (يقصد الصراة) بناء المارستان .

٤ - وجاء في ص (١٤٣) من كتاب دليل خارطة بغداد ما يلي : وجاء بعد وصف التطيلي بزهاء ثلاثين سنة ابن جبير فذكر المارستان ايضا وقال بانه يقع على دجلة في محلة سوق المارستان الواقعة بين محلة الشارع ومحلة باب البصرة فقال (بين الشارع ومحلة باب البصرة سوق المارستان وهي مدينة صغيرة فيها المارستان الشهير ببغداد وهو على دجلة) .

٥ - وقال في ص (١٤٨) من دليل خارطة بغداد : وقال المقدسي . . . والجسر عند باب الطاق الى جانب بيمارستان بناه عضد الدولة .

٦ - وقال في كتاب بغداد عرض تاريخي مصور المنشور سنة ١٩٦٩ في الصفحة (٤٤) منه : وبنى عضد الدولة مارستانه على شاطيء دجلة بين ارض قصر الخلد والجسر الذي بني بين مدينة المنصور والرصافة ، وقيل ان اكثر قصر الخلد دخل في عمارته وانشأ بين يديه سوقا للبزازين عرف بسوق المارستان . . .

٧ - وقال في كتاب تلخيص مجمع الاداب من معجم الالقاب الذي حققه الدكتور مصطفى جواد ونشر سنة ١٩٦٢ في حاشية ص (٥٥٢) ما يلي :

(المارستان العضدي يقع شرقي المنطقة على دجلة) .

٨ - وقال في كتاب الحوادث الجامعة الذي حققه الدكتور مصطفى جواد ونسبه الى ابن الفوطي المنشور سنة ١٩٣٢ في حاشية ص (١) منه : منسوب الى عضد الدولة امر ببنائه في الجانب الغربي من بغداد وفرغ من بنائه سنة ٣٦٨هـ . . . وفي سنة ٣٧١هـ فتح للاستشفاء . . . وكان على ما حققناه على شاطيء دجلة مما يقابل مقبرة المنطقة اليوم بين الكاظمية وبغداد لان المنطقة كانت تسمى مسجد العتيقة وكانت من مواقع السريان ويسمونها سونايا على ما في المعجم لياقوت الحموي ، وعرها سوق العتيقة وتميل السوق نحو اليمين على شاطيء دجلة وعلى الشاطيء المارستان العضدي (راجع رحلة ابن جبير الاندلسي) يتضح لنا مما ورد باعلاه ان الدكتور مصطفى جواد كان قد عين عدة مواضع لموقع المارستان العضدي .

الموقع الاول : وهو اول موضع عينه في سنة ١٩٣٢ في كتاب الحوادث الذي حققه الدكتور جواد ونسبه الى ابن الفوطي خطأ وذلك في حاشية ص(١) من الكتاب المذكور حيث قال وكان على ما حققناه على شاطي دجلة مما يقابل مقبرة المنطقة اليوم بين الكاظمية وبغداد) .

ومن هذا يفهم ان المارستان العضدي كان في محلة المنطقة الحالية على دجلة اي في نهاية الشارع المجاور لكراج مصلحة الركاب في المنطقة المقابل لمقبرة المنطقة وبقرب سايلو بغداد حسب الظاهر . وهذا تعيين غير صحيح لموقع المارستان العضدي لان اغلب المؤرخين قالوا ان المارستان العضدي كان في موضع قصر الخلد وحدائقه ، وقصر الخلد هذا لم يكن في محلة العتيقة او المنطقة لان المنطقة كانت تسمى محلة العتيقة ومحلة العتيقة كانت تقع ما بين طاق الحراني الى محلة باب الشعير[٩٧] وكانت العتيقة قرية قديمة قبل بناء بغداد تعرف بقرية سونايل ولما عمرت بغداد دخلت هذه القرية في العمارة وصارت محلة تعرف بالعتيقة[٩٨] ولو كان المارستان العضدي في المنطقة لقال المؤرخون انه كان يقع في محلة العتيقة اي المنطقة وهذا لم يقل به احد من قبل .

الموضع الثاني : - قال في كتاب دليل خارطة بغداد ص (١٤٠ ، ١٤١) ان المارستان العضدي انشيء في موضع قصر الخلد او بجواره على قول بعضهم وانشيء حوله في الايام المتاخرة السوق الذي سمي بسوق المارستان وحولها محلة واسعة تمتد من محلة باب البصرة في الجنوب الى محلة الشارع في الشمال وكانت تعرف بمحلة المارستان وقد شملت معظم الاراضي التي كانت فيها حدائق قصر الخلد وقصر القرار كما شملت مباني المنصور العتيقة بين باب خراسان ودجلة .

لم يبين لنا الدكتور جواد موقع قصر الخلد ولا موقع قصر القرار وحدائقهما كما لم يبين لنا موقعي محلتي باب البصرة ومحلة الشارع لنعرف موقع محلة المارستان وموقع المارستان . اما القول بان محلة المارستان كانت تقع بين محلة باب البصرة من الجنوب ومحلة الشارع من الشمال فهو قول ابن جبير[٩٩] .

ولو رجعنا الى ما ذكره الدكتور جواد في كتاب دليل خارطة بغداد عن موضع قصر الخلد في الوقت الحاضر لما حصلنا على ذلك من شيء اذ قال في ص (٩) ان الخلد والقرار بنيا عند دير مارفثيون ، وان دير مارفثيون يقع في محلة العتيقة عند مصب نهر الصراة بدجلة والقصر شمال الدير وقال في ص (٩٣) ان جسر الرصافة كان جوار باب الشعير وان قصر الخلد كان بقربه ، وقال في ص (٩٤) نقلا عن المقدسي ان الجسر عند باب الطاق الى جانبه بيمارستان بناه عضد الدولة .

كل هذه الاقوال لا تدلنا على موقع البيمارستان العضدي في الوقت الحاضر ، ولكن الدكتور احمد سوسة قد عين موقعه في اطلس بغداد في خريطة بغداد في اول ادوارها العباسية[١٠٠] ، شمالي دير مافثيون على دجلة وعلى مسافة تقرب من كيلومتر من الدير المذكور علما بانه قد عين موقع هذا الدير على دجلة مقابل

مسجد العتيقة (المنطقة) .

ونتيجة لذلك فاذا كان الدكتور جواد يوافق الدكتور سوسة على هذا التعيين الذي عينه الدكتور سوسة فان قصر الخلد او المارستان العضدي لم يكن مقابل المنطقة ، كما عين موقعه الدكتور جواد بل شماليها بمسافة تقرب من كيلومتر .

وبناء على ذلك فان الموقع الذي عينه الدكتور جواد لموقع البيمارستان العضدي غير صحيح . هذا مع العلم ان تعيين الدكتور سوسة لموقع قصر الخلد او موقع البيمارستان العضدي جاء في غير موضعه الصحيح حيث انه عينه مقابل بستان الزاهر وهذا لم يشر اليه احد من المؤرخين في حين ان موضع المارستان العضدي كان بجوار جسر باب الطاق حسبما اشار اليه المقدسي في احسن التقاسيم[١٠١] اي مقابل محلة باب الطاق التي كانت واقعة في الجانب الشرقي من دجلة جنوبي محلة الرصافة وهذا الجسر هو غير الجسر الذي اقامه المنصور بين مدينته وبين الرصافة اذ ان هذا الجسر الاخير كان قد نصبه المنصور عند باب الشعير[١٠٢] وباب الشعير هذه كما قال ياقوت الحموي[١٠٣] محلة كانت تقع فوق مدينة المنصور .

هذا وان الدكتور احمد سوسة قد عين موقعين لباب الشعير في خريطته المشار اليها اعلاه موقع عند قصر القرار والموقع الثاني فوق مدينة المنصور عند قنطرة التبانين بعيدة عن دجلة سماها محلة باب الشعير ووضعها مقابل الرصافة من الجانب الشرقي وهذا الموقع هو الموقع الصحيح لموقع الجسر الذي اقامه المنصور بين مدينته وبين الرصافة وهو الذي اطلق عليه الدكتور جواد والدكتور سوسة اسم الجسر الكبير والذي عينه في خريطته المشار اليها اعلاه في موقع جسر باب الطاق .

هذا وان محلة باب الشعير هذه كما قال ياقوت الحموي عنها[١٠٤] هي بعيدة من دجلة بينها وبين دجلة خراب كثير والحريم وسوق المارستان وتقع فوق مدينة المنصور ، ومحلة سوق المارستان التي كان يقع فيها المارستان العضدي الذي كان قبل بنائه موقع قصر الخلد الذي بناه المنصور كانت تقع بين دجلة ومحلة باب الشعير هذه وبناء على ما جاء باعلاه يتضح لنا ان محلة سوق المارستان كانت تقع بين موقع جسر باب الطاق المنصوب مقابل محلة باب الطاق من الجانب الشرقي جنوبي محلة الرصافة وبين موضع الجسر الكبير الذي اقامه المنصور بين الرصافة ومدينة المنصور اي عند باب الشعير كما قال الخطيب البغدادي في تاريخه وهي تقع شرقي مدينة المنصور بينها وبين دجلة .

والموضع الثالث قال نقلا عن رحلة بنيامين التطيلي الذي زار بغداد في القرن السادس او منتصف القرن السادس ان بناء المارستان كان يقع بين دجلة ونهر اخر يأتي من الفرات ثم قال انه يقصد الصراة ولم يعين لنا موقع المارستان المذكور وهذا يعني ان بناء المارستان كان يقع في قرن الصراة ولكن لا نعلم أين كان نهر الصراة يصب في دجلة ولم يذكر لنا الدكتور جواد ذلك ولكن خريطة الدكتور سوسة في اطلس بغداد قد عين فيها مصب الصراة مقابل بستان الزاهر بالجانب الشرقي وفي جنوبي دير مارفثيون الواقع في العتيقة اي المنطقة حاليا .

ولو صح تعيين موقع مصب نهر الصراة في هذا الموضع فلا يصح ان يكون موقع البيمارستان العضدي او قصر الخلد سابقا في هذا الموقع لانه سبق ان بينا في الفقرة اعلاه ان بناء المارستان لم يكن مقابل مقبرة المنطقة ولم يكن في موقع دير مارفثيون الذي يقع مقابل بستان الزاهر بل كان شمالي جسر باب الطاق المنصوب في محلة باب الطاق بالجانب الشرقي وهو اليوم موضع جسر ١٤ رمضان الجديد المنصوب في الشالجية شمال مقبرة المنطقة بمسافة تقرب من كيلومتر او تزيد . هذا مع العلم انه لو كان في الموقع الذي اشار اليه التطيلي وعينه الدكتور احمد سوسة في خريطته المشار اليها اعلاه لقال ذلك المؤرخون ، في حين ان الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ كان قد عين موقع قصر الخلد الذي بني في محلة المارستان العضدي فقال[١٠٥] انما سمي قصر المنصور الخلد تشبيها له بجنة الخلد . . . وكان موضعه وراء باب خراسان .

ثم قال[١٠٦] واما شاطيء دجلة من قرن الصراة الى الجسر ، فمن حد الدار التي كانت لنجاح بن سلمة ثم صارت لاحمد بن اسرائيل ثم هي اليوم بيد خاقان المفلجي الى باب خراسان فذلك الخلد ثم ما بعده الى الجسر فهو القرار .

ثم قال[١٠٧] : سنة سبع وخمسين ومائة فيها ابتنى ابو جعفر قصره الذي يعرف بالخلد وفيها عقد الجسر عند باب الشعير .

ومن هذا يتضح لنا ان قصر الخلد الذي كان قد ابتناه المنصور عام ١٥٧ هـ كان يقع وراء باب خراسان من مدينة المنصور وتحت او جنوبي الجسر الذي نصبه المنصور بين مدينته وبين الرصافة والذي كان منصوبا بين باب الشعير بالجانب الغربي شمالي مدينة المنصور وبين الرصافة بالجانب الشرقي وموقعه على الاغلب كان

تحت منطقة المقبرة الملكية في الوقت الحاضر على دجلة وما يقابلها من ارض عند ساحة عبدالمحسن الكاظمي حاليا وهذا الجسر غير الجسر الذي نصب فيما بعد وعلى الاغلب في القرن الثالث او الرابع الهجري في محلة باب الطاق اي جنوبي محلة الرصافة وموقعه الان هو موقع جسر ١٤ رمضان الجديد المنصوب في الشالجية .

والموضع الرابع قال عنه نقلا عما قاله ابن جبير الاندلسي في رحلته[١٠٨] عندما زار بغداد سنة ٥٨٠ هـ حيث قال : وبين الشارع ومحلة باب البصرة سوق المارستان . . . . فيها المارستان الشهير ببغداد وهو على دجلة ولكن الدكتور جواد لم يعين لنا موقع محلة سوق المارستان ولا موقع محلة الشارع ولا محلة باب البصرة واين مواقعها في الوقت الحاضر . ولذا لم يعين لنا موقع المارستان العضدي في الوقت الحاضر .

ومن الضروري تعيين المحلات المذكورة كي نتوصل الى موقع محلة سوق المارستان وبالتالي الى موقع المارستان العضدي .

والظاهر ان المقصود بمحلة الشارع او الشارع هي محلة شارع دار الرقيق وقد قال عنها ياقوت الحموي من معجمه[١٠٩] : محلة ببغداد باقية الى الان وكان الخراب قد شملها وهي ناحية على دجلة كان يباع الرقيق فيها قديما وهي بالجانب الغربي متصلة بالحريم الطاهري وفيها سوق .

وقال الخطيب البغدادي[١١٠] في تاريخ بغداد ان الزبيدية كانت تقع بين باب خراسان وبين شارع دار الرقيق فمنسوبة الى زبيدة بنت جعفر .

اما الحريم الطاهري المتصل بمحلة شارع دار الرقيق فقد قال ياقوت الحموي في معجمه عنه[١١١] باعلى مدينة السلام ببغداد في الجانب الغربي . . . وقد كانت العمارات متصلة وهو في وسطها واما الان فقد خرب جميع ما هو له وبقي كالبلدة المنفردة في وسط الخراب وهو عامر فيه دور وقصور مطل متصل به شارع دار الرقيق وبعضه عامر وفيه اسواق وله سور بحيزه . . الخ

لذا يتضح لنا من ذلك ان محلة شارع دار الرقيق او محلة الشارع كما سماها ابن جبير كانت تقع شمالي مدينة المنصور وعلى دجلة وكان حدها الجنوبي قطيعة الزبيدية العائدة لزبيدة بنت جعفر زوجة هارون الرشيد وحدها الشمالي الحريم الطاهري وجميعها كانت على دجلة ، هذا ولما كانت الزبيدية كما قال الخطيب البغدادي تقع بين باب خراسان وهو الباب الشرقي من مدينة المنصور وبين محلة شارع الرقيق وان موقع الزبيدية في الوقت الحاضر على الاغلب بين ساحة عبدالمحسن الكاظمي حيث كان باب خراسان هناك ، وبين موقع حدائق ١٤ تموز في الكاظمية القريبة من الجسر الحالي جسر الأئمة وبناء على ذلك تكون محلة شارع دار الرقيق في الموقع الذي بين بداية الكورنيش الذي على دجلة من ناحية الكاظمية وبين موقع جسر الأئمة الحالي ومن ثم يكون موقع الحريم الطاهري من بعد جسر الأئمة فشمالا بين دجلة وموقع مضخة البانزين في الكاظمية .

ولعل محلة شارع دار الرقيق كانت قد امتدت فشملت جزءا من القطيعة الزبيدية في العهود المتأخرة لذا قال ابن جبير عن محلة سوق المارستان بين محلة الشارع ومحلة باب البصرة . وهي المنطقة المحصورة بين دجلة وبين مدينة المنصور .

اما محلة باب البصرة فكانت تقع جنوبي مدينة المنصور عند باب البصرة وهو الباب الجنوبي لها ولم نعثر على وصف مفصل لهذه المحلة في المصادر المتوفرة لدينا ولكن يمكن القول ان موقعها على الارجح جنوبي مدينة المنصور وعند باب البصرة وكانت هذه تقع شمالي غربي موقع المنطقة ومقبرتها الحالية اي في منطقة الشالجية اي المنطقة المحصورة بين شارع ١٤ رمضان والمنطقة الحالية وبمعنى اخر جنوبي جسر ١٤ رمضان ولم تكن تقع عند نهر دجلة بل كانت بعيدة عنه .

هذا وقد قال الدكتور جواد[١١٢] ان محلة باب البصرة كانت فوق المنطقة الحالية كما قال انها توسعت فشملت بعض مدينة المنصور في العهود المتأخرة[١١٣] استنادا الى قول ابن جبير في رحلته عن محلة بـاب البصـرة (وهي ايضـاً مـدينـة وبها جـامـع المنصور . . . الخ)

وبناء على ما ورد باعلاه يكون موقع محلة سوق المارستان شرقي مدينة المنصور على دجلة في الموضع الذي يحده من الجنوب جسر ١٤ رمضان الحالي المنصوب في الشالجية ويحده من الشمال ساحة عبدالمحسن الكاظمي الحالية حيث كان يقع هناك باب خراسان والجسر الذي نصبه المنصور بين مدينته بالجانب الغربي وبين الرصافة بالجانب الشرقي حيث توجد هناك اليوم المقبرة

الملكية ولعلها محلة السفينة .

ولذا فان المارستان العضدي الذي كان في محلة سوق المارستان لم يكن يقع في المنطقة ولا شرقيها بل كان شمالي المنطقة في الشالجية وعلى بعد يزيد على الكيلومتر شمالي المنطقة ومقبرتها .

المدرسة الشرابية ودرب الملاحين

اشرنا سابقا عند البحث عن موقع سوق السلطان ، ان صاحب كتاب الحوادث الذي حققه الدكتور مصطفى جواد ونشر عام ١٩٣٢ ونسبه خطأ الى ابن الفوطي ، قد قال في ص (٢٤) من الكتاب المذكور :

(وفي شوال تكامل بناء المدرسة التي انشأها شرف الدين اقبال الشرابي بسوق العجم بالشارع الاعظم بالقرب من عقد سور سوق السلطان مقابل درب الملاحين . . . الخ)

وقد علق الدكتور جواد في حاشية ص (٢٤) من الكتاب المذكور على درب الملاحين فقال : (درب الملاحين يوافق مستشفى المجيدية اليوم الممتد من باب المعظم الى دجلة واحرى به ان يكون دربا للملاحين) .

ان الدكتور جواد لم يعين موقع المدرسة الشرابية التي كانت تقع بسوق العجم بل عين لنا موقع درب الملاحين ومن هذا التعيين لهذا الدرب يمكن ان يعين موقع المدرسة الشرابية التي بسوق العجم التي يقابلها درب الملاحين ، اي انها كانت تقع في الجانب الاخر من الشارع الاعظم او من باب المعظم الحالي وعلى هذا يمكن القول ان موقع المدرسة حسب راي الدكتور جواد كان في موقع مكتبة الاوقاف التي كانت بباب المعظم سابقا وحتى موقع كلية الحقوق ثم كلية البنات سابقا الواقعة مقابل دار المعلمين العالية سابقا وهذا التعيين لموقع المدرسة الشرابية وسوق العجم لا يتفق والموقع الذي اورده المؤرخون عنها وللاسباب التالية :

١ ـ يعتقد الدكتور جواد ان عقد سور السلطان الذي كانت تقع بقربه المدرسة الشرابية وسوق العجم هو باب السلطان في سور بغداد القديم الذي يقابل اليوم موقع باب المعظم[١١١] وان سوق السلطان كان داخل بغداد المسورة ، وهذا الاعتقاد غير وارد كما سبق ان بينا ذلك عند البحث عن موقع سوق السلطان ، ولقد تبين لنا من النصوص التاريخية التي اوردناها ان سوق السلطان ومحلة سوق السلطان وسور سوق السلطان وجامع السلطان كلها تقع ظاهر سور بغداد وفي منطقة المخرم وقد سميت كل هذه الابنية في وقته المدينة او مدينة طغرلبك السلجوقي حتى جامع السلطان سماه صاحب الحوادث جامع المدينة اي جامع مدينة طغرلبك ، كما ابتنى التركمان والجند الغرباء دورا واسواقا بظاهر بغداد وظاهر سوق السلطان امر فيما بعد الخليفة الناصر لدين الله بهدمها[١١٢] ، كما ذكر صاحب الحوادث فيضان دجلة سنة ٦٤٦ هـ والمحلات والمواقع التي غرقت من جراء ذلك فقال : (وغرق في الجانب الشرقي ما كان ظاهر السور من مساكن كانت استجدت منذ ايام الخليفة المستنصربالله . . . وكان ذلك مما يلي سوق العجم . . . الخ)

من هذه النصوص التي اوردها صاحب كتاب الحوادث الذي حققه الدكتور جواد ، المطبوع سنة ١٩٣٢ يفهم منها ان سوق السلطان هي محلة كانت بظاهر بغداد وكان لها سور خاص بها تسمى محلة سوق السلطان وكانت تقع في المخرم موقع قصور السلاطين السلجوقية ، وموقعها كان خلف جامع السلطان الذي كان قرب قصور السلاطين في المخرم ايضا وقد ذكر ابن الجوزي في تاريخه[١١٣] ان سوق السلطان هذا بني سنة ٤٨٥ هـ زمن السلطان ملكشاه وبني مع السوق دور وخانات وحمامات وكثرت العمارة فيه وما حوله بحيث اصبحت محلة تدعى محلة سوق السلطان وانشيء حول هذه المحلة سور خاص بها سمي سور سوق السلطان .

وقد اشار الى هذه المحلة صاحب كتاب الحوادث[١١٤] عند ذكره لفيضان دجلة سنة ٦٤١ هـ فقال : (وخرب محلة كان قد استجدها الغرباء من الجند بظاهر سوق السلطان وراء جامع المدينة) .

لذا فان محلة سوق السلطان كانت خلف او وراء جامع السلطان أو جامع المدينة وموقع الجامع المذكور في الوقت الحاضر على الارجح في موقع ادارة موسيقى الجيش والمستوصف العسكري الواقعين مقابل المدرسة الغربية وجمعية المحاربين

القدماء الحاليين وبناء على ذلك يكون موقع محلة سوق السلطان في موقع كلية الهندسة حاليا وما جاورها من اراض ومخازن حتى نهاية الكرنتينة عند السدة القديمة مقابل ثكنة الخيالة سابقا .

اما سوق العجم فحسب ما هو مفهوم من النص الذي اورده صاحب الحوادث من ان مدرسة اقبال الشرابي كانت بسوق العجم بالشارع الاعظم بالقرب من عقد سوق السلطان فعلى الارجح يكون موقعه في الوقت الحاضر الشارع الممتد من الكرنتينة حتى شارع الامام الاعظم الحالي وهو الشارع الواقع شمالي موقع ثكنة الخيالة والموازي للسدة القديمة وبناء على ذلك يكون موقع مدرسة اقبال الشرابي في موقع محطة البانزين الواقعة على شارع الامام الاعظم جنوبي جسر القطار والمقابلة لجامع العادلية الجديد المبني في الصرافية .

اما درب الملاحين فيكون والحالة هذه هو الدرب او الشارع المقابل لمحطة البانزين المتجه الى دجلة الموجودة فيه بناية مستشفى الشعب (سابقا) ومحالج القطن واسالة الماء .

ومن كل هذا يتضح لنا ان تعيين الدكتور مصطفى جواد لموقع درب الملاحين في موقع درب مستشفى المجيدية (مدينة الطب حاليا) والموازي لبنايات وزارة الدفاع لا يتفق وما ذكره المؤرخون عن موقع هذا الدرب وموقع مدرسة اقبال الشرابي .

اما الشارع الاعظم الذي ذكره صاحب الحوادث في هذا النص والذي تقع عليه المدرسة الشرابية في اغلب الظن هو الشارع الممتد بين الرصافة وبغداد والذي سماه ياقوت الحموي في معجم البلدان[118] بشارع الميدان والذي قال عنه : (من محال بغداد ايضا بالجانب الشرقي خارج الرصافة وكان شارعا مارا من الشماسية الى سوق الثلاثاء . . . الخ)

اما الدكتور جواد فقد اطلق اسم الشارع الاعظم على شارع داخل بغداد المسورة بالجانب الشرقي فقال[119] وكان الطريق الشمالي يعرف بالشارع الاعظم فيمتد من الجنوب من محلة المأمونية ومحلة باب الازج ويخترق المحلة المسماة قراح ابن رزين تاركا الى يساره محلتي المقتدية والمختارة حتى اذا وصل الى جوار باب ابرز والمدرسة التاجية انعطف من امام المحلة المسماة قراح ظفر نحو الغرب متجها نحو قراح ظفر ويتصل بالشارع الاعظم الممتد شرقي الرصافة . وقد وصف هذا الطريق ياقوت الحموي في مادة قراح في معجم البلدان . . . الخ)

ولو رجعنا الى مادة قراح في معجم البلدان لياقوت الحموي لرأينا وصفا لطريق من شرقي بغداد داخل سور بغداد يبدأ في وسط المدينة ثم يتفرع فرعين نحو الشمال ونحو الجنوب ولم يسمي ياقوت ذلك الطريق والشارع بالشارع الاعظم بل حتى لم يذكر له اسم ، ومن هذا تبين لنا ان الدكتور جواد كان يتصور ان هذا الطريق الذي وصفه ياقوت الحموي في معجم البلدان هو الشارع الاعظم نفسه وهذا لم يكن لان الشارع الاعظم كان بين الشماسية وبين بغداد كما قال ياقوت الحموي وقد سماه بشارع الميدان ولذلك فان شارع الميدان هذا هو حسب الظاهر الشارع الاعظم كما سماه صاحب كتاب الحوادث ، هذا مع العلم انه لم يذكر احد من البلدانين او المؤرخين شارعا داخل بغداد المسورة كان يسمى الشارع الاعظم .

محلة درب دينار

قال الدكتور مصطفى جواد في كتاب دليل خارطة بغداد عن محلتي درب دينار الكبرى والصغرى ما يلي :-

١ - قال في ص (١١٩) من الكتاب المذكور : وقد اصبح سوق الثلاثاء القديم من اهم محلات بغداد الشرقية في هذا الدور وقد نشأت في جواره محلات على ضفاف دجلة احدهما محلة دار دينار الكبرى والاخرى دار دينار الصغرى وقد نسبت هاتان المحلتان الى دينار بن عبدالله من موالي الرشيد الخ .

قال ياقوت : دينار بن عبدالله الذي تنسب اليه دار دينار محلة معروفة ببغداد واليوم يسمونها درب دينار وذكر انها قرب سوق الثلاثاء بينه وبين دجلة ودرب دينار هو شارع المأمون .

٢ - وقال في ص (١٧٥) من كتاب دليل خارطة بغداد : وقف الزبدي كتبه قبل موته على المسلمين كافة وجعلها في موضع مسجده الذي كان يؤم فيه الناس في اوقات الصلاة بدار دينار الصغير بسوق الثلاثاء من شرقي بغداد .

والظاهر ان قبره هو القبر الذي نسبه من لا علم له بخطط بغداد الى علي بن محمد السمري بسوق الهرج قرب باب المستنصرية وهو داخل في المسجد القبلاني . . . الخ

ان تعيين الدكتور مصطفى جواد لموقع محلتي دينار الكبرى والصغرى في شارع المأمون وفي سوق البزازين

مقابل باب المدرسة المستنصرية لا يتفق والاوصاف التي ذكرها المؤرخون والبلدانيون فقد قال ياقوت الحموي في معجم البلدان[١٢٠] عن موقع محلتي دار دينار ما يلي :

(دار دينار محلتان ببغداد اذ يقال لاحدهما الكبرى وللاخرى دار دينار الصغرى وهي في الجانب الشرقي قرب سوق الثلاثاء بينه وبين دجلة . . . الخ)

من هذا يتضح ان هاتين المحلتين كانتا قرب سوق الثلاثاء بينه وبين دجلة وليس في سوق الثلاثاء لان شارع المأمون الحالي وسوق البزازين المقابل لباب المستنصرية حسب راي الدكتور جواد هما من سوق الثلاثاء القديم ، كما انه اعتبر سوق الثلاثاء محلة وسماها محلة سوق الثلاثاء وهذا غير وارد اذ ليس هناك محلة في بغداد الشرقية تسمى سوق الثلاثاء وانما هناك سوق يسمى سوق الثلاثاء وهو السوق الممتد من باب سوق الثلاثاء الواقع جنوبي باب السلطان اي باب المعظم حاليا وبين المدرسة المستنصرية الواقعة في نهايته ، وقد وصف ياقوت الحموي في معجم البلدان[١٢١] هذا السوق ، كما ذكره ابن بطوطة في رحلته[١٢٢] عند مروره ببغداد .

هذا مع العلم ان المؤرخين والبلدانيين لم يذكروا لنا ان هناك محلة في بغداد تسمى محلة سوق الثلاثاء .

ان تعيين الدكتور مصطفى جواد لموقع محلتي دار دينار في شارع المأمون الحالي وسوق البزازين المقابل للمدرسة المستنصرية لا يتفق وما اورده الخطيب البغدادي في تاريخه عن موقع هذه الدار ، اذ قال عنها[١٢٣] : (اما شاطيء دجلة من الجانب الشرقي فأوله بناء الحسن بن سهل وهو قصر الخليفة في هذا الوقت ودار دينار ودار رجاء بن ابي الضحاك ثم منازل الهاشميين ثم قصر المعتصم وقصر المأمون ثم منازل آل وهب الى الجسر كان اقطاعا لناس من الهاشميين ومن حاشية الخلفاء . . . . الخ) انتهى . لقد تبين لنا من هذا النص التاريخي الواضح عند البحث عن موقع دار الخلافة ان المقصود بالجسر الذي اشار اليه الخطيب وهو الجسر المنصوب عند سوق الثلاثاء والذي كان موقعه في شريعة المحاكم في نهاية شارع المتنبي الحالي ، كما ثبت لدينا ان قصر الحسن بن سهل الذي هو دار الخليفة هو بناء القصر العباسي الموجود جنوبي وزارة الدفاع حاليا . وان ما ذكره الخطيب في هذا النص من اسماء المواقع التي كانت بين قصر الحسن بن سهل (القصر العباسي حاليا) وبين جسر سوق الثلاثاء كان اولها بعد قصر الحسن بن سهل هو موقع دار دينار لذا فمن المرجح ان يكون موقع دار دينار جنوبي قصر الحسن بن سهل باتجاه جسر سوق الثلاثاء ولذا فمن المرجح ان يكون موقع دار دينار في موقع شارع حسان بن ثابت وما حواليه من دور وابنية بين شارع الرشيد الحالي الذي كان جزءا من سوق الثلاثاء القديم وبين مركز شرطة السراي الواقع على دجلة وليس في شارع المأمون كما يرى الدكتور جواد ، لان شارع حسان بن ثابت هو اقرب المواقع للقصر الحسني او القصر العباسي حاليا الذي اعتبره الخطيب اول العمارة على دجلة في الجانب الشرقي من بغداد ، علما بان العمارة لم تكن ممتدة جنوبي جسر سوق الثلاثاء الواقع عند نهاية شارع المتنبي الحالي في ذلك الوقت اي حتى سنة ٤٦٣ هـ اي سنة وفاة الخطيب البغدادي .

وقد امتدت العمارة الى جنوب الجسر المذكور ايام الخليفة المستنصربالله حيث بدأ بانشاء المدرسة المستنصرية عام ٦٢٥ هـ وتكامل بناؤها سنة ٦٣١ هـ هذا ولو فرضنا صحة تعيين الدكتور مصطفى جواد لموقع دار الخلافة في شارع المستنصر الحالي وان القصر الحسني او دار الخليفة كان يقع في منتصف شارع المستنصر على دجلة ففي هذه الحالة اذا اخذنا النص الذي اورده الخطيب المذكور اعلاه فان موقع دار دينار يكون بعد جسر الجمهورية الحالي اي قرب سيد سلطان علي او شماليه بقليل وهذا الافتراض غير وارد لان العمارة لم تكن بعد قد امتدت الى تلك الجهات في القرن الرابع او الخامس الهجريين .

اما بشأن مسجد الشريف الزيدي المتوفى سنة ٥٧٥ هـ وتعيين الدكتور جواد لموقعه حاليا بسوق الهرج قرب باب المدرسة المستنصرية والداخل في المسجد القبلاني على اعتبار ان هذه المنطقة كانت محلة دينار الصغرى فأمر غير وارد حيث ان هذه المنطقة لم تكن موقع محلة دينار الصغرى ولا الكبرى كما سبق وان بينا في اعلاه ، وان هذا الموقع الذي اشار اليه الدكتور جواد المقابل لباب المدرسة المستنصرية وهو على الاغلب موقع الساعات اي ساعات

المستنصرية لانها كانت تقع مقابل باب المدرسة كما ذكر المؤرخون ذلك[٢٢] .

هذا ومن المعلوم ان الاسواق والمحلات التجارية المستحدثة بجوار المدرسة المستنصرية في الوقت الحالي كانت سابقا كلها تابعة للمدرسة المستنصرية وجزءاً منها ولكن الناس بمرور الزمن وضعوا اليد عليها وتملكوها والسوق الذي اشار اليه الدكتور جواد والقبر الموجود حاليا الذي نسبه الى الشريف الزيدي كان من جملة عمارة المدرسة المستنصرية . ولعل القبر الموجود حاليا مقابل باب المدرسة المستنصرية قبر مستحدث في العصور المتأخرة من العهد العباسي او العهود اللاحقة بعد خراب المدرسة المستنصرية .

اما موقع مسجد الشريف الزيدي وقبره في حالة كونه يقع في محلة دينار الصغرى فان موقعه على الاغلب يكون قرب شارع حسان بن ثابت الذي ذكرنا ان موقع دار دينار ولعله في احدى المساجد الصغيرة الموجودة في هذه المنطقة والله اعلم .

وفي الختام نود ان نقول ان هذه الملاحظات كانت حصيلة قراءاتي لكتب الدكتور مصطفى جواد التي حققها ونشرها او التي الفها حول بغداد العباسية ومواقع اثارها وهي اهم الملاحظات التي تجمعت لدي اقدمها للقراء الكرام املا ان تلقى القبول خاصة لدى المحققين والمختصين فيهم وهي عرضة للمناقشة والنقد العلمي البناء لكي نصل الى الحقيقة ولعل هناك من سيتطوع للدفاع عن اراء المرحوم الدكتور جواد مدفوعا بالعاطفة ، لذا نقول مع احترامنا لرأيهم ان الموضوع بحث علمي ليس للعاطفة فيه موضع ، فان كان لديهم سند تاريخي ثابت ينقض ما ذكرنا فليقدم للبحث والمناقشة العلمية ، لاننا طلاب حقيقة ولا ندعي ان راينا هو الصواب ان ثبت خلافه .

كما اننا نحترم المرحوم الدكتور جواد ونقدر ما بذله في هذا الباب من جهود ولكن الانسان معرض للوهم والسهو ، كما ان آراءه وآراء غيره من العلماء والباحثين عرضة للنقد والتعديل وقد سبق للدكتور جواد نفسه ان غير رأيه في تعيين مواقع بعض الامكنة التي كان قد عينها سنة ١٩٣٢ وسنة ١٩٣٤ مما يدل على ان آراءه في هذا الشأن ليست نهائية وليست معصومة عن الخطأ وهو حسب الظاهر كان قد غيرها لسبب او اخر وان لم يذكر سبب هذا التغيير هذا واننا لم نقصد في هذا البحث التقليل من اهمية بحوث المرحوم الدكتور جواد او النيل منه شخصيا ، وانما قصدنا منه الحقيقة وتصحيح الاراء التي تتعارض او تتناقض مع النصوص التاريخية التي اوردناها للمؤرخين والبلدانيين الذين عينوا ووصفوا مواقع هذه الاماكن والمحلات .

هذا ونسأله تعالى ان يهدينا ويعيننا الى ما فيه الصواب والله خير معين وهادٍ .

الهوامش

١ - معجم البلدان لياقوت الحموي ص (٢٩٧) الجزء الثالث .
٢ - رحلة ابن بطوطة طبع بيروت سنة ١٩٦٠ ص (٢٢٥) .
٣ - المنتظم لابن الجوزي ص (٢٠٦) الجزء السادس .
٤ - المصدر اعلاه ص (١٧١) الجزء السابع .
٥ - لسان العرب لابن منظور ص(٢٧٢) الجزء الخامس .
٦ - اطلس بغداد للدكتور احمد سوسة ص (٨و٩) .
٧ - المنتظم لابن الجوزي ص (١٧١) ج ٧ .
٨ - المصدر اعلاه ص (٣١) ج ٨ .
٩ - دليل خارطة بغداد حاشية ص (١٤٩) .
١٠ - المنتظم لابن الجوزي ص (١٨٤) الجزء التاسع .
١١ - الحوادث الجامعة المنسوب لابن الفوطي تحقيق الدكتور جواد المطبوع سنة ١٩٣٢ ص (٢٣١) .
١٢ - معجم البلدان لياقوت الحموي ص (٢٩٧) الجزء الثالث .
١٣ - المنتظم لابن الجوزي ص (١٨٤) الجزء التاسع .
١٤ - الكامل لابن الاثير ص (١٨٩) الجزء التاسع .
١٥ - مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ص (٥١٣) القسم الثاني من الجزء الثامن .
١٦ - دليل خارطة بغداد ص (١٨٩) .
١٧ - المصدر اعلاه ص (١٨٣) .
١٨ - الحوادث المنسوب لابن الفوطي تحقيق الدكتور مصطفى جواد ص (٥٣) .
١٩ - المصدر اعلاه ص (٢٣١) .
٢٠ - المنتظم لابن الجوزي ص (١٧١) الجزء السابع .
٢١ - دليل خارطة بغداد حاشية ص (١٤٩) .

٢٢ ـ المنتظم لابن الجوزي ص (١٨٤) الجزء التاسع .
٢٣ ـ المنتظم لابن الجوزي ص (١١٧) الجزء العاشر .
٢٤ ـ المصدر اعلاه ص (٢٤١) الجزء العاشر .
٢٥ ـ لسان العرب لابن منظور ص (٢٢٤ ـ ٢٢٧) الجزء الخامس .
٢٦ ـ المنتظم لابن الجوزي ص (١٨٤) الجزء التاسع .
٢٧ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ص ((١٠٦ و ١٠٧) الجزء الاول .
٢٨ ـ المنتظم لابن الجوزي ص (٣٥) الجزء العاشر .
٢٩ ـ المنتظم لابن الجوزي ص (٦٠) الجزء التاسع .
٣٠ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي ص (٤٠٨) الجزء السابع .
٣١ ـ المصدر اعلاه ص (٢١) الجزء الخامس .
٣٢ ـ رحلة ابن بطوطة طبع بيروت ١٩٦٠ ص (٢٢٥) .
٣٣ ـ المنتظم لابن الجوزي ص (٢٠٦) الجزء السادس .
٣٤ ـ اطلس بغداد للدكتور احمد سوسة ص (٤ و ٥) .
٣٥ ـ المنتظم لابن الجوزي ص (١٣٣) الجزء السابع .
٣٦ ـ المنتظم لابن الجوزي ص (٦٠ و ٦١) الجزء التاسع .
٣٧ ـ كتاب الحوادث لابن الفوطي تحقيق الدكتور مصطفى جواد ص ١٨٦ .
٣٨ ـ المصدر اعلاه ص (٢٤) .
٣٩ ـ المصدر اعلاه حاشية ص (٢٤) .
٤٠ ـ المصدر اعلاه ص (٤٩) .
٤١ ـ كتاب الحوادث المنسوب لابن الفوطي تحقيق الدكتور مصطفى جواد ص (١٠٠) .
٤٢ ـ اطلس بغداد للدكتور احمد سوسة ص (٤ و ٥) .
٤٣ ـ كتاب الحوادث المنسوب لابن الفوطي ص (١٣٠) .
٤٤ ـ مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ص (٦٣٧) الجزء الثامن ـ القسم الثاني .
٤٥ ـ المنتظم لابن الجوزي ص (٦٠) الجزء التاسع .
٤٦ ـ رحلة ابن جبير المطبوعة ببغداد سنة ١٩٣٧ م ص (١٨٢) .
٤٧ ـ الحوادث الجامعة المنسوب لابن الفوطي خطأ تحقيق الدكتور مصطفى جواد سنة ١٩٣٢ ص (١٨٦) .
٤٨ ـ المصدر اعلاه ص (٣٠٤) .
٤٩ ـ تاريخ ابن الساعي تحقيق الدكتور مصطفى جواد نشر سنة ١٩٣٤ ص (٢٧٦) الجزء التاسع
٥٠ ـ المنتظم لابن الجوزي ص (١٣٣) الجزء العاشر .
٥١ ـ الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية لمحمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى طبع المطبعة الرحمانية بمصر ص (٢٣٨) .
٥٢ ـ تلخيص مجمع الاداب من معجم الالقاب لابن الفوطي تحقيق الدكتور مصطفى جواد ـ الجزء الرابع القسم الاول ص (٣٦٧ ـ ٣٦٨) .
٥٣ ـ اطلس بغداد للدكتور احمد سوسة ص (١٠) .
٥٤ ـ دليل خارطة بغداد ص (١٢٢) .
٥٥ ـ المصدر اعلاه ص (١٧٠) الحاشية .
٥٦ ـ اطلس بغداد للدكتور احمد سوسة ص (٤ و ٥) .
٥٨ ـ المنتظم لابن الجوزي ص (١٥٧) الجزء التاسع .
٥٨ ـ دليل خارطة بغداد ص (٣٢٠ ـ ٣٢٣) .
٥٩ ـ نفس المصدر اعلاه ص (٣٠٠) الحاشية .
٦٠ ـ المصدر اعلاه ص (٣٠٠) الحاشية .
٦١ ـ المنتظم لابن الجوزي ص (١٤) الجزء التاسع .
٦٢ ـ نفس المصدر اعلاه ص (١٠١) الجزء التاسع .
٦٣ ـ المنتظم لابن الجوزي ص (٨) الجزء التاسع .
٦٤ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي ص (٢٥) الجزء السابع .
٦٥ ـ المصدر اعلاه ص (٢٥٤) الجزء الرابع .
٦٦ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ص (١٢٣) الجزء الاول .
٦٧ ـ الكامل لابن الاثير ص (٥٦) الجزء الثامن .
٦٨ ـ مروج الذهب للمسعودي ص (١٤٥) الجزء الرابع .
٦٩ ـ تاريخ الطبري ص (٢١٣٤) الجزء الثالث عشر .
٧٠ ـ تاريخ ابن الساعي تحقيق الدكتور مصطفى جواد ص (٢١٥) .
٧١ ـ دليل خارطة بغداد ص (٢٦٠) .
٧٢ ـ الحوادث الجامعة حققه الدكتور جواد ونسبه الى ابن الفوطي ونشره سنة ١٩٣٢ ص (٣٧٣) .
٧٣ ـ المنتظم لابن الجوزي ص (٢٥٤) الجزء الثامن .
٧٤ ـ المصدر اعلاه ص (٣١) الجزء الثامن .
٧٥ ـ كتاب الحوادث المنسوب لابن الفوطي خطأ تحقيق الدكتور مصطفى جواد ص (١١١) .
٧٦ ـ المصدر اعلاه ص (١٨٦) .
٧٧ ـ كتاب الحوادث الذي حققه الدكتور جواد والمطبوع سنة ١٩٣٢ ص (٤٩) .
٧٨ و ٧٩ ـ مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ص (٦٣٧) القسم الثاني من الجزء الثامن .
٨٠ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي ص (٢٧٩) الجزء الثالث .
٨١ ـ المنتظم لابن الجوزي ص (١٤) الجزء العاشر .
٨٢ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي ص (٣٤٨ ـ ٣٥١) الجزء الثاني .
٨٣ ـ المنتظم لابن الجوزي ص (١٤٨) الجزء السابع .
٨٤ ـ مراصد الاطلاع لابن عبدالحق ص (٢٤٨) الجزء الاول .
٨٥ ـ مراصد الاطلاع لابن عبدالحق ص (٢٤٨) الجزء الاول .
٨٦ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي ص (٢٧٩) الجزء الثالث .
٨٧ ـ اطلس بغداد للدكتور احمد سوسة ص (٤ و ٥) .
٨٨ ـ تاريخ ابن الساعي حققه ونشره الدكتور مصطفى جواد سنة ١٩٣٤ م حاشية ص (٩٥) .
٨٩ ـ المنتظم لابن الجوزي ص(١٦٧)الجزء العاشر .
٩٠ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ص (٩٢) الجزء الاول .
٩١ ـ اطلس بغداد للدكتور احمد سوسة ص (٢ و ٣) .
٩٢ ـ تاريخ ابن الساعي تحقيق الدكتور جواد ص (٩٥) الحاشية .
٩٣ ـ المنتظم لابن الجوزي ص (١٦٧) الجزء العاشر .
٩٤ ـ المنتظم لابن الجوزي ص (١٧٩) الجزء التاسع .
٩٥ ـ الحوادث الجامعة المنسوب لابن الفوطي ص (٤) .
٩٦ ـ معجم البلدان للحموي ص (١٩١) الجزء السادس .

٩٧ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي الجزء السادس ص (١١٩) .
٩٨ ـ المصدر اعلاه ص (١٧٩) الجزء الخامس .
٩٩ ـ رحلة ابن جبير ص (١٧٩) .
١٠٠ ـ اطلس بغداد لواضعه الدكتور احمد سوسة ص (٤ و ٥) .
١٠١ ـ نقلا من دليل خارطة بغداد ص (١٤٨) .
١٠٢ ـ تاريخ بغداد للخطيب الجزء الاول ص (١١٥) .
١٠٣ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي الجزء الثاني ص (١٦) .
١٠٤ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي الجزء الثاني ص (١٦) .
١٠٥ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي الجزء الاول ص (٧٥) .
١٠٦ ـ المصدر نفسه الجزء الاول ص (٩٢) .
١٠٧ ـ المصدر اعلاه الجزء الاول ص (١١٥) .
١٠٨ ـ رحلة ابن جبير الاندلسي ص (١٧٩) .
١٠٩ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي الجزء الخامس ص (٢١١) .
١١٠ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي الجزء الاول ص (٨٩) .
١١١ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي الجزء الثالث ص (٢٦٥) .
١١٢ ـ دليل خارطة بغداد ص (١٦٨) .
١١٣ ـ دليل خارطة بغداد ص (١٦٧) .
١١٤ ـ كتاب الحوادث المنسوب لابن الفوطي تحقيق الدكتور مصطفى جواد المطبوع سنة ١٩٣٢ حاشية ص (٢٢) .
١١٥ ـ كتاب الحوادث تحقيق الدكتور مصطفى جواد المنشور سنة ١٩٣٢ ص (٢٣٠ و ٢٣١) .
١١٦ ـ المنتظم لابن الجوزي ص (٦٠ و ٦١) الجزء التاسع .
١١٧ ـ كتاب الحوادث ص (١٨٦) .
١١٨ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي ص (٢١١) الجزء الخامس .
١١٩ ـ كتاب دليل خارطة بغداد للدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسة ص (١٧٥) .
١٢٠ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي ص (٧) الجزء الرابع .
١٢١ ـ نفس المصدر اعلاه ص (١٧٦) الجزء الخامس .
١٢٢ ـ رحلة ابن بطوطة دار صادر ودار بيروت ص (٢٢٥) .
١٢٣ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ص (٩٨) الجزء الاول .
١٢٤ ـ كتاب الحوادث تحقيق الدكتور مصطفى جواد المطبوع سنة ١٩٣٢ ص (٨٢ و ٨٣) .

المصادر

١ ـ تاريخ بغداد للحافظ ابي بكر احمد بن علي الخطيب طبعة مصر سنة ١٩٣١م .
٢ ـ تاريخ الملوك والرسل لابي جعفر محمد بن جرير الطبري طبع انتشارات جيهان ـ طهران .
٣ ـ مروج الذهب لابي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ـ طبع دار صادر ـ بيروت .
٤ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والامم للشيخ الامام ابي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي الجوزي طبعة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٥٩هـ .
٥ ـ مرآة الزمان في تاريخ الاعيان لشمس الدين ابي المظفر يوسف قزا وغلي التركي المعروف بسبط ابن الجوزي الجزء الثامن ـ القسم الاول والثاني طبعة حيدر اباد الدكن سنة ١٣٧١هـ .
٦ ـ الكامل في التاريخ لابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد ابن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الاثير ـ الجزء السادس والسابع والثامن والتاسع .
٧ ـ معجم البلدان لشهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي ثمانية اجزاء طبع مصر سنة ١٣٢٤هـ .
٨ ـ مراصد الاطلاع لصفي الدين عبدالمأمون بن عبدالحق البغدادي جزءان .
٩ ـ تاريخ ابن الساعي الجزء التاسع تحقيق الدكتور مصطفى جواد نشر سنة ١٩٣٤م .
١٠ ـ كتاب الحوادث لمؤلف مجهول تحقيق الدكتور مصطفى جواد نشر سنة ١٩٣٢م .
١١ ـ شذرات الذهب في اخبار من ذهب لعبدالحق العماد الحنبلي نشر مطبعة القدسي بالقاهرة سنة ١٣٥٠هـ .
١٢ ـ الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية لمحمد بن علي ابن طباطبا المعروف بابن الطقطقى طبع مصر سنة ١٣٣٩هـ
١٣ ـ لسان العرب لابن منظور طبع مصر سنة ١٣٠١هـ .
١٤ ـ رحلة ابن جبير نشر المكتبة العربية بغداد سنة ١٩٣٧م .
١٥ ـ رحلة ابن بطوطة طبع دار صادر ببيروت سنة ١٣٧٩هـ .
١٦ ـ تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب لابن الفوطي الجزء الرابع القسم الاول تحقيق الدكتور مصطفى جواد ونشر وزارة الثقافة والارشاد القومي في سوريا سنة ١٩٦٢م .
١٧ ـ اطلس بغداد وضع الدكتور احمد سوسة مطبعة مديرية المساحة العامة ببغداد سنة ١٣٧١هـ سنة ١٩٥٢م .

مسألة في الاستفهام
بـ «أم» و «أو»
لأبي اليمن الكندي البغدادي
٦١٣ هـ

حققها وقدم لها
د. خليل ابراهيم العطية
كلية الاداب ـ جامعة البصرة

بسم الله الرحمن الرحيم

ابو اليمن الكندي البغدادي حياته وآثاره

ابو اليمن تاج الدين زيد بن الحسن الكندي البغدادي المقرىء المحدّث النحوي الأديب ، أحد أحفاد حمير بن ذي رُعين الأصغر .[1]

أصله من جهات الخابور[2] ، وولد في بغداد ، وسأله تلميذه ابن العديم (٦٦٠ هـ) عن مولده فقال : « ـ وكتب له بخطه ـ في سنة عشرين وخمس مئة في شعبانها » .[3]

وحمله والده الى الشيخ أبي محمد المقرىء سبط أبي منصور الخيّاط (٥٤١ هـ)[4] وكان شيخ الاقراء ببغداد في عصره ، فلقّنه القرآن وجوّده عليه ، وقرأ بالروايات وله سبع سنين[5] ، وأتمّ القراءات العشر وهو ابن عَشْرٍ ، ولم يقع مثل هذا لأحد .[6]

ثم أكبّ على العِلم والتحصيل ، فقرأ على شيوخ عصره ـ الآتي ذكر طائفة منهم ـ علوم القرآن والحديث واللغة والنحو حتى برع فيها ، وقال الشعر ، لذلك كان موضع ثناء معاصريه ، وبالغ تقديرهم ، لما هيّأ الله له من الفِطنة ، والعِلم الغزير ، وجمع الى ذلك كله ، حسن الأخلاق ، وتمام الخَلْق والخُلُق والخط الحسن[7] .

وترك بغداد في سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة (٨) وحين علم بوفاة أبيه الذي قصد بيت الله الحرام ـ عاد إليها في سنة اربع واربعين ، وأقام بها مُديدة ، ثم اتجه صوب دمشق .

وفيها تصدر للتدريس والاقراء ، وحظي بالجاه بعد اتصاله بعزالدين أبي سعيد فرّوخ شاه[9] ، أخي صلاح الدين الأيوبي ، واستوزره ، فلما توفي فرّوخ شاه ، اتصل ابو اليمن بأخيه تقي الدين عمر ـ صاحب حماة ـ واختص به[10] .

وتلمذ له الملك المعظم عيسى ، وقرأ عليه الكتاب لسيبويه وشرحه ، والحماسة والايضاح ، وشرح ابن درستويه الكتاب[11] ، وبلغ من أمره أنه كان يأتي إليه ماشياً من القلعة التي أقام فيها والمجلّد تحت أبطه[12] .

وتوفي تاج الدين الكندي في سنة ثلاث عشرة وستة مئة[13] ، في دمشق ، ودفن بقاسيون .

شيوخه :

تلمذ ابو اليمن لطائفة من شيوخ عصره فيهم المقرىء والمحدّث واللغوي والأديب ، ليس بالامكان استقصاؤهم في هذا المختصر ، وكانوا من الكثرة بحيث خرّج له ابن عساكر (٥٧١ هـ) مشيخة في أربعة أجزاء .

وها نحن أولاء نذكر طائفة منهم :

١ - هبة الله بن أحمد ابو القاسم الحريري البغدادي المعروف بابن الطبر المتوفى سنة ٥٣١ هـ ، قرأ عليه ابو اليمن القراءات الست التي جمعها له ابو محمد سبط الخياط في كتابه (الكفاية) ، وهي أعلى ما رواه ، وروى عنه كتباً كثيرة في الأدب وأسمعه الحديث[١٤] .

٢ - محمد بن أحمد بن محمد ابو الحسن الأسدي العكبري المتوفى في سنة ٥٣٥ هـ ، وسمع ابو اليمن منه كتاب (السبعة) لابن مجاهد ، وتفرد بروايتها عنه .[١٥]

٣ - علي بن عبدالسيد بن محمد ابو الحسن الصبّاغ البغدادي(كان حياً في سنة ٥٣٦ هـ)[١٦] .

٤ - ابو القاسم اسماعيل بن أحمد السمرقندي المتوفى (سنة ٥٣٦ هـ)[١٧] ، وروى عنه ابو اليمن - فيما روى - : ما قرب سنده من حديث أبي القاسم السمرقندي ، ومنه نسخة في دار الكتب الظاهرية (المجاميع ١ / ٢٨١) .

٥ - ابو الفضل محمد بن عبدالله بن المهتدي بالله الهاشمي البغدادي الخطيب المقرىء المتوفى سنة ٥٣٧ هـ[١٨] قرأ عليه ابو اليمن بالروايات الخمس التي تلقاها شيخه عن أبي الخطاب (٤٩٧ هـ)[١٩] عن الحمامي البغدادي (٤٩٨ هـ)[٢٠] .

٦ - ابو البركات عبدالوهاب بن المبارك الأنماطي المعروف بابن سُكَينة[٢١] ، وسمع منه الحديث ، قال عنه ابن النجار : « كان من الأعيان النبلاء ، والقُرّاء الفضلاء ، مشهوراً بالديانة وحسن الطريقة ، وقتل غيلة مع المسترشد بالله ٥٢٩ هـ »[٢٢] .

٧ - ابو منصور موهوب بن احمد الجواليقي النحوي اللغوي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ[٢٣]

٨ - ابو السعادات هبة الله بن علي الحسني المعروف بابن الشجري (٥٤٢ هـ) ، وقرأ عليه النحو واللغة .[٢٤]

٩ - ابو الفتح عبدالملك بن أبي القاسم الكروخي (٥٤٨ هـ) وسمع منه الحديث[٢٥]

١٠ - ابو محمد عبدالله بن أحمد الخشّاب (٥٦٧ هـ)[٢٦]

١١ - ابو بكر محمد بن عبدالباقي الأنصاري سمع منه الحديث[٢٧]

١٢ - ابو السعادات المبارك بن الحسين بن عبدالوهاب بن نَغُوبَا (٥٣٩ هـ)[٢٨] وسمع منه الحديث أيضاً .

وهؤلاء هم أشهر شيوخه[٢٩] ، أما تلامذته فمن أشهرهم :

١ - ابو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة المعروف بابن العديم (٦٦٠ هـ) والتقى به سنة ٦٠٣ هـ بدمشق وقرأ عليه المقامات الحريرية وغيرها من كتب الأدب كما أفاد في (تاريخ حلب)[٣٠] والكثير من مسموعاته[٣١] .

٢ - ابو البقاء موفق الدين المعروف بابن يعيش الحلبي ٦٤٣ هـ[٣٢] النحوي المشهور .

٣ - ابو يوسف المتجب بن أبي العز بن رشيد المقرىء النحوي (٦٤٣ هـ)[٣٣] ، ووصفه الذهبي في (معرفة القراء) فقال : « كان رأساً في القراءات والعربية »[٣٤] .

٤ - أحمد بن علي ابو العباس الأزدي المهلبي (٦٤٤ هـ)[٣٥] .

٥ - ابو طالب محمد بن علي المعروف بابن الخيمي الأديب الشاعر (٦٤٢ هـ)[٣٦] .

٦ - ابو الحسن علي بن محمد السخاوي (٦٤٣ هـ) وقرأ عليه في القراءات[٣٧].

٧ - علي بن عدلان ابو الحسن الموصلي النحوي (٦٦٦ هـ)[٣٨] .

٨ - سعيد بن المبارك بن علي الأنصاري المعروف بابن الدّهان (٦٦٩ هـ) النحوي .[٣٩]

٩ - ابو محمد القاسم بن احمد المرسي اللورقي (٦٥١ هـ) العالم النحوي المقرىء ، قرأ على التاج الكندي ، وسمع منه أكثر مسموعاته .[٤٠]

وغيرهم : كأبي حفص عمر بن ابراهيم العقيمي الأديب (٤١) ومحمد بن عبدالله المرسي النحوي المفسر المحدّث[٤٢] الى غير هؤلاء .

آثــاره

صنّف تاج الدين جملة من المصنفات ، دالة على فضله ، سنوردها على وفق حروف الهجاء :

١ ـ « إتحاف الزائر وإطراف المسافر » ذكره الحاج خليفة في كشف الظنون ١ / ٦ .

٢ ـ « نتف اللحية من ابن دحية » ذكر في ارشاد الأريب ٤ / ٢٢٣ والوافي ٦ / ١٥ ص ٥١ وكشف الظنون ٢ / ١٠٧٠ و ١٩٢٥ ردّ فيه الكندي على ابن دحية الكلبي في كتابه الذي سمّاه « الصارم الهندي في الرد على الكندي » .

٣ ـ « حواشٍ على ديوان خطب ابن نباتة »

ذكر في : إرشاد الأديب ٤/ ٢٢٣ والوافي ٦ / ١٥ ص ٥٢ وبغية الوعاة ٢٤٩ وكشف الظنون ١ / ٧١٤ .

٤ ـ « الجواب عن المسألة الواردة في الفرق بين طلقتك إن دخلت الدار ، وإن دخلت الدار طلقتك » وهو مسألة نحوية فقهية .

ذكر في : ارشاد الاريب ٤ / ٢٢٣ والوافي ٦ / ١٥ ص ٥٣ .

٥ ـ ديوان شعر كبير وقف عليه ابو القاسم عبدالرحمن المقدسي المعروف بأبي شامة (٦٦٥ هـ) وذكره في ذيل الروضتين ٩٧ وما بعدها .

قلت : وقد جمع الفاضلان د . سامي العاني وهلال ناجي شعر أبي اليمن في كتابهما المطبوع في بغداد ١٩٧٧ م الملمع إليه .

٦ ـ رسائل الكندي : ورد ذكرها في مقامات الوهراني ص ٢٢٤ كما أفاد الاستاذان : العاني وناجي .

٧ ـ شعر عمر بن شاهنشاه : ذكره العماد الاصبهاني في فريدته ٣ / ٨١ .

٨ ـ الصفوة : وهو حواشٍ على ديوان أبي الطيب المتنبي . يتضمن « لغة وإعراباً ومعاني ونكتاً وفوائد » ذكره الصفدي في الوافي ٦ / ١٥ ص ٥٢ وياقوت في إرشاده ٤ / ٢٢٣ وسمّاه : « تعليقات على ديوان المتنبي » وسمّاه السيوطي في البغية ٢٤٩ : « حواشٍ على ديوان المتنبي » .

قلت : ومنه اقتباس في شرح أبيات المغني لعبدالقادر البغدادي : ٢ / ٢٠٦ .

٩ ـ مسائل الكندي : ومنه نسخة منقولة من خط المصنف في مكتبة أسعد أفندي في استنبول وهو الكتاب الذي ننشر احدى مسائله اليوم أول مرة .

١٠ ـ مشيخة الكندي على ترتيب حروف المعجم .

في أربعة اجزاء خرّجها له ابن عساكر (٥٧١ هـ) والقفطي (٦٨١ هـ) .

ذكر في : إنباه الرواة ٢ / ١٠ وأرشاد الاريب ، / ٤٨٤ وبغية الوعاة ٢٤٩ وكشف الظنون ٢ / ١٦٩٧ .

الاستفهام بام واو

الاستفهام : طلب الفهم لأمر غاب عن الذهن ، أو لزيادة التحقق عن شأن من شؤون الحياة ، أو حكم قائم على النسبة كان السائل فيه شاكّاً ، أو به ظنين .

وله أدوات ، حرفان : الهمزة وهل . وأسماء مثل : كم ، وما ، ومن ، وكيف ، وأنى ، وأي ، وأيان .

والهمزة ـ أمّ الباب ـ لأنها أصل الاستفهام[٣] لذلك خُصّت بأحكام عدّة ، وبمعانٍ تخرج فيها عن الاستفهام الحقيقي لا مجال للخوض فيها .[٤]

وتخرج (هل) عن الاستفهام خروج (الهمزة) عنه[٥] . بيد أن (الهمزة) تفردت بجملة من الأمور منها[٦] :

١ ـ طلب التصور من نحو قولك : أزيد في الدار أم عمرو ؟ فاقتضت التعادل بـ (أم) ، و (هل) لا يطلب بها كذلك ، لعدم حاجة السائل فيه الى تعيُّن أحد الأمرين .

٢ ـ ورودها للانكار والتوبيخ والتعجب بخلاف (هل) خلافاً لأبي اليمن .

٣ ـ ان الهمزة لا تعادل بعد (أم) فيجوز ان تعادل والا تعادل ، وقد اجتمع الأمران في قوله تعالى : « قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور ، أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه »[٧]

ومهما من الأمور التي ألمعنا الى ذكرها ، معادلة (هل) بـ

(أم) في الاستفهام ، لأنها مدار حديث أبي اليمن الكندي في مسألته التي ننشرها .

ثمة شبه بين (أم) المعادلة و (أو) يقوى في بعض المواضع ، ويضعف في بعضها كما أشار ابو اليمن . أما (أم) فترد في حالتين :

أحداهما : للاستفهام[٢٨] حين تكون بمعنى (أي) عند وقوعها معادلة للهمزة في نحو : أأكرمتَ محمداً أم وبّخته ؟ وليس الجواب بـ : لا ، وليس هو بـ : نَعَم « لأنَّ المتكلم مُدّعٍ انّ أحد الأمرين قد وقعَ لا يدري ايها هو[٢٩] ، لاستواء العلم بهما عنده »، وهو بحاجة الى ترجيح أحدهما .

والأخرى : أن تكون منقطعة مما قبلها في الخبر والاستفهام نحو : أمحمد عندك أم خالدٌ ؟

والسائل في أمثال هذا التركيب ظن الأول موجوداً ، ثم أدركه الظن أنه الثاني ، فقال ما قال مستفهماً فأضرب بـ (بل)[٣٠] ، وما هو بإضراب ، لأنَّ ما بعد (بل) دال على يقين ، وما وقع بعد (أم) مظنون به .

أما (أو) فيستفهم بها عن المفعول نحو قولهم : من يحدثك أو يكرمك ؟ ويكون الجواب : فلان وهو الاسم المفعول[٣١] .

كما تقول : هل عندك مجلة أو كتاب ؟ وهل تأتينا أو تحدثنا ؟ ولا يجوز استعمال (أم) بخلاف (هل) مع الهمزة ، لأن بعد (هل) لا يكون تقريراً ولا توبيخاً على حدّ رأي أبي سعيد السيرافيّ (٣٦٨ هـ) شارح (الكتاب)[٣٢] وهو مؤدى قول سيبويه خلافاً لرأي أبي اليمن الكندي ـ في هذه المسألة ـ الذي رأى مشاركة (هل) الهمزة في التقرير والتوبيخ عند الوقوف على قوله تعالى : « هل يسمعونكم إذ تدعون . أو ينفعونكم أو يضرون » في حين عدّ سيبويه الآية من نحو قولهم : « ما أدري هل تأتينا أو تحدثنا ؟ » كأنَّ السائل أدخل (هل) ها هنا لأنه أراد : أعلمني . .[٣٣]

ولا تخرج مسألة أبي اليمن عما ألممنا به من قبل . فقد ألمع في مبتدأها الى الشبه بين (أو) و (أم) ، وكون الرابط بينهما أمراً عاماً هو أن لا تعادل بـ (أو) على معنى أحد ، كما أنَّ (أم) لا يعادل بها الا الهمزة على معنى (أي) ، وقد يستوي الحال فيهما في بعض المواضع ، فتكون كلّ واحدة شبه أختها .

واقتبس من (كتاب) سيبويه نصاً جعله مدار حديثه ، وانتقل الى « أو » فأبان عن دلالتها على (المعادلة) .

وساق قول أبي القاسم الحريري في مقامته الثانية : « لمن هذا البيت ؟ وهل حيٌّ قائله ام ميت ؟ » للتدليل على جواز أن تقع فيه (أو) موقع (أم) ، لأنَّ السائل لا يطلب من المسؤول إجابته : بنَعَم ، وانما طلب التعيين ، ثم سرد العِلّة .

وانتقل الى (الهمزة) مع (أو) في قول السائل : أحيٌّ قائله أو ميت ؟ وخلص الى تعذر الاجابة بـ (لا) « لأنه لا يمكن نفي الحياة والموت معاً » على حدّ قوله ، واستعان برأي أبي الحسن الرماني (٣٨٤ هـ) في (شرح الكتاب) في السؤال بـ (هل) و (الهمزة) والتزامه التعيين في الاعتراف والقول : لا أدري عند الانكار .

وحين استوفى ذلك ـ أو كاد ـ اقتبس مسألة من باب (التطوع بما لا يلزم) من كتاب (الخصائص) لابن جني (٣٩٢ هـ) الذي ساق فيه إحدى مسائل أبي علي في (الايضاح) وكيف يكون جواب القائل : « آلحسن أو الحسين أم ابن الحنفية ؟ »

وقبل أن نتبين رأي ابي اليمن في هذه المسألة ، نود أن نوضح معنى « التطوع » بعد العودة الى « الخصائص » ومنه نعلم أنه : التزام الشاعر « ما لا يجب عليه ، ليدلّ بذلك على غُزْرة وسعة ما عنده »[٣٤] نحو التزامه التصغير في قوافيه ، أو اللام المشددة في قصيدته ، او انتهاء مصراع كلّ بيت من أبياتها بلام التعريف ، مما يدلُّ على « قوة الشاعر ، وشرف صناعته . . وإنما قاده إليه علوّ طبقته . . » .[٣٥]

ولئن أورد ابن جنى في الاجابة عن السؤال الملمح إليه جوابات عدّة ، وقلب الأمر على وجوه مختلفة ، فإن ابا اليمن رجح « حسن التطوع بالتعيين لازالة الابهام وللحرص على البيان » .

وهو ما خلص إليه ابن جني بقوله : « فإن قال : الحسن أو قال : ابن الحنفية ناصاً على أحدهما معيّناً فهو جوابٌ متطوعٌ فيه » .

تومىء المسألة التي ننشرها ، الى جانب من روافد الثقافة عند أبي اليمن في الجانب اللغوي ، بالاشارة الى جملة من مصادر اللغة التي كانت موضع عنايته في الدرس والتحصيل والاقراء

الاكابر وتياميا لا لطالة ه والحمد لله وحده وصلواته على نبيه محمد وآله

مسألة من كلامه أيضا في الاستفهام

بأم وأو نقلتها من خطه أيضا الذي لا ارتاب به

قال الشيخ رضي الله عنه كلام في الاستفهام بأم وأو مع هل سلبت عنه
اعلم أن بين أو وأم مشابهة وتلك المشابهة قد تقوى في بعض المواضع وتضعف
في بعضها والأصل فيهما على الأمر العام أن هل لا تعادل بأو على معنى أحد كما أن أم
لا يعادل بها إلا الهمزة على معنى أي فلجد مشارك لأي إلا أن أيا تدل على أحد
قد انعقد له المعنى وليس كذلك أحد على الإطلاق وقد تستحيل الحال في بعض المواضع فيهما
فيكون كل واحدة منهما كالأخرى ذكر ذلك سيبويه في باب أو مع ألف الاستفهام قال
وإذا قال أتجلس أم تذهب فأم وأو فيه سواء لأنك لا تستطيع أن تفصل علامة
المضمر فتجعل لا وجه لا سوى حال أم انتهى كلامه المعنى أنه يستوي في هذا أم وأو
ولا يستوي مع ذكر المفعولات لأن المضمر لما لم ينفصل لم يحتمل تقديما
وتأخيرا كما يحتمله المنفصل وكذا الحال كل متقاربين فإنه قد يشتد القرب
بينهما حتى يتفقا في بعض الأحكام وقد يتباعد في بعض حتى يتضح الفرق
بينهما وهذا المعنى موجود في أم وأو مع هل وإن كانت أم للانقطاع عن الأول
والغاية إما بتقدير نسيان وإما غلط وأو للمعادلة إلا أنه قد ينفرد بعض
المسائل بأوصاف ومعان لا يشارك فيها فمن ذلك قول الحريري في المقامة
الثانية لمن هذا البيت وهل حي قائله أم ميت تجوز أن تقع فيها أو موقع أم
لانفراد الجملة عن أمثالها من الجمل الواقعة خبرا أو استفهاما عن اسمين

أو فعلين نفصل بينهما الضمير وتختلف الكينونة بهما لأنها مختصة بوصفين
لواحد على سبيل البدل فهما ضدان لا بد له من الاتصاف بأحدهما وحقيقتها
معلومة عند السائل والمسؤول وذلك أن السائل في هذه المسألة لا يطلب من
المسؤول أن يجيبه بنعم التي هي حتى أحد لأنه يشاركه في علم ذلك ولا يمكن أن
يجاب بلا لأنها تؤدي إلى المحال وإنما يطلب إعلامه بما ليس عنده ليحصل له فائدة
السؤال وهي التعيين فهذه المسألة لانفرادها بهذه المزية عن غيرها من مسائل
هل يجوز أن تقع فيها أو مع أم وهي شبيهة بمسألة سيبويه من طريق المعنى
ووجه الشبه بينهما أنك هناك لا تستطيع أن تفصل علامة المضمر ولا
أن تأتي بمفعول تحتمل تقديماً وتأخيراً وعدم الاستطاعة موجودها هنا
أيضاً لأن المسؤول عنه وصفان لواحد محصور فيهما لا يجوز أن يقعا معاً ولا أن
يرتفعا معاً ولا أن ينفرد بحالم كونهما مسؤول عن مسائل فلهذا فارقت أمثالها من
الجمل وهكذا الحال للهمزة مع أو في هذه المسألة خاصة إذا قال السائل أحي قائله أو
ميت لأنه إن قال نعم فما زاد السائل على ما يعلمه شيئاً وإن قال لا فقد ادعى
المستحيل لأنه لا يمكن نفي الحياة والموت معاً وهذا السؤال بهل والهمزة صحيح
فينبغي أن يكون له جواب مفيد وذلك أنه إن اعترف فإنه يلزمه التعيين
وإن أنكر فلا يقع هاهنا لا ولكن يقول لا أدري وهذا مما أشار إليه علي بن عيسى الرماني
في شرح كتاب سيبويه على أن الهمزة مع أو في غير هذه المسألة يجوز في جوابها نعم
ولا فأما في الصورة المذكورة فلا يجوز [illegible] لانفرادها بالحصر في الوصفين المذكورين المجاز
أن [illegible] الهمزة وذلك مع أو من كل وجه وقد ذهب كثير من [illegible] في قوله

منها (كتاب) سيبويه الذي اقتبس جزءاً من أحد أبوابه ، لتعضيد رأيه في مسألة الاستفهام هذه ، ولم يكن (الكتاب) بالغريب على تاج الدين ، فقد أقرأه هو وجملة من شروحه للملك المعظم عيسى ـ كما مرّ إيراده ـ ويضاف إليها (شرح الكتاب) لأبي الحسن الرمانيّ ، كما يستبان في ثنايا المسألة .

ولا غرابة أن يقول ابن النجار في ابي اليمن : « كان أعلم زمانه بالنحو . . أظنه يحفظ كتاب سيبويه ، ما دخلت عليه قط الا وهو في يده يطالع فيه ، وهو في مجلد واحد بخط رفيع ، والشيخ يقرؤه بلا كلفة وقد بلغ التسعين »[٦]

وما يقال عن (الكتاب) واحتفاله به ، يقال عن كتب أبي علي (٣٧٧ هـ) بخاصة (الايضاح) .

أما مقامات الحريري ـ التي اقتبس منها ابو اليمن في مسألته ـ فقد جلس لاقرائها لطلبته ، وفيهم ابن العديم كما في (تاريخ حلب) .[٧]

وبعد :

فإن المسألة التي ننشرها لأبي اليمن دالة على ما اتصف به من علم في النحو ، ويكفي أنه تلمذ لجلّة من العلماء فيهم : ابن الشجري (٥٤٢ هـ) الذي أقرأ النحو سبعين سنة[٨] وشيخه ابو محمد الخشاب (٥٦٧ هـ) الذي كان « أعلم أهل زمانه بالنحو »[٩] الى جانب العلماء الأفذاذ الذين ألمعنا إليهم من قبل .

تعريف بالمخطوط :

يقع الاصل المخطوط الذي ننشر اليوم إحدى مسائله في ١١٠ صفحة ، محفوظ في مكتبة أسعد أفندي تحت رقم (٢٨٩١) ، ناسخه : محمد بن الحسن بن عبدالقاهر الشهرزوريّ الذي فرغ من نسخه غرّة محرم الحرام من سنة ثمانين وألف للهجرة عن نسخة المصنّف .

وقد عمدت الى أصل المسألة فنسخته ، وخرّجت مسائلها على وفق الجهد ، في مكان عَزّت فيه المطبوعات العربية ، وقدّمت لها بإلمامة يسيرة عن تاج الدين ذاكراً أهم شيوخه وتلامذته ، واليسير عن الاستفهام .

إن دافع الوفاء يلزمني تقديم الشكر لأخي جليل العطية الذي يسر لي أمر المصور ، وأعانني في التقديم والتحقيق ، جزاه الله كلّ خير .

والحمد لله أولاً وأخيراً

الهوامش

(١) انظر في ترجمته :
ارشاد الأريب ٤ / ٢٢٢ والكامل ١٢ / ٣١٥ وإنباه الرواة ٢ / ١٠ ووفيات الأعيان ٢ / ٣٣٩ والوافي بالوفيات ٦ / ١٥ ص ٥٠ وتاريخ حلب (مخطوط) : ٣ ق ٩٠ ـ ١٠٥ ومرآة الجنان ٤ / ٢٥ والبلغة ٨٢ وما بعدها ومعرفة القراء الكبار ٢ / ٥٨٦ وغاية النهاية ١ / ٢٩٧ والنجوم الزاهرة ٦ / ٢١٦ والبغية ٢٤٩ وشذرات الذهب ٥ / ٥٤ والفلاكة ١٢١ والاعلام (ط ٤) ٣ / ٥٨ وابو اليمن الكندي حياته وما تبقى من شعره للاستاذين سامي العاني وهلال ناجي بغداد ١٩٧٧ م .

(٢) ارشاد الأريب ٥ / ١٠٥ في ترجمة ابن عمه علي بن ثروان الكندي (بعد ٥٦٥ هـ) .

(٣) تاريخ حلب (مصورة جامعة قسنطينة) : ٣ ق ٩٢ آ .

(٤) تنظر ترجمته في : غاية النهاية ١ / ٤٣٤ .

(٥) تاريخ حلب ٣ / ٩٢ آ ومعرفة القراء ٢ / ٥٨٦ وغاية النهاية ١ / ٢٩٧ والوافي ٦ / ١٥ ص ٥١ .

(٦) معرفة القراء الكبار ٢ / ٥٨٧ .

(٧) تاريخ حلب : ٣ / ق ٩٢ ب .

(٨) المصدر نفسه .

(٩ / وتوفي سنة ٥٧٨ هـ وانظر عنه : مرآة الزمان ٣٧٢ ووفيات الأعيان ٢ / ٤٥٢ وما بعدها والخريدة / قسم الشام ١١٣ .

(١٠) وتوفى تقي الدين سنة ٥٨٧ هـ وانظر : تاريخ حلب ٣ / ٩٣ آ والوافي ٦ / ١٥ ص ٥١ .

(١١) ارشاد الأريب ٤ / ٢٢٣ .

(١٢) الوافي ١٦ / ١٥ ص ٥٢ .

(١٣) أجمعت المصادر المذكورة في (الهامش الأول) من هذا التقديم أنها كذلك ، وفي الجواهر المضية ١ / ٢٤٦ أنها ٥٩٧ هـ .

(١٤) ينظر في ذلك :
تاريخ حلب ٣ / ٩٢ ب ومعرفة القراء ١ / ٤٣٠ وغاية النهاية ٢ / ٣٤٩ والوافي ٦ / ١٥ ص ٥١ .

(١٥) غاية النهاية ٢ / ٨٤ .

(١٦) نفسه ١ / ٥٤٩ .
(١٧) الوافي بالوفيات ٦ / ١٥ ص ٥١ .
(١٨) غاية النهاية ١ / ٢٩٧ وانظر في ترجمته ٢ / ١٧٦ منه .
(١٩) تنظر ترجمته غاية النهاية ١ / ٥٤٨ .
(٢٠) وانظر عنه غاية النهاية ٢ / ٢١٤ .
(٢١) تاريخ حلب : ٣ ق ٩٢ ب .
(٢٢) غاية النهاية ٢ / ٢١٤ .
(٢٣) تاريخ حلب ٣ ق ٩٢ ب وبغية الوعاة ٤٠١ .
(٢٤) نزهة الألباء ٢٩٩ وإنباه الرواة ٣ / ٣٥٦ وارشاد الأريب ٧ / ٢٤٧ وما بعدها .
(٢٥) تاريخ حلب ٣ ق ٩٢ آ وانظر ترجمته في معجم البلدان (واسط) ٤ / ٤٥٨ .
(٢٦) ارشاد الأريب ٤ / ٢٨٦ - ٢٨٨ والبغية ٢٧٦ وما بعدها .
(٢٧) تاريخ حلب ٣ / ق ٩٢ ب ومعرفة القراء ٢ / ٥٨٧ والوافي ٦ / ١٥ ص٥١ .
(٢٨) تاريخ حلب : ٣ ق ٩٢ ب وفي الوافي ٦ / ١٥ ص ٥١ بالعين المهملة تصحيف وانظر معجم البلدان (نغونا) ٥ / ٢٩٥ .
(٢٩) وفي تاريخ حلب والوافي بالوفيات وكتاب (ابو اليمن الكندي وما تبقى من شعره) للفاضلين د . سامي العاني وهلال ناجي فضل بيان .
(٣٠) ج ٣ ق ٩٤ آ .
(٣١) إرشاد الأريب ٦ / ٣٨ .
(٣٢) بغية الوعاة ٤١٩ .
(٣٣) بغية الوعاة ٣٩٧ وغاية النهاية ٢ / ٣١٠ .
(٣٤) معرفة القراء الكبار ٢ / ٦٣٧ .
(٣٥) بغية الوعاة ١٥١ .
(٣٦) نفسه ٧٨ .
(٣٧) ارشاد الأريب ٥ / ٤١٤ ومعرفة القراء ٢ / ٦٣٢ والبلغة ١٦٧ .
(٣٨) بغية الوعاة ٣٤٣ وانظر ترجمته في غاية النهاية ٢ / ٧٠ .
(٣٩) إنباه الرواة ٢ / ٤٧ وارشاد الأريب ٤ / ٢٤١ والبلغة ٨٥ .
(٤٠) بغية الوعاة ٣٧٥ .
(٤١) بغية الوعاة ٧٨ .
(٤٢) ارشاد الأريب ٧ / ١٧ وبغية الوعاة ٦٠ وما بعدها .
(٤٣) المقتضب ٢ / ٣٦٢ .
(٤٤) مغني اللبيب ٢ / ٧ - ١٠ ، ١٠ - ١٣ .
(٤٥) الجنى الداني ٣٤٣ - ٣٤٦ .
(٤٦) ينظر : الجنى الداني ٣٤٢ .
(٤٧) سورة الرعد ١٣ / ١٦ .
(٤٨) الكتاب ٣ / ١٦٩ والمقتضب ٣ / ٢٨٦ .
(٤٩) المقتضب ٣ / ٢٨٦ .
(٥٠) الكتاب ٣ / ١٧٢ والمقتضب ٣ / ٢٨٩ والجنى الداني ٢٠٥ .
(٥١) الكتاب ٣ / ١٧٥ .
(٥٢) الكتاب ٣ / ١٧٥ (ينظر الهامش) .
(٥٣) الكتاب ٣ / ١٧٥ وانظر المقتضب ٢ / ٢٩ .
(٥٤) الخصائص ٢ / ٢٣٤ .
(٥٥) نفسه ٢ / ٢٥٥ .
(٥٦) الفلاكة ١٢١ .
(٥٧) تاريخ حلب : ٣ / ق ٩٤ آ .
(٥٨) بغية الوعاة : ٤٠٧ .
(٥٩) نفسه : ٢٧٦ .

مسألة من كلام أيضاً في الاستفهام بأم وأو نقلتها من خطه الذي لا ارتاب به :

قال الشيخ (ابو اليمن الكندي)[1] رضي الله عنه :
كلامٌ في الاستفهام بـ (أم) و (أو) مع (هل) سُئلتُ عنه :

اعلم : أنّ بين (أو) و (أم) مشابهةً ، وتلك المشابهة قد تقوى في بعض المواضع ، وتضعف في بعضها .

والأصل فيهما على الأمر العام : أنّ (هل) لا تُعادَل بـ (أو) على معنى أحد ، كما أنّ (أم) لا يُعادل بها إلا الهمزة على معنى (أي) .

فأحَدٌ مُشارِكٌ لـ (أي) إلا أنّ أياً تدلُّ على أحَدٍ قد انعقدَ له المعنى ، وليس كذلك أحدٌ على الاطلاق .

وقد استوى الحال في بعض المواضع فيهما ، فتكون[2] كلُّ واحدة منها كالأُخرى .

ذكر ذلك سيبويه في باب « أو مع ألف الاستفهام »[3] قال[4] : « وإذا قال : أتجلسُ أم تذهب ، فأم وأو فيه سواءٌ ، لأنّك لا تستطيع أنْ تفصل علامة المُضمر ، فتجعل لأو حالاً سوى حال أم » انتهى كلامه .

المعنى : أنه يستوي في هذا (أم) و (أو) ، ولا يستوي مع ذكر المفعولات ، لأنّ المُضمَر لمّا لم يَنْفَصِل ، لم يحتمل تقديماً وتأخيراً كما يحتمله المُنْفصل ، وكذا حال كلّ مُتقاربين ، فإنّه قد يشتدُّ القُربُ بينهما حتى يتفقا في بعض الأحكام ، وقد يتباعد في بعضٍ حتى يَتّضِحَ الفَرْق بينهما .

وهذا المعنى موجودٌ في (أم) و (أو) مع (هل) ، وإن كانت (أم) للانقطاع عن الأول والغاية ، إمّا بتقدير نسيان ، وأمّا غلطٍ .

و (أو) للمعادلة ، إلا أنّه قد يتفرد (في)[5] بعض المسائل بأوصافٍ ، ومعانٍ لا يُشارَك فيها .

فمن ذلك قول الحريريّ[6] في (المقامة الثانية)[7] : « لمن هذا البيت ؟ وهل حيٌّ قائِله أم ميت ؟ »[8]

يجوز أن تقع فيه (أو) موقع (أم) لانفراد هذه الجملة عن أمثالها من الجمل الواقعة خبراً أو استفهاماً عن اسمين (٩٠) أو فعلين ينفصل بينهما الضمير ، وتختلف الكينونة بهما ، لأنّها مُختصة بوصفين لواحدٍ على سبيل البدل ، وهما ضِدّان لا بدّ له من الاتّصاف بأحدهما ، وحقيقتها معلومة عند السائل والمسؤول .

وذلك أنّ السائل في هذه المسألة لا يطلب من المسؤول أن يجيبه : بنَعَم ـ التي هي بمعنى أحد ـ لأنه يُشاركه في عِلم ذلك ، ولا يمكن أن يُجاب : بلا ـ لأنّها تُؤدّي الى المُحال[9] وإنما يطلب إعلامه بما ليس عنده ، لتحصل له فائدة السؤال ، وهي التعيين[10] .

فهذه المسألة لانفرادها بهذه المزيّة عن غيرها من مسائل : هل يجوز أن تقع[11] فيها (أو) مع (أم) ، وهي شبيهة بمسألةِ سيبويه[12] من طريق المعنى .

ووجه الشبه بينهما : أنك هناك لا تستطيع أن تفصل علامة المُضمر ، ولا أنْ تأتي بمفعول يحتمل تقديماً أو تأخيراً ، وعدم الاستطاعة موجود ها هنا أيضاً ، لأنّ المسؤول عنه : وصفان لواحدٍ محصورٍ فيهما ، ولا يجوز أن يقعا معاً ، ولا ان يَرْتفعا معاً ، ولا أنْ يَنْفرد[13] بعلم كونهما : مسؤول عن مُسائِل ، فلهذا فارقت أمثالها من الجُمَل .

وهكذا حال (الهمزة) مع (أو) في هذه المسألة خاصةً .

إذا قال السائل : أحيٌّ قائله أو ميتٌ ؟ لأنه إن قال : نعم ! ، فما زادَ السائل على ما يعلمه شيئاً .

وإن قال : لا ! فقد ادّعى المستحيل ، لأنه لا يُمكن نفيُ الحياة والموت معاً .

وهذا السؤال بـ (هل) و (الهمزة) صحيحٌ ، فينبغي أن يكون له جواب مفيدٌ ، وذلك أنّه إنْ اعترف ، فإنّه يلزمه التعيين ، وإن أنكر فلا يقعُ ها هنا : لا ، ولكن يقول : لا أدري ، وهذا مما أشار إليه عليّ بن عيسى الرّمانيّ[14] في (شرح كتاب سيبويه) .

على أنّ (الهمزة) مع (أو) في غير هذه المسألة يجوز في جوابها : نَعَم ، ولا .

فأمّا في هذه الصورة المذكورة فلا يجوز ، لانفرادها[15] بالحَصْر في الوصفين المذكورين ، لما جاز أن تتفق الحال بين (الهمزة) و (هل) مع (أو) من كلِّ وجهٍ .

وقد ذهب كثيرمن العلماء[16] في قوله (٩٠) تعالى : « هل يَسْمعُونكم إذ تَدْعون . أو يَنْفَعُونكم او يَضُرُّون »[17] إلى أنّ (هل) تُشارك الهمزة في معنى التقرير والتوبيخ .

إلاّ أنّي رأيتُ أبا عليّ[18] ـ رحمه الله ـ قد أبى ذلك .

وذكر ابو الفتح عُثمان بن جني[19] في باب (التطوع بما لا يلزم)[20] من كتابه (الخصائص) مسألة أبي عليّ في الايضاح[21] : « آلحَسَن او الحُسين أفضلُ أم ابنُ الحَنَفيّة ؟ » .

فإن قال : الحَسَن أو الحُسين ، فذلك تطوعٌ منه » .

قلتُ : لمّا كانَ في الجواب بأحدٍ إبهامٌ على السائل حَسُن التطوّع بالتعيين لازالة الابهام ، وللحرص على البيان .

هذا إذا لم تنطو المسألة على المعنى الذي انفردت به المسألة المذكورة ، فأمّا وهي منطوية عليه ، فإنّ التطوع يصير لازماً ، بعد أن كان غير لازم .

وعِلّة ذلك كلّه تحصيل فائدة الجواب ، وفي الجمع والفرق في هذه المسألة دِقّةٌ إلاّ على من دقّ نظرُهُ وفكره في هذا العِلم .

وفيما ذكرناه كفاية للمتأمل .

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله الكرام

هوامش النص

(١) مزيدة للايضاح .

(٢) في الاصل : فيكون .

(٣) الكتاب : ٣ / ١٧٩ ـ ١٨٣ .

(٤) نفسه ٣ / ١٨٣ .

(٥) ساقطة من الاصل .

(٦) ابو محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري المتوفى في البصرة ٥١٦ هـ انظر عنه : نزهة الالباء ٢٧٨ وإنباه الرواة ٣ / ٢٧ .

(٧) وهي المسماة بالحلوانية انظر مقامات الحريري : ١٧ ـ ٢٥ .

(٨) المقامات ٢١ وفيها : وسئل لمن هذا . .

(٩) قلت لأن (أم) فيها متصلة تقتضي الجواب بالتعيين ، لأنها سؤال عنه ، وهو مؤدى كلام أبي اليمن وأنظر في ذلك الأمالي الشجرية ٢ / ٣٣٦ ومغني اللبيب ١ / ٤٢ .

(١٠) في الأصل : التعين بياء واحدة .

(١١) لم تعجم التاء في الأصل .

(١٢) وهي المسألة التي ألمع الى ذكرها ابو اليمن من قبل .

(١٣) لم تعجم الياء في الأصل .

(١٤) ابو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي ولد سنة ست وسبعين ومئتين وتلمذ للزجاج وابن السراج وابن دريد ، وكان يمزج النحو بالمنطق توفي سنة اربع وثمانين وثلاث مئة انظر عنه بغية الوعاة ٣٤٤ وكتابه الملمع إليه في شرح الكتاب ما زال مخطوطاً في مكتبة فيض الله بتركية ، ونشر الدكتور مازن المبارك قطعة منه صحبة رسالته للدكتوراه (الرماني النحوي) المنشورة بدمشق .

(١٥) في الاصل : ولانفرادها تحريف .

(١٦) انظر على سبيل المثال : جامع البيان للطبري ١٩ / ٨٣ وما بعدها ، والكشاف للزمخشري ٣ / ١١٦ .

(١٧) سورة الشعراء ٢٦ / ٧٢ ـ ٧٣ .

(١٨) هو الحسن بن أحمد بن عبدالغفار المتوفى سنة ٣٧٧ هـ في بغداد انظر عنه : إنباه الرواة ١ / ٢٧٣ ـ ٢٧٥ (وانظر هامشه) .

(١٩)المتوفى سنة (٣٩٢ هـ)

(٢٠) الخصائص ٢ / ٢٣٤ ـ ٢٨٤

(٢١) ذكر المسألة ابن جني في خصائصه ٢ / ٢٦٢ وابن الشجري في أماليه ٢ / ٣٣٦ وما بعدها ، وابن هشام في مغني اللبيب ١ / ٤٢ وما بعدها وفيه : « ويجاب عندنا بقولك : أحدهما ، وعند الكيسانية بابن الحنفية ، ولا يجوز أن تجيب بقولك الحسن أو بقولك : الحسين . . فكأنه قال : أأحدهما أفضل أم ابن الحنفية ؟ » .

مصادر التقديم والتحقيق ومراجعهما

١ ـ ابو اليمن الكندي البغدادي وما تبقى من شعره : د . سامي العاني والاستاذ هلال ناجي بغداد ١٩٧٧ .

٢ ـ إرشاد الأريب الى معرفة الأديب لياقوت الحموي نشرة مرغليوث مصر ١٩٠٧ م ـ ١٩٢٦ م .

٣ ـ الأعلام ـ لخيرالدين الزركلي ط ٤ ١٩٧٥ بيروت .

٤ ـ الأمالي الشجرية لابن الشجري حيدر آباد الدكن الهند ١٣٤٩ هـ .

٥ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي تحـ محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٠ ـ ١٩٥٥ م .

٦ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي الطبعة المصورة بيروت (بلا تاريخ) .

٧ ـ البلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروز آبادي تحـ محمد المصري دمشق ١٩٧٢ م .

٨ ـ تاريخ حلب ـ لابن العديم مخطوطة مصورة في مكتبة جامعة قسنطينة (الجزائر) .

٩ ـ جامع البيان عن تأويل القرآن : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ط ٢ مصر ١٣٧٢ هـ .

١٠ ـ الجنى الداني في حروف المعاني ـ لابن أم قاسم المرادي تحـ د . فخرالدين قباوة .

١١ ـ الخصائص لابن جني تحـ د . محمد علي النجار دار الكتب المصرية ١٩٥٢ ـ ١٩٥٦ .
١٢ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي .
١٣ ـ شرح أبيات المغنى ـ لعبدالقادر البغدادي تحـ ـ رباح ودقاق دمشق ١٩٨١ م .
١٤ ـ غاية النهاية في طبقات القراء تحـ برغشتراسر مصر ١٩٣٨ م .
١٥ ـ الفلاكة والمفلوكون ـ لشهاب الدلجي بغداد دار الأندلس (بلا تاريخ) .
١٦ ـ الكتاب لسيبويه تحـ عبدالسلام محمد هارون (الطبعة المصورة) .
١٧ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل : لأبي القاسم الزمخشري دار المعرفة ـ بيروت (بلا تاريخ) .
١٨ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ للحاج خليفة استنبول ١٩٤١ م .
١٩ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي دار صادر بيروت ١٩٨٤ م .
٢٠ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي حيدر آباد الدكن الهند ١٣٣٤ هـ .
٢١ ـ معرفة القراء الكبار لشمس الدين الذهبي تحـ د . بشار عواد وآخرون بيروت ١٩٨٤ .
٢٢ ـ مغنى اللبيب لابن هشام الانصاري تحـ د . مازن المبارك ومحمد علي حمدالله دمشق ١٩٦٤ .
٢٣ ـ مقامات الحريري مصر (بلا تاريخ) .
٢٤ ـ المقتضب لأبي العباس المبرد ، تحـ محمد عبدالخالق عضيمة ، القاهرة ١٣٨٥ هـ ـ ١٣٨٨ هـ .
٢٥ ـ نزهة الألباء في طبقات الادباء لابي البركات الانباري بغداد ١٩٥٩ .
٢٦ ـ الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي تحـ جماعة من المحققين ـ ڤيسبادن ١٩٦٢ م وما بعدها .

* * *

صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة





مواد البيان

لعلي بن خلف الكاتب

المتوفى بعد سنة ٤٣٧ هـ

تحقيق
د. حاتم صالح الضامن
كلية الآداب - جامعة بغداد

القسم الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا الكتاب الذي نقوم بنشره أثرٌ نادرٌ في صناعة الكتابة ، جليلُ القدر ، عظيمُ النفع ، كبيرُ الفائدة ، جمع فيه مؤلفه الآداب الخاصة بالكتابة ، والعلوم التي يجب أن يعرفها كلّ كاتب لتعينه على انجاز عمله في كتابة الانشاء .

والكتابة العربية أشرف الكتابات لأنّ الكتاب العزيز لم يُرْقَم بغيرها .

وصناعة الكتابة من أنبل الصنائع خطراً ، وأحسنها على أهلها أثراً ، لاشتراك الخاصة والعامة في استعمالها .

وقد وقع لي هذا الكتاب بفضل صديقي المستشرق الألماني راينهرت فايبرت إذ وافاني بنسخة مصورة منه فله مني خالص الشكر والتقدير .

والغيرة على تراثنا العربي القديم هي التي دفعتني الى بعث هذا التراث ونفض غبار الزمن عنه .

وما من شك في أن عشاق التراث العربي وأنصاره سيفرحون بهذا الكتاب ، أما اعداء هذا التراث والحاقدون فما أظنهم إلاّ مغتمين وبائسين .

ولا بد لي أن أذكر أخي وصديقي الاستاذ عبدالحميد العلوجي حفظه الله تعالى إذ تفضل مشكوراً فأبدى رغبته في نشر هذا الأثر النفيس في مجلة المورد الغراء فجزاه الله تعالى عن العلم وأهله خير الجزاء .

والحمدُ لله أولاً وآخراً ، إنّه نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير .

مؤلف الكتاب

أبو الحسن علي بن خلف بن علي بن عبدالوهاب الكاتب ، من كتاب الفاطميين في القاهرة ، كان حياً سنة ٤٣٧ هـ .

ولم نقف على ترجمة له إذ أغفلته كتب التراجم جميعاً .

ومن حسن الحظ أننا وقفنا على نص مهم في كتابه (مواد البيان) إذ جاء فيه :

(.. وانه لو اغفل إلحاق السنة الخَراجية بالهلالية لكان بينهما من سنة الهجرة والى سنتنا هذه وهي سنة سبع وثلاثين واربعمئة ..)

ومن هذا نتبين أن المؤلف قد توفي بعد سنة ٤٣٧ هـ .

ولعلي بن خلف كتاب سماه (آلة الكُتّاب) أشار إليه في

موضعين من كتابه (مواد البيان) .

قال في ص ٢٢٦ : (.. ويتفرع من هذين الأصلين أقلام عدة ذكرنا كثيراً منها في كتابنا الذي نعتناه بآلة الكُتّاب) .

وقال أيضاً في ص ٣٣٣ : (ولسنا نحتاج أن نذكر احكام الهجاء والمصطلح عليه منها ، لأنها موجودة في مظانها ، وقد استوفينا القول عليها أيضاً في كتابنا المرسوم له بآلة الكُتّاب) .

وله كتاب الخراج ، قال في ص ٣١ : (وسنستوفي القول في الفائدة به وبالمبرزين فيه في كتاب الخراج إن شاء الله تعالى) .

وقال أيضا في ص ٥٠ : (.. وسنستوفي القول في كتاب الخراج إن شاء الله) .

ولا بد من الاشارة الى أنّ حاجي خليفة قد اكتفى في كتابه كشف الظنون ١٨٨٨ بقوله :

(موارد البيان لعلي بن خلف بن عبدالوهاب الكاتب) .

وحُرِّفت مواد فيه الى موارد .

هذا كلّ ما نعرفه عن المؤلف وعسى أن يقف أحد العلماء على ترجمة له فيفيد العلم وأهله .

كتاب مواد البيان

سبب وضع الكتاب :

بيّن المؤلف السبب في وضع هذا الكتاب فقال :

(وعلة وضعنا لكتابنا هذا رغبتنا أن نصنّف كتاباً جامعاً لما تنظمه صناعة الكتابة من العلوم والآداب الخاصة بها يُجد من يعنى بهذه الصناعة جميع ما يرونه من أصولها وفروعها التي فرّقها المصنفون في الكتاب مودعة فيه ، ويعرف به الطالب جلالة خطرها وارتفاع قدرها من بين الصنائع ، ويصرف همته إليها ليتميز من انتمى إليها بالاسم دونَ الرسمِ وبالزيِّ دون المعنى) .

أبوابه :

قسم المؤلف كتابه على عشرة أبواب هي :

الباب الأول : في حد صناعة الكتابة وفضيلتها ومنفعتها وغرضها وقسمتها ورسم الكتاب وعلة وضعه .

الباب الثاني : في البلاغة وأقسامها الأصلية .

الباب الثالث : في أقسام البلاغة الفرعية .

الباب الرابع : في صناعة البديع وأبوابها .

الباب الخامس : في ما يُخرج الكلام عن أحكام البلاغة .

الباب السادس : في أنّ الطبع هو قوام الصناعة ونظامها واحتذاء مذاهب السابقين بكمالها وتمامها

الباب السابع : في أوضاع الخط وقوانينه وترتيب الصدور والأدعية والعنوانات والتاريخ والختْم .

الباب الثامن : في رسوم المكاتبات .

الباب التاسع : في آداب الصناعة .

الباب العاشر : في آداب السياسة .

أهميته :

تكمن أهمية هذا الكتاب في كونه من الكتب المؤلفة قديماً في صناعة الكتابة ، وكان لهذا السبب من أهم مصادر القلقشندي في كتابه صبح الأعشى إذ نقل عنه في نحو مئتي موضع مشيراً الى اسم الكتاب مرة والى اسم المؤلف أخرى ، واعتمد عليه كثيراً في الباب الذي تحدث فيه عن (مذاهب كُتّاب الدولة الفاطمية) . وكان يتصرف بالنقول وقد أشرت اليها في الحواشي .

وينفرد الكتاب بنصوص كثيرة ورسائل مهمة .

شواهده :

استشهد المؤلف بمئة وخمس وسبعين آية وبعشرين حديثاً . أمّا الاشعار والأرجاز وأنصاف الابيات فقد أربت على ٧٥٠ .

وقد استشهد بكثير من شعر الجاهليين والمخضرمين والامويين ، وأورد كثيراً من شعر العباسيين كأبي تمام والبحتري . وابن الرومي والبستي وابن المعتز والشريف الرضي وغيرهم .

مصـادره :

اعتمـد المؤلف على الكتب المؤلفـة في البـلاغـة والبيـان والبديع وصناعة الكتابة ، وأشار في كتابه الى ابن المعتز وقدامة بن جعفر وأبي علي الحاتمي والرماني وأبي علي النحوي . ونقل من كتاب الخراج لقدامة أيضاً وصرح باسمه .

مخطوطة الكتاب :

هي نسـخة فريدة تحتفظ بها مكتبة الفاتح باسلامبول برقم ٤١٢٨ .

وتقـع هـذه النسخـة في ٢٠٢ ورقـة ، في كـل ورقـة صفحتان ، عدد اسطر كل صفحة ١٥ سطراً .

وقد كتبت النسخة بخط النسخ المضبوط بالشكل ، وترقى كتابتها الى القرن السادس الهجري . وعلى صفحة العنوان عدة تملكات كما في الصورة المرفقة بنشرتنا هذه .

والمخطوطة نـاقصة الآخـر إذ ينقص من أبوابهـا العشرة المذكورة في مقدمة الكتاب البابـان التاسـع والعاشـر . ويتبين بمقابلة المخطوطة بصبح الأعشى أن النسخة التي اعتمد عليها القلقشندي أكمل من نسختنا هذه إذ ثمة نقول كثيرة من البابين الناقصين في صبح الأعشى سنلحقها في آخر الكتاب إن شاء الله تعالى .

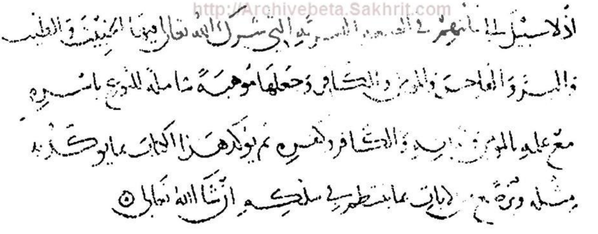
ولا بد من الاشارة الى أنني جعلت صبح الأعشى أصلاً ثانياً اعتمدت عليه في المقابلة وقد أشرت الى نقوله في الحواشي ومما يؤخذ عليه أنه كان يتصرف بنصوص (مواد البيان)

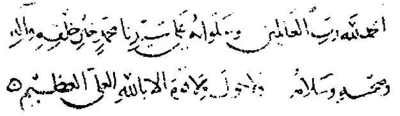
وثمة مواضع فيها بياض بقدر كلمة أو كلمتين وضعت مكانها نقاطاً من غير اشارة الى ذلك .

واتبعت في الكتابة الرسم الاملائي المعروف عندنا ولم أشر الى رسم المخطوطة .

وقـد ارفقت بنشـرتي هـذه صـوراً لعنـوان المخـطوطـة وللصفحات الاولى والثانية والاخيرة .

والحمدُ لله الذي هدانا لهذا ، وما كنـا لنهتدي لـولا أن هدانا الله .




الحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه وسلامه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

كتاب مواد البيان

تصنيف الشيخ الإمام العالم العلامة أبي الحسن علي
بن خلف بن علي بن عبد الوهاب الكاتب رحمه الله تعالى

٤١٦٨

١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خير خلقه وآله
وصحبه اجمعين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

قال علي بن خلف بن علي بن عبد الوهاب الكاتب رحمه الله

اما بعد فان العقول اشجار والعلوم ثمرها والافهام عيون والآداب
جوهرها والبصاير نجوم والحكم نورها ومن لطيف صنع الله تعالى
وصنعه ان جعل لكل ذي بصيرة نافذة وغريزة منيرة قوة يقتدر
بها على اقتناص الصنايع و[illegible] مما تستخرج قرائح مقتضية
عن تحصيل غايات كمالها فللسر [illegible] الذكر من اشتغى فيه اثر
لا سيما اذا جرد صور المعاني من موادها وخلص ارواحها من
اجسادها وبدلها بمعارض ارق من معارضها شفوفا وادق نظرا [illegible]
ورتب مختلطها والفه ونظم منثورها وعطفه وكمل منقوصها
ورائق مخصوصها ونحل فصوصها وزين عاطلها وحلاه والبس عاريها وكساه
وصفى مرنقها ونقى قذاه فان الله وهو المحمود قد سوى في هذه للموهبة
بين التالدين والطارفين واقدر الانفين على اسنان سنن السالفين

فنحن جديرون أن نتيمّم مقاصل الألباب، نطبق بها مفاصل الإصابة

ونتصرف بين اقتضاب رائع وتصنيف بارع واختيار رائق، إن اقتضبنا

اقتضبنا نوادر الكلام، وإن صنّفنا أتينا فرائد النظام، ولولا أن الأوائل

سبقوا إلى ما اخترعوه، ووجودهم بتقدم الزمان إلى افتراع ما افترعوه حتى لا يكون

لنا مثلاً، ولم نجد سبيلاً لا مثل [illegible] فيما نتعاطاه

وحملوا إلى ما وصلوا إليه، إذ المعاني ثابتة في نفوس المميزين، ولكن المتقدم

لحق بالولاء عليها من المتأخر، ولذلك تواردت فيها الخواطر، وتوافت

إليها تواني الحوافر، ولما كان كثير من مستنبطي الصناعات

يقصرون لاستفراغهم قوى قرائحهم في إثارة ما استنبطوه وإخراجه من

القوة إلى الفعل عن الإيسار بزود التتميم وتحليته بعقود النظم،

خصّنا الله تعالى بالفضيلة في استدراك ما أغفلوه وتحلية ما صوّروه

وأقدرنا بما حملوه عنا من مؤونة الابتداع وأعاننا على قرائحنا من فضل

على تحصيل ما أجملوه وتحرير ما اقتضبوه فلهم حق التشكيل في التركيب

ولنا حق التكميل والترتيب، ولذلك لا شيء من العلوم والصنائع إلا

وتنبيه عليه وتدوين يتبعه وبسطه واختصاره ممكن لمستقبل الأوان

(٢) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وصلّى الله على سيِّدنا محمدٍ خيرِ خَلْقِهِ وآلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله العليّ العظيم .

قال عليّ بن خلف بن عليّ بن عبدالوهاب الكاتب ، رحمه الله : أمّا بعدُ فإنّ العقول أشجارٌ ، والعلومُ ثمرُها ، والافهام بحار ، والآداب جوهرها ، والبصائر نجوم ، والحكم نورها . ومن لطيف صنع الله تعالى وصنعته أن جعل لكل ذي بصيرة وغريزة منيرة قوة يقتدر بها على اقتضاب الصنائع وارتجالها ، والوصول بما قصرت قرائح مقتضبيه عن تكميل غايات كمالها فليس المبتكر أولى بما ابتكره ممن اقتفى فيه أثره ، لا سيما إذا جرد صور المعاني من موادها ، وخلص أرواحها من أجسادها ، وبدلها بمعارض أرق من معارضها شفوفاً وأدقّ تطريزاً وتفويفاً ، ورتب مخلطها وألَّفَهُ ، ونظم منثورها وعكّفه ، وكمل منقوصها وراش محصوصها وتَنَخّل فصوصها ، وزين عاطلها وحلاه وألبس عاريها وكساه وصفى مرنقها ونقى قذاه ، فإن الله وهو المحمود قد سوى في هذه الموهبة بين التالدين والطارفين ، وأقدر الآنفين على استنان سنن السالفين .

(٣) فنحن جدراء أن نشيم مقاصل اللبابة فنطبق بها مفاصل الاصابة ، ونتصرف بين اقتضاب رائع وتصنيف بارع واختيار واقع ، فإن اقتضبنا اقتنصنا نوادر الكلام ، وإنْ صنفنا ألفنا فرائد النظام ، ولولا سبق الأولين الى ما اخترعوه ووجودهم بتقدم الزمان الى افراغ ما أفرغوه حتى لا يكون مُلغًى مهملاً وملقىً مُرسَلاً لأمكنَ أن يقع المحدثون على ما وقعوا عليه ، ويصلوا الى ما وصلوا اليه ، إذ المعاني قائمة في نفوس المميزين ، وليس المتقدم أحق بالولاء عليها من المتأخر ، ولذلك تواردت فيها الخواطر ، وتوافت إليها توافي الحوافر .

ولمّا كان كثير من مستنبطي الصناعات يعجزون لاستفراغهم قوى قرائحهم في إقامة صور ما استنبطوه ، واخراجه من القوة الى الفعل ، عن الباسه برود التنميم وتحليته كعقود التنظيم ، خصنا الله تعالى بالفضيلة في استدراك ما أغفلوه ، وتحلية ما صوّروه ، وأقدرنا بما حملوه عنا من مؤونة الابتداع وأبقوه على قرائحنا من فضل (الاتباع) على تفصيل ما أجملوه وتلخيص ما اقتضبوه ، فلهم حق التشكيل والتركيب ، ولنا حق التكميل والترتيب ، ولذلك لا شيء من العلوم والصنائع إلّا وتغيير حليته وتبديل صيغته ، وبسطه واختصاره ممكن متسهل إلّا أنّ (٤) القرائح تخصُّ كلَّ صناعةٍ من العناية بتنقيحها وتهذيبها وتصحيحها وترتيبها بقدر شرف تلك الصناعة وفضيلتها وما يستثمر من جدواها وعائدتها .

ولما كانت الصناعة الكتابية والفضيلة اليراعية من أنبل الصنائع خطراً وأحسنها على أهلها أثراً لاشتراك الخاصة والعامة في استعمالها ، وأخذ كل منهم ما تقتضيه حاجته ومنزلته منها أكثر الناس من وضع الكتب فيها ، وصار المعنى بالتصنيف فيها إنما يقتدي على مثل السالف مُغِيراً على معانيه ، مُغَيِّراً لألفاظه ومبانيه ، إلّا أننا لما طالعنا الكتب الموضوعة منها وجدنا أكثرها معدولاً به عن الطريق القاصد إليها ، لأنَّ من الواضعين مَنْ اختصر وقَصَّرَ ، ومنهم مَنْ أسهب وكثر ، ومنهم من شغل كتابه بأجزاء من العلوم القائمة بأنفسها الموجودة في مظانها ، لما للصناعة من الشركة فيها ، وأخل بما هو من نفسها وهو أخصُّ بها ، ومنهم من اقتصر على ايداع كتابه رسوما لا تستعمل إلّا في دولةٍ بذاتها وبلاد بعينها فلا ينتفعُ بكتابه في غيرهما ، ومنهم من نصَّ على طريقةٍ قد صار عرفها وأمرُها امراً لوقوع الاصطلاح على هجرها والغائها والاستبدال منها بما هو أليقُ بالزمان والمكان وأهليها ، ومنهم من استوفى الفن الذي بهر فيه وتدرب به وقصر في غيره من الفنون الأخر ، وهي من أجزاء الصناعة (٥) وأقسامها .

فرأينا لذلك ، وبالله التوفيق ، أن نصنف كتاباً جامعاً لأصولها وفروعها ورسومها المستعملة وأوضاعها وأقسام البلاغة وأنواعها ليكون علماً يُهتدى بناره ، ودليلاً يُسعى على آثاره ، وحاكياً يُتحاكم إليه ، ومحكّاً يعرض من اعتزى الى هذه الصناعة عليه ، وأشرنا الى ما لا بد للكاتب الكامل من معرفته من العلوم الأُخر التي هي وإنْ كانت من أجزائها فانها تؤخذ من معادنها وتوجد في أماكنها ، لأنّ المتفردين بها قد فرغوا منها واستوفوا القول عليها ، فإنْ مَرَّ في أثناء الكلام شيءٌ من نصوصها فإنّما أتينا به تنبيها على القدر الكافي منها ، وإشارة الى موقع الحاجة في الصناعة إليه ، ونعتنا هذا الكتاب بموادِّ البيان ، لوقوع هذا النعت منه

موقع الحقيقة . والله تعالى نسألُ عوناً يُفرغهُ وتوفيقاً يُسبغهُ ، وهو مانٌ بهما بفضله .

وهو عشرة ابوابٍ :

الباب الأول :

في حدِّ صناعةِ الكتابةِ وفضيلتها ومنفعتها وقسمتها ورسم الكتاب وعِلّةِ وَضعِهِ .

الباب الثاني :

في البلاغة وأقسامها الأصلية

(٦) الباب الثالث

في أقسام البلاغة الفرعية

الباب الرابع

في صناعة البديع وأبوابها

الباب الخامس

في ما يُخرِجُ الكلامَ عن أحكام البلاغة

الباب السادس

في أنّ الطبع هو قوامُ الصناعة ونظامها واحتذاء مذاهب السابقين بكمالها وتمامها

الباب السابع

في اوضاع الخط وقوانينهِ وترتيب الصدور والأدعية والعنوانات والتاريخ والخَتمِ

الباب الثامن

في رسوم المكاتبات

الباب التاسع

في آداب الصناعة

(٧) الباب العاشر

في آداب السياسة

ونحنُ قائلون في كلّ باب من هذه الأبواب ما يُبلِّغُ الى قاصيةِ الاقناع والاحساب ، والله الموفق للسداد والصواب بمَنّهِ ويُمنِهِ .

الباب الأول

في حد صناعة الكتابة وفضيلتها ومنفعتها ⟨وغرضها⟩ وقسمتها ورسم الكتاب وعلّةِ وضعه .

الحَدُّ :[1] ما يدلُّ على ذات الشيء المحدود ويميزهُ عن غيره عما يحصره فلا يدخل فيه ما ليس منه ، ولا يخرج عنه ما هوله .

وأمّا الفضيلةُ فإن بظهورها وقيام الدلالة عليها تسلم الصناعة من المطاعن والمثالب وتخلص من المناقص والمعايب .

وأما الغرض فإن حصول العلم به يُسهِّلُ على الراغبين المشقة في الوصول الى الغاية .

وأما القسمة فليؤخذ في الأهم فالأهم من الأقسام ، ويؤخذ الطريق الى امتحان المعتزي الى الصناعة ، فإن لكلِّ صنعة دخلاء ينظمهم فيها اسمها ويخرجهم منها حدُّها ورسمها ، وأكثر ما يتوجه النقص على الصنائع التامة منهم ، لأنّ أكثر الناس يحكمون على الصناعة (٨) بوزن من حضرهم من أهلها وإن كان ناقصاً ، ولا يراعون الكامل فيجعلون التحدّي به فيتوجه الغلطُ عليهم ، لأنهم ينسبون التخلُّف الذي في المقصرين الى الصنائع ، ولو أنعموا النظر لعلموا أنّ كمال الصناعة لا يوجد إلّا عند مَنْ تطرق من أوائلها الى أواخرها ، ومن صدورها الى أعجازها ، وإنّ من تعلق بالسبب الضعيف لا يجوز الحكم به عليها ، نعم ولا أن ينسب إليها ، وهذا موجود في جميع الصنائع المهنية وغيرها ، لأنا لا نسمي من عانى يسيراً من النجارة نجّاراً ، ولا من مارس حقيراً من البناء بنّاءً ، وكذلك لا نسمي من وصف دواء واحداً طبيباً .

وأمّا الرَّسمُ فإنهُ ينبيء عن الغرض بقول وخبر .

وأمّا عِلّةُ الوضع فإنّهُ يدلُّ على السبب الذي لأجله وضع الواضع كتابه .

ونحن قائلون في ذلك بحسب الطاقة ، والله الموفق بكرمه .

القول على الحَدّ :

أمّا حدُّ صناعة الكتابة فإنها صناعة ترسم صوراً دالة على الألفاظ دلالة الألفاظ على الأوهام . وهذا الحدُّ وإن كان ظاهر لفظه يدلُّ على أن جملة الصناعة إنما هو رسم الصور الخطية ، فإنّه إذا تُدُبِّر وُجِد مشتملاً على حواشيها محيطاً بكلِّ ما يقع فيها ، لأن الخط تِرب اللفظ وقَسيمه بل هو هو في الحقيقة ، لأنه لا سبيل الى رسم صوره الموضوعة للدلالة على الألفاظ إلّا بعد توسط اللفظ بينها وبين الأوهام القائمة (٩) في النفس ، حتى أن من يكتب وهو صامت لا بُدَّ أن يكون مشكلاً للفظ في نفسه قبلَ أنْ تنقله يده خطاً الى طرسه . وكذلك الناظرُ في الكتاب من غير جهرٍ لا بُدَّ له من حكاية اللفظ بضميره ليكون ذلك سبيلاً الى تمييز معناهُ وتحصيله . ولو اقتنع بالنظر دون تشكيل اللفظ لتعذر عليه ادراك غرضه ، وكان كالحائر في طريق . ولذلك قال صاحبُ المنطق : إنّ النُطق نطقان : نطقٌ داخل وهو صور المعاني القائمة في النفس ، ونطق خارج وهو الألفاظ المعبرة عن تلك الصور . فأطلق على صور المعاني اسم النطق ولا نطق فيها يقرع الأسماعَ ، وإذا انتظمَ الخطُّ ما ينتظمه اللفظ ، وانتظم اللفظ ما تنتظمه الأوهام ، فقد اشتمل الرسم على كلِّ ما تحيطُ به دائرةُ الصناعة ولم يخرج عنه شيءٌ مما هو لها .

القول على الفضيلة :

أما الكلام على فضيلة هذه الصناعة فإنها من الصنائع الظاهرة الشرف والجلالة ، الحائزة للسيادة والنباله ، وذلك لاختصاصها بالقوة الانسانية وعودها بتمام الفضيلة التمييزية من قسميها العلمي والعملي ، لأنا إنما نُمَيِّزُ فاضل الصنائع من مفضولها بتأمُّل أحوالها . فما كان منها مختصاً بهذه القوة كصناعة الطب والنجوم فهو الفاضل ، وما كان مختصاً بالحِسِّ كالبناء والنجارة وما شابهها فهو المفضول .

وصناعة الكتابة مختصة بالقوة المميزة من قسميها العلمي والعملي .

(١٠) أما العلمي فهو البيان عما يخرجه الكاتب من الصور القائمة في ضميره بالقوة الى الفعل بالالفاظ البليغة والحساب الذي يبرزه من وهمه الى العقد .

والبيان والحساب مختصان بالقوة المميزة التي بها فُضِّل الانسان على سائر أنواع الحيوان ، لأنَّهُ إنما انحاز عنها وانفصل منها بالمنطق .

وكما أن بالتمييز وقع الفصل بين الانسان وأنواع جنسه فكذلك يجب أن يفصل به في الفضيلة والنقيصة بين أشخاص نوعه ، فمن علت طبقته في البلاغة والابانة حُكِم له بالفضيلة ، ومن انخفضت درجته فيها حُكِم عليه بالنقيصة ، لأن أثر القوة المميزة في البليغ الألسن أظهر من أثرها في المفحم الألكن .

والطريق الى اعتبار ذلك أن تتأمل ألفاظ الانسان التي تخرج بها المعاني القائمة في نفسه بالقوة الى الفعل ، فإن كانت ألفاظا يطابقها ، ويقربها من الافهام ، ويشمر عنها سجوف الابهام ، ويجلوها في حلل الابانة وحلى البلاغة ، دلّ ذلك على ممكن القوة المميزة وجودة تحصيلها وصحة تمييزها ، وإن كانت ألفاظا معقدة دالة عليها دلالة بعيدة لايحصل حقيقتها من أول وهلة ، ولا يوضحها إلاّ في زمان طويلٍ ومهلةٍ ، دلّ ذلك على ضعف القوة المميزة ورداءة تحصيلها وفساد تمييزها واختلاط الصور التي فيها ، وعجزها عن تفصيلها والحكم (١١) عليها من العبارة بما يوضحها .

فهذه الصناعة أخص الصنائع بالقوة الناطقة لأنها المفردة باستعمال الأشياء الخاصة بها التي هي تأليف الكلام المنثور ، وتقييده بالخط الحافظ له على تعاقب الدهور ، وعقد الحساب وحصر المعدودات به .

وقد كان حكماء اليونان يسمون علم البلاغة العلم المحيط ، وذلك لحاجة جميع الناس إليه ، وإنما فُضِّلَ الانسان على سائر الحيوان بالمنطق ، فأحق الناس بالرئاسة أبلغهم في منطقه ، وأوصلهم للعبارة بذات نفسه ، وأوضعهم لقوله في موضعه ، وأحسنهم اختياراً لأوجزه وأغربه .

وكما أن الحكمة أشرف الأشياء فكذلك ينبغي أن تكون العبارة عنها بأحكم المنطق وأوجز اللفظ وأبعده من الزلل ، وأنّ سماجة المنطق واللكنة والعي تذهب نور الحكم ، وتفسد المعاني ، وتورث الشبهة ، وتقصر عند الحاجة ، وتلتبس على المستمع .

فأمّا العمليُّ فهو الخطُّ ، وهو لاحقٌ بالمنطق في إيضاح المعاني وإبانة الأغراض والدلالة على المقاصد ، وهو مُعَبِّرٌ صامتٌ مُسِرٌ ، وهو مع ذلك يفعلُ فعل الناطق المفصح والمعرب الموضح ، لأنه يدل على المعنى برسمه ، كما يدل عليه المتكلم بلفظه .

وكما أن أوهام الانسان تدلُّهُ على الصور القائمة في نفسه ، وألفاظه تدلّ من يخاطبه على أوهامه ، فكذلك الخطُّ يدلُّ من بُعْدَ عن سماع لفظه دلالة الألفاظ .

(١٢) واللفظ يفضل الخطَّ بأنهُ دليلٌ طبيعيٌ وآلته طبيعية ، وهي اللسان . والخطُّ دليلٌ صناعيٌ وآلتُهُ صناعيةٌ ، وهي القلمُ .

ولما كان اللفظ في السيلان لا يلبثُ إلاّ ريثما يقرعُ الأسماعَ ثم ينحلُّ على المكان ، وكان حفظُ المسموعات كالأمر العَرَضيِّ

إنما يُحتاجُ إليه في حراسة صور المحفوظات من مداومة الدرس ومطالعة المحفوظ وتعهده بالفكر والقراءة ، وكان النسيانُ كالأمر الطبيعي لما نجده من رجوع الانسان إليه عند إهمالِهِ ما حفظه ، ألهم الله تعالى الانسان اقتضاب الخطِّ وأقدرهُ به على استكمال معنى النطق الذي خصَّهُ بفضله واستتمام قوته ، وأوجده بما هداه إليه من ذلك السبيل الى الفهم والافهام على تغاير الأحوال ، من قُرْبٍ وبُعْدٍ وغيبةٍ وحضورٍ . ولولا ذلك لما تمت منفعةُ النطقِ ، لأنه لو عُدمَ الخَطّ لم يُتوصَّل بالنطق إلاّ الى افهام المخاطب القريب من الصوت المنفصل عن لسان القائل الى أذن السامع دون غيره ممن بَعُدَ عن سماع اللفظ ، ولتعذرَ على الآنفين الاطلاعُ على أنباءِ السالفين وآثار عقوهم في الفضائلِ والآدابِ ، ولم يصل إليهم منها إلاّ ذرْوٌ يسيرٌ مما تتحملُهُ الصدورُ ويؤديه الحفظُ ، ولم يكنْ وصولُهُ أيضاً على فصوصه ونصوصه لما يدخل عليه من التغيير والتبديل باضمحلال الشيء فالشيءُ مِنْهِ عن الأوهام(١٣) التي تحضرُهُ والقوى الحافظة له .

فلما أنْعَمَ الله تعالى على الانسان بإلهامِهِ تقييد ألفاظِهِ بالرسومِ التخطيطية شملَ نَفْعُ هذه النعمةِ وعمَّ جميعَ مميِّزي الأزمنة .
وذلك أنَّ العبارة التي يُتوصَّلُ بها الى الفهم والافهام حروفٌ يركبُها اللفظُ في حالِ المقارنةِ ، ويركبُها الرسمُ في حالِ المُباعدةِ ، وبهذا يرتبطُ جميعُ ما يدخلُ تحتها من المعاني للانسان ومعاصريهِ واللاحقينَ به .

وإذا انقرضَ أهلُ عصرٍ نابتْ هذه الصورُ في الفضائلِ التي استنبطوها والمعاني التي استخرجوها والمعادن التي سَهَّلوا سبيلها إذا قُيِّدَتْ بها وأودعتْ فيها منابَ التشافه والملافظةِ وأغْنَتْ مغناهما . وهذه فضيلةٌ عامةٌ شاملةٌ تامةٌ كاملةٌ لا مزيد لفضيلةٍ عليها .
ولهذا قال بعضُ المنطقيين في تحديد الانسان : إنّهُ الحيُّ الناطِقُ المائتُ الكاتب .

وإنَّ الكتابةَ متى لم تدخل في حدِّهِ لم يقضِ له بالنطق التامِّ لعجزه عن إفهام مَنْ يبعُدُ عن سماعِ صوتِهِ .

ولولا أنَّ مَنْ لا يُحسنُ الكتابةَ يخدم بحسنها لنقص عن معنى الانسانية نقصاً بيِّناً .

فإن اعترض مُعترضٌ بأنَّ هذه الصناعةَ وإنْ كانتْ في المنزلةِ اللطيفةِ والرتبةِ الشريفةِ ، وكانت نعمةُ الله تعالى بها جليلة الخطر عظيمة القَدْرِ فإنها موهبةٌ مشتركةٌ (١٤) لكلِّ مَنْ عبَّرَ عن ضميرِهِ بلسانِهِ وخطَّ بيدِهِ وعَقَدَ بأصابِعِهِ فقد نكب عن سننِ الصوابِ في أغراضه ، وذاك أنَّهُ وإنْ كان لكلِّ مَنْ وصفْنا نصيبٌ من تأليف الكلامِ ورسمِ الخطِّ وعَقْدِ الحسابِ ، فإنَّ شرف الصناعة وفضيلتها إنّما تحصلُ للكتاب الذين يحوزون هذه الأوصاف على التمامِ . وإنما تقعُ في الحقيقة على الكاتبِ الجامعِ لآلات الصناعةِ وأدواتها المستقل بعملي التفصيلِ والترسيل دون غيره ممن يشاركُ الكُتّابَ في استعمال بعضِ أجزاء الصناعة . وليس هؤلاء فقط يجبُ أنْ لا يُسمَّوْا كُتاباً بل وغيرهم ممن هو أقربُ منهم الى الكتابة ، من الشعراء والخطباء والوراقين وممن يحاذيهم ، لأنَّ لكلِّ طبقةٍ من هذه الطبقاتِ صناعةً قد تفرَّدَ بها ووقعَ اسمُها عليه .

فَصْلٌ
في فضائلها المستنبطة من كتاب الله عزّ وجلّ

فأما فضائلها المستنبطة من كتاب الله عزَّ وجلَّ فإنَّ الله تعالى شرَّفها بإضافتها الى نفسِهِ ، وإنْ كانَ الحكمُ في إضافتها إليه سُبحانَهُ على غيرِ الحُكمِ في إضافتها الى خَلقِهِ ، فقالَ جلّ وعزّ : « وكَتَبْنا لهُ في الألواح مِن كلِّ شيءٍ مَوْعِظَةً وتفصيلاً لكلِّ شيءٍ »[٢] . وقال : « وكتبنا عليهم فيها أنَّ النفس بالنَّفسِ »[٣] .

وقال : « ورهبانيةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلاّ »[٤] .

(١٥) ونسبَ تعليمها الى نفسه فقال تعالى : « اقرأ باسم ربِّكَ الذي خلقَ * خلقَ الانسان من عَلَقٍ * اقرأ وربُّكَ الأكرمُ * الذي علَّمَ بالقلمِ * علَّمَ الانسانَ ما لم يَعْلَمْ »[٥] .

وجاء في التفسير أنّ هذه السورة مفتتحُ الوحي وأوّلُ آيةٍ أنزلها الله تعالى من كتابه على رسولِهِ ، صلى الله عليه وسلم .

وفي ابتداءِ الله تعالى فيما عدده من نِعمِهِ على الانسان بذكر القلمِ وتعليمه إيّاه به ما لم يعلم من قبلُ أظهرُ دليلٍ على عِظمِ رُتبةِ الخطِّ .

وقال في عيسى عليه السلام : « ونُعَلِّمُهُ الكتابَ والحِكْمَةَ »[6] . وأقسم تعالى بالقلمِ فقالَ : « ن والقلم وما يسطرون »[7] ، وبالكتابِ فقالَ : « والطور . وكتابٍ مسطورٍ . في رقٍّ منشورٍ »[8] .

والأقسام لا تقعُ منه سبحانه إلاّ بشريفِ ما أبدعَ كالشمسِ والقمر والنجوم وما أشبهها بما به نظامُ الخلق واتساقُ التدبير . وإلحاقُهُ القلمَ والخطَّ بها في القسامةِ بهما واجراؤه إيّاهما مُجراها في ذلك مُنبِيءٌ عن شرفِ رُتبةِ الخطِّ ، وأنّه أصلٌ عظيمٌ من أصولِ منافعِ الخلق . وسمّى ، عزّ اسمُهُ ، ملائكتَهُ كُتّاباً فقال : « وإنّ عليكم لحافظينَ كِراماً كاتبين »[9] . وقال : « أمْ يحسبونَ أنّا لا نسمعُ سِرّهم ونجواهم بلى ورُسُلُنا لديهم يكتبونَ »[10] .

وعظّمَ تعالى شأنَ الصحفِ والكتب فقال سبحانه : « كلاّ إنّها تذكرةٌ . فمَنْ شاءَ ذكره . في صُحُفٍ مُكرّمةٍ . مرفوعةٍ مُطَهَّرةٍ . بأيدي سفرةٍ . كرامٍ بَرَرَةٍ »[11] . (١٦) وقال تعالى : « إنَّ هذا لفي الصُّحُفِ الأولى . صُحُفِ ابراهيم وموسى »[12] . وقال : « هذا كتابُنا ينطقُ عليكم بالحقِّ إنّا كُنّا نستنسِخُ ما كنتم تعلمون »[13] .

وقال : « وكلُّ إنسانٍ ألزمناهُ طائرَهُ في عُنُقِهِ ونُخرجُ له يومَ القيامةِ كتاباً يلقاهُ منشوراً »[14] . ونظائرُ هذا كثيرٌ .

وسمى سبحانه ما أوحاهُ إلى رُسُلِهِ الكرام كُتُباً ، فقال في موسى وهارون : « وآتيناهما الكتابَ المُسْتَبِينَ »[15] : وقال : « ولقد آتينا بني اسرائيلَ الكتابَ والحُكْمَ والنُّبُوّةَ »[16] . وقال : « قُلْ مَنْ أنزلَ الكتاب الذي جاء به موسى نُوراً وهُدىً للناسِ »[17] .

وقال فيما أنزلَهُ على نبيِّنا محمد ، صلى الله عليه وسلم : « آلم . ذلك الكتابُ »[18] . « وهذا كتابٌ أنزلناهُ مباركٌ »[19] . والوحيُ لم يُنزل كتاباً ، ولكنّه لمّا أنزل كتاباً أشار سبحانه الى تمامِهِ وغايتِهِ ، لأنّ الأشياءَ إنّما تُحَدُّ بتمامها وغاياتها .

والأشياءُ التي تدلُّ ويُدَلُّ عليها أربعةٌ :

الأول : الأعيانُ التي تقعُ عليها الأسماءُ .

والثاني : صورُها الوهميةُ التي انتُزعتْ بها وانتُسِخَتْ عنها .

والثالث : الألفاظُ التي تدلُّ على هذه الصور وتُخرجها من القوّةِ الى الفعل المطلق .

والرابع : الرسومُ التي تُقَيِّدُ الألفاظَ وتحفظُها على ممرِّ الأزمانِ .

فالكتابةُ تمامُ قوّةِ النطقِ والمُبَلِّغُ به الى أكملِ غاياتِهِ ، ولذلك جعلها رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، عِقالَ العلومِ ، فقالَ : (قيِّدوا العلمَ بالكتابِ)[20] .

ومن شريفِ صفاتِها أنّ الله تعالى جَعَلَ عدم تبيِّهِ لها من أعظمِ دلائل النبوّةِ (١٧) لتوصُّلِ الانسانِ بها الى تأليف الكلامِ المنثورِ وإخراجِهِ من الصُّوَرِ التي تأخذُ بمجامعِ القلوبِ ، وأقوى الحُجَجِ على تكذيبِ معانديه وحَسْمِ أسبابِ الشكِّ فيه[21] ، يدلُّ على ذلك قوله تعالى مخاطبا له ، عليه السلام : « وما كنتَ تتلوا من قبلِهِ من كتابٍ ولا تخُطُّهُ بيمينكَ إذاً لارتاب المُبْطِلُونَ »[22] .

ولما أعدمه هذه الصناعة عوّضَهُ ما هو أجلُّ منها ، وهو رَفْعُ الارتياب في أمرِهِ وتنزيهه عن ظنّةٍ في . . فعدمُ هذه الصناعة فيه فضيلةٌ وفي غيره رذيلة .

ولما كانت هذه رتبتُها في الصنائع صار السلطانُ الذي هو رئيسُ الناسِ ومستخدم أربابِ كلِّ صناعةٍ ومُصرِّفُهم على أغراضِهِ ، يفتخرُ بأنْ تكونَ فضيلته له حاصلةً مع رفعةٍ عن التلبُّسِ بصناعةٍ من الصنائع الحِسيَّةِ واستنكافه أنْ يقعَ اسمٌ من أسمائها عليه . وذلك أنّا نرى كلَّ ملكٍ وسلطانٍ يُؤْثِرُ أنْ يكونَ له حظٌّ من بلاغةِ العبارةِ وجودةِ الخطِّ . وفي رضى السلطانِ الذي يسودُ أهلَ نوعِهِ بالتحلّي بهذه الصناعة ما يدلُّ على أنها أشرفُ الصنائع رُتبةً وأعلاها درجةً[23] .

فصــل
من فضائلها المأخوذة من مراتب أهلها ومنازل أربابها

فأمّا مراتبُ أهلها ومنازلُ أربابها فقد عُرِفَ أنّ الذينَ وضعوها ورسموا رسومها هم الأنبياءُ عليهم الصلاةُ والسلامُ .

وفيما رواهُ نَقَلَةُ الآثار أنّ أول مَنْ كتب بالقلم واقتضبَ الخطَّ آدمُ عليه السلام ، (١٨) وأنه وضع حسب ما علّمه الله تعالى لأهل كلِّ مِلّةٍ قلماً .

وقيلَ : إنّ أولَ مَنْ خَطَّ بالقلم إدريس عليه السلام ، وإنّه إنّما سُمّي إدريس لدراسته الكتبَ المُنزّلة . وكـان يُسمى الكاتب .

وقيل : إنّ اسماعيل بن ابراهيم ، عليه السلام ، اخترعَ القلمَ العربيَّ ، وكتب به ، ولم يُسبَقْ إليه[٢٤] .

فأمّا مَنْ تحلّى بها في الأيام الخالية والأعصر الماضية ، من ذوي الأخطار العالية في الدين والدنيا فكثيرٌ لا نُحصيهم إلاّ أنّ أصحاب التواريخ ذكروا أنّ منهم : يوسف بن يعقوب ، عليه السلام ، وكان عزيزُ مصر استوزره ، وهو أوّلُ مَنْ اتخذَ القراطيس . وهارون بن عمران ويوشع بن نون وكانا يكتبان لموسى ، عليه السلام . وسليمان بن داود وكانَ يكتبُ لأبيه ، وقد ذكر الله تعالى بلاغتَهُ في كتابه بقوله : « إنّهُ من سليمان وإنّهُ بسم الله الرحمن الرحيم . ألاّ تعلوا عليَّ وأتوني مُسلمينَ »[٢٥] . وآصفُ بن برخيا وهو القائلُ في عرش سبأ : « أنا آتيكَ بهِ قبلَ أنْ يرتدَّ إليك طرفُكَ »[٢٦] ، ويوسف بن عنقنا وكانا يكتبان لسليمان بن داود ، عليهما السلام . ويحيى بن زكرياء وكان يكتب لعيسى المسيح ، صلى الله عليه وسلم[٢٧] . وبخت نصَّر[٢٨] وكان أحد كُتّاب سنحاريب[٢٩] وغلبَ بعدَهُ على بابل وبيت المقدس والشام .

فأما من وقع عليه اسم الكتابة في الملة الاسلامية وبلغ الى المنزلة العالية من الخلافة والرتبة السنيّةِ من الامارة فكثيرٌ أيضاً . (١٩) ومنهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وهوذو القرابة ، والصهر له الشرفُ والسابقةُ . ومنهم عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان كانا يكتبان للنبي ، صلى الله عليه وسلم ومنهم زيد بن ثابت صاحب الفرائض ، كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلّم . ومنهم عثمان بن عفان ، وكان يكتب لأبي بكر ، وانتقل الأمر إليه . ومروان بن الحكم ، وكان يكتب لعثمان ، وانتقل الأمر إليه . وعبدالملك بن مروان ، وكان يكتب لمعاوية بن أبي سفيان ، وانتقل الأمر إليه .

وفي كون واضعي هذه الصناعة من الأنبياء والمعتزين إليها من العظماء والخلفاء والسادات والرؤساء ما يدلُّ على علوخطرها وارتفاع قدرها .

وأما من قرع الذروة العالية من السيادة والسنام الباذخ من الرئاسة من أهل هذه الصناعة على تغاير الدول وتنقلها بين العرب والعجم ، فاشتهار آثارهم وانتشار أخبارهم يغني عن النص على أسمائهم ما تهيأ لهم من المنازل التي نـالوهـا بالاستيجـاب والاستحقاق لا بالحظِّ والانفاق ، والسعادات التي قُيضتْ لهم ملوكاً فاضلين فولوهم في دولهم على ما تقتضيه الكفايات لا ما تقتضيه الأحاظي . قيل : (تسقط الحظوظ في زمن الملك الفاضل فلا يتسنّمُ الرتبة العالية إلاّ موصوف بالفضيلةِ) . فسموا بالعلوم التي حلقت خواطرهم الى أعنانها ، وجالت أفهامهم في ميدانها ، وأثاروا غوامضها ودقائقها ، (٢٠) وعبدوا مذاهبها وطرائقها ، وما اقتضبوه من بليغ المكاتبات وارتجلوه من بديع السجلات ، في المدن والعقود والتقاليد والعهود المشتملة على تمثيل الرسوم والاعمال والأمر والنهي والوعد والوعيد والترغيب والترهيب والحمد والذَّمّ ، الى الرتب الجليلة الشريفة ، والمنازل النبيلة اللطيفة ، وحلولهم في أعلى طبقات الاكرام ، وأبعد غايات الانعام ، وفوزهم بموفور المنح الجسام التي أقدرتهم على تطويق الأعناق بالمنن وادخار الفعل الحسن .

ولعلم الملوك الحزمة بخطر هذه الصناعة وأهلها وعائدتها في أمور السلطان صرفوا العناية الى الكتبة ، وخصُّوهم بالحظوة ،

وعرفوا لهم فضل ما جمعوه من الرأي والصناعة[٣٠] .

وكانت الملوك . . تقول : الكُتّابُ نظامُ الأمور ، وجمالُ المُلك ، وبهاءُ السلطان ، والألسنةُ الناطقة عنه ، وخزان أمواله ، والأمناء على رعيته وبلاده ، وهم أغنى الناس عن الملوك والرعية ، وأولاهم بالحباء والكرامة ، وأحقُّهم بمحبَّة السلامة[٣١] .

وأعظم الناس حقاً على جميع الطبقات من ولي أسرار الملوك وأمورهم الخاصة .

وقالوا : للكاتب على الصاحب ثلاثُ خصال : رفعُ الحجاب عنه ، واتهام الوشاة عليه ، وافشاء السر اليه .

وكانو يجمعون أحداث الكتاب ونواشئهم المتعرضين لأعمال الملك ، ويتقدمون الى رؤساء الكُتّاب بامتحانهم والفحص عن عقولهم ، فمن رضي أُقرّ (٢١) بالباب ليُستعان به ، ثم يأمرُ الملك بضمهم الى العمال ، وينقلهم في الخدم من حال الى حال حتى ينتهي كلُ واحدٍ منهم الى ما يستحقُّه من المنزلة . ولم يكن يتهيأ لمن عرض نفسه على الملك أن يخدم أحداً من الناس إلاّ بأمر الملك وإذنه[٣٢] .

وكانوا إذا نفذوا جيشاً قرنوا بقائده وجهاً من وجوه الكتاب وأمروه أن لا يحلَّ ولا يعقد إلاّ برأيه تعويلاً على فضل رأي الكاتب وحزامته .

ولم يكنْ يركبُ الهماليج في أيامهم إلاّ الملكُ والكاتبُ والقاضي[٣٣] .

وكانوا يقولون : ينبغي أنْ تفرّغ أذهانهم لما يُمْضُونه على الناس.وفي عهد سابور[٣٤] : (ووزيرك فليكُنْ مقبول القول عندك ، رفيع المنزلة لديك ، يمنعه مكانه منك وما تثق به من لطافة موضعه عندك من الضراعة لأحد والمداهنة في شيء مما وليته لتبعثه الثقةُ بك على محضِ النصيحةِ لك ، ومنابذة من أراد غِشَّك وانتقاص حقِّكَ[٣٥] . وإنْ أورد عليك رأياً يُخالِفُك ولا يوُافقُ الصوابَ عندك فلا ترده عنك[٣٦] بالتجهُّم فينتفض عن اتيانك بكلِّ رأي يلوحُ له ، ولكن اقبل ما رضيت ، وعَرِّفْه ضرر ما سخطت ، لينتفع وزراؤك بأدبك فيما يستقبلون النظر فيه . واحذر كلَّ الحذر أن ينزل سواهم عندك هذه المنزلة ، وأن يسهل لغيرهم سبيل الانبساط بالنطق عندك ، والافاضة في أمور مُلكِكَ ورعيتِكَ ، فإنَّهُ لا يُوثَقُ بصحة آرائهم ، ولا يؤمَنُ انتشار ما وصل (٢٢) من الأسرار إليهم) .

وكانت الفُرسُ تقول : ينبغي للملك أن لا يكون عنده آثرُ من وزيرٍ صالح العقل والرأي وافر الأدب بصيرٍ بالأمور ، فإذا ظفر به فلا يبعده ولا يقصيه ، على أنّ الفاضل الطبع لا يمنعُ نصحهُ وإن جُفي .

وأمّا فضائلُها المأخوذة من . . في أُمور الممالك والدول والسلاطين والملوك المؤهلين لسياسة العباد وعمارة البلاد فهم الذين يزنون الأمور بزنتها ، ويقوِّمون الأشياء بقيمتها ، ويرتِّبونَ كلَّ طبقةٍ من الطبقات التي تشتمل ممالكهم عليها في الموضع الأخصِّ بها ، ويُرقُّونها الى الدرجة التي تستوجبها بكفايتها وعائدتها في مصالح السلطان ورعيّته ، فمَنْ قَرُبتْ منهم منزلتُهُ ، ولطفت عندهم حالتُهُ من كُفاةِ أعمالهم وحملة أثقالهم ، فهي أفضلُ الصنائع وأعودها باتِّساقِ الأمور وانتظام التدبير .

وليس في متولي خدم السلطان والمتصرفين في مُهماتِهِ أخصّ من الكتاب به ، لأنهم دون جميع الناظرين في أمور الدولة خاصة الملك وبطانته ، والمنفردون بالاطلاع على سرائره والعلم بأخباره . وأخصُّهم كاتبُ الرسائلِ ، فإنَّهُ أوّلُ داخل على الملك وآخرُ خارجٍ عنه ، ولا غنى له عن مفاوضته في آرائه والافضاء اليه بمُهماته وتقريبه من نفسه في آناء ليله وساعات نهاره وأوقات ظهوره للعامة وخلواته واطلاعه على حوادث دولته ومهمات مملكته ، (٢٣) فهو لذلك[٣٧] لا يثقُ بأحدٍ من خاصته ثقته به ، ولا يركنُ الى قريبٍ ولا نسيبٍ ركونه إليه[٣٨] ، ومحله منه لما ذكرناه من عائد خدمته وأثره في دولته محلُّ قلبه الذي يؤامره في مشكل رأيه حتى يتفتح ، ويراجعه في مُهمٍّ تدبُّرِه حتى يتوضح ، ولسانه الذي يقرُّ بترغيبه أولياءه على الطاعة والموافقة ، ويستقي بترهيبه أعداءه عن المعصية والمشاقة ، ويقرر بأوامره ونواهيه أمور سلطانه في متوطد منازلها ، ويحلُّها في متمهد محالها ، ويتمكنُ من سياسة أجناده وعمارة بلاده ومصلحة رعيته ، واستجلاب مودَّتهم واستخلاص نياتهم ، وعينه التي تلاحظُ أعوان سلطانه وترعى مهمات شانه ، وسمعه الذي يثقُ بوعيه ولا يرتابُ بما سمعه ، ويده التي يبسطها بالانعام ويبطشُ بها في النقض والابرام .

ومن كانت هذه رتبته فالسبب الذي رتّبه فيها أفضلُ الأسباب وأجدرها بالتقديم على الاستحقاق والاستيجاب[٣٩] .

وهذا أمرٌ ظاهرٌ لأنه قد عُلِمَ أنّ الصنائع كُلّها معاونٌ ومرافقُ لا تنتظم عمارة العالم إلاّ بها . وهي على ضربين : خاصية وعامية .

فالعامية صنائع المهن وأهلُ الأسواق والحرف ، وإن شاركهم الخاصةُ في الحاجة اليها ، لأنّ بها تنتظمُ أمورُ المعاملات ، وهم عمارةُ البلاد .

والخاصيةُ هي التي تقع في حيّز الملوك والسلاطين ، ويتوزعها أعوانهم وأتباعهم .

(٢٤) وهذه الصنائعُ إنّما يقعُ التميزُ بين أقدرها بأنْ يُنظرَ الى مقدار عائدتها في أمور الملك والسلطان والرعية ، فما كان مُعلقاً بالأمر الأهمّ وكانت الحاجةُ اليه ألزم ، وقدر المنفعة به أجسم ، والفسادُ العائدُ بوقوع خللٍ فيه على أسباب المملكة أعظم ، فرتبته في الصنائع الخاصية أشرفُ وألطفُ .

وليس من الصنائع صناعةٌ تجمعُ هذه الفضائل إلاّ صناعةُ الكتابة ، لأنّ الملك محتاجٌ في انتظام أمور سلطانه الى ثلاثة أشياء لا ينتظم ملكه مع وقوع خللٍ فيها :

أولها : رسمُ ما يجبُ أنْ يُرسم لكلٍّ من العمال والمكاتبين عن السلطان في الأمور والأعمال المنوطة بهم ، ومخاطبتهم بما تقتضيه السياسة من أمرٍ ونهيٍ وترغيبٍ وترهيبٍ ووعدٍ ووعيدٍ وحمدٍ وذمٍ .

والثاني : استخراج الأموال من وجوهها واستيفاء الحقوق السلطانية .

والثالث : تفريقُها في مُستحقيها من أعون الدولة وأوليائها الذين يحمون بيضتها ، ويسدون ثغورها ، ويحفظون أطرافها ، ويذبون عنها رعاياها ، وغير ذلك من ووه النفقات الخاصة والعامة .

وهذه أعمالٌ لا يقومُ بها إلاّ كُتّابُ السلطان ، لا سبيل للكُتّاب الى الكفاية[٤٠] فيها إلاّ بالتبريز في صناعة الكتابة . فهي إذاً من أشرف الصنائع لعظم عائدتها على السلطان وأسبابه[٤١] .

وفضائلُ هذه الصناعة أكثرُ من أن نُحصيها ونُعدُّدها ، (٢٥) وفيما أثبتناهُ دلالةٌ على ما ألغيناهُ ، وهو كافٍ في إبانة فضلها على سائر الصناعات الخاصية الملوكية ، وأنّ لها رُتبةَ الفضيلة والتقدم الحقيقي .

القولُ على المنفعة :

أمّا منفعةُ هذه الصناعة فظاهرةٌ متجليّةٌ ، عامّةٌ شامِلةٌ ، لتتميمها قوّة النطق التي هي معنى الانسانية ، وبلوغها به الى أبعد غايات كماله كما ذكرنا فيما سلف ، وكونها من المرافق المشتركة التي[٤٢] لا يخلو خاصٌّ ولا عامٌّ من الأخذِ بحظٍّ منها ، لحاته وضرورته الى استعمالها ، ولقيامها بمصالح الملوك الذين هم نظامُ الأمور وقوام الجمهور ، ووقوع الاضطرار الى المتحلّينَ بها من الكتاب لتوسُّطهم بين طبقتي السلاطين والرعية ، لأن كلاً من هاتين الطبقتين في الطرف الأبعد من الأخرى ، وقوام كلُّ واحد منها بأن يتصل بصاحبه ، ولا سبيل الى اتصالهما بأنفسهما مع تباينهما ، وإنما يتم ذلك بحصول طبقة ثالثة مساهمة لهما في خواص أفعالهما ، آخذة من أخلاقهما بنصيب لتؤدي عن كلّ طبقةٍ الى الأخرى ما يصلها بها إذ لا يصل بين الطرفين المتباعدين إلاّ بمتوسط بينهما آخذ من كل منهما بمجاورته له .

وليس من طبقات الناس من حصل في هذه الرتبة ، أعني رتبة التوسط بين الملوك والسوقة ، فساهم الملوك في كبر الهمة وجلالة الخطر ، وساهم العامة في التواضع والاقتصاد ، سوى الكُتّاب ، ولذلك جعلت إليهم السفارة في مصالح الرعية (٢٦)

عند السلاطين ، واستيفاء حقوق السلاطين من الرعية ، والتلطف في الصلة بينهما[43] فالحاجة إليهم ضرورية ، وسنستوفي القول في هذا المعنى .

أعلم أن جميع الصنائع وسائل الى درك المطالب ونيل الرغائب ، وأن عوائدها تتفاضل في الكثرة والقلة بحسب تفاضلها في الرفعة والضعة ، إذ كان منها ما لا يفي بالبُلغةِ من قوام العيش نحو الصنائع المهينة السوقية الداخلة في المرافق العامية ، ومنها ما يوصل الى الثروة ويتجاوز حدُّ الكفاية ويحظى بالمال الدثر والنعم الخطيرة ، وهي الصنائع الخاصية .

وإذا تؤمل ما هذه صفته منها علم أنه ليس منها ما يلحقُ بصناعة الكتابة ولا يُساويها في هذا النوع ، ولا ما يكسب ما تكسبه من الفوائد والمعاون مع حصول الرفاهية ومجانبة التبذُّل والتنزه عن دنايا المكاسب ، ولا ما يوصل الى ما توصل إليه من الحظوة ورفاغة العيش ومشاركة الملوك المستعبدين للكافة في المساكن الفسيحة والملابس الرقيقة والمراكب الميلة الجميلة والدواب الفرهة والخدم والحشم وغير ذلك من الآلات والأدوات الملوكية .

ومن العجب أن صاحب هذه الصناعة ينتهي الى الحال التي ذكرنا ، ويحصل الفوائد التي عددنا على أكثر الأحوال في أقرب المدد وأقل الأزمنة[44] ، فإن كان ما يصل إليه من ذلك أمراً يتحمله رئيسه له ، لعلمه بخطر صناعته (٢٧) وعنايته في خدمته ، واستنجابه لتنويله ما نوّله بكفايته . وناهيك بذلك من فضل هذه الصناعة وشرفها [وارتفاع خطرها وسحر قدرها إذ كان لها سعة لمثل هذه الجدوى التي لا يوجد مثلها في غيرها من الصنائع][46] ، وإن كان ما يخلص اليه من الاكتساب والمرافق أمراً يوصله اليه استقلاله بصناعته ويقدره عليه تبريزه في معرفته ، حتى ينتهي الى الحال التي وصفناها ، من غير خيانة للسلطان ولا إشكاء للرعية ولا تطرق بيعة في دين ولا دنيا . فإن اعترض بمن يقعد به الجدُّ ويتخلف عنه الحظُّ من أهلها ، فلسنا نقول إن ما وصفنا به هؤلاء القوم مطردٌ في حقهم ولا لازمٌ في كافهم . وكيف ذلك والأقدار تعترضُ دون الأوطار ، وتجري بحرمان الكافي المشمِّر ، وتنويل العاجز المُقصِّر . لكن الذي جرت العادةُ به أن يؤخذ الاعتبار مما يكثر وقوعه .

على أن المُبرِّز في هذه الصناعة إن قعدت به الأيامُ في حالٍ ، فلا بد أن تنهض به في اخرى ، لأنّ دولة الفاضل من الواجبات ، ودولة الجاهل من الممكنات[47] ، ولا نسبة بين الواجب والممكن .

ومما يتصلُ بالقول على هذا الفصل أنه ما من أحد يتوسلُ الى السلاطين بالأدب ، ويمتُّ إليهم من العلم بسبب ، إلّا وهو نافلةٌ لا ينوّل ما ينوّله إلّا على وجه الارفاق خلا الكاتب ، فإنه يُنول الرغائب العظيمة من طريق الاستحقاق لموضع الافتقاد اليه والحاجة[48] الحادثة عليه .

وهذا كاف في الدلالة على منفعة هذه الصناعة وجلالة عائدتها .

(٢٨) القول على الغرض

كلّ صانع يعاني صناعة من الصنائع فلا بُدّ له في معاناة تلك الصناعة من مادة جسيمة تظهر فيها الصورة وآلة تصور بها ، وغرض يقطع الفعل عنده ، وغاية تستثمر من صنعته ، وقد أستعمل بعضهم الغرض في مكان الغاية ، وبينهما فرقٌ ، وهو أن الغرض هو الحدُّ الذي يقطع كل فاعل الفعل عنده ، والغايةُ هي الشيء المستثمر المجتنى من ذلك الفعل ، فلذلك مادتان : إحداهما لطيفة روحانية وهي الألفاظ التي يحلها[49] الكاتب في أوهامه ويصوِّر من ضم بعضها الى بعض صورة باطنة قائمة في نفسه بالقوة ، والأخرى مادة جسمانية[50] ، وهي الخطُّ الذي تخطه بالقلم وتقيدُ به تلك الصور[51] فتصير بعد أن كانت صورة معقولة باطنة صورة محسوسة ظاهرة[52] .

وأما غرضها الذي ينقطع الفعل عنده فهو تقييد الألفاظ بالرسوم الخطية ، لتكمل قوة النطق ، وتحصل فائدته للأبعد كما تحصل للأقرب ، وتصل الى الغابر كما تصل الى الحاضر ، وتحفظ صوره ويؤمن عليه من التغير والتبدل والتفلّت .

وأما غايتها ، وهي الشيء المستثمر منها ، فإن بها ينتظم جمهور المعاون والمرافق ، العظيمة العائدة في أحوال الخاصة والعامة ، الجسيمة العائدة في أمور الدين والدنيا .

وهذا أمرٌ ظاهرٌ للعقل داخل تحت الحس ، يستغنى فيه بالايجاز عن الاسهاب(٢٩) وبالاجمال عن الاطناب لأننا إن أخذنا نعدد جميع الأشياء المجتباة منها طال القولُ وامتدَّ ، واحتجنا الى ايراد كل ما تنتظمه الصناعة ، مما قد تقسمته وتوزعته رتبه ومنازله من كتابنا هذا .

والصنائع كلها وإن كانت مفتقرة في كمالها الى وجود المادة والآلة والغرض والغاية ، فليست هذه الأربعة فيها بمتكافئة في الشرف والفضيلة ، لأن من الصنائع ما يشرف بمادته وآلته ، وغرضه وغايته ، كصناعة الطب ، فإن مادتها أجسام البشر الذين هم أفضل الجنس الحيواني ، وآلتها الأغذية الحافظة للصحة الحاسمة للمرض ، وغرضها الصحة للبدن ، وغايتها حفظها على حال الصحة .

ومن الصنائع ما يشرف ببعضها دون بعض ، وصناعة الكتابة تشرفُ من كلّ وجهٍ .

أما مادتها فقد قلنا إنّ لها مادتين وهما : اللفظُ والخطُّ ، وهاتان المادتان من الشرف والفضيلة كما تقدم ، لتقاسمهما البيان وتشاطرهما الدلالة على المعاني وخدمة النطق الذي هو خاصة الانسان .

وأما آلتها التي هي القلم فقد أنبأ الله تعالى عن جلالتها وشرفها بإقسامه بها وإضافته تعليم ما يخطه الى نفسه ، وما لقائل أن يقول : إن القلم براعة لا تستحق هذا التفخيم ، لأن اللسان مضغة من لحم ، وقد جعله الله تعالى أداة لتقديسه وتمجيده وتوحيده وابراز ما(٣٠) في الافهام بالقوة الى الفعل وتكميل فضيلة المنطق ، والأشياء إنما تُقدَّرُ بغاياتها لا بجواهرها .

وأما غرضها الذي هو تقييد ما تبرزه الخواطر من أوهامها حتى تتساوى في علم من حضر وغاب وبعد وقرب ، فغرضٌ شريفٌ جليل العائدة نبيل الفائدة .

وأما غايتها المُجتباةُ منها ، وهي(*) تعدُّ أشرف موقعاً وألطف موضعاً لانتظامها بتعاظم المعاون والمرافق التي لا تستقيم أمور الملوك والسوقة إلّا بها ، فغرضٌ يبرز الصناعة من أنفس الأغراض وغايتها من أجلّ الغايات .

القول على القسمة :

هذه الصناعة تنقسم أقساماً كثيرة ، وترجع الى أصلين :

أولهما : أولاهما بالتقديم والتفضيل ، وهو الانشاء والترسيل .

والثاني : الحساب والتفصيل ، وإنما يُميزُ الأصلُ الأول على الثاني لما تفيده الزيادة من قوة التمييز وجودة الروية وثبوت الفطنة ، واشتماله على البيان الدال على المعاني ، وهو أقدمُ من الحساب لأن المتولي لعمل هذا الأصل هو الذي يُمثل لكل عامل من عمال السلطان ما يجب أن يجري عليه في عمله ، فهو بهذا الحكم حائزٌ للقسمين ماهرٌ فيهما .

وكاتب الترسيل يحتاج الى التصرف في المعاني المتداولة ، والعبارة عنها بألفاظ غير الألفاظ التي عبر بها من سبق الى استعمالها ، يحفظ صورها ويؤديها على حقائقها . وفي هذا من المشقة ما لا خفاء به على من مارس الصناعة ، ولا سيما إذا (٣١) طلب الزيادة والابراز على من تقدمه في استعمال تلك المعاني ، أو حذا حذو رسوم بعض المبرزين الذين يتنخلون الكلام ويوقعونه في مواقعه في غاية من الرشاقة والحلاوة ومناسبة المعنى .

ويحتاج أيضاً الى اختراع معانٍ أبكار في الأمور الحادثة التي لم يقع مثلها ، ولا سبق سابقٌ الى المكاتبة فيها لأنّ الحوادث السلطانية لا تتناهى ولا تقف عند حدٍّ .

ولاختصاص متولي هذا العمل بالسلطان ، وقرب منزلته منه ، وإعظام خواصه له ، واعتمادهم في المهمات ونيل الأمل وبلوغ الأوطار عليه ، ولأنه متى صان نفسه ولزم الطريقة المشاكلة لمنزلته كان أجدر بالسلامة عن سائر أرباب الأقلام الذين يتصرفون في الأموال والأمر .

وفي تقدم الأصل الأول على الأصل الثاني ما هو أوضح من أن نتكلف[١] فيه بياناً أو نقيم عليه برهاناً . على أنّ الأصل الثاني عظيم المحل في الدولة وأمور السلطان . وسنستوفي القول في الفائدة به وبالمبرزين فيه في كتاب الخراج إن شاء الله تعالى .

واعلم أن صناعة تأليف الكلام تنقسم على ثلاثة أنواع هي كالجنس لها ، وهي : الكتابة والخطابة والشعر . ومن ها هنا وقع التناسب بينها . ولكل منها رتبة من الشرف والفضل ، إلاّ أن صناعة الكتابة ترأس صناعة الخطابة ، وصناعة الخطابة ترأس صناعة الشعر .

وإن عددنا جميع الأشياء التي تتميز بها الكتابة على هاتين الصناعتين طال الكتاب وأفضينا (٣٢) الى الاسهاب ، غير أنا نأتي من ذلك بما يقع عليه إبانته من تقدمها عليها بالقول الموجز فنقول : إن صناعتي الخطابة والشعر وإن كانتا متوفرتي الحظ من الفضل والشرف غير بالغتين مدى صناعة الكتابة ، ولا مجاريتين لها في دوام الحاجة اليها وقدر الانتفاع بها وكثرة غنائها في أسباب الملك والسلطان ، وذلك أن الخطيب إنما يحتاج اليه في الأحيان المتباعدة مرة ليقوم على رؤوس الأشهاد في المجالس الحافلة ، مُزيِّناً لها بما يقضي حق المشهد ، ولا يتجاوز ما يودعه خطبته فنا واحدا من فنون الكلام ، وهو الدعاء والثناء والوعظ والحض[٢] على لزوم الطاعة والتحذير من المعصية .

والشاعر إنما يُحتاج إليه أيضاً لتزيين مثل هذه المجامع بما يورده من كلام موزون مقصور على المدح والاطراء ونحوهما . ومجالها أضيق من مجال الخطيب لحاجته الى إقامة الوزن .

وأين يقع هذان النوعان من الرسائل التي ينشئها الكاتب في أنواع المعاني الصادرة عن الملوك والسلاطين في سياسة الملك ومخاطبة الخاصة والعامة ، ككتب البيعة التي بها تنعقد إمامة الأئمة وتستقر خلافة الخلفاء ، وهم عماد الدين والدنيا ، وسياسة العباد والبلاد ، وبوقوع الاجماع عليهم تمضي الأحكام في النقض والابرام ، وكتب الهدن المشتملة على الشروط القاضية بحقن الدماء وسكون الدهماء واصلاح ذات البين (٣٣) واتصال العمارة واستمداد المرافق والمعاون التي يُستعانُ بها على مصالح الدولة والملة ، من الأسلحة والعدد وآلات الحرب وغيرها مما يرهف الشوكة ويقوي المنن ويعود بالجمال ، وكتب تقاليد الوزراء والقضاة والعمال والنظار في الأموال الذين هم أركانُ الدول وقواعدها ، وبهم تنتظمُ عقودُها . ثم إنا نجد الحاجة الى الكاتب في كل وقت من ساعات النهار وآناء الليل وأحيان الحركة والاستقرار والسلم والحرب ضرورية وليست داخلة في باب الرتبة التي يقع الغناء عنها كالخطيب والشاعر اللذين إنما يُعدانِ ليزينا وقتاً بعينه .

وإن اعتبر فضل ما بين هذه الصناعة والصناعتين الأخريين من طريق المرفق والجدوى ظهر أنّه لا نسبة بين ما يحصل عليه الكاتب من الحظ وبين ما يحصل عليه الخطيب والشاعر من طريق البر والصلة والرغبة في حسن السمعة ، هذا على استمرار ما يُجبى به الكاتب وانقطاع ما يُحبى به الخطيب والشاعر .

وإن اعتبر أيضاً فضلُ ما بين صناعة الكتابة وصناعتي الشعر والخطابة برتب أهلها علم أن الكتاب هم أهل التقدمة وذوو الحظوة والرتبة والمنزلة العالية ، وأنّ مفالق الشعراء خُدّامُهم ومتعرضون لصلاتهم ، وبَيْنَ مَنْ يُعطي

ومَنْ يأخذ ومَنْ يصلُ ومَنْ يوصل بونٌ بعيدٌ وفرقٌ واضحٌ .

وإن اعتبر عناءُ الترسيل والشعر في الأمور (٣٤) التي يُستعمل فيها الكلامُ المؤلف عُلِمَ أنَّ الشعر لا يُغني فيما يغني فيه الترسيل ، لأنه لو كتب كاتبٌ في حادث من الحوادث السلطانية الى صنف من أصناف الرعية ، عوضاً من رسالة يتضمنها الغرضُ الذي(٥٥) تقتضيه تلك الحادثة ، قصيدة تشتمل على مثل ذلك المعنى لما جاز ولا حَسُنَ في رسوم السلطان ، ولو شاء أن يُودِعَ ما يودعه الشاعر قصيدته من جميع سائر أنواع الشعر رسالة لما قبح ذلك ، فالترسيلُ يشاركُ الشعر في جميع وجوهه ،من مدحٍ وهجاءٍ وسلوى واجتداءٍ وشكرٍ وثناءٍ وهناءٍ وعزاءٍ ، ويأخذ منها بالحظِّ الأوفى .

وبما أوردناه كفاية في الدلالة على استحقاق صناعة الرسائل التقدُّم على الصناعتين الأخريين اللتين يقاسمانها استعمالَ الكلام المؤلَّف .

فأما ما تفضل به صناعة الخطابة على صناعة الشعر فإن الخطابة من الصنائع المتعلقة بأسباب الدين والسلطان ، إذ الخطبةُ شطرُ الصلاة ، والمشتملة على المواعظ الوازعة والذكرى النافعة المنبهة للساهي الغافل ، الموقظة للاهي الذاهل ، العائدة بترقيق لقلوب وكشف ما غشيها من زين الاغترار والاخلاد الى هذه الدار ، والحض على الاستعداد لمنزل القرار ، وغير هذا مما كانت الخلفاء تتخوَّل به الرعايا اقتفاءً لسُنَنِ الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فإن خطبه كانت تنوبُ مناب الوحي إذا تأخرت موادُّه .

وإذا اعتبر فضل ما بين الخطابة والشعر (٣٥) بفضل ما بين الخطباء والشعراء عُلم أن التقدُّم للخطباء على الشعراء .

قال : لأن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أوَّلُ من يعزى الى الخطابة ، وخُطبُهُ أفضلُ الخطب ، وقد حاز رُتبة الخطابة على أكمل حدودها وأتم رسومها .

فأما الشعرُ فإن الله تعالى نزهه عن نظمه بل عن إنشاده ، فقال : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له »(٦٦) . وقال : « وما هو بقول شاعرٍ قليلاً ما تؤمنون »(٦٧) .

ثم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وهو بعد الرسول الخطيبُ المِسْقَعُ(٦٨) ، وخطبه أجزل الخطب وأجمعها للفوائد والمواعظ .

ثم الخلفاء الذين خلفوا في الاسلام ، فإنهم كانوا يوصفون بالخطابة ولا يوصفون بالشعر ، لترفعهم عن الاتسام بسمته .

ومما تنفضل به الخطب الشعر أيضاً أن الخطب كلامٌ مبني على الصدق والارشاد الى الخير ، وأما الخُطبُ الجاهليةُ التي كان خطباءُ العرب يقومون بها في الأندية والمحافل فمقصورةٌ على الأمر بالصلاح والاصلاح ، والتحضيض على التبارِّ والتعاطف ورفض التباغض والتقاطع ، وصلة الرحم ، ورعاية الذمم ، ونحو هذا(٦٩) .

وأما الخطب الاسلامية فلا حاجة بنا الى ذكر ما تشتملُ عليه من وجوه الخيرات ، وما تتضمنه من تمجيد الله تعالى وتوحيده والثناء عليه ، والصلاة على رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، والترغيب في الآخرة والتزهيد في الدنيا ، وقدح الهمم في طلب الثواب ، والورع عن (٣٦) احتقاب ما يوجب العقاب .

والشعر إنما بني على معان أكثرها مستحيلٌ ، وأقوال جُلُّها كذبٌ ، لا سيما الشعرُ الجاهلي الذي هو أفحلُ الأشعار ، فإنَّهُ يشتمل على قول البهتان ، وشهادة الزور ، وسبِّ الأعراض ، وقذف المحصنات ، والقدح في الانساب الصريحة ، وقبح الهجاء ، وما يُجاري هذا مما يجبُ التنزه عن الخوض فيه والتصون عن اطلاق اللسان به .

وهذا كاف فيما رمنا إبانته من فضل الخطب على الأشعار .

وأما ما يشرفُ به الشعرُ غيره من الكلام فبوزن الأجزاء وتساوي الحروف وطول بقائه على أفواه الرواة ، فإنه لا شيء أبقى على الدهر من الشعر ، لتمكن القوة الحائطة بارتباط أجزائه ، وتعلق بعضها ببعض من تقييده ، لأنهم مجمعون على أن أبقى

سيرهم وأخبارهم ما اشتملت عليه الأشعار ، وهذه فضيلة جليلة الخطر ، لأن بقاء الشيء وطول مدته من أشرف فضائله .

ومنها : اشتهاره واستفاضته ، لأنه لا شيء أشهر من المعنى الجيد، وهو جارٍ مجرى الأمثال . وقد قيل : لا شيء أسبقُ الى الأسماع من بيتٍ نادرٍ ومثلٍ سائرٍ .

ومنها : تزيينه مجالس الملوك الحافلة بالثناء عليهم وتعديد محاسنهم .

ومنها : ما يحصلُ عليه الشاعر المجيد من الحباء الجسيم الذي يستحقه بحسن موقع ألفاظه ومعانيه من النفوس وما يحدثه فيها من الأريحية .

ومنها : عمارته لمجالس الأنس التي لا تعمر إلّا بإنشاد (٣٧) الأشعار ورواية الأخبار .

ومنها : قبوله لما يركب عليه من الألحان المطربة المؤثرة في الأنفس اللطيفة والطباع الرقيقة .

ومنها : أن ألفاظ العربية وشواهد القرآن وغيره من الكلام العالي ككلام النبي ، صلى الله عليه وسلم ، إنما يُستنبطُ منه .

ومنها : معرفة أمثال العرب وحكمها وعلم تواريخ أيامها ووقائعها .

فقد وضح بذلك غاية رتبتها في الفضل ، وأن المُجلِّي السابق صناعةُ الرسائل ، والمُصلِّي اللاحق صناعةُ الخطب ، والمُسلِّي التابع صناعة الشعر[10] .

وذهب قوم لما عددناه من محاسن فضائل الشعر الى تفضيله على الرسائل ، وتابعهم على ذلك من أصغى هواه الى أهويتهم وضعف نقده عن إعطاء الأشياء حقها من التأمل واستعمال النظر الشاقي في المقايسة والتمييز ، واستعملوا المغالطة في تقديم النظم ، فنقول وبالله التوفيق :

إن الشعر وإن كان في المنزلة التي أشرنا اليها فإنه هابطٌ عن درجة الرسائل هبوطاً بيِّناً لا يخفى عن ذوي المعارف المميزين ، ويدل على ذلك خبر امرىء القيس مع أبيه حجر حين هم بقتله لما سَمِعهُ بعد أن نهاه عن قول الشعر يترنم في مجلس شرابه بقوله[11] :

اسقيا حُجراً على عِلاّتِهِ

من كُمَيتٍ لونها لونُ العَلَقْ

وما رواه الرواة من حديث النابغة الجعدي ، وأنه كان سيِّداً في قومه لا يقطعون (٣٨) امراً دونه وأن قول الشعر حطَّ رتبته[12] .

ولايضاع الشعر في نفوس سادات العرب وملوكهم نزه الله تعالى رسوله عنه ومنعه منه ، وليس إعدامه الشعر كإعدامه الخط ، لأن الذي جاء به ليس بشعر فيقع الارتياب فيه إذا كان يقول الشعر ، لأنه لا يجوز أن يبعث الله تعالى رسولاً يريدُ أن ينقاد الناسُ إليه بما ينقص من قدره في أنفسهم .

ولو كان الشعر أعلى رتبة من النثر لم يجز أن يتحدى الله تعالى العباد إلّا به ، لئلا يكون قد تحداهم بما يوجدُ أبلغ منه ، لكنه سبحانه لعلمه بفضل الكلام المنثور أنزل كتابه العزيز منثوراً ذا مقاطع وفواصل ولم ينز له قصائد ذوات قوافٍ وأوزان ، وعراه من حلية النظام الذي يصقلُ صفحة الكلام ، ليظهر العجز من غير طريق القوم الذين أنزله بلسانهم .

ولو كان النظم أيضاً أفضلَ من النثر لوجب أن يجيء ما نقله الشعراء من معاني الكلام المنثور الى النظم في (أعلى) صورة من البلاغة ، وهذا مستحيل ، لأننا إذا أعرنا ما نقل من معاني النثر الى النظم وجدناه قد انحط عن درجته في النثر . ومن ذلك قول الله تعالى : « يحسبون كلَّ صيحةٍ عليهم هم العدو »[13] ، فإن جريراً نقله الى قوله[14] :

حملتْ عليكَ حماةُ قيسٍ خيلها

شُعْثاً عوابسَ تحملُ الأبطالا

مـا زلـتَ تحـسِـبُ كـلَّ شـيءٍ بـعـدهـا
خـيـلاً تـكُـرُّ عـلـيـهـمُ ورجـالا

(٣٩) والفرقُ بينَ الكلامين ظاهرٌ لِمَنْ كان ذوقُه مستقيماً وطبعُهُ سليماً .

ومنه قوله تعالى : « كمثل الحمار يحمل أسفاراً »(٦٥) . نقله الشاعر(٦٦) الى قوله :

زوامِـلُ لـلأشـعـارِ لا عِـلمَ عِـنـدهُـم
بـجـيِّـدِهـا إلّا كـعِـلـمِ الابـاعـر
لـعَـمْـرُكَ مـا يـدري الـبـعـيرُ إذا غـدا
بـأوسـاقـه أو راح مـا في الـغـرائـرِ

وبيان هذين الكلامين واضحٌ أيضاً .

فإن قيل : إنهُ يجبُ أن توقع المقايسةُ بين النظم والنثر من كلام المخلوقين دون كلام الخالق ، عزَّ سلطانه ، لتفرُّدِهِ بالمُعجز وحلوله في الدرجة العالية من البلاغة التي لا يصلُ البشرُ إليها ، سلَّمْنا ذلك وأوقعنا المقايسة بين كلام البشر وأتينا في التمثيل بأبلغ النوعين ، أعني المنظوم والمنثور .

فمن ذلك قولُ النبي ، صلى الله عليه وسلم ، للأنصار ، رضي الله عنهم : (إنكُم لتكثرون عند الفزع وتقلُّونَ عند الطمع)(٦٧) .

قال عنترةُ بن شداد(٦٨) :

يُخـبِـرْكِ مَنْ شَـهِـدَ الـوَقـيـعـةَ أنـني
أغـشـى الـوغـى وأعِـفُّ عـنـد المـغـنـمِ

يشتملُ هذا البيت على معنى كلام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ويوازنُهُ في عذوبة اللفظ ، فقد ساواه كلام النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بنفسه لا بسبب آخر هو معرضٌ له . وهذا يوجب الفضيلة للنثر لأنها حصلتْ له بنفسه لا بسببٍ من خارجٍ .

والنظمُ إنما تَمَّم حُسْنَهُ المعرض الذي هو لا بسُهُ من الوزن والقافية ، (٤٠) وذلك أنَّ الشعر حالٍ من الأوزان والقوافِي وقيامِ كلُّ بيتٍ وانفصاله عن غيره بما النثرُ عاطلٌ منه .

وهذه أسبابٌ تزيد في رونقه وجوهره وتقضي بتقبل الأنفس له ، ولذلك يعجبُ به كثيرٌ ممن لا يفهم معنى الشعر ويتحفظه وإن كان ملحوناً مستحيل المعنى .

و‹ أمّا › النثرُ فإنما تحليه بلاغته ، فإذا ساوى وهو عاطلٌ بنفسه ما هو حالٍ فقد زاد عليه لا محالة ، لأنه لو كانت له حليةً لَفُضِّل بها على ما سواه بنفسه لا غير . ومثالُ ذلك انا لو استعرضنا شخصين : أحدهما حالٍ كاسٍ ، والآخرُ عاطلٌ عارٍ ، فتوازنا في الوضاءة والصباحة ، لحكمنا للعاطل العاري بالارباء والابراز على الكاسي الحالي ، لأن الحالِي الكاسي لو نزع حلاه وكساه وقايس العاطل العاري لما ساواه .

وأما وجازةُ البيت فلأنَّهُ مُعبِّرٌ عن حالٍ يخصُّ قائلهُ ولا يعدوه .

وفي كلام النبي ، صلى الله عليه وسلم ، زيادةٌ في المعنى أوجبت زيادة اللفظ ، وهي العموم في الحال المعبر عنها ، وخطاب الجماعة بقوله : (تكثرون وتقلون) ، وقوله : (عند الفزع) ، يجمعُ الجنس الذي من أنواعه الوغى وغيره . وكذلك (الطمعُ) فقد يكون مغنماً وغير مغنم .

ففي الكلام فوائد ليست في البيت ، ومطابَقةٌ لفظيةٌ وهي ذكر القلة والكثرة .

ومع هذا فإن صاحب النثر مطالبٌ بطبقِ معانيه على ألفاظه ، غير مُسامحٍ بضرورة ولا مجازف باستعمال كلمة مرفوضة ، وليس (٤١) كذلك الشعرُ ، لأنه يتبعُ الوزن وينقادُ الى ما تقتضيه القافية ، وصاحبُهُ مُساهلٌ فيما خالف القياس ، مُسامحٌ بما لا يُسمَحُ به لمترسلٍ ولا خطيب .

فإن قيل : إذا كان النثرُ في أعلى طبقةٍ من البلاغة ، لخلوه من سبب يُحسنُهُ واكتنافه ببلاغته وتأليفه المخصوص ، فما يمنعُ أن يكون الشعرُ أفضل من أجل أنَّهُ لو قُدِّرَ أنَّ كلاماً منثوراً بلغ الغاية من البلاغة بنفسه وتأليفه ونُقِلَ على صورته الى الموزون لصار في أفضل من حالته الأولى ، لجمعه بين بلاغته وهو نثرٌ وما اكتسبهُ من تحسين الوزن ، لا سيما ولا منزلة من البلاغة في غير الشعر إلاّ ونقلها الى الشعر ممكنٌ .

قُلنا : هذا لا يصحُّ ، لأن الكلام البليغ نمطٌ من التأليف وضربٌ من الترتيب .

ونقل الشاعر(٦٩) ، قول علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه : (قيمةُ كلِّ امرىءٍ ما يُحسِنُ)(٧٠) ، فقال :

فـيـا لائـمـي دَعـنِي أُغـالي بـقـيـمـتي
فـقـيـمـةُ كُـلِّ الـنـاس مـا يُحـسـنُـونَـهُ

فإنه وإن كان قد أورد المعنى في نصف بيت على سبيل التضمين والاهتدام والنقل لم يأت بما ينسبُ إليه إلاّ لفظاً بدله وزاده لاقامة الوزن . والذي طبعه سليمٌ وحسُّهُ مستقيمٌ لا يفتقرُ الى تعريفه فرقَ ما بين الكلامين ، إلاّ أنَّ هذا الشاعر زاد فاءً في قوله : (فقيمة) ، وهي مستكرهةٌ ثقيلةٌ في هذا الموضع ، وأبدل لفظة (امرىء) بلفظة (الناس) ، وامرؤٌ أعذبُ وألطفُ ، ونقل قوله : (ما يحسن) الى قوله : (ما يحسنونه) ، (٤٢) والجمع بين هاتين النونين وليس بينهما إلاّ حرفٌ ساكنٌ ، والساكنُ لا يُعْتَدُّ به ، مستوخمٌ(٧١) .

وفي هذا دلالةٌ على بطلان نقل المنثور إذا علت طبقتُهُ في البلاغة الى المنظوم وهو على الصورة التي كان عليها في المنثور ، وهنا في الوجيز ﴿من﴾ النثر فكيف بالمسهب الكثير الذي يحتاجُ فيه الى التبديل والتغيير . ولولا خوفُ التطويل لاتينا بأمثلة من النثر والنظم . وفي الذي أوردنا كفايةٌ في مناقضة من ذهب الى تفضيل النظم على النثر .

﴿ مراتب صناعة الكتابة ﴾

وأما المراتبُ التي تنقسمُ إليها صناعةُ الكتابة فخمس عشرة مرتبة ، وهي :

الوزارةُ والتوقيعُ والرسائلُ والخراجُ والضياعُ وبيتُ المالِ والخزائن والنفقاتُ والجيشُ والزمامُ والبريدُ والفضُّ والمظالمُ وكتابةُ القضاء وكتابةُ القُواد والأمراء وكتابةُ المعاون .

وقلنا فيما سلف إن اسم الكاتب إنما يقع في الحقيقة على الكاتب المستقل بجميع آلاتها ، المحيط بكلية أدواتها ، لا من تعلَّق منها بالسبب المتصرم واستند الى الركن المتهدم . وينبغي لمن تمـَّ بحبلها وأحبَّ أن يكون من صرحاء أهلها ، أن يتحلّى بحلية فضلها ، ويصبر(٧٢) على المشقة في اجتياز مداها ، ولم يقتصر على اسمها دون معناها ، لتحصل له حقيقةُ ما انتسب إليه ، ولا يكون دعياً ملصقاً ، ويفوز بمعنى ما يُسمَّى به ولا يكون صفراً منه مُملِقاً ، فإنْ عجز عن استتمامها ، وقصر عن استيفاء أقسامها ، فلا يقفُ في الفنِّ الذي (٤٣) يعتزي إليه من فنونها دون غايتها ، ولا يرضى بالخروج من خاصته الى عامته .

وقد مثلت الحكماء الملك وأعوانه بالنفس والاعضاء ، فقالوا : مثالُ الملك مثالُ النفس التي تسوسُ جميع الجسد ، ومثال الخدم مثالُ الأعضاء التي تخدمُ النفس . وقسموا الخدم بحسب انقسام الاعضاء فقالوا : إنَّ منهم من يخدمُ الملك خدمة القلب

للنفس التي هي التفكيرُ وإجالةُ الرأي ، وهذا عملُ وزير السلطان الذي يستعين بآرائه في مصالح الملك . ومنهم من يخدمُ الملك خدمة اللسان للنفس التي هي العبارةُ عن الضمائر واخراج الصور الوهمية الى المخاطبين ، وهذا عملُ كاتب الملك الذي يأمرُ عنه وينهى ويخاطبُ . ومنهم من يخدمُ الملك خدمة اليد للنفس التي هي تُناول الحاجات ، وتُقربُ ما يحتاج الى تقريبه ، وتدفعُ الأذى عن الجسم والمغالبة والمباطشة إذا احتيج إليها ، وهذا عملُ أجناد الملك وأنصاره وخُدامِهِ الذين يقومون بمرافق الملك .

ومنهم من يخدمُ الملك خدمة الرِّجْل للنفس التي هي للسعي والحركة الى المواضع التي يستدعي لها حاجاته ومهمانه ، وهذا كرسل الملك . ومنهم من يخدمُ الملك خدمة البصر للنفس التي تلحظُ له الأشياء وتحفظها وتشاهدها ، كأمناء الملك وعماله . ومنهم من يخدمُ الملك خدمة السَّمعِ للنفس التي هي آتيةٌ بالأصوات والأخبار على حقائقها ، وهذا عملُ أصحاب البُرُدِ الذين يفحصون عما غاب عن الملك (٤٤) ويطالعونَهُ به .

وهذا دالٌّ على أنَّ أهل هذه الصناعة هم المتحملون لمعاظم شؤون الملك والقائمون بجمهور أموره . ولا ينبغي لأحدٍ منهم أنْ يتعرض لنوع من أنواع خدمته إلّا بعد مهارته في ذلك النوع ، وارتياضه به ، وثقته بنفاذه فيه .

ونحن نذكرُ ها هنا ما يلزمُ كلَّ طبقة من هذه الطبقات الخمس عشرة أن تستقلَّ به من العلوم والآداب بالقول المجمل ، ليأخذها من معادنها ، ويجتلبها من مظانها . والله المستعانُ .

الوزارة :

هي الرئاسة . وصاحبُها يجب أنْ يكون قيّماً بجميع أنواع الكتابة وأقسامها ، عالماً بشروطها وأحكامها ، لأن كلَّ ناظرٍ في فنٍّ من فنونها اليه يرفعُ ما ينظرُ فيه ، فلا يجوزُ أنْ يكون جاهلاً بشيءٍ منه ، وأن يكون نافذاً في علوم الدين ، لأنَّ الدِّينَ أساسُ المُلك الذي يبنى عليه أمره ، وأن يكون فاضل العقل ، أصيل الرأي ، جيد الروية ، ثاقب البديهة ، جميل الصفح ، مُترفّعاً عن المباهاة برئاسته والمطاولة بمنزلته ، عفيف الطعمة ، شريف النفس ، وقوراً ، صموتاً عن الخوض فيما لا يعنيه ، كثير الأناة ، منتهزاً للفرصة ، متصرفاً لبلاغتي المنطق واليد ، فاضل الطبع ، مجبولاً على العدل ، عالي الهمة ، صادق اللهجة ، متأنياً في وعيده ، يلاينُ أهل الطاعة والانقياد ويُغلظُ على ذوي المعصية والعناد ، لا يسرعُ الى العقاب متهوّراً ولا يطمعُ في إغفاله مضجعاً ، آخذاً بالتقوى ، عادلاً عن الهوى ، لا يشقى به المُحقُّ وإن كان عدواً ، (٤٥) ولا يسعدُ به المُبطلُ وإن كان ولياً ، سهل الحجاب ، مفتوح الباب ، لطيفاً باللهيف المظلوم ، عسوفاً على الغشوم الظلوم ، محباً للخير ، مستكملاً شرائط المروءة وأقسامها ، في سعة المنزل والطعام ، وجودة الفرش والثياب ، وعطر الرائحة ، وفراهة الدواب ، وكثرة الأصحاب ، من غير مبالغة تطغي وتزدهي ، ولا تقصيرٍ يغضُّ ويغمضُ ، متجنّباً للغضب ، قليلَ اللهو والطرب ، مداوساً للتجارب ، ملابساً للنوائب ، عارفاً بتصرُّفِ الأحوال ، عالماً بوجوه الأموال ومصالح الأعمال ، مستوفياً لحقوق السلطان من غير حيفٍ على معاملته ورعيته ، معتمداً للانصاف لهم والانتصاف منهم ، مقدماً أهل الفضيلة والدين والغناء ، مُستكفياً للكفاة ، عارفاً لذوي البيوتات والرتب أقدارهم ومنازلهم ، مُنزلاً بحيث يستحقون منها ، بصيراً بمكايد الحروب ومُعاجمة الخطوب وتدبير الدولة وسياسة الرعية ، عارفاً بما يعتمدُ كلَّ طبقةٍ منها من عسفٍ ولطفٍ وخشونةٍ ولينٍ وما يصلحُ عليه من السير المتضادة ، لا يشغلُهُ كبيرُ أمرٍ عن صغيره ، مقدِماً للحزم ، عاملاً بالعزم ، ناظراً في العواقب ، مخلص النيَّة ، صحيحَ الطويَّة ، حارساً . .

وسنذكرُ في الباب العاشر ما يحتاجُ إليه كافة الكُتّابِ من الاعتقاد والتخلّق والعمل ، إن شاء الله تعالى .

التوقيع :

صاحبُ التوقيع هو يدُ الوزير ونائبُهُ ، ومتولّي العرض على الخليفة إذا غاب . وإذا لم يكن للسلطان وزيرٌ منصوبٌ (٤٦) فالموقِّعُ يدخلُ مدخلَهُ .

وينبغي أن يكون مستقلاً بكلِّ ما يستقلُّ به الوزراء ، ماضياً في جميع علوم الدواوين على اختلافها ، عارفاً بأوضاعها وبوجوه الأموال وتثميرها وصلاح الرجال وسياستها ، وقد يحتمل تقصير الكاتب في أشياء : فمنها أن يكون عفيفاً أميناً وإن لم يكن ناقداً بصيراً ، ومنها أن يكون عارفاً بوجوه المال موفراً له عاجزاً فيما سوى ذلك من أقسام الصناعة ، ومنها أن يكون مُقصِّراً في البلاغة إلاّ أنَّهُ يعبرُ عن نفسه وعن صاحبه بما يؤدي الغرض من غير إخلالٍ بمعنى ، وقد تمهدتْ له حرمةٌ ، وعُرفتْ منه مخالصةٌ ، واستمرّت له صُحبةٌ .

فأما صاحبُ التوقيع فلا يحتملُ تقصيره في شيء بالجُملة ، لأنه يدُ السلطان ولسانُه . وإذا علم منه أصحاب الدواوين غباوةً وتخلُّفاً وجهلاً بما يخرجونه أدغلوا في المؤامرات ووَرَّوْا عما يؤديهم الى الارتفاق . وينبغي أن يكون مع تحصيل هذه الأدوات كلِّها حسن الخطِّ ، سريع البديهة ، ديناً ، أميناً ، نزه النفس ، لا يخرجُ عما يؤمَرُ به ولا يتعداه لغرض من الأغراض كُلِّها .

الرسائل :

صاحبُ هذه الرتبة هو لسانُ الملك الناطقُ بحجته ، المترجمُ عن عقله ومقالته ، وهو حليةُ المملكة وزينتها ، يرفعُ ذكرها ويُعلي قدرها ويُعظِّمُ خطرها ويدلّ على فضل ملكها ورئيسها . وهو المتصرِّفُ عن السلطان في الوعد والوعيد والترهيب والترغيب والاحماد والاذمام واقتضاب (٤٧) المعاني التي تُقِرُّ الوليَّ على ولائه وطاعته وتبعدُ العدوَّ العاصي عن عداوته ومعصيته[٧٣] .

وينبغي أن يكون قيِّماً بكلِّ ما يشتملُ عليه كتابُنا هذا من الآداب الأُخر التي تُؤخذُ من مواضعها .

ومتولي الرسائل إذا لم يكن للسلطان صاحبُ توقيع ينوبُ منابه ويكفي فيما يتولاه .

ويجبُ أن يكونَ مُوجزاً في موضع الايجاز ، مُطنباً في موضع الاطناب ، حتى إذا وقّع جَمَعَ المعاني وأجملها ، وإذا كتب بسطها وفصَّلها . وهو يرأسُ طبقات الكتاب ويتقدمهم بالفضائل التي ذكرناها في الباب الأول من هذا الكتاب وبما خُصَّ به من وقار العلمِ وفصل الحكم ورجاحة الفهم وصواب المنطق ، والتميّز عمّا في الطبقات الأُخر من الطيش وخفة الأحلام وزلل الألسن .

وقالت الحكماءُ : الكُتّابُ كالجوارح ، كلّ جارحةٍ منها ترفدُ الأخرى في عملها ، وكاتب الرسائل بمنزلة الروح المشاركة للبدن المدبرة لجميع جوارحه وحواسِّه .

وهذا تمثيلٌ صحيحٌ لأنّ هذا الكاتب هو الذي يمثِّلُ لكلِّ عامل في تقليده ما يعملُ عليه ، ويتصفَّحُ ما يردُ منه ، ويصرفه بالأمر والنهي على ما يؤدي الى استقامة ما عَدَقَ به[٧٤] . وهو يحتاج الى أن يكون بين يديه كُتّاب يُعينونه في الانشاء ، وآدابُهم كآدابه .

فأما آدابُ الصناعةِ والسياسة التي يفتقر اليها كاتبُ الترسيل فقد استوفينا القول عليها في البابين التاسع والعاشر من هذا الكتاب . والله الموفقُ للصواب بمنّه وكرمه .

(٤٨) الخراج :

خطرُ متولي الخراج بحسب ما يتولاه من أموال السلطان التي يستظهرُ بها على جهاد أعدائه وإرهاف عزائم أوليائه . وهو يحتاج الى المعرفة بوجوه الأموال ومصالح الأعمال ورسوم الخراج واستئداء ما يجبُ منه في أوقاته وتناوله من جهاته ، والاستقلال بجزء غير يسير من كتابة الرسائل لما يحتاجُ الى إنشائه من العهود الخراجية المودعة شروط العمالة ، والمناشير المتعلقة بالعاملين ، وكتب القبالات[٣٥] والضمانات ، والكتب النافذة الى العمال في جباية الأموال والحث والاستبطاء في حملها والاحتجاج بما يوجب المبادرة بها واستدعاء الحساب وشواهده وغير ذلك مما يقع في عمله ، والعلم بالفروض والزكوات والأخماس والأعشار التي أوجب الله تعالى على المسلمين إخراجها من أموالهم ، لتناولها على حقها الذي أُمِرَ به ، والشروط الفقهية ليستعملها إذا ضمَّن وقبَّل ، والرسوم الديوانية التي يستعملها السلطان استظهاراً على مُعامليه ، على أنه لا يجوزُ له أن يخرج عن حكم الفقه والدين ، والتميز في الحساب وجودة العقد وتأليف أنواعه واستيفائه من رافعيه على الصحة والحقيقة . وهذه الثلاثة أشياء[٣٦] التي هي العقد والتأليف والاستيفاء هي أصول الأعمال الديوانية ، فليُنتظر فيها يحتاج اليه العمال من أحكام المساحة والزراعات وأوقاتها وفسادها وصلاحها ، والأصناف العالية منها ، والآفات الداخلة عليها ، ورسوم السقي(٤٩) وتقسيم الشرب والعمارات وعمل الجسور والترع وغير ذلك ، والاحاطة بارتفاع كل ناحية ، فمتى سُئِلَ عن ذلك أجاب من غير رجوع الى شواهده ، وإن أمكنه أن يعرف ارتفاع جميع الكور كان أزيد في فضله ، وحفظ المستخرج والمحمول الى بيت المال والحاصل ، حتى متى كشف من جهته عن شيء من ذلك ذكره من غير أن يطالع تعليقاً ولا غيره ، والمعرفة بالعمال الذين يتصرفون من قبله والكُتاب والخُزان وأسمائهم وأسماء آبائهم ومنازلهم وطرائقهم وسيرهم ومبالغ أرزاقهم ، وأن يكون مع ذلك صبوراً أميناً نزهاً مستوفياً للحجة في المناظرة متفقداً لديوانه معتمداً للحقِّ عادلاً عن الهوى مستشعراً خيفة الله تعالى .

الضِّياع :

كتابة الضياع جليلة المقدار ، لم تزل عناية الملوك مصروفةً الى من يعرفها ويُسندُ إليه أمرُها من ذوي السابقة والقدر والحُرْمة والوجاهة . وصاحبُها يحتاج الى أمر كثير وجزء كبير من المعرفة بأحكام الترسيل لما يكتبه من مناشير الوكلاء والأمناء والمُسّاح والخُزّان وكتب القبالات وعلم الحساب ومعرفة التأليف والجباية والاستخراج .

وهذه وإن كانت أنواعاً فهي ترجع الى جنس واحد وهو استيفاء حقوق السلطان وترتيب الارتفاع والحمول والنفقات والحواصل والبواقي ، ليضع كلاً من ذلك في مكانه ، والنفاذ في المسايح علماً وعملاً والكيل والتقدير ، والعلم بأمور الزراعة وأصناف النبات (٥٠) من الشجر والزرع وما يفضُلُ بعضه بعضاً منها ، وأوقات الغرس والزراعة ، والآفات العارضة للنبات ، وأخذ العاملين بالتوفر على ما يلزمهم من العمائر والمصالح ، والنظر في أمور الحرث والاهتمام بذلك واحتفار الخلج والحوطة على المياه وتقسيمها على قوانين الريّ ، وتعهد ما يُسقى بالدّوالي والسواقي ، وتقوية ما يجب تقويته من أصناف الزرع والبذار والحصاد والدراس ورفع الغلات ، ومطالبة المستخدمين بعمل كلّ شيء من ذلك في وقته . وسنستوفي القول في كتاب الخراج إنْ شاء الله .

بيت المال والخزائن :

متولي هذه الكتابة هو أمين السلطان على أمواله وعروضه وذخائره وزين دولته في الجواهر والملابس والأواني وغير ذلك من الأسلحة والمراكب وآلات المواكب وما يجاريها .

ويجب أن يكون ثقةً حافظاً ، عارفاً قدر ما ائتُمن عليه ، متجنباً للخيانة ، عالماً بالأصناف التي تحت يده ، حازماً لا تتمّ عليه حيلة ، وأن يكون قيّماً في الحساب بما يكفيه في ضبط ما يُحمل إليه من ذلك .

النفقات :

متولي النفقات كأنّه ضدّ متولي الخراج ، لأن صاحب الخراج موضوعه جمعُ أموال السلطان من جهاتها ، وصاحبُ النفقات موضوعه تفرقتُها في مستحقيها من رجال الدولة وحماتها الذين يسدون ثغورها ويذبون عنها . وعليه القيامُ بحساب ما يُنفق (٥١) فيهم وفي غيرهم من سائر النفقات الخاصة والعامة . وينبغي أن يكون قيّماً بالحساب ، عارفاً بنصب دفاتره وتتبعه واستيفائه ، وأن يُقدّم ما يجبُ تقديمُهُ من النفقات ويؤخّر ما يجبُ تأخيرهُ منها ، فإن مُؤن السلطان التي يحتاجها للاستظهار في عُدَّته وتزيين مملكته مؤسّسةٌ على مساواة دخلِهِ ، ولا يصحُّ ذلك إلّا بالحزم في نفقاته وتقديم الأهمّ منها وتأخيره ما يمكنُ التسويف به ، حتى لا يخلو بيتُ المال من حاصلٍ يكون ذخيرةً فيه إن عرض للسلطان مهمٌّ يدعوه للاستعانة بماله ، فإنه إن فقد ذلك وقت الحاجة إليه اتهم كاتبه بالخيانة وإن كانَ أميناً ، وبقلّة الاضطلاع وإن كان كافياً ، وإن وجد ما يستعينُ به على بلوغ غرضه زادت حظوتُهُ وعَلَتْ رتبتُهُ وتأكدَتِ القربةُ له .

ومراتب كُتّاب النفقات تختلفُ على اختلاف ما يتولونه .

الجيش :

خطرُ منزلةِ كاتبِ الجيش بمقتضى خطر ما ينظرُ فيه من أمور الرجال الذين هم أعضادُ السلطان وأعوانُه . وهو يحتاجُ الى الاستقلال بجزءٍ كثير من الحساب والى معرفة شِياتِ الخيل وأسنانها وعتاقها وأوصافها المحمودة والمذمومة وعيوبها الأصلية والحادثة وأخلاقها وخلقها ، والمعرفة بالأسلحة وأنواعها ، والسيوف وجواهرها ومياهها ، والرماح وأجناسها والمختار منها ، والقسيّ والسهام والدروع (٥٢) وما يجاريها من الآلات التي ألهم الله تعالى الانسان إعدادها للدفاع عن نفسه وجعلها له عوضاً مما جعلت اتخاذها باقي الحيوانات الأُخر من الأعضاء التي يدافع بها عن نفسه كالأنياب والمخالب والقرون والحوافر ، وأن يطالب الأجناد بتحصيلها وعرضها في كلّ وقت ، كما يعرض الخيول التي يُثبتُ شياتها في ديوانه ، ولا يفسح لأحد منهم في الاستبدال من جيِّدٍ برديءٍ ولا من عتيقٍ بهجينٍ ولا من أصيلٍ بدنيءٍ ، ومن غيَّرَ شيئاً ألزمه بتعويض ما غيَّره . ولهذا أوقع حَزَمَةُ الملوك الوسوم على الخيول والعلامات على الأسلحة .

ولا بأس بأن يكون قد تأدَّبَ بالفروسية وأخذ بطرفٍ من العمل بالسلاح ، وأن يكون فيه حُسنُ مداراة وجميلُ ملقى وصبرٌ على مُرِّ أخلاقِ من عامله ، فإنه مدفوع الى سياسة طوائف عِدّة من أهل الحميَّة وعِزّة النفس . وهو محتاجٌ الى رياضتهم وحُسْنِ السيرةِ في معاملتهم ليتمكن من حملهم على الحقّ ، وأن يبني أمرهُ على النزاهة عن الطمع ، ليقتدر بذلك على ما يرومه من تنزيلهم منازلهم ، وليحذر وضع الأعلى ورفع الناقص ، وليأخذ بالحزم والأمانة فإنّ خيانة كاتب الجيش يتوجه على المال والرجال ، ولا يخص أحداً دون آخر ، فإنه إذا اعتنى بمن لا كفاية عنده نزّله منزلةَ الكافي ، وفرض له من مالِ السلطان ما يُفرضُ للكُفاةِ ، فيكون خائناً بإعطائه من لا يستحقّ . (٥٣) ولا غناء به عن جزء من كتابة الترسيل ، لأنه رُبّما نُدِبَ مع والي حربٍ واحتاج الى المكاتبة عنه بخبر الفتح وغيره مما يعرضُ له .

الزِّمـام :

كاتبُ الزِّمام يجبُ أن يكون ذا رئاسة وموضع في نفوس الناس ونفاذٍ في نوع الكتابة التي تُجعلُ زماماً عليه ، ذا علم بأحكامِهِ ورسومه ، فيحتاج الى التمهُّر فيما يتمهّرُ فيه كاتبُ النفقات ليطالب عماله بما تقتضيه خدمته ويستوفي منه شروطَها وقوانينها وينبغي أن يكون أميناً مُتحرِّزاً مُحتاطاً ، غيرَ مُقصِّر ولا مُمالٍ .

وقد جرت العادة بأن يردّ الى صاحب الزِّمامِ خاتم الخليفة ، ويكون اليه ختمُ الكتب التي تنفذ عنه . وسنذكر الرسم المستعمل في ذلك في موضعه ، إن شاء الله تعالى .

البريد :

هذه الكتابةُ كتابةٌ خطيرةُ الشأن في أعمال السلطان ، وذلك أنّ السلطان كما يحتاجُ الى كاتبٍ يُعبِّرُ عنه ويُخاطبُ بلسانِهِ الجمهور ، وكاتبٍ يجمعُ أموالهُ ، وكاتبٍ يُفرِّقُها في وجوهها ، وكاتبٍ يتولى أمرَ جُندِهِ ، فكذلك يحتاجُ الى كاتب بريد يُنهي إليه أخبارَ الحُكّام والعُمّالِ وولاة الأعمال وقتاً وقتاً ، ليُقابلها من في التدبير بما يجري الأمر أحسن مجاريه .

ولولا أصحابُ الأخبار والبُرُدِ لم يُحطِ السلطانُ من الأحوال إلاّ بما دنا منه . وصاحبُ هذا العمل يحتاجُ الى حظٍّ وافرٍ من كتابة الترسيل ، لأنه يكاتبُ السلطانَ في المهمات والأسرار (٥٤) التي لا يطّلعُ عليها غيرُه . وينبغي أن يكون قادراً على مخاطبته من الكلام البليغ الجامع للمعاني بما تقتضيه رتبتُهُ ، مُتمكناً من التصرّف في الصناعة ، ليتأدب في مكاتبته له ، ويتجنب مقابلتهُ بما لا يجوزُ أن يُقابل به ، وأن يستقلّ من الحساب بما يقدره على ضبطِ ما يجري على يده من أرزاق المستخدمين في البُرُدِ وغيرهم ، وأن يتخلّقَ بالشفقة والنصيحة والأمانة واتباع الحقّ ، والفحص عن المستور من الأخبار وإيثار ما يعودُ بصلاح السلطان والرعيّة ، وأن يستوي عنده الولي والعدو في الحقّ ، فلا يُقبِّحُ ما يُكاتبُ به في العدو ولا يُحسِّنُهُ في الصديق ، ولا يُهادي أحداً من العمال في عمله ولا يُداعبُهم ولا يقبلُ هداياهم ولا يحضرُ دعواهم ولا يأنسُ بهم ولا يكتمُ شيئاً من أمورهم . ويحضرُ مجالس الولاة ويطالعُ ما يحتاج الى عمله مما يجري في كلٍّ منها .

الفَـضّ :

كاتبُ الفضِّ يجبُ أن يكونَ بليغاً ماهراً في صناعةِ التَّرسيل ، قادراً على جمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة ، وكتابُ المصريّين يسمُّونَهُ المُخرِّج ، وخدمتُهُ في مجلسِ الوزارة ، وموضوعُهُ أن يُخرجَ من الكتب الواصلة الى السلطان من عُمالِهِ جوامعها ويوردها بقولٍ وجيزٍ في سراح ليخرج أمرُهُ في معنى كلِّ كتابٍ بما يراه ، إذ لا يتسعُ زمانه لقراءة فصوص الكتب الواردة عليه . وينبغي أن يكون هذا الكاتبُ كتوماً للأسرار (٥٥) خازناً للسانِهِ حافظاً لما يمرُّ عليه .

المظالم :

معاملةُ متولِّي هذا الديوان جاريةٌ مع أهل الخراج ومن يجري مجراهم ممن يتظلّم من عمال السلطان الذين لا يمكنُ الحكام إحضارهم ولا بتّ الحكم بينهم وبين من يدعي عليهم ، لأنّ جُلّ دعاوي هؤلاء في أشياء من حقوق الزراعات وحدود الأرضين

والسواقي والضياع التي لا تقوم البينات عليها بالشهود المعدلين ، ويمكن أنْ يستدلَّ على الحقّ فيها بشواهد وعلامات يُرجعُ الى مثلها ، ويقع التراضي بشهادة من يشهد عليها من المجاورين والمستورين ، ولذلك حيز هذا الديوان عن الحكام .

وينبغي أن يردّ النظر فيه الى رجل ذي أمانةٍ وعدلٍ ورحمةٍ ليعملَ بالحقّ ويرؤفَ بالضعيف . وأولُ ما يجبُ عليه أن يطلب البيِّنة من المترافعين إليه كما يطالبُها الحكامُ ، فإن قامت له بيِّنةٌ مرضيةٌ استغنى عن الاستدلال بالشواهد والعمل على الشائع الذائع فإذا اختلفت عليه الأمور فليدعُ الى الصلح ولا يدخل فيها يتقلّدُ منه إثماً . وينبغي أن يتأدب بكثير من آداب الحكم التي يشتملُ عليها رسمُ تقليد القضاء الذي يأتي في موضعه من هذا الكتاب .

كتابة القضاء :

هذه الكتابةُ كان حكماءُ الفرس يسمُّونها كتابةَ العدل . وهي تلي منزلة الحكم في الشرف والفضيلة ، لأنّ كاتب الحاكم يدُهُ ولسانُهُ الذي يخاطبُ به نوّابهُ وخلفاءه ، ويُمثّلُ لكلٍّ منهم (٥٦) ما تجري الأحكامُ عليه في عمله .

والمُرشّحُ لهذه الكتابة لا يَغنَى عن التمهُّر في البلاغة وتأليف الكلام والقيام بعلم موفورٍ من علم الفقه والأحكام الشرعية ، لا سيما ما دخل منها في الدعاوي والبيِّنات والاقرار والشهادات والمصالحات والشروط والوثائق والسجلات وما أشبهها .

وينبغي أن يكون ديناً حليماً وقوراً أميناً عفيف النفس والجوارح موسوماً بجميل السيرة وحسن السريرة .

كتابة الأمراء والقواد :

كُتابُ الأمراء والقواد يحلون منهم محل الوزراء من الملوك والخلفاء . وينبغي لهم أن يتصرفوا في جميع فنون الكتابة ، لأنهم الذين يكاتبون الناس عن أصحابهم ، فلا يَغْنَوْنَ عن حظٍّ متوفرٍ من الترسيل ، والذين ينظرون في أموالهم ، فلا مندوحة لهم عن المعرفة باستخراج المال وأسباب العمارة والمهارة في كتابة التفصيل ، والذين يستوفون حقوقهم من ديوان الجيوش ويعرضون رحالهم ودوابهم ، ولا غنى لهم عن العلم بأمور الجيش ورسومه ، وكذلك سائر ما يدخلُ في اعمالهم .

وينبغي أن يكون فيهم مع ذلك لطفُ وحسنُ مداراةٍ وعشرةٍ ووفاءٍ وأمانةٍ ، وحُسن مناب وسفارة عن أصحابهم عند الرؤساء .

كتابة المعاون والأحداث :

كاتبُ المعاون يحتاج مع شَدوٍ ما لا غناء به من أدوات الكتابة التي يدعي مع شدوها الى المعرفة بالأحكام الشرعية في الحدود التي أمر الله تعالى بها (٥٧) على من تعدّى الى محارمه من القود والقصاص والقتل والديات والأرش والضرب والصلح وغير ذلك مما يُجاريه ، ليمضي الحكم فيه على ما يسلمُ معه من دينه ودين من استكتبه .

فهذه مراتبُ الكتابة التي تنقسمُ إليها الصناعةُ ، وما يلزمُ المرتبين فيها أن يقوموا به من العلوم والآداب والأخلاق .

القول على هذه الصناعة في أي مذهب هي من المذاهب :

قد قُلنا فيما سلف أن حكماء اليونانيين كانوا يسمُّون صناعة الكتابة : العلم المحيط . وهذا اسمٌ واقعٌ لافتقار جميع الأشياء وحاجتها إلى الاستعانة بها في تكميل معانيها . وهي لذلك حقيقة بأن تكون العلوم والصنائع في حيِّزها أو في حيِّز شيءٍ منها ، وأن يكون لها رتبة السلطنة والمملكة عليها . ويؤكدُ ذلك أنَّ هذه الصناعة تستعملُ جميعَ العلوم والصنائع الخاصة على وجهين : أحدهما أنها تستخدمُ[٧٦] بعضها لما لها من الشركة ، والآخر أنها تستعملُ بعضاً عن طريق الأدب والتحلية من غير مشاركة . . نحو علم البلاغة واللغة والنحو والحساب والمساحة والهندسة والمنطق . والتي تستعملها على طريق الأدب والتحلية هي ما لا تفتقر[٧٨] في تمامها إليه ، نحو صناعة الطبِّ والنجوم والموسيقى ، فإن هذه الصنائع وإن كانت غير متعلقة بالكتابة ولا مشاركة لها ، فإن الكاتب لا يغنى عن التأدُّب بمعرفة جُمَلِها وجوامعها ، إذ لا يخلو أن يؤمر بالكتابة فيها بما يفتحُ به جهده وأن يُحاضرَ في مجلس سلطانه من علمائها من يضطر إلى مفاوضته (٥٨) فيها . . جميع العلوم والصناعات كالأجزاء والأعضاء لهذه الصناعة ، وهي تحلُّ فيها محلَّ كلٍّ من بعض ، وأصلٍ من فرعٍ . الا وإنها وإن كانت كما ذكرنا فإنا إذا عدنا إلى قسمة الصنائع وجدناها تنقسم إلى ثلاثة أقسام : إما عملية كالنجارة ، أو علمية كالهندسة ، أو علمية وعملية كالموسيقى ، ووجدنا صناعة الكتابة من الصناعات العلمية العملية لأنها تفتقر في كمالها إلى معرفة العلوم التي عددناها وإلى رسم الرسوم الخطية للإبانة عن المعاني وعقد الحساب الذي تُبرزُهُ الأوهام باليدين . فهي على الجملة حائزة للصنائع ذوات الأخبار ومحيطة بها فليست في حيِّز شيءٍ منها ، وعلى التقسيم الصناعي من حيِّز الصنائع العلميّة العمليّة .

القول على الرسم :

الرسمُ مُنبىءٌ[٧٦] عن غرض الشيء للمرسوم مثل الرسوم الواقعة على الصنائع وغيرها . فإننا إذا قلنا صناعة الكتابة وصناعة التجارة وصناعة الصياغة عُرفت من هذه الرسوم أغراض تلك الصناعة .

ورَسْمُنا كتابنا هذا بموادّ البيان دالٌّ على إحاطته بالأشياء التي تمدُّ صناعة البيان . وعلى هذا يجب أن يجري الأمرُ في سائر ما يرسمُ ، أعني أن يكون الرسمُ دالاًّ على غرضه .

القول على عِلَّة وضع الكتاب :

المعرفةُ بعلَّة وضع الكتاب يدلُّ على السبب الذي من أجله وُضِعَ الكتاب .

وعلَّةُ وضعنا لكتابنا هذا رغبتنا أن نصنِّفَ كتاباً جامعاً لما تنتظمُهُ (٥٩) صناعة الكتابة من العلوم والآداب الخاصة بها ، ليجد مَنْ يُعنى بهذه الصناعة جميع ما يرومُهُ من أصولها وفروعها التي فرَّقها المصنفون في الكتب مودعةً فيه . ويعرفُ به الطالبُ جلالة خطرها وارتفاع قدرها من بين الصنائع ، ويصرفُ هِمَّتَهُ إليها ليتميز من انتمى إليها بالاسم دون الرسم وبالزيِّ دون المعنى .

وإذ قد آتينا بما فيه كفاية . فإنا نقفُ عند هذا الحدِّ من هذا الباب . ونأخذُ فيما يليه إن شاء الله تعالى .

(١) ينظر : التعريفات ٧٣ ، الكليات ٢ / ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ، كشاف اصطلاحات الفنون ٢ / ٢٢ .
(٢) الاعراف ١٤٥ .
(٣) المائدة ٤٥ .
(٤) الحديد ٢٧ .
(٥) العلق ١ ـ ٥ . وينظر : تفسير الطبري ٣٠ / ٢٥٢ وأسباب نزول القرآن ٨ .
(٦) آل عمران ٤٨ . وفي المصحف : يعلمه ، بالياء ، وهي قراءة نافع وعاصم . وقرأ الباقون بالنون . (السبعة ٢٠٦) .
(٧) القلم ١ .
(٨) الطور ١ ـ ٣ .
(٩) الانفطار ١٠ ـ ١١ .
(١٠) الزخرف ٨٠ .
(١١) عبس ١١ ـ ١٦ .
(١٢) الأعلى ١٨ ـ ١٩ .
(١٣) الجاثية ٢٩ .
(١٤) الاسراء ١٣ .
(١٥) الصافات ١١٧ .
(١٦) الجاثية ١٦ .
(١٧) الأنعام ٩١ .
(١٨) البقرة ١ ـ ٢ .
(١٩) الأنعام ٩٢ .
(٢٠) سنن الدارمي ١ / ١٢٣ ، المحدث الفاصل ٣٦٥ ، تقييد العلم ٦٨ ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١ / ٢٢٨ .
(٢١) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٤٣ .
(٢٢) العنكبوت ٤٨ .
(٢٣) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٣٨ .
(٢٤) الاوائل ١ / ١١٥ .
(٢٥) النمل ٣٠ ـ ٣١ .
(٢٦) النمل ٤٠ . وينظر : تفسير الطبري ١٩ / ١٦٣ وتفسير القرطبي ١٣ / ٢٠٤
(٢٧) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٣٩ .
(٢٨) ملك بابل .
(٢٩) ملك بابل .
(٣٠) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٤٤ .
(٣١) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٤٤ .
(٣٢) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٤٤ .
(٣٣) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٤٥ . والمهاليج : البراذن الحسنة السير .
(٣٤) من ملوك العجم .
(٣٥) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٤٥ .
(٣٦) في الأصل : عليك . والصواب ما أثبتنا .
(٣٧) في الأصل : كذلك . والصواب ما أثبتنا .
(٣٨) ينظر : صبح الأعشى ١ / ١٢٨ ـ ١٢٩ .
(٣٩) ينظر : صبح الأعشى ١ / ١٠١ ـ ١٠٢ .
(٤٠) في صبح الأعشى : الكتابة .
(٤١) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٣٨ ـ ٣٩ .
(٤٢) في الأصل : الذي .
(٤٣) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٤٤ .
(٤٤) في صبح الأعشى : الخاصة .
(٤٥) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٣٧ ـ ٣٨ .
(٤٦) من صبح الأعشى ١ / ٣٨ .
(٤٧) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٤٢ .
(٤٨) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٤٤ .
(٤٩) صبح الأعشى : يتخيلها .
(٥٠) صبح الأعشى : جثمانية .
(٥١) صبح الأعشى : الصورة .
(٥٢) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٥١ .
(٥٣) في الأصل : فهي .
(٥٤) في الأصل : الحظ ، بالظاء ، والصواب ما أثبتنا .
(٥٥) في الأصل : التي .
(٥٦) يس ٦٩ .
(٥٧) الحاقة ٤١ .
(٥٨) يُقال : خطيب مصقع ومسقع ، بالصاد والسين ، أي بليغ . (ينظر : الفرق بين الحروف الخمسة ٤٨٨ ، اللسان والتاج ، سقع ، صقع) .
(٥٩) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٦٠ وفيه قول علي بن خلف ، ولكنه لم يشر اليه .
(٦٠) يُقال للسابق الأول من الخيل المُجلّي وللثاني المُصلّي وللثالث المُسلّي . (ينظر : الزاهر ١ / ٢٢٩ ، شرح مقامات الحريري ٣ / ١٥٠ ، نهاية الأرب ٩ / ٣٧٣) .
(٦١) أخلّ به ديوانه .
(٦٢) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٦٠ ـ ٦١ .
(٦٣) المنافقون ٤ .
(٦٤) ديوانه ٥٣ .
(٦٥) الجمعة ٥ .
(٦٦) مروان بن أبي حفصة ، شعره : ٥٨ .
(٦٧) الفائق ٣ / ١١٥ ، النهاية ٣ / ٤٤٣ .
(٦٨) ديوانه ٢٠٩ .
(٦٩) ابن طباطبا ، شعره : ١٢١ .
(٧٠) المحاسن والمساوىء ٢ / ١٢١ .
(٧١) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٥٩ .
(٧٢) في الأصل : صبر .
(٧٣) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٥٦ .
(٧٤) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٥٦ .
(٧٥) جمع قبالة ، وهي الكفالة .
(٧٦) الصواب : الثلاثة الأشياء .
(٧٧) في الأصل : يستخدم .
(٧٨) في الأصل : يفتقر .
(٧٩) في الأصل : مبني .

أبو الوليد الحميري
حياته وشعره

صنعة

فاخر جبر مطر
مركز دراسات الخليج العربي
جامعة البصرة

أحمد حاجم الربيعي
كلية التربية ـ جامعة البصرة

تقديم :

لم يكد ينصرم النصف الثاني من القرن الرابع الهجري حتى نرى الدولة الاموية في الاندلس ـ تلك الدولة التي شيدها عبدالرحمن الداخل وابناؤه ، وحافظوا عليها لقرون عديدة ـ تتهاوى بعد ان اصابها الضعف والانحلال ، وتنقلب الاوضاع السياسية فيها رأساً على عقب ، ويشتد الصراع والتنافس بين الامراء والقواد والقضاة ، فتعم الفوضى جميع انحاء الاندلس ، وتفقد الخلافة هيبتها ، ويكفي ان نتصور ما وصلت اليه الحالة من الانحلال والتشتت ان نعلم ان عدد الخلفاء الذين تولوا الحكم من سنة ٣٩٩ هـ حتى سنة ٤٢٢ هـ اثنا عشر خليفة .

وقد اثرت الفتنة على قرطبة فاصابتها بالدمار والتخريب بعد أن كانت حاضرة الاندلس في عهد الامويين ، وقد وصف ابن حيان كيف ان احدهم كان يتولى الاشراف على هدم قصور الامويين ، فقال : « وبيده بادت قصور بني امية الرفيعة ، ودرست آثارهم البديعة ، وحطت اعلامهم المنيعة »[1] وكان من آثارها الهلع الذي اصيبت به النفوس من جراء تغلب البربر وترصدهم للناس بالقتل والسلب ، والدور بالهتك والنهب ، فاصابت الناس جميعاً بما فيهم العلماء والادباء ، وقضت على اكثرهم بالموت والتشريد ، فتعطل النشاط الثقافي ، واغلقت المدارس ، وانفضت حلقات الدرس ، وخرج الناس يلتمسون الأمان .

ولم يستطع بنو حمود تهدئة الثائرين في قرطبة ، او التمسك بزمام الامور ، فامتدت الثورة الى جميع مدن الاندلس ، واخذت كل مدينة تسعى الى الاستقلال عن قرطبة فاجمعت اشبيلية امرها ووحدت كلمتها للتخلص من الحموديين ، ووجدت في قاضيها أبي القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد (٤١٤ ـ ٤٣٣ هـ) رجلاً حازماً مدبراً للامر ، فولته امورها اواخر سنة ٤١٢ هـ ، ولم تستطع اشبيلية ان تعلن عن استقلالها رسمياً حتى سنة ٤٢٢ هـ عندما الغيت الخلافة الاموية في قرطبة من قبل بني جهور حين تسلموها .

ويرجع نسب بني عباد الى النعمان بن ماء السماء اللخمي آخر ملوك الحيرة[1] وقد تغنى كثير من الشعراء في مدائحهم بهذا النسب الرفيع ، ونال بنو عباد المرتبة العليا عند بني امية ، وشاركوهم الحياة السياسية ، فقد تولى اسماعيل والد القاضي

محمد قيادة فرقة حرس الخليفة هشام الثاني ، ثم صار اماماً لمسجد قرطبة ، ثم قاضياً لاشبيلية[3] بعدما عرف عنه من نزاهة وحسن تدبير ، الا انه في اواخر ايامه فقد بصره ، فتولى عنه ولده القاضي ابو القاسم محمد قضاء اشبيلية وبإقرار من الخليفة القاسم بن حمود في قرطبة .

واستطاع القاضي محمد بحنكته وذكائه تثبيت مركزه ، وتقوية نفوذه ، وتوسيع رقعة دولته ، ثم سار من بعده ابنه ابو عمرو عباد المعتضد (٤٣٣ ـ ٤٦١ هـ) على خطة ابيه ، وقد اوتي قسطاً كبيراً من الذكاء ، وصدق الاحساس ونفاذ البصيرة ، فاصبحت اشبيلية اعظم ممالك الطوائف واغناها من حيث مواردها الطبيعية ، واستقرار امورها السياسية .

وقد كان للقاضي ابي القاسم محمد وولده المعتضد باع في العلم والادب ، وكان بلاطهما مقصداً للشعراء والادباء وعلية القوم ، بالاضافة الى حسن تدبيرهما امور السياسة والحكم ، وفي كنفهما عاش ابو الوليد الحميري ، وبتشجيعهما نشط وابدع والف كتابه (البديع في وصف الربيع) .

حياتــه :

هو ابو الوليد اسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب الحميري . ويلقبه ابن بسام بحبيب[4] وتابعه في ذلك ابن سعيد في المغرب والرايات ، والمقري في نفح الطيب ، بينما اورد ابن الابار هذا اللقب لابيه[5] .

ولم نستطع ان نقف بدقة على تاريخ ولادته او بداية نشأته ، ومن المؤكد انه نشأ في ظل رعاية والده ، فقد كان والده حبيب من المقربين الى بني عباد ولا سيما مؤسس دولتهم القاضي محمد ، وممن وقف الى جانبه في اعلانه الاستقلال عن قرطبة ، فاستوزره القاضي زمناً طويلاً ، ونال مرتبة اجتماعية وادبية عالية لدى معاصريه ، وحظي بتقديرهم واعجابهم .

وقد ساعدته هذه المكانة المرموقة التي يتمتع بها والده في ظل العباديين على ان ينشأ نشأة ادبية رفيعة . فقد اشرف والده على تربيته وتوجيه موهبته الادبية ، ثم كان تأثير اخيه ابي زيد محمد بن محمد الحميري عليه كبيراً ، اذا ما علمنا ان هذا الاخ كان فقيهاً ، وقد تتلمذ على ابي عبدالله محمد بن احمد بن عبدالله الباجي في اشبيلية ، ومن تلامذته ابي بكر ابن العربي[6] .

وكان لسهولة الحصول على الكتب والمصنفات والدواوين اثر كبير في تزويده بالثقافة الادبية ، بعد ان كان الحصول على تلك الكتب امراً عسيراً ، فقد تعرضت مكتبات قرطبة ـ ومنها مكتبة الخليفة الحكم المستنصر ـ الى البيع في فترة الفتنة مما ساعد على انتعاش الحركة العلمية وانتشار الكتب بين جميع الناس . وعرضت مكتبة الامام ابن فطيس ايضاً للبيع مدة عام كامل في مسجده ، وقد بلغ ثمنها اربعين الف دينار[7] .

فاطلع على دواوين الشعراء سواء المشارقة منهم او الاندلسيين ، وعلى كتب اللغة والادب ، حتى اخذ « وهو ابن سبع عشرة سنة ينظم النظم الفائق ، وينثر النثر الرائق »[8] .

واتصل في حداثته باحد الشعراء الموهوبين ، وهو ابو جعفر بن الابار « فاقام قناته ، وصقل مرآته ، واطلعه شهاباً ثاقباً ، وسلك به الى فنون الآداب طريقاً لا حياً »[9] ، حتى اصبح آية في الذكاء والفهم والبلاغة وتجويد الشعر على حداثة سنه .

وتكشف لنا تلك العلاقة الحميمة بينه وبين ابن الابار شيئاً عن اسرته ، فقد ورد في بيتي ابن الابار اللذين بعث بهما اليه من انه كان متزوجاً ، وقد انعم الله عليه بطفلة بعد ان توفي جاريته :

او ما رأيت الدهر اقبل معتباً   متفضلاً بالعذر لما اذنبا
بالامس اذوى في رياضك ايكة   واليوم اطلع في سمائك كوكبا[10]

ولم تقتصر علاقات ابي الوليد على ابن الابار وحده ، فقد اتصل بعدد آخر من الشعراء الموهوبين من امثال ابي الحسن علي ابن ابي غالب ، وصاحب الشرطة ابي بكر ابن القوطية ، وابي بكر نصر ، والوزير الكاتب ابي الاصبغ ابن عبدالعزيز ، ومما يروى انه كانت بينه وبينهم منادمات ومسامرات ومعارضات شعرية تنم عن ذوق ادبي رفيع ، وكانت اغلب معارضاتهم في وصف الطبيعة .

إن هذا الفهم المبكر وحدة الذكاء جعلا بعض المؤرخين يذكرون انه قد وزّر لملك اشبيلية وقاضيها محمد بن عباد ، وهو دون العشرين[11] وهذا غير ممكن فيها لو اننا قبلنا برواية ابن بسام التي تتفق مع الروايات الاخرى على انه توفي سنة ٤٤٠ هـ ، الا انها تنفرد عنها فتنص على انه توفي وهو ابن اثنتين وعشرين سنة[12] ومعنى هذا ان عمره سيكون حتى وفاة هذا القاضي سنة ٤٣٣ هـ خمس عشرة سنة ، وهو لم يبلغ الحلم بعد ، فكيف يستوزره

القاضي محمد بن عباد في امور دولته ، تلك الدولة التي تحيط بها المخاطر من كل جهة ، وقد بذل القاضي جهداً مريراً في الحفاظ على ملكه ، بالاضافة الى ما يمتاز به من علم وادب وحكمة ودهاء وبعد نظر .

اما اذا قبلنا برواية ابن سعيد التي تتفق مع الرواية الاولى وغيرها من الروايات في سنة وفاته ، وتختلف في انه توفي وهو ابن تسع وعشرين سنة[١٣] ، فسيكون عمره حينذاك حتى وفاة القاضي اثنتين وعشرين سنة ، وهي رواية تبدو مقبولة ومنسجمة مع الواقع ، وهو عمر يمكن فيه الاعتماد على صاحبه في تحمل مسؤولية الوزارة او الكتابة ، ونتوقع فيه نشاطاً علمياً وادبياً .

اما عن موته فلم تذكر المصادر اي اشارة توحي الى انه مات بسبب مرض او علة اصابته . ومما يؤكد ذلك رواية ابن الابار التي تقرر بانه توفي معتبطاً[١٤] اي مات شاباً لا علة فيه . الا ان ابن سعيد ينفرد عن غيره فيما يرويه فهو يقرر ان المعتضد قتله[١٥] ، وهذا امر غريب لم نجد له اثراً في بقية المصادر الاخرى التي سبقته ، او تلك التي عاصرته ، وقد اشار ابن سعيد الى انه كان ينقل عن ابن بسام ولم نعثر على اي نص صريح في ذلك ، وكل ما ذكره ابن بسام عن المعتضد بن عباد انه قد استهل حكمه بقتل (حبيب) وزير ابيه[١٦] وهذا هو مصدر الوهم الذي وقع فيه بعض المؤرخين ، فقد كان هذا اللقب لوالده وليس له .

ولو كان ابو الوليد هذا قتيل المعتضد لما صمتت عن ذلك كتب المؤرخين الذين كانوا يعاصرونه ، خاصة وانهم قد سجلوا اكثر اخبار من قتل على يد المعتضد من ابنائه ووزرائه وندمائه في جميع المناسبات .

والمعتضد بن عباد شخصية جمعت بين الشدة واللين ، والقسوة والرقة ، والجد والهزل ، الا ان جانبي الشدة والجد قد تغلبا على تصرفه وسلوكه ، حتى وصفه ابن بسام بـ « قطب رحى الفتنة ، ومنتهى غاية المحنة »[١٧] ، فقد تولى حكم اشبيلية بعد وفاة والده القاضي سنة ٤٣٣ هـ ، فاستخدم جميع الوسائل الممكنة من اجل تثبيت دعائم ملكه ، فطالت ايامه وتغلب على اكثر ممالك غرب الاندلس .

وتتجلى شدته وقسوته بما اقدم عليه من قتل وتنكيل باقرب الناس اليه ، فقد اقدم على سفك دم اخيه عبدالله[١٨] واشرف بنفسه على قتل ابنه اسماعيل بعدما تناهى اليه تآمره عليه[١٩] يسلم منه (حبيب) وزير ابيه فقتله .

ولا نعلم لماذا قتله ، ولم تذكر المصادر العديدة سبب موته ، الا اننا نستشف هذا من خلال تصرفات المعتضد مع منافسيه ، او ممن يحذر منهم على سلطته وحكمه ، ولعله كان لا يؤمن جانبه ، ولا يطمأن الى جواره ، فقتله وانتهى من وزير ابيه الذي كان يتصوره عقبة كأداء تقف في طريقه .

غير اننا نعجب من صمت ابي الوليد على مقتل ابيه ، ونعجب اكثر عندما يكون هذا الابن وزيراً او كاتباً عند قاتل ابيه ، واذا كان هذا يمثل جانب الشدة والقسوة عند المعتضد ، فان هناك جانب آخر يقابله وهو جانب اللين والرقة . فقد كان يوصف بجمال الهيأة ، وتمام الخلقة ، وذكاء الذهن ، وصدق الحس ، ونفاذ البصيرة[٢٠] ، ولهذا فلا عجب ان يكون ابو الوليد وزيراً ينسى او يتناسى ما بينه وبين المعتضد من ذحل . يضاف الى ذلك ان المعتضد انسان له احاسيس وعواطف انسانية يتأثر بالجمال فيتذلل اليه ، ويحب فيتلهف للقاء محبوبه ، ويشتاق فيتطلع لرؤيته ، ويتألم ويأسى لفراقه وكان يلهو ويغرق في مجونه ، فهو اذاً ليس كما نتصوره من جانب واحد ، جانب الشدة او جانب اللين ، وانما كليهما معاً ، ولأن ظروف الاندلس الحرجة ، والحفاظ على مملكة اشبيلية تدفعه الى التنكيل بمناوئيه ، وبمن يقف في طريقه .

نتاجه الأدبي :

على الرغم من قصر عمر ابي الوليد والذي لم يتجاوز التاسعة والعشرين ، فقد أسهم مع ادباء عصره في اغناء الحياة الادبية بنتاج وافر غزير ، وكان لكتابه الوحيد (البديع في وصف الربيع) دور بارز في تناول جانب أدبي رفيع من جوانب الادب ، وهو جانب الطبيعة ، وله فن متميز في عملية تبويب فصوله وعرض موضوعاته .

ولم يكن البديع كل انتاجه الادبي ، وان كان يحتوي على قطع ونماذج من شعره ونثره ، وانما هناك مقطوعات من شعره ونثره مبثوثة في بعض الكتب الادبية الضخمة كالذخيرة مثلاً ، وسنعرض لها لاحقاً .

١ - كتاب البديع :

يعد كتاب (البديع في وصف الربيع) من الكتب المهمة التي وصلت الينا ، وهي تتحدث في جانب واحد من الجوانب الادبية العديدة وفق منهج علمي دقيق لم يسبق اليه احد ، وقد اشار المؤلف في مقدمة كتابه الى ذلك بقوله : « ان احق الاشياء بالتأليف واولاها بالتصنيف ما غفل عنه المؤلفون ، ولم يعن به المصنفون مما تأنس النفوس اليه ، وتلقاه بالحرص عليه »[١] ولكننا من خلال تتبعنا للكتب التي الفت في المشرق او الاندلس ، وجدنا عدداً منها قد اختص بموضوع الطبيعة ، او اختص بالازاهر ، مثل كتاب (الزهرة) لابن داود الظاهري في المشرق ، وكتاب (الحدائق) لابن فرج الجياني (٣٦٦ هـ) والذي كما قيل نسج على منوال كتاب الزهرة ، فهل اعتمد ابو الوليد على الكتابين معاً ، ام كان اعتماده على الحدائق وحده ، لانه كان اقرب اليه في موضوعاته وبيئته الاندلسية ، وتأتي اهمية كتاب (الحدائق) في اعتماد اكثر المؤلفات الاندلسية عليه ، وهو كتاب مفقود ، ولو لم يكن مفقوداً لكنا قد استطعنا ان نصل الى نتيجة علمية في معرفة اثر هذين الكتابين في (البديع) .

ومن المؤكد ان (البديع) يختلف عن هذين الكتابين في منهجه وتبويبه ، على الرغم من انه جاء مكملاً للحدائق في الفترة الزمنية ، فالحدائق تناول شعر الطبيعة في الفترة الاموية ، اما البديع فقد تناولها في ايام الدولة العامرية (اواخر الدولة الاموية) ، وعصر الطوائف ، ومن هنا تأتي اهمية البديع .

اقتصر الكتاب على شعراء الاندلس وادبائه وممن عاصروا مؤلفه ، ولم يتناول شعراء المشرق الا نادراً ، وقد بيّن لنا السبب في ذلك بقوله : « واما اشعار المشرق فقد كثر الوقوف عليها ، والنظر اليها حتى ما تميل نحوها النفوس ، ولا يروقها منها العلق النفيس ، مع اني استغني عنها ، ولا احوج اليها بما اذكره للاندلسيين من النثر المبتدع ، والنظم المخترع واكثر ذلك لاهل عصري ، اذ لم تغب نوادرهم من ذكري »[٢] .

ومن الطبيعي ان يتأثر المؤلف بالحركة التي تدعو الى الاستقلال بالثقافة الاندلسية عن الثقافة في المشرق ، ففي الفترة التي سبقت الفتنة وجدت النهضة العلمية والادبية التي استغرقت في تطورها زهاء قرنين من الزمن نفسها الاّ تبقى عالة على الثقافة المشرقية ، فما عادت النتاجات المشرقية تغري الاندلسي ، فتنسيه نتاجات بلاده ومفكريها من شعراء وادباء ومؤرخين ، ولا عادت الأعلام المشرقية تطغى فتمحو اثر الاعلام الاندلسية ، انه الاعتداد بالنفس ، ذلك الاعتداد الذي سرعان ما تحوّل خلال الفترة ما بين خلافة عبدالرحمن الناصر الى نهاية الدولة الاموية الى ما يشبه الحماس الوطني ، فالتفتت الاندلس الى تراثها ونتاج علمائها وادبائها ومفكريها ، فتحدثت عنه وخلدته ، فكانت نزعة ابي الوليد الحميري لا تختلف عن نزعة ابن حزم وغيره من اعلام الاندلس الذين دعوا الى مثل هذا الاستقلال .

وكعادة اغلب المؤلفين الذين يذكرون الدوافع والاسباب التي تدعوهم الى تأليف كتبهم ، ووضع مصنفاتهم ، فقد ذكر ابو الوليد : « ان فصل الربيع آرج وابهج ، وآنس وانفس ، وابدع وارفع من ان احد حسن ذاته ، واعد بديع صفاته . . لم يعن بتأليفه احد ، ولا انفرد لتصنيفه منفرد ، فلما رأيت ذلك جمعت هذا الكتاب »[٣] وهو سبب وجيه ، ودافع قوي للانفراد بهذا التصنيف .

ثم يذكر من الاسباب التي دعته الى التأليف ايضاً انه كان بناء على رغبة « ملكين نفقا سوق الادب الكاسدة ، واصلحا حال العلم الفاسدة ، فكثر المتحلون لها والمتحلون بها ، ولولاهما - اطال الله بقاءهما وادام اعتلاءهما - ما انفردت لهذا التأليف ، ولا شغلت فكري بهذا التصنيف »[٤] ، ويعني بهما القاضي محمد ابن عبّاد ، وولده وحاجبه عبّاد المعتضد ، ولكننا لا نعلم على وجه الدقة متى انتهى من تأليفه هذا الكتاب ، فلربما انتهى منه في عهد القاضي ابن عباد ، او في عهد ولده المعتضد من بعد ذلك .

ولعل السبب الذي دفعه الى تأليف الكتاب هو مجاراته لادباء المشرق الذين وصفوا الطبيعة ، ومفاتنها بدقة واعجاب ، الاّ ان بعضهم لم يكونوا ليستطيعوا الاندماج بها ، والتعبير عن خفايا شعورهم تجاهها ، لذلك نزعوا الى الوصف المادي ، والعبث اللفظي متأثرين بتيار التأنق والصنعة الذي ساد آنذاك ، ثم اشتدت وطأته في عصور الانحطاط حتى قضى على الروح العفوية في الشعر[٥] .

وكان ابو تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز والصنوبري من الشعراء الذين اضافوا الى اوصافهم المادية للطبيعة حساً وذوقاً ، وجعلهم يأتلقون معها ، ويستغرقون في

نشوة جمالها ، ويبادلونها العاطفة بعاطفة ، والحب بحب ، وبدافع من المجاراة بالمثل ، واظهار فضل الاندلسيين في الطبيعة على المشارقة لذلك وضع كتابه بقوله : « ولستُ اودعه الا ما اذكر لاهل الاندلس خاصة في هذا المعنى ، اذ اوصافهم لم تتكرر على الاسماع ، ولاكثر امتزاجها بالطباع ، فتردها شيقة ترودها تيقة ، وانما ذلك لتضييع اهل بلدهم لاكثرها ، وغفلتهم عن جُلّها انكاراً لفضلها مدة بقاء اهلها ، فاذا انقرضوا تأسفوا بقدر ما كانوا ، وتنسّفوا وحينئذ لا يجدون الا قليلاً يغيب في كثيرها ، وتمادياً يغيض عند بحورها ، ولعمري ان هذه العلة مما صححتُ استغرابها ، واكدت استحسانها واستعذابها »[٢٦] .

رتب الحميري كتابه فجعله على ثلاثة فصول ، جعل الفصل الاول مخصصاً لقطع الربيع التي لم يسم فيها نور ، ولا قصد بوصفها نوع . والفصل الثاني في القطع التي لم تنفرد بنوّار ، وانما اشتملت على نورين او اكثر . مع رسالة لابي حفص بن برد في تفضيل الورد على البهار (النرجس) ، ورسالة ابي الوليد في تفضيل البهار على الورد ، والرد على ابن الرومي في تفضيله البهار على الورد ، ورسالة ابن ادريس الجزيري في بنفسج العامرية ، وقطعة في تفضيل الخيري على البنفسج ، واخرى في تفضيل البنفسج على الخيري .

اما الفصل الثالث فقد خصصه للقطع المنفردة ، كل قطعة منها بنور على حده كالآس والياسمين والبهار وغيرها من ازهار الطبيعة الاندلسية .

كانت هذه الطبيعة المصدر الاساسي الذي استلهم منه الشعراء الاندلسيون افكارهم ، والفيض الزاخر الذي تنبع منه موضوعاتهم ، والسحر المؤثر الذي يشددهم الى التغنّي بها ، ونظرة واحدة الى تلك القصائد والمقطعات الشعرية التي تحاكي الطبيعة ، والتي تزخر بها المصنفات العديدة لتبين لنا مدى اعجاب الاندلسيين بطبيعتهم الجميلة[٢٧] .

٢ ـ نثـره :

على الرغم من قلة النصوص والنماذج النثرية التي وردت لابي الوليد الحميري ، فانها غالباً ما تؤشر بعض السمات التي اتصف بها النثر في تلك الفترة ، فقد كان يعتمد على المحسنات اللفظية والمعنوية ، كالسجع والجناس والطباق والمقابلة والتضمين والاقتباس زيّن بها كتابه البديع .

فمن كلامه في السجع ما ورد في مقدمة كتابه ، وهو يتحدث عن انتقاء الاندلسيين للكلام الحسن الجميل ، واهمالهم خشن الكلام على العكس من اهل المشرق قائلاً : « ولأهل المشرق في تأليف اشعار شعرائهم ، وتدوين اخبار علمائهم الفضل علينا والسبق لنا ، حتى لقد يجمعون خشينها مع حسنها ، ويضيفون لحنها الى لحنها ، لا قلة ميز بها ، بل تحرجاً عن تركها »[٢٨] .

وقد كثر السجع في نثره حتى لقد طغى على رسائله ونثره ، الّا انه كان سجعاً خفيفاً لطيفاً ، وكان استخدامه للوسائل الجمالية متفاوت ، ولكنه لاستخدام السجع اميل ، وهو انما يدل على انه ميزة تميزت بها مؤلفات تلك الفترة ونتاجاتها .

اما الجناس التام وغير التام فانه قد استخدمه كوسيلة لتزيين نثره ، او لترصيع كتابه ، فقد كان هو الآخر لا يقل عن السجع في استخدامه ، ويكثر في نثره ايضاً . ومن ذلك استخدامه الجناس في قطعة نثر بعث بها الى صاحب الشرطة ابي الوليد بن العثماني يدعوه فيها لزيارته في بعض ضياعه التي كساها الربيع قائلاً : « فمن مكموم يعبق مِسْكه ولا يمنعه مَسْكه ، ومن باد يروق مجتلاه ويفوق مجتناه في مرآه وريّاه ، فتفضل بالخفوف نحوي وتعجيل اللحاق بي ، لنجدد للانس مغاني قد درستْ ، وننفك من السرور معاني قد اشكلت ، ونشكر للربيع ما ارانا من البديع »[٢٩] .

اما الطباق فانه يظهر اقل استخداماً عنده من السجع والجناس ، فمن ذلك ما ورد في خاتمة مؤلفه : « فربما ادخلتُ لاهل عصري ما يقرب من البديع ولا يبعد عن الرفيع ، فمن نقد ذلك فليعلم أني لم اجهله ، وانما تحفظت من ناظميه ، واغضيتُ لهم على ما فيه ، وليس ذلك الّا في ابيات يسيرة ، وصفات غير كثيرة »[٣٠] .

والمقابلة تظهر في رسالته التي اردفها على رسالة ابن برد مخاطباً بها القاضي ، وقد بدأ بشهادة البنفسج لانه كان يكتب الصحيفة قائلاً : « والله ما اضعف املي وضاعف عللي ، واوهن سوقي مني وقللني في كل سوق ، الّا الدخول في تلك الوحول ،

والبعد عن الخلق الكريم »[31] . وكذلك في شهادة الخيري النمّام : « والله ما أرّق بصري وارقّ بشري ، واغاض نهاراً ماء بشري ، واغمد فيه سيف نشري الآ معصية الحق في تلك القضية ، وطاعة الهوى في تلك الخطية »[32] .

واستخدم ابو الوليد التضمين في نثره ولا سيما في رسائله ، فضمّن ابياتاً لشعراء المشرق الذين اشتهروا بوصف الطبيعة كابن الرومي وابن المعتز وابي العتاهية[33] ، فمن ذلك تضمينه بيتاً لابن المعتز في رسالته بالرد على رسالة ابن برد قوله : « وافضل تشبيه للورد الخد عند من تشيّع فيه وعني به ، واشرف الحواس العين ، إذ هي على كل منوّلٍ عون ، وليس الخد حاسة فكيف تبلغه رياسة :

اين الخدود من العيون رياسة ونفاسة لولا القياسُ الفاسدُ »[34]

وكذلك ضمّن نثره بعض الامثال العربية ، فمن ذلك تأنيب الخيري الاصفر ، والاقحوان للنواوير الربيعية : « ووالله اننا لاحقّاء بالتأنيب احرياء بالتثريب ، اذ عجلنا عظيمة لم ننعم النظر فيها ، وانفذنا كبيرة لم نعانِ عويص معانيها . وقديماً حمد التـأني ، وذمّت العجلة ، ومن امثـالهم : رب عجلةٍ تبعث ريثاً »[35] .

اما اقتباسه من القرآن الكريم فقد كان قليلاً ، ومن ذلك ما ورد في مقدمة كتابه اقتباس لآية كريمة من سورة الاحزاب عند ثنائه على فضل القاضي وولده المعتضد : « وعلمتُ كيف اقول ، فجزاهما الله عما يوليان من الايادي الحسان التي تداركتنا ـ وقد بلغت القلوب حناجرها »[36] .

واذا ما بحثنا عن القطع التي خصصت للنثر في كتابه (البديع) فسنجدها تقع في مقدمة كتابه ، وفي رسالتين واحدة لوالده واخرى اردفها في الرد على رسالة ابن برد ، وثلاث قطع نثرية وخاتمة .

ورسالته التي كتبها في تفضيل البهار على الورد رداً على رسالة ابن برد تبدو متأثرة باسلوب ابن برد وطريقة عرضه للموضوع الذي تدور حوله ، وهو اسلوب يقوم على الجدل والمحاورة والمفاضلة بين النواوير وقد شاع في الاندلس آنذاك .

وتقدم لنا رسائل المفاخرات بين الازهار والنواوير لوحة ادبية جميلة فيها شيء من عنصر الخيال . مجموعة من الازهار تجتمع في مجلس واحد وتبدأ كل واحدة منها بالمحاورة والمناقشة حتى تصل الى غاية معينة ، وهي الاتفاق على تنصيب احدى النواوير لتكون مقدّمة عليها ، وتتقدم النواوير الواحدة تلو الاخرى ، فتقدم يمين الطاعة والولاء لها بكلمات رقيقة لا تخلو احياناً من ابيات من الشعر .

والاندلسيون بهذا انما يشبعون رغبة ذاتية في نفوسهم كثيراً ما يصعب تحقيقها على الواقع ، فكانت الطبيعة بما فيها من نواوير وازهار وغيرها الاداة التي استخدموها لتحقيق تلك الرغبة ، واشباع تلك الحاجة . .

شعره :

لابي الوليد الحميري مقطعات شعرية تضمنها كتابه (البديع) ، وكتاب (الذخيرة) لابن بسام ، ولم يرد للحميري ديوان شعر على الرغم من انه كان يقرض الشعر وهو في السابعة عشرة من عمره ، واغراض شعره لا تتعدى المدح والوصف والخمر والغزل .

فالمدح يغلب على اغراضه الشعرية ، وهو موجه الى القاضي محمد بن عباد او الى ابنه الحاجب عباد المعتضد ، او الى والد الشاعر ، او الى احد اصدقائه من الشعراء . والحميري في مدائحه يعتمد على وصف الطبيعة ، ويجعل منها مقدمة لقصيدة المديح بعد ان كان الشعراء يعتمدون على الغزل التقليدي ، ويبدو ان الاندلسيين اكثروا منها حتى عصر الشاعر ، وكانوا يجدون التشجيع في ذلك من الممدوحين انفسهم[37] .

فمن مدائحه التي جاءت في وصف الربيع موصولة بمدح الحاجب ابي عمرو المعتضد قائلاً :

ابشر فقد سفر الثرى عن بشره واتاك ينشرُ ما طوى من نشرهِ

الى ان يقول :

واشكر لآذار بدائع ما ترى من حسن منظره النضير وخبرهِ
شهرٌ كأن الحاجب بن محمد ألقى عليه مسحةً من بشرهِ
ملكٌ تملك رقنا بمكارمٍ جعلت له غفر النجوم كعفرهِ
لا زال خطبُ زمانه في اسرهِ فلقد رأيتُ به هواي بأسرهِ[38]

وتندمج اوصاف الربيع بما فيه من ازهار ونواوير ، وما تخلقه من جو بهيج ليتحول فيها الزمان والمكان الى هالة من البُشر والسرور ، مع صفات ممدوحه المعتضد من اخلاق واريحية تتضح ذلك في قصائده الاخرى[39] وهذا الاندماج يعبر عن عمق المشاعر وصدق الاحساس عند الشاعر ، غير انه عند مدحه لاصدقائه يضع حداً لهذا الاندماج ، فهو يشبّه تشبيهاً بين جمال الورد او الآس او الخيري وبالفاظ بديعة ومعاني رقيقة ، وبين جمال خلق ممدوحه[40] ، ويتضح ذلك عند مدحه لوالده ، وقد وصف الورد :

انما الوردُ في ذرى شجراته ... كـأجل الملوك في هيئـاتـه
رائقٌ منـظراً وخبـراً وفـذ ... في حُلاهُ التي حلت وصفاته
نفحةُ المسكِ من شذا نفحاته ... خجلُ الخد من سنا خجلاته
مزجت حمرةُ اليواقيت بالدُّ ... رُ فجاءت به على حَسْب ذاته
مثلما جاء من سماحٍ وبأسٍ ... خلق الحميريُّ سُمُّ عُداته[41]

اما الوصف ونعني به وصف الربيع ، وما فيه من رياض وازهار ، وانهار وامطار ، فقد شاع ذلك بين الاندلسيين ولا سيما الاشبيليين منهم ، فتغلبت على حواسهم وافئدتهم ، وتسللت الى اغلب فنون الشعر الاخرى من مدح وغزل ورثاء وحنين ، ولما كان شاعرنا اشبيلي النشأة فقد اكثر من هذا الفن الشعري واغرم به . وشاع ذلك بين شعراء اشبيلية وكثرت معارضاتهم ومساجلاتهم .

وعندما انشد الفقيه ابو الحسن بن علي قصيدة ضادية في مدح المعتضد يصف فيها نواوير الربيع بوصف حسن بديع ، عارضها ابو الوليد في موضوعها ووزنها وقافيتها ، ولما سمعها المعتضد امره باستحضار صاحب الشرطة ابي بكر بن القوطية والأديبين ابي جعفر بن الابار وابي بكر بن نصر ، وامرهم بمعارضتها . وهذه القصيدة فيها تشبيه جيل وهي :

انـظر الى النـهـرِ واعجبْ ... لحـسـن مـرآه وأرضـهْ
قـد حـلّ بـيـن رياضٍ ... مـن الـنـواويـر غـضّـهْ
فـيـهـا بـهارٌ بـهـيٌّ ... بـدا فـزيّـن ارضـهْ[42]

وهكذا يعدد بقية النواوير الاخرى . واتصلت المعارضة من واحد لآخر ، وكان هذا النوع من التساجل مألوفاً في الادب الاندلسي ، قصيدة تثير الشعراء لمعارضتها ، ورسالة تحفز الكتّاب للرد عليها ، وكتاب يستدعي المصنفين للتذييل عليه .

ولابي الوليد رسالة في تفضيل البهار (النرجس) على الورد وبقية النواوير ، وهي رد على رسالة ابن برد التي يفضل فيها الورد على الازاهير كلها[43] . وقد ضمّن رسالته مقطوعات شعرية كل قطعة تمثل نوعاً من انواع الازهار وهي : البنفسج والخيري النمّام والبهار (النرجس) ، والخيري الاصفر والاقحوان ، وهذه الازهار تتحاور فيما بينها وتتفق على ان تشهد كل واحدة ببيعة البهار ليكون ملكاً عليها ، ويأتي اختيارها للبهار لانه احق بهذه البيعة من الورد . ومن هذه الشهادات البنفسج :

اما البنفسجُ فهو يشهدُ انّهُ ... متـذممٌ ممـا جنىٰ متنصّـلُ
مُتبرىءٌ من بيعةِ الـورد التي ... لمْ يبْرَ منها داؤهُ المتـأصّـلُ
مُتبيّنٌ فضـلَ البَهـارِ وعـالمٌ ... انَّ البهارَ هو المليكُ الافضلُ[44]

وتدل هذه المحاورات بين النواوير على درجة عالية من صفاء الذهن ، وخصب الخيال ، وقوة الربط بين اجزاء الصور العديدة للحصول على صورة واحدة متناسقة . وقد وجدنا ذلك في نصوص الحميري التي يكثر فيها من التشبيهات والاستعارات لاظهار براعة فنه في رسم الصور البسيطة والمركبة .

اما الخمر فان لابي الوليد ثلاث مقطوعات لم نجدها في كتابه البديع ، وانما وجدناها في الذخيرة ، ولم نجد له غيرها في المصادر الاخرى ومن هذه المقطوعات قوله :

وكأسٍ لها كيس على اللُّب والعقلِ ... شمولٌ تُريك الأُنس مجتمع الشمل
كأنَّ حباب الماء في جنباتها ... دروعُ لُجَين قد جلتها يدُ الصقل
تزيدُ ذوي الألباب فضلاً ولم تزلْ ... تُديل بطبيع الجود من طَبع البُخلِ
غنيتُ بمن اهواهُ عن نشواتها ... فمن طرفه خمري ومن ريقهِ نُقلي[45]

وهذه القطعة يمتزج فيها الخمر بالغزل وقد اضفى عليها ابو الوليد من روحه وحواسه ما يجعل معانيها جديدة وطريفة .

وابو الوليد في جميع اغراضه الشعرية التي مرت بنا يبدو شاعراً موهوباً متمكناً من ناصية الشعر ، ومن الممكن ـ لو امتد به العمر ـ ان يكون احد الشعراء الذين يمكن أن يشار اليهم بالبنان ، الا انه استطاع بكتابه (البديع) ان يضع لبنة جديدة في بناء ادب الطبيعة الاندلسي ، او بالاحرى ادب الربيع . .

هوامش المقدمة

(١) ابن بسام : الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ق ٢ / ١١١ تحقيق د. احسان عباس ، دار الثقافة بيروت ١٩٧٩ .
(٢) دوزي : ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الاسلام ص ٢٠ ترجمة كامل كيلاني مطبعة عيسى الحلبي - القاهرة ١٩٣٣ .
(٣) ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في اخبار ملوك الاندلس والمغرب ٣ / ١٩٤ نشره ليفي بروفنسال ، مطبعة بولس كتنر - باريس ١٩٣٠ م .
(٤) ابن بسام : الذخيرة ق ١ / ١٢٤ .
(٥) ابن الابار : التكملة لكتاب الصلة ١ / ١٨٠ نشره السيد عزة العطار الحسيني - مكتبة الخانجي - القاهرة ١٩٥٥ م .
(٦) المصدر السابق ١ / ١٨٠ .
(٧) ابن بشكوال : الصلة ٢٩٨ مطابع سجل العرب - القاهرة ١٩٥٥ .
(٨) المقري : نفح الطيب ٢ / ٢٩٠ تحقيق رينهارت دوزي ، ط ليدن ١٨٥٥ - ١٨٥٩ م .
(٩) ابن بسام : الذخيرة ق ١ / ١٢٥ ، ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ١ / ٢٥٠ تحقيق د. شوقي ضيف ، ط ٢ دار المعارف بمصر ١٩٦٤ ، المقري : نفح الطيب ٢ / ٢٩٠ .
(١٠) الحميدي : جذوة المقتبس ١٥٢ تحقيق محمد بن تاويت الطنجي - القاهرة ١٩٥٢ .
(١١) المقري : نفح الطيب ٢ / ٢٩٠ .
(١٢) ابن بسام : الذخيرة ق ١ / ١٢٤ ، ابن الابار : التكملة ١ / ١٨٠ ، المقري : نفح الطيب ٢ / ٢٩٠ .
(١٣) ابن سعيد : المغرب ١ / ٢٥٠ .
(١٤) ابن الابار : التكملة ١ / ١٨٠ .
(١٥) ابن سعيد : المغرب ١ / ٢٥٠ ، وورد في معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ان المعتمد بن عباد قتله ، وهذا وهم منه لان المعتمد تسلم الحكم بعد وفاة ابيه المعتضد سنة ٤٦١ هـ فكيف يقتله وكل المصادر تذكر انه توفي سنة ٤٤٠ هـ .
(١٦) ابن بسام : الذخيرة ق ٢ / ٢٤ .
(١٧) المصدر السابق ق ٢ / ١٠ .
(١٨) د. محمد مجيد السعيد : الشعر في ظل بني عباد ص ٢٣ مطبعة النعمان - النجف الأشرف ١٩٧٢ نقلاً عن : ابن حزم : نقط العروس ص ٧٩ تحقيق د . شوقي ضيف - مجلة الآداب - جامعة القاهرة المجلد ١٣ ج ٢ ديسمبر ١٩٥١ .
(١٩) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ٤ / ١٥٧ - دار الطباعة الخديوية - بولاق ١٢٨٤ هـ .
(٢٠) ابن الابار : الحلة السيراء ٢ / ٥٣ تحقيق د. حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر بمصر ١٩٦٣ م .
(٢١) ابو الوليد الحميري : البديع في وصف الربيع ص ١ نشره هنري بيريس - المطبعة الاقتصادية الرباط ١٩٤٠ م .
(٢٢) المصدر السابق ص ٢ .
(٢٣) المصدر السابق ص ١ .
(٢٤) المصدر السابق ص ٣ .
(٢٥) د. جودة الركابي : في الادب الاندلسي ص ١٢٧ ط دار المعارف بمصر ١٩٧٠ .
(٢٦) الحميري : البديع ص ١ - ٢ .
(٢٧) احمد حاجم الربيعي : الغربة والحنين في الشعر العربي الاندلسي ص ٢٩٤ - ٢٩٥ رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة بغداد ١٩٨٣ .
(٢٨) الحميري : البديع ص ٢ .
(٢٩) المصدر السابق ص ٣٠ .
(٣٠) المصدر السابق ص ١٦٠ - ١٦١ .
(٣١) المصدر السابق ص ٦٥ .
(٣٢) المصدر السابق ص ٦٥ - ٦٦ .
(٣٣) ينظر البديع ص ٦٠ ، ٦٢ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ١٠٥ .
(٣٤) الحميري : البديع ص ٦٠ .
(٣٥) المصدر السابق ص ٦٢ .
(٣٦) المصدر السابق ص ٤ والآية ٣٣ من سورة الاحزاب (حتى اذا بلغت القلوب الحناجر) .
(٣٧) د. احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي - عصر الطوائف والمرابطين - ص ١٩٦ دار الثقافة - بيروت ١٩٦٢ م .
(٣٨) الحميري : البديع ص ٢٦ - ٢٧ ، والحميدي : جذوة المقتبس ص ١٥٢ والضبي : بغية الملتمس ص ٢١٤ مطبع روخس - مدريد ١٨٨٤ م .
(٣٩) ينظر البديع ص ١١٩ ، ١٣٨ .
(٤٠) المصدر السابق ص ٨٨ ، ١١٤ ، ١٢٨ .
(٤١) المصدر السابق ص ١٢٩ ، وابن بسام : الذخيرة ق ١ / ١٣٢ .
(٤٢) الحميري : البديع ص ٤١ - ٤٢ .
(٤٣) المصدر السابق ص ٥٨ .
(٤٤) المصدر السابق ص ٦٥ .
(٤٥) ابن بسام : الذخيرة ق ١ / ١٣٤ .

شـعـره :

ـ حرف الهمزة ـ

(١)

ومن الفائت الفائق والرائع الرائق في وصف الآس قطعة خاطب بها الوزيرُ ابو عامر بن مسلمة الاديب ابا الوليد الحميري وبعث معها مطيباً واولها : (كامل)

يـا واحدَ الأُدبـاءِ والشعـراءِ   وابنَ الكرامِ السّادةِ النُّجباءِ

فجاوبه عن هذه الالفاظ البديعة ، والمعاني الرفيعة بما يمكن ان يدخل في هذا الباب :

١ـ يا مَنْ حبوتَ بودّهِ حوباءِ   وهي الفداءُ له من الأسـواءِ
٢ـ وصلَ المطيّبُ مُعرباً عن طيبِ (مِنْ)اهداهُ مكتسباً من الاهداءِ
٣ـ اظميتَهُ من بعدما ارويتهُ   بمُـدامة فيهـا دواءُ الـدّاءِ
٤ـ ما كانَ اشهرَ طيبَه لو لم يكنْ   مُتستّراً بـالقـطعـة الغـرّاء
٥ـ ارِنِ عليه نظمُك الحُلْوُ الحُلى   فـانحطَّ بعد الرتبة العليـاءِ
٦ـ إنْ كان نورُ الآسِ في وَرَقاته   نـوراً بـدا في ليـلةٍ ظلماءِ
٧ـ فجمالُ خلقِك حين ينظم عقدهِ   كالبدرِ ينظم انجمَ الجوزاءِ

ـ حرف الألف ـ

(٢)

ولـه رسالـة في الرد عـلى رسالـة ابن برد ، وقـد ضمنّها شهـادات النواويـر ومن تلك الشهـادات شهـادة الاقحـوان :

(منسرح)

١ـ أشهدُ الأُقحوانُ أنْ جناهُ   كـافرٌ بـالـذي سـواهُ جناهُ
٢ـ قائلٌ قولَ من تَبرّأَ قِـدْماً   مِنْ هوى مَنْ قضى عليهِ هواهُ
٣ـ إنَّ نَوْرَ الرُّبى عبيـدٌ وكُلٌ   للبهـارِ البهيّ يقـضي وَلاهُ

ـ حرف الباء ـ

(٣)

قال ابو الوليد : وبعث اليَّ صاحب الشرطة ابو الوليد بن العثماني مُطيِّب خيري مبكر ، وكتب معه قطعة نثر مقتطعة من السحر ، فجاوبته بقطعة وقد صنعتُ فيها ابياتاً بديهية متأخرة ، فاغض على ما فيها محسناً الى مهديها . وهي : (سريع)

١ـ نهارُ خيـريـكَ في ليـلهِ   كـذلـكَ اللّيـلُ نهارُ الأديبْ
٢ـ يَنمُ فيـه وينامُ الضُحى   تصـاوناً عن كـلِّ امرٍ مَغيبْ
٣ـ كـأنّمـا اللّيـلُ حبيبٌ لـهُ   فهو اذا حلَّ اكتسى كلَّ طيبْ
٤ـ كـأنّما الصُّبحُ رقيبٌ لـهُ   فيرعوي عند طلوعِ الرَّقيبْ

ـ حرف التاء ـ

(٤)

قال ابو الوليد : ولي في الورد قطعة موصولة بمدح ابي ـ ابقى الله عليّ ظلّه ، وقدمني الى المنون قبله ـ وهي : (خفيف)

انّما الوردُ في ذُرى شجراتهِ   كـأجَلِّ الملوكِ في هَيْئـاتِـهْ
رائقٌ منـظراً وخُبـراً وفـدٌ   في حُلاهُ التي حَلَتْ وصفاتهْ
نفحةُ المِسْكِ من شذا نفحاته   خجَلُ الخدّ من سنا خَجَـلاتِهْ
مُزِجتْ حُمرةُ اليـواقيتِ بالـدُّ   رّ فجاءتْ بهِ على حَسْبِ ذاتِهْ
مثلما جاء من سماحٍ وبأسٍ   خُلُقُ الحميريّ سُمّ عُداتِـهْ
إنْ يعِدْ فالـوفاءُ حتمٌ عليـهِ   فـرْضُهُ في صِـلاتهِ كصَلاتِهْ

ـ حرف الحاء ـ

(٥)

قال ابو الوليد : ولي في الخُرّم تشبيه طابقه وهو : (رجز)

١ـ وخُـرّمٍ حُـلوِ الحُـلىٰ   يبـدو لـعَيْنَيْ مَـنْ لَـمَحْ
٢ـ تـلـوُّنـاً ومـنـظـراً   كـأنّـهُ قـوسُ قُـزَحْ

ـ حرف الدال ـ

(٦)

وله من رسالة في الرد على رسالة ابن برد شهادة الخيري

الاصفر : (رمل)

١ـ اصفرُ الخيريّ يشهـدْ — أنّ عـقْـدَ الـوردِ قـد رُدْ
٢ـ ويـرى انَّ الـبـهـارَ الـ — ـمُـنـتـفـى اغـلـىٰ وامـجد
٣ـ مـلـكٌ يـقـظانُ يـأتي — وصُنـوفُ الـنُـورِ هُـجَّـدْ

(٧)

قال ابو الوليد : ولي قطعة في النرجس موصولة بمدح ذي الوزارتين عبّاد ـ وصل الله حرمته واطال مدته ـ وهي : (طويل)

وروضٍ أريضٍ لم يزلْ يغتذي بما — يروحُ عليهِ من سحابٍ ويغتدي
بدا النرجسُ المُصفرُّ فيه مُباهياً — بلونٍ كلون المُستهـامِ المُسهَّـدِ
ترىٰ كُلَّ نَـورٍ منهُ فوقَ قضيبِهِ — كلمَّة تِبْرٍ فـوق جيدِ زَبـرْجَـدِ
اذا مـا سرىٰ منـهُ نسيمٌ لوالِـهِ — سرىٰ عنه جلبابُ الجوىٰ المتوقدِ
حكىٰ منـظراً نضراً وخُبـراً خلائق النُجيب أبي عمـرو سليلِ مُحَمَّـدِ
فـداهُ عِداهُ كم لـهُ مِنْ فضيلةٍ — وفضلِ ندىً يُغني به كلُّ مُجتدي

ـ حرف الذال ـ

(٨)

قال ابو الوليد : ولي في الباقلاء تشبيه ربما يوافق ، وتمثيل كأنه يطابق وهو : (طويل)

أرىٰ الباقلاءَ الباقلَ اللّون لابساً — برودَ سماءٍ مِنْ سحائبها غُـذي
تـرىٰ نَـوْرَهُ يلْتاحُ في ورقـاتـهِ — كبُلْقِ جيـادٍ في جِـلال زُمـرُّذِ

ـ حرف الراء ـ

(٩)

وقال : ـ (منسرح)

١ـ وقهـوةٍ لا يجيدهـا مبصرْ — راقتْ ورقَّت في اعينُ النُظّرْ
٢ـ اذا رنتْ فالسرور مبتسمٌ — وإنْ نـأتْ فالسـرور مستعبرْ
٣ـ كـأنها والحباب يحجبُهـا — بحر من التبر يقذف الجوهرْ
٤ـ غنيتُ عنها فلستُ اقربها — بنـاظـرٍ منهُ يُسكـر المُنْكِرْ

(١٠)

وله ايضاً في وصف الربيع : (كامل)

بكتِ السماءُ فأضحكت سنَّ الثرىٰ — بمدامعٍ نظمتْ عليه جوهرا
فكـأنها خـرقـاء تنثر عِقـدَهـا — وكـأنـه مُستغنم أن يُنثـرا
عكفتْ يداه على نـظام فريـده — وجمانـه فـرْداً لـذاك مُشمـراً
واعـاده ابهىٰ لـطرف منـظراً — واعـدّه اذكـى لأنـف مَخْبـرا
فانظر محاسن للربيع تبرّجتْ — لـولا الربيـعُ لمـا تجلّتْ للورىٰ

(١١)

قال ابو الوليد : ولي في الجلنار قطعة ربما وافقت صفته ، وطابقت هيأته وهي : (مجتث)

١ـ وجُـلّـنـارٍ تَـبـدّىٰ — يختـال في جُـلِ نـارِ
٢ـ احـل حُـلى من جميـع — الانـوارِ والازهـارِ
٣ـ حكىٰ خـدود العذارىٰ — قـد شُـرّبـتْ بـاحـمـرارِ
٤ـ وخُـمّشـتْ بـأكـفّ — الالحـاظ والابـصـارِ

(١٢)

وخاطب اباه برسالة فيها بعض اصناف اوصاف الربيع يطلب منه السماح له بالخروج للتمتع بمباهج النواوير التي كست الارض حللاً ، وملأتها مسكاً وعنبراً . قال : (بسيط)

فالأرض في بردةٍ من يانعِ الزّهرِ — تُزري إذا قِسْتها بالوشي والحِبَرِ

قد احكمنها أكف المزن واكفةً   وطرّزتها بما تُهمي من الدّرر
تبرّجت فسبتْ منا العيون هوى   وفتنةً بعد طول السِّتر والخَفَرِ

(١٣)

قال ابو الوليد : ودخلتُ بستاناً لي مع الفقيه ابي الحسن بن علي ، وكان بها باقلاء قد نوّر فاخذ من نوره ، وصنع مصراعاً وسألني إجازته ففعلت وزدت بيتاً آخر .

ومصراعه : (رمل)

سَبجٌ في كاس دُرّ   او كسوفٌ وسْطَ بدْرِ

وزيادتي :

أوْ غوالٍ في لآلٍ   أوْ غشاءٌ بينَ فَجْرِ

(١٤)

قال ابو الوليد : ولي في شقائق النعمان (الشقر) بيتان ربما انفردا بتشبيه وهما : (طويل)

رياضٌ يُحيّيها الحَيا بانسكابه   فَتسْفِر للنُظّار عن منظر نضْرِ
. . . تْ فيها الشّقائقُ خِلْتَها   شعور العذارى لحْنَ في الخُمر الحُمرِ

(١٥)

قال ابو الوليد : ولي في لوني النيلوفر وصف ربما طابق ، وتمثيل عساه وافق وهو : (مجتث)

١ـ وروضةٍ رَضِيتْ عنْ   صوبِ الحيا المُستَمِرِ
٢ـ فأظهرتْ نَوْرَ نَيْلو   فَرٍ مُنيرٍ أغرِّ
٣ـ كمخْبَرٍ من لُجينٍ   فيهِ بقيّةُ حِبْرِ

(١٦)

قال ابو الوليد : ومما قلته في هذا المعنى ـ ويعني وصف الربيع قطعة موصولة بمدح الحاجب ـ اطال الله بقاءه ، وحرس حوباء وهي : (كامل)

ابشر فقد سفر الثرى عن بشرهِ   وأتاكَ ينشرُ ما طوى من نشرهِ
متحصناً من حسنهِ في معقلٍ   عقلَ العيون على رعايةِ زهرهِ
فضَّ الربيع ختامه فبدا لنا   ما كان من سرّائه في سرّهِ
من بعد ما سحبَ السحابُ ذيوله   فيه ودرٌ عليه أنفس دُرّهِ
فاجلِ جفونكَ فيه تجلُ صَداً   بها لولا انبراءُ جماله لم تبرِهِ
واشكُرْ لآذارٍ بدائع ما ترى   من حسنِ منظره النضير وخُبرِهِ
شهرٌ كأن الحاجب بنَ محمد   ألقىَ عليه مسحةً من بشرِهِ
ملكٌ تملّكَ رقّنا بمكارمٍ   جعلتْ له غفر النجوم كعفرِهِ
لا زال خطبُ زمانه في اسرهِ   فلقد رأيتُ به هوايَ بأسرِهِ

ـ حرف السين ـ

(١٧)

قال ابو الوليد : ولي في نور الكتان قطعة : (منسرح)

كأنّ نَوْرَ الكتّانِ حين بدا   وقد جلا حُسْنُهُ صدا الأنفُسْ
أكُفُّ فيروزجٍ معاصمُها   قد سترتْهنّ خُضرةُ الملبَسْ
أوْ لا زوَرْقُ الياقوتِ قد وضعت   على بساطٍ تروقُ من سُندسْ

ـ حرف الضاد ـ

(١٨)

ولما بلغ ابا الوليد ان الفقيه ابا الحسن بن علي وضع قصيدة ضادية يصف فيها نواوير الربيع بوصف حسن بديع ، صنع قصيدة على ذلك النحو وقد ذكر منها قطعة هي : (مجتث)

١ـ انظرْ الى النّهر واعجبْ   لحسْنِ مرآه وأرضِهْ

٢ـ قد حلّ بين رياضٍ من النواوير غضّهْ
٣ـ فيها بهارٌ بهيٌّ بدا فزيّن أرضهْ
٤ـ كأنّه جيدُ تِبرٍ يلوح في طوقِ فضهْ
٥ـ ونرجسٌ مثل لونِ المهجور فارقَ غمضهْ
٦ـ واقحوانٌ أنيقٌ برودُهُ مُبْيَضّهْ
٧ـ قد طرّزتْها بتبْرٍ عينُ الندى المرْفَضّهْ
٨ـ وباقلاءُ قد أبدى بنوره الحسْنَ مَحْضَهْ
٩ـ كأنما هو خالٌ بخدِّ بيضاءَ بضّهْ
١٠ـ كأنما النّهر أُفقُ السماءِ عانقَ أرضَهْ
١١ـ وقد كسا عُدوَتَيهِ من الأزاهر مَحْضَهْ
١٢ـ كما ابن عبّاد النّدْ بُ قد كسا الصون عرضهْ
١٣ـ سَمْحٌ على المال فظٌّ دأباً يجدّد فضّهْ
١٤ـ له من الجاهِ حظٌّ على التواضع غَضّهْ

ـ حرف العين ـ

(١٩)

قال ابو الوليد : ولي في بركة عليها اقحوان تشبيه تضمّنه بيتان وهما : (متقارب)

١ـ .... بالثرى صَيْرفيٌّ لهُ نُطوعٌ من اللازَوَرْدِ البديعْ
٢ـ .... بٌ فيه من الأقحوا ن درهمٌ من ضرب كفّ الربيعْ

ـ حرف القاف ـ

(٢٠)

ومن نظمه شهادة النرجس : (رمل)

١ـ أشهدَ النّرجسُ أشهادَ مُحِقْ أنّ بدرَ الوردِ في المُلكِ مُحِقْ
٢ـ ورأى انّ البهارَ المُجتلىٰ في سماءِ الحُسنِ بالمُلكِ أحقْ
٣ـ فمتىٰ كُذّبَ قولٌ أبداً قيلَ في قولتهِ هذي صَدَقْ

(٢١)

قال ابو الوليد : واهدى اليّ صاحب الشرطة ابو بكر بن القوطية ثلاث وردات ليلة المهرجان ، وكتب اليّ معها ابياتاً انيقة المعنى دقيقة المغزى ، فلما وردت الورد الثلاثُ عليّ ووصلت اليّ بعثت بها الى ابي وقاه الله بي ، وكتبت اليه معها اربعة ابيات بديهة : (كامل)

١ـ يا من تأزّر بالمكارم وارتدى بالمجدِ والفضلِ الرفيع الفائقِ
٢ـ انظرْ الى خدّ الربيع مركّباً في وجه هذا المهرجان الرائقِ
٣ـ وردٌ تقدّمَ اذْ تأخرّ واغتدىٰ في الحسن والاحسان اولّ سابقِ
٤ـ وافاكَ مشتملاً بثوبِ حيائهِ خجلاً لأن حيائه آخر لاحقِ

ـ حرف اللام ـ

(٢٢)

ومن نظمه شهادة البنفسج : (كامل)

١ـ امّا البنفسجُ فهو يشهدُ أنّهُ مُتذمّمٌ ممّا جنىٰ متنصّلُ
٢ـ متبرّىءٌ من بيعةِ الوردِ التي لم يَبْرَ منها داؤهُ المتأصّلُ
٣ـ متبيّنٌ فضلَ البهارِ وعالمٌ أنّ البهارَ هو المليكُ الافضلُ

(٢٣)

ومن نظمه ايضاً شهادة الخيري (النمّام) : (رمل)

١ـ أشهدَ الخيريُّ أنّ الخيرَ في نقضِ ما اخطأ فيهِ أوّلا
٢ـ موقناً أنّ البهارَ المرتضىٰ بَهرَ الاملاكَ حالاً وحُلا
٣ـ فهوَ الموقظُ انوارَ الرُّبا من سناتٍ سنّها فيها البِلا

(٢٤)

وقال : (طويل)

وكأسٍ لها كيْسٌ على اللبِّ والعقلِ شمول تُريك الأُنس مجتمع الشّمل
كأن حباب الماء في جنباتها دروع لُجين قد جلتْها يدُ الصّقلِ
تزيدُ ذوي الالباب فضلاً ولم تزلْ تُديل بطبْع الجود من طَبْع البخلِ
غنيتُ بمن اهواهُ عن نشواتها فمن طرفه خمري ومن ريقهِ نُقلي

(٢٥)

وقال ايضاً : (متقارب)

١ـ حمامٌ بلحظك قد حُمّ لي فما زال يهدي الى مقتلي
٢ـ وإنْ لَمْ تغثني بمعنىٰ الحياة من ريق مبسمك السلسلِ
٣ـ فها أنا قاض بداء الهوى وقاضي جمالك لم يعدلِ
٤ـ فيا ليت قبري حيث الهوى فاكرمْ بذلك من منزلِ
٥ـ عسىٰ من تلفتُ بحبي له يرقّ على ذي بلاءٍ بلي
٦ـ فإن جاد بالوصل بعد الوفاةِ رجعتُ الىٰ عيشي الأولِ
٧ـ فيا صاحبيَّ هناك احفرا ولا تحفرا لي بقطْرُ بُلِ
٨ـ إذا ما أُدرت كؤوس الهوى ففي شربها لستُ بالمؤتلِ

٩ـ مُدامٌ تعتَق بالناظرين … وتلك تعتّق بالأرجل

ـ حرف الميم ـ

(٢٦)

قال ابو الوليد : لما كثر الكلام في تفضيل الخيري الأصفر صنعت قطعة ربما كان فيها بعض الرد على من فضله ، وبخس النمام اكثر حقه ، ولم يرع حسن خَلقه وخُلقه . وهي :

(كامل)

يا من يذُم خلائق النمّام … ويحطُّهُ عن خطّة الاكرام
قذكَ اتئدْ عن لومهِ جهلاً به … فجمالُه زارٍ على اللُّوام
هو اشهرُ الخيريّ حُسناً فاحبُهُ … من بيْنِهِ بتحيّةٍ وسلام
متنزّهٌ عنْ أنْ يُرى مُستهتراً … الّا اذا اكتحل الورى بمنام
مُستطرفٌ في خَلقه مُستظرفٌ … في خُلقه مُستحسَنٍ ألالمام
لم يرضَ إلّالمِسكُ مَسْكاًجسمُهُ … وبهِ يبوح اليكَ في الاظلام
والُمنتمي ابداً اليهِ قُصارُهُ … في الفضلِ أنْ يُعزى الى النمّام
إصفرٌ من حسدٍ له وكآبةٍ … لما شآهُ بحُسنه البسّام
أيقاسُ مُنفردٌ بظرفٍ مُعجز … بمشاركٍ اخلاق نَور العام
لو كانت الشمس المنيرةُ سرمداً … لم تُلقَ بالاجلال والاعظام

ـ حرف النون ـ

(٢٧)

قال ابو الوليد : ولي في السوسن قطعة فيها اختراع تشبيه ، وصلتها بمدح الحاجب ـ حجبه الله بي عن النوائب ـ وهي : (مجتث)

١ـ وسوسنٍ يتهادى … للانس بالراحتين
٢ـ نعمَ المواصلُ لو لمْ … يُعدْ بناءٍ وبَينْ
٣ـ كأنما خلقةُ الفد … خَشْةٌ من لُجين
٤ـ او أنمُلٌ بضّةٌ ما … تركّبتْ في يَدين
٥ـ وبينها حارسٌ لا … ينامُ طرفةَ عينْ
٦ـ علا واشرفَ منها … على جمالٍ وزَيْن
٧ـ كما علا الحاجبُ … الُمتقى على الشّعريين
٨ـ مَلَكٌ به حالَ دهري … بينَ الخطوبِ وبَيْني

هوامش النص

(١) الحميري : البديع ص ٨٨ .
(٢) المصدر السابق ص ٦٦ .
(٣) المصدر السابق ص ١١٤ .
(٤) المصدر السابق ص ١٢٩ ، وابن بسام : الذخيرة ق ١ / ١٣٢ عدا البيت الثاني .
(٥) الحميري : البديع ص ١٤٠ .
(٦) المصدر السابق ص ٦٧ .
(٧) المصدر السابق ص ١١٩ .
(٨) المصدر السابق ص ١٥٥ ، وابن بسام : الذخيرة ق ١ / ١٣٣ ، والمقري : نفح الطيب ٢ / ٢٩٠ البيت الاول في الذخيرة والنفح (انى الباقلاء . . لبرد سماء) .
(٩) ابن بسام : الذخيرة ق ١ / ١٣٣ .
(١٠) الحميري : البديع ص ٢٧ .
(١١) المصدر السابق ص ١٦٠ .
(١٢) المصدر السابق ص ٢٩ ، وابن بسام : الذخيرة ق ١ / ١٢٦ .
(١٣) الحميري : البديع ص ١٥٥ .
(١٤) المصدر السابق ص ١٥٣ وفي البيت الثاني بياض في الاصل .
(١٥) المصدر السابق ص ١٤٧ .
(١٦) المصدر السابق ص ٢٦ ـ ٢٧ ، والابيات (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧) وردت في جذوة المقتبس ص ١٥٢ وفيها البيت السادس (فاشكر) ، ووردت الابيات (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧) ايضاً في بغية الملتمس ص ٢١٣ وفيها البيت الثالث (فضل الربيع) ، ووردت الابيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٧) ايضاً في معجم الادباء ٧ / ١٤٣ .
(١٧) الحميري : البديع ص ١٥٧ ـ ١٥٨ ووردت في الذخيرة ق ٢ / ١ / ١٣٣ بكسر القافية .
(١٨) الحميري : البديع ص ٤١ ـ ٤٢ .
(١٩) المصدر السابق ص ١٥٠ ـ ١٥١ وفي البيت الاول والثاني بياض في الاصل .
(٢٠) المصدر السابق ص ٦٥ .
(٢١) المصدر السابق ص ١٢٨ ، وابن بسام : الذخيرة ق ١ / ١٣٢ ، والمقري : نفح الطيب ٢ / ٢٩٠ .
(٢٢) الحميري : البديع ص ٦٥ .
(٢٣) المصدر السابق ص ٦٦ .
(٢٤) ابن بسام : الذخيرة ق ١ / ١٣٤ .
(٢٥) المصدر السابق ق ١ / ١٣٤ ـ ١٣٥ ، وورد البيتان (٨ ، ٩) في المغرب لابن سعيد ١ / ٢٥٠ ، ووردا ايضاً في رايات المبرزين لابن سعيد ص ٣٩ وفيه البيت الثامن (اذا ما ادرت مدام الخدود . .) ، ووردا ايضا في نفح الطيب للمقري ٢ / ٢٩٠ وفيه البيت الثامن (اذا ما رأيت كؤوس الهوى ـ ففي شربها لست بالمرقل) .
(٢٦) الحميري : البديع ص ٨٥ .
(٢٧) المصدر السابق ص ١٣٨ .

رسالة الغربال

لعالم الرياضيات العربي ابن الهائم المقدسي المتوفى سنة ٨١٥ هـ ١٤١٢ م

دراسة وتحقيق

خضير عباس المنشداوي
مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

رشيد عبد الرزاق الصالحي
كلية الهندسة / جامعة بغداد

تمهيـــد :

تهتم المؤسسات الرياضية في العالم وفي الفكر الرياضي المعاصر بالتعرف على الاعداد الأولية وتشخيص هذه الاعداد ، وقد سار العالم منذ العصور القديمة على مواجهة هذه المشكلة واعطاء الوسائل المختلفة للكشف عن الاعداد الأولية وساهم الرياضيون اينما كانوا في هذا الباب مساهمة فعالة حتى اذا ما وصلنا الى العصر الحاضر ظهرت الحاسبات الالكترونية وظهرت الحاجة الماسة الى الاعداد الاولية واهميتها في الرياضيات التطبيقية والابحاث العلمية التي تستهدف دراسة المشكلة عاد العالم مرة ثانية الى دراسة الاعداد الاولية بموجب قانون الاعداد الكبيرة ـ راجع نظرية الاحتمال ـ .

ان الاعداد الاولية ذات تطبيقات عديدة منها في معرفة الاعداد المتحابة التي تناولها ثابت ابن قرة في كتاباته وانها تمثل العمود الفقري في النظرية التي ابتدعها ثابت ابن قرة في معرفة الاعداد المتحابة .

وهذا بدوره له صلة في التعرف على الترابط بين الانظمة العلمية التي تتشابك وتتماثل في بعض اجزاءها لما له صلة في وسائل الاتصال المعاصر .

ان تقديم فكرة عالم الرياضيات العربي ابن الهائم المقدسي في هذه الرسالة تسهم في اعداد صورة واضحة وطريقة سهلة للكشف عن الاعداد الأولية ، كما انها تمثل فكراً ناضجاً اصيلاً باسهام الامة العربية في هذا المضمار .

ان اهمية غربال ابن الهائم تكمن في يسرها وتعاملها الواقعي في الكشف عن الاعداد الأولية فهي اسهل من الطرق[1] التي سبقتها .

المؤلـف :

شهاب الدين أحمد[1] بن محمد بن عماد بن علي ابو العباس القرافي المصري المقدسي الشافعي الفرضي الحاسب الشهير

والده بالهائم .

ولد سنة ٧٥٣ هـ في القرافة الصغرى في مصر ، وبعد ان نشأ في مصر وتعلم واشتغل فيها انتقل الى القدس الشريف حيث درّس هنالك ، وعندما ولي الشيخ العلامة زين الدين ابوبكر بن عمر بن عرفات المصري ، المدرسة الصلاحية استناب ابن الهائم عنه عليها لأنه كان مقيماً في القاهرة وذلك سنة ٧٩٧ هـ ، وأصبح ابن الهائم من شيوخ المقادسة ، ثم استقل بتدريس الصلاحية واستمرت بيده الى حدود سنة ٨١٠ هـ عندما قدم شمس الدين محمد[٣] بن عطا الهروي من هراة فرأى هذه الوظيفة فسعى اليها واستطاع ان ينتصفها مع ابن الهائم المقدسي .

شيوخه :

تفقه ابن الهائم على مجموعة من الشيوخ المتميزين حيث اخذ عنهم مختلف العلوم ومن هؤلاء الشيوخ :

١) شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني[٤]
٢) الشيخ جمال الدين الاميوطي[٥]
٣) علي بن عبدالصمد الجلاوي[٦]

ثقافته :

اهتم ابن الهائم منذ نشأته بطلب العلم حتى استطاع أن يفوق أقرانه ويجمع بين عدة علوم ، فقد انتهت اليه الرئاسة في علم الحساب والفرائض حتى لقب بالحاسب الفرضي وبرع في الجبر والفقه واللغة والتفسير .

وكان اسلوبه يتسم بسهولة العبارة وبساطتها وبلاغته المتينة ، فكانت مؤلفاته تجمع بين الادب والعلم وذلك لثروته الادبية والعلمية الواسعة .

اخلاقه واراء العلماء فيه :

لقد كان ابن الهائم ، على الرغم من علو مكانته العلمية وذبوع صيته وتهافت الطلاب عليه وانتفاعهم به شديد التمسك بالدين ، عفيفاً ، نزيهاً ، كريماً ، صادقاً ، صبوراً ، مهاباً ، خيراً ، متواضعاً[٧] .

قال عنه مجير الدين الحنبلي : « كانت له محاسن كثيرة ، وعنده ديانة متينة ، وكان يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، ولكلامه وقع في القلوب »[٨] .

تلاميذه :

كان له تلاميذ كثيرون وذلك لشهرته الواسعة ولعلميته المتميزة ، فقد ذكر الشوكاني بأنه : « سارت بمؤلفاته وفضائله الركاب وتخرج به كثير من الفضلاء ورحلوا اليه من الآفاق وأخذ الناس عنه طبقة بعد طبقة »[٩] .

ومن تلاميذه :

١) شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني[١٠] .
٢) احمد بن حسين بن حسن الرّملي[١١] .
٣) العلامة عماد الدين اسماعيل بن ابراهيم بن شرف الشافعي[١٢] .
٤) برهان الدين ابراهيم بن موسى الكركي[١٣] .
٥) محمد بن احمد بن عثمان البساطي[١٤] .
٦) الشهاب احمد بن يوسف بن محمد السيرجي[١٥] .

وفاته :

توفي ابن الهائم المقدسي في العشرة الأخيرة من جمادى الاخرة سنة ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م ودفن في مقبرة « مأمن الله » بالقدس الشريف .

مؤلفاتـــه :

كتب ابن الهائم في الحساب والجبر والفرائض والفقه والتفسير والنحو والشعر وزادت مؤلفاته التي تركها على الثلاثين مؤلفاً[16] ما زال اغلبها مخطوطاً ، ومن هذه المؤلفات :

١ ـ اللمع في الحساب[17]
٢ ـ المعونة في علم الحساب الهوائي[18]
٣ ـ الوسيلة في علم الحساب[19]
٤ ـ ملجأ الاضطراب في حساب الفرائض[20]
٥ ـ الحاوي في علم الحساب[21]
٦ ـ مفتاح الحساب
٧ ـ مرشدة الطالب الى اسنى المطالب في الحساب
٨ ـ نزهة النظار في صناعة الغبار
٩ ـ شرح الارجوزة الياسمينية[22]
١٠ ـ المقنع في الجبر والمقابلة
١١ ـ الممتع في الجبر والمقابلة
١٢ ـ المسرع في الجبر والمقابلة
١٣ ـ ابراز الخفايا في فن الوصايا
١٤ ـ ترغيب الرائض في علم الفرائض
١٥ ـ النفحة القدسية في اختصار الرجبية
١٦ ـ الفصول في الفرائض
١٧ ـ الكفاية في الفرائض
١٨ ـ شرح الكفاية في الفرائض
١٩ ـ الجمل الوجيزة في الفرائض
٢٠ ـ شرح الجعبرية في الفرائض
٢١ ـ نزهة النفوس في بيان حكم التعامل بالفلوس
٢٢ ـ اللمع في الحث على اجتناب البدع
٢٣ ـ التحرير بدلالة نجاسة الخنزير
٢٤ ـ التبيان في تفسير غريب القرآن[23]
٢٥ ـ البر العجاج في شرح المنهاج
٢٦ ـ تحرير القواعد العلائية وتمهيد المسالك الفقهية
٢٧ ـ العقد النضيد في تحقيق كلمة التوحيد
٢٨ ـ تحفة الطلاب في نظم قواعد الاعراب
٢٩ ـ ديوان شعره

المخطـوط :

تبحث هذه الرسالة كما ذكر المؤلف بوجه معرفة الأجزاء الصُم وتمييز الاعداد المركبة عن الأولية وقد اشار ابن الهائم الى رسالته هذه في كتابه الموسوم « المعونة في علم الحساب الهوائي » حيث ذكر : « ولتمييز الأول من المركب وجه يسمى بالغربال مذكور في تلخيص ابن البناء ، ومختصره لي وهو اكثر منه علماً واصغر من نصفه حجماً »[24] .

توجد نسخة فريدة لرسالة الغربال لابن الهائم المقدسي محفوظة في خزانة مكتبة المتحف العراقي ضمن مجموع تحت رقم (٤٤٣٧ / ٢)[25] ، وتتكون هذه الرسالة من ثلاث صفحات كتبها بخط النسخ حسين منقار الطرابلسي وفرغ من نسخها ليلة الجمعة لأربعة بقين من صفر سنة (١٢٧٠ هـ) وقد علق الناسخ على هذه النسخة وادخل تعليقاته ضمن النص ، لذلك فقد اشرنا الى هذه التعليقات ووضعناها في الحاشية لأنها ليست من ضمن النص الذي كتبه المؤلف .

هوامش المقدمة

(١) انظر : غربال ، ايراتو ستينز ، المتوفى سنة (١٩٤ ق . م) والمذكور في كتاب ، نظرية الاعداد لاوسين اور ١ / ٨٩ ـ ٩٠ ، كذلك انظر : غربال ، ابن البناء المراكشي ، المتوفى سنة ٧٢١ هـ والمذكور في كتابه الموسوم ، تلخيص اعمال الحساب ، ص ٥٥ وقارن بينهما وبين ، غربال ابن الهائم ، موضوع البحث فسترى مدى سهولة ودقة غربال ابن الهائم .

(٢) انظر ترجمته في :
انباء الغمر بابناء العمر ٢ / ٥٢٥ . طبقات المفسرين ١ / ٨٢ الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ٢ / ٥٧ . البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١ / ١١٧ ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ١ / ١٠٩ . هدية العارفين ١ / ١٢٠ تراث العرب العلمي ص ٤٣٩ . تاريخ علم الفلك في العراق ص

١٧٢ ، المعونة في علم الحساب الهوائي ص ١٠ كذلك انظر : بروكلمان ٢ / ١٢٥ ، الذيل ٢ / ١٥٤ .

(٣) شمس الدين محمد بن عطا الله بن محمد الرازي الاصل ، الهروي المتوفى سنة ٨٢٩ هـ ، من فقهاء الشافعية ، اصله من الري ومولده بهراة ثم انتقل الى القدس وتولى تدريس الصلاحية ثم ولى القضاء بمصر وتوفي بالقدس الشريف ،

انظر : انباء الغمر ٢ / ٥١٥ ، بغية الوعاة ص ٢٦٧ وفيه وفاته سنة ٨٣٣ هـ ، الانس الجليل ٢ / ٤٥٦ ، البدر الطالع ٢ / ٢٠٦ .

(٤) سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير الشافعي البلقيني المتوفى سنة ٨٠٥ هـ ، محدث ، فقيه ، مفسر ، انظر : الضوء اللامع ٦ / ٨٥ ، شذرات الذهب ٧ / ٥١ البدر الطالع ١ / ٥٠٦ .

(٥) جمال الدين ابراهيم بن محمد الاميوطي المتوفى سنة ٧٩٠ هـ عالم باللغة العربية والفقه ، انظر : بغية الوعاة ص ١٨٧ معجم المؤلفين ١ / ٩٨ .

(٦) نور الدين علي بن عبدالصمد الجلاوي المالكي الفرائضي عالم بالفقه والبيان والحساب والهندسة توفي سنة ٧٨٢ هـ انظر : شذرات الذهب ٦ / ٢٧٦ ، تراث العرب العلمي ص ٤٤٠ وفيه (الجلابري) وهو خطا .

(٧) طبقات المفسرين ١ / ٨٢ ، البدر الطالع ١١٧ .

(٨) الانس الجليل ٢ / ٤٥٦ .

(٩) البدر الطالع ١ / ١١٨ .

(١٠) الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ، محدث ، مؤرخ ، اديب ، له اكثر من مائة وخمسين مصنفاً انظر : الضوء اللامع ٢ / ٣٦ ، نظم العقيان ص ٤٥ ، البدر الطالع ١ / ٨٧ .

(١١) أحمد بن حسين بن حسن الرملي المتوفى سنة ٨٥٤ هـ عالم بالفقه من مؤلفاته : (شرح البخاري) و (طبقات الشافعية) انظر : الانس الجليل ٢ / ٥١٤ ، البدر الطالع ١ / ٤٩ .

(١٢) عماد الدين اسماعيل ابن شرف الشافعي المتوفى سنة ٨٥٢ هـ

عالم بالحساب والفرائض ، انظر : الانس الجليل ٢ / ٥٢١ ، الضوء اللامع ٢ / ٢٨٤ .

(١٣) ابراهيم الكركي المتوفى سنة ٨٥٣ هـ ، عالم بالقرآن والفقه والعربية ، انظر : نظم العقيان ص ٣٩ ، التبر المسبوك ص ٢٧٣ .

(١٤) محمد بن احمد البساطي الشافعي المتوفى سنة ٨٤٢ هـ عالم بالفقه ، من مؤلفاته : (مقدمة في اصول الدين) انظر : بغية الوعاة ص ١٣ ، الضوء اللامع ٧ / ٥ شذرات الذهب ٧ / ٢٤٥

(١٥) الشهاب احمد السيرجي المتوفى سنة ٨٦٢ هـ عالم بالفرائض والحساب ، انظر : نظم العقيان ص ١٢٤ الضوء اللامع ٢ / ٢٤٩ .

(١٦) حول مؤلفات ابن الهائم انظر : فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة في بغداد ، مخطوطات الحساب والهندسة والجبر في مكتبة المتحف العراقي ، نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا ، الاثار الخطية في المكتبة القادرية ، فهرس الكتب الموجودة بالمكتبة الازهرية ، فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية ، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ قسم الرياضيات ، فهرس المخطوطات المصورة في معهد المخطوطات ، كذلك انظر : المعونة في علم الحساب الهوائي ١ / ٢٢ ـ ٤٦ .

(١٧) طبع في بولاق سنة ١٢٤١ هـ انظر : معجم المطبوعات ص ٢٧٠ .

(١٨) حققت من قبل خضير عباس المنشداوي باشراف الاستاذ رشيد عبدالرزاق الصالحي لنيل درجة الدبلوم العالي في المخطوطات من مركز احياء التراث العلمي العربي .

(١٩) يعمل الدكتور احمد نصيف الجنابي على تحقيقها .

(٢٠) حققت من قبل خضير عباس المنشداوي ونجلاء قاسم عباس ونشرت ضمن منشورات مركز احياء التراث لعام ١٩٨٥ .

(٢١) انتهينا من دراسة وتحقيق هذا المخطوط بتكليف من مركز احياء التراث العلمي العربي وسينشر ضمن منشورات المركز .

(٢٢) وهي شرح لارجوزة ابن الياسمين (ابو محمد عبدالله بن حجاج المتوفى سنة ٦٠١ هـ) في الجبر والمقابلة والتي تضمنت قوانين الجبر وقواعده .

(٢٣) يعمل الاستاذ احمد محمد مهدي من جمهورية مصر على دراسة وتحقيق هذا المخطوط .

(٢٤) انظر : المعونة في علم الحساب الهوائي ج ١ ص ١١١ .

(٢٥) انظر : مخطوطات الحساب والهندسة والجبر في مكتبة المتحف العراقي ص ٨٩ .

تسعة فهذا القدر المقتصر عليه في هذا المختصر مما لا يسع الطالب المحصل جهله ومن اراد الزيادة فيكفيه اصله ومن اراد التبحر في التصرف في المجهول بالاعداد المتناسبة فعليه بالمعونة التي فامت كتب هذا الفن قاطبة ولله الحمد والمنة اولا واخرا وظاهرا وباطنا والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وكان الفراغ من نسخ هذه المقدمة ليلة الجمعة

المباركة سادس عشر من صفر المبارك [illegible] على
يد الفقير اليه سبحانه وتعالى حسين منقاره
الطرابلسي عفى الله عنه وعن والديه
ولكل من له حق عليه ولجميع
المسلمين وصلى الله
على سيدنا محمد
واله [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

الحمد لله على افضاله والصلاة والسلام على سيدنا محمد واله بعد فقد التمس مني بعض الاعزة على ان ابين له طريقا تسمى بالغربال التي هي لمعرفة الاجزاء الصم وتمييز مركبها من اولها واوضحها له لتكون ان شاء الله تعالى سهلة فانها مذكورة في بعض الكتب عسرة فاجبته الى ذلك بعون القادر المالك فاقول مستعينا بالله تعالى ان كيفية ذلك ان تضع جدولا مربعا كان اولا في ابياته الافراد المتوالية من ثلاثة الى ما شئت من العدد الذي تريد سعته بان تضع في البيت الاول منه ثلاثة وفي الثانية خمسة وفي الثالث سبعة وفي الرابع تسعة وفي الخامس احد عشر وهكذا بزيادة اثنين على ما قبله ثم لك في كيفية العمل طريقان الطريق الاول ان

تعد من البيت الثاني من الجدول بقدر احاد الاول على الاول الولاء مرة بعد مرة الى نهاية اعدادك المرسومة وعلم على كل ثالث علامة ثم عد من البيت الثالث بقدر احاد الثاني مرة بعد مرة كذلك الى نهاية اعدادك وعلم على كل خامس علامة كما عرفت ان لم يكن معلما وهكذا تفعل بما بعد ذلك الى نهاية اعدادك وسياتي علامة انتهائها الطريق الثانية ان تعد من البيت الاول بقدر احاده على الولاء بحيث ما تعد في بعده مركب فعلم ذلك العدد الذي بعده ثم تبدا منه وتعلم ما بعد المنتهي اليه وهكذا الى اخر الغربال بان تعد من البيت الاول بقدر احاده وتعلم على رابعه ثم ابدا بالعدد الذي عليه العلامة وعلم على كل رابع الى نهاية اعدادك ثم عد من البيت الثاني بقدر احاده وعلم على سادسه ثم ابدا بالعدد الذي عليه العلامة وعلم على كل سادس الى نهاية اعدادك ثم عد من البيت الثالث بقدر احاده وعلم على كل ثامن وهكذا تفعل بما بعد ذلك الى نهاية اعدادك والمذكور في الطريق الثانية هو المراد بقول ابن غازي رحمه الله في منيته: فصل واو حدها على التوالي افرادا من الثلاث في الغربال وعد من كل من الاعداد د نا بقدر ما فيه من الاحاد د: فكل منتهاه منه انتظما والزمه حتى تنتهي لأعظما : مربعا في اخر الغربال : نا وميز الاصم بالاهمال ثم علامة انتهائها نهاية الاعداد ان تنتهي الى عدد من الاعداد المأخوذة تريد ان تعرف عدد حاصل ضربه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وصلى الله على سيدُنا محمد وآله وصحبه وسلّم ﴾[1]

الحمدُ لله على افضالِه والصلاةُ على سيدُنا محمد واله .

أما بعدُ : فقد التمسَ مني بعضِ الأعزةِ أنْ أبين له طريقاً تُسمى بالغربال التي هي لمعرفة الأجزاء الصُّمِّ وتمييز مركَّبها من اوَّلها وأوضحها له لتكون إن شاء الله تعالى سهلةً فإنها مذكورة في بعض الكتب[2] عسرة ، فأجبته الى ذلك بعون القادر المالك فأقولُ مستعيناً بالله تعالى : ـ

إن كيفية ذلك أنْ تضعَ جدولاً مُربعاً[3] كان أولاً في أبياته الافراد المتوالية من ثلاثةٍ الى ما شئت من العدد الذي تريدُ معرفتَه بأنْ تضع في البيت الأول منه ثلاثةً وفي الثاني خمسةً وفي الثالثِ سبعةً وفي الرابع تسعةً وفي الخامس احدَ عشرَ وهكذا بزيادة اثنين على ما قبلِهِ[4] . ثم لكَ في كيفيةِ العدِّ طريقان :

الطريقُ الأول :

أنْ عُدَّ من البيت الثاني من الجدول بقدر آحاد الاول على الولاء[5] مرةً بعد مرةٍ الى نهاية اعدادك المرسومة وعلى كلِّ ثالثٍ علامةً ثم عُدْ من البيتِ الثالثِ بقدرِ آحاد الثاني مرةً بعد مرةٍ كذلك الى نهاية اعدادك وعَلِّمْ[6] على كلِّ خامسٍ علامةً كما عرفت[7] إنْ لم يكن مُعلماً وهكذا تفعلُ بما بعدَ ذلك الى نهاية اعدادك[8] .

الطريقُ الثاني :

إنْ تَعُدَّ من البيت الأوَّلِ بقدر آحادِه على الولاءِ فحيثُ ما تَعُدُّ فما بعده مركبٌ فعلِّمْ ذلكَ العدد الذي بعدَه ثم تبدأُ منه وتُعلِّمُ ما بعدَ المنتهيَ إليه وهكذا الى آخرِ الغربال بأن تعد من البيت الاول بقدر آحاده وتُعلِمْ على رابعه ثم ابدأ بالعدِّ من الذي عليه العلامةَ وعلِّم على كلِّ رابعٍ الى نهاية اعدادك ثم عُدَّ من البيت الثاني بقدر آحاده وعلِّم على سادسه ثم أبدأ بالعدِّ من الذي عليه العلامةَ وعلِّم على كلِّ سادسٍ الى نهاية اعدادك ثم عدَّ من البيت الثالث بقدر آحاده وعلِّم على كلِّ ثامنٍ وهكذا تفعل

بما بعد ذلك الى نهاية اعدادك[9] . ثم علامة انتهاء نهاية الأعداد أنْ تنتهيَ الى عددٍ من الاعداد المأخوذة تُريدُ أنْ تَعُدَّ به تجدُ حاصل ضربه في نفسه يزيدُ على آخر ما بالغربال فما عُلِّمَ عليه فمركبٌ وما لا فأوَّل[10] .

وسُمِّيَ بالغربال[11] لأنْ مربعاته كثقبه ولأنَّ المقصود منه غربلة الاعداد الصم على الاعداد المركبة فاشبه تمييز الدقيق على النخالة .

ولنمثل مثالاً لأجل زيادة الايضاح ، فلو طُلِبَ عدد احد وستون هل هو اصمُّ او مركبٌ[12] .

فانزل بجدولٍ هكذا :[13]

١٣	١١	٩	٧	٥	٣
٢٥	٢٣	٢١	١٩	١٧	١٥
٣٧	٣٥	٣٣	٣١	٢٩	٢٧
٤٩	٤٧	٤٥	٤٣	٤١	٣٩
٦١	٥٩	٥٧	٥٥	٥٣	٥١

ثم عُدَّ من الخمسة بقدر الثلاثة على الطريق الاول ، تجدْ الثلاثة قد انتهت الى التسعة ومن الثلاثة بقدرها على الطريق الثانية تجدها قد انتهتْ الى التسعة .

فعلى كلٍّ من الطريقتين تُعَلِّمُ التسعة ثم عد منها على ما تقدم وعَلِّم الخمسة عشر وهكذا الى اخر العدد المطلوب ثم (انتقل)[14] الى الخمسة وافعل كما (فعلت)[15] ايضاً ، فاذا انتقلت الى التسعة تجد مربعها يزيدُ على اخر ما بالغربال لأنك اذا ربّعتَ التسعة تجدْ (حاصلها)[16] احداً وثمانين فلا حاجة حينئذٍ الى عدِّها ، وقد تم العملُ فيكون الواحدُ والستون اصماً لفقد العلامة ، وعلى هذا فقس .

وهذا اخر ما يسّره الواحدُ القهارُ والصلاةُ والسلامُ على النبيِّ الطاهر وعلى آله وصحبه اجمعين .

قد تمت هذه الفائدةُ على يدِ الفقير اليه سبحانه وتعالى حسين الطرابلسيّ ، ليلة الجمعة المباركة لأربعة عشر بقين من صفر سنة ١٢٧٠ عفى الله تعالى عنه وعن والديه وكلِّ مَنْ له حقي عليه وجميع المسلمين وصلى الله على سيِّدنا محمدٍ وآله وسلم .

هوامش النص

(١) يظهر ان هذه العبارة من وضع الناسخ .

(٢) يقصد بذلك كتاب « تلخيص اعمال الحساب » لابن البناء المراكشي .

(٣) مربعاً : وردت بمعنى مدخل (entery)

(٤) يقصد بذلك أن تعد جدولاً يتألف من مداخل ذات أسطر وذات أعمدة ويكون السطر الأول من الجدول يتألف من متوالية عددية حدها الأول فردي قدره (٣) واساسها (٢) بمعنى ان الأبيات / المداخل تتألف من حدود هذه المتوالية العددية التي عدد حدودها (٦) وحدها الأول (٣) واساسها (٢) ويكون حدها السادس (١٣) ثم نستمر في تدوين حدود المتواليات العددية الأخرى مبتدأين دائماً من اليمين بالنسبة لكل سطر ورد في الجدول ، مع ملاحظة ان السطر الأول من الجدول بمداخله يستمر بحسب مشيئة الباحث او العدد الذي تروم استخراجه .

وبعبارة اخرى : ان نصنع جدولاً مربعاً كان اولاً في أبياته الأفراد المتوالية من ثلاثة الى ما شئت من العدد الذي تريد معرفته ومعنى ذلك انه عندما تريد اعداد الغربال ينبغي ان نبدأ بالسطر الاول بالاعداد الأولية التي تبدأ بالعدد (٣) اي نبدأ بمتوالية عددية حدها الاول (٣) ويكون (ثابت مطلقاً) واساسها (٢) ثم تستمر نحو اليسار ثم نحو اليمين بحسب مشيئتك من حيث عدد الأسطر او عدد الاعمدة حتى تصل الى العدد الذي تطلب الكشف عنه ، وانك لتلاحظ ان كل عمود من الغربال باي صيغة ترغب فيها يتألف من متوالية عددية ذات اساس معلوم مشترك بين اعمدة الغربال .

(٥) على الولاء : على التوالي (respectivly) .

(٦) عَلِّمْ : ضع علامة مميزة .

(٧) في الأصل زيادة (وسيأتي علامة انتهائها) .

(٨) يكون ذلك بأن تبدأ بالعد من المدخل الذي رتبته السطر الأول العمود الثاني وتبدأ منه اي قيمته (٥) وتعد من أعداد المتوالية بقدر قيمة المدخل الأول من السطر الأول والعمود الأول / من اليمين ثم تضع علامة على الحد الأخير أثناء العد متحركاً نحو اليسار ثم اليمين ثم اليسار ثم اليمين وهكذا حتى ينتهي الجدول فالمداخل الباقية تكون اعداداً أولية وهي غير معلمة .

(٩) في الأصل زيادة ويظهر انها تعليق للناسخ حيث وردت بها اشارة الى ابن غازي المتوفى سنة ٩١٩ هـ ، وهذه الزيادة هي : (والمذكور في الطريق الثاني هو المراد بقول ابن غازي رحمه الله في « مُنيته » :

فصِلْ واوجدها على التوالي ... فرداً من الثلاثِ في الغربالِ
وعُدْ من كلُ الاعداد ... بقدرِ ما فيه من الاحادِ
فتلك منتهاهُ منه انتظما ... والزمه حتى تنتهي لأعظما
مربعاً في اخرُ الغربال ... وميّزْ الأصمَ بالاهمالِ)

وابن غازي هو محمد بن احمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي المغربي المكناسي المولود سنة ٨٤١ هـ والمتوفى بفاس سنة ٩١٩ هـ ، مؤرخ ، حاسب ، فقيه ، من مؤلفاته : (كتاب منية الحساب في علم الحساب) وشرحه الموسوم : (غنية الطلاب في شرح منية الحساب) ، انظر : هدية العارفين ج ـ ٢ ص ٢٢٦ ، الاعلام ج ٦ ص ١٣٢ ، تراث العرب العلمي ص ٤٦٨ وفيه ولادته في سنة ٨٥٨ هـ .

(١٠) في الأصل زيادة ، ويظهر انها من تعليق الناسخ : (وهو المراد بقول الناظم : والزمه حتى تنتهي لأعظما ، الى آخره) .

(١١) الغربال : ما غُرْبِلَ به ، غَرْبَلَ الشيء : نخلهُ ، والمغربلُ : المنتقى كأنه نُقي بالغربال . لسان العرب ، مادة غربل .

(١٢) المقصود بذلك هل العدد المطلوب عدد أولي ام عدد مركب ، بعبارة اخرى وردت كلمة اصم عوضاً عن العدد الأولي ، علماً ان لفظة أصم المعاصرة تختلف رياضياً عن هذا المعنى .

(١٣) الجدول الآتي يمثل صورة لغربال ابن الهائم المقدسي بالأرقام العربية المشرقية :

٣	٥	٧	٩	١١	١٣
١٥	١٧	١٩	٢١	٢٣	٢٥
٢٧	٢٩	٣١	٣٣	٣٥	٣٧
٣٩	٤١	٤٣	٤٥	٤٧	٤٩
٥١	٥٣	٥٥	٥٧	٥٩	٦١

(١٤) الأصل : (انقل) وما اثبتناه هو الصحيح .

(١٥) الأصل : (علمت) وما اثبتناه انسب للسياق .

(١٦) الأصل : (حاصله) وما أثبتناه هو الصحيح .

المصادر والمراجع

١ ـ انباء الغمر بابناء العمر ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : الدكتور حسين حبشي ، القاهرة ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ .

٢ ـ الاعلام ، الزركلي ، ط ٣ بيروت .

٣ ـ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، مجيد الدين الحنبلي ، مصر ١٢٨٣ هـ .

٤ ـ ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، اسماعيل باشا البغدادي وكالة المعارف ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م .

٥ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمد علي الشوكاني ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٤٨ هـ .

٦ ـ بغية الوعاة ، السيوطي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٤ .

٧ ـ تاريخ علم الفلك في العراق ، عباس العزاوي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .

٨ ـ تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ، قدري حافظ طوقان ، ط ٣ بيروت .

٩ ـ تلخيص أعمال الحساب ، ابن البناء المراكشي ، تحقيق الدكتور محمد سويسي ، تونس ١٩٦٩ .

١٠ ـ شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ١٣٥١ هـ .

١١ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، شمس الدين السخاوي ، مكتبة الحياة بيروت .

١٢ ـ طبقات المفسرين ، شمس الدين الداودي ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة الاستقلال ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ .

١٣ ـ فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الاوقاف العامة في بغداد ، عبدالله الجبوري ، مطبعة الأرشاد ، بغداد ١٩٧٤ .

١٤ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ الرياضيات ـ محمد صلاح عايدي ، مطبعة خالد بن الوليد ، ١٩٧٣ .

١٥ ـ مختار الصحاح ، الرازي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٩ .

١٦ ـ مخطوطات الحساب والهندسة والجبر في مكتبة المتحف العراقي ، اسامة ناصر النقشبندي ، ظمياء محمد عباس ، بغداد ١٩٨٠ .

١٧ ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة ، يوسف سركيس مطبعة سركيس ، مصر ١٣٤٦ هـ .

١٨ ـ معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، بيروت .

١٩ ـ المعونة في علم الحساب الهوائي ، ابن الهائم المقدسي تحقيق : خضير عباس المنشداوي ، اشراف رشيد الصالحي رسالة مقدمة الى مركز احياء التراث العلمي العربي بغداد ١٩٨١ .

٢٠ ـ نظرية الاعداد وتاريخها ، أوستين أور ، ترجمة محي الدين يوسف ، بغداد ، ١٩٥٧ .

٢١ ـ نظم العقيان في اعيان الاعيان ، السيوطي ، تحقيق الدكتور فيليب حتي ، المطبعة السورية ١٩٢٧ .

٢٢ ـ نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا ، الدكتور رمضان ششن ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٧٥ .

٢٣ ـ هدية العارفين ، اسماعيل باشا ، مطبعة المعارف ، اسطنبول ، ١٩٥١ .

من شعراء الكوفة :

المؤمل بن أميل المحاربي

حياته وما تبقى من شعره

جمع وتحقيق
د. حنا جميل حداد
جامعة اليرموك - اربد

تقديم :

المؤمل المحاربي من شعراء العرب الغزلين الذين اشتهروا بالعشق وقضوا في سبيله . غير أن الأيام طوت ذكره فنسيه الناس أو كادوا ، بعد زمان كان فيه شعره وأخباره حديث الناس في الكوفة ومادة سمرهم .

وتهدف هذه الدراسة الى بعث سيرة المحاربي وإحياء شعره لينضم إلى قافلة شعراء العربية بكل ما له أو عليه ، وليكون هذا الشعر وهذه الأخبار من ناحية أخرى في متناول أيدي الدارسين الذين يبحثون في تاريخ تلك الحقبة المتقدمة من حياة أمتنا العربية ، فقد يجدون فيها ما يكشف لهم عن جديد ، أو يلفت انتباههم إلى أمر ذي بال .

وقد بذلنا جهدا كبيرا في البحث عن شعر الرجل وتعقب أخباره ، حتى كانت هذه الترجمة الموجزة وحتى كان هذا القدر اليسير الذي جمعناه من شعره وإني لآمل من بعد ، أن أكون قد أسديت للرجل حقاً هو جدير به وقدمت للدارسين مادة هم في حاجة إليها .

والله من وراء القصد

التعريف بالمؤمَّل

الرجـل :

هو أبو أميل[1] المؤمَّل بن أميل بن أسيد[2] المحاربي من محارب بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر . شاعر كوفي مخضرم من مخضرمي شعراء الدولتين : الاموية والعباسية ولكن شهرته في العباسية كانت أكثر لأنه كان من الجند المرتزقة معهم .

وتفيد أخبار المؤمل أنه انقطع مدة الى جعفر بن سليمان بن علي والي المدينة (١٤٦ - ١٥٠ هـ) ثم وفد على المهدي وهو أمير بالرّي ومدحه فأعطاه المهدي عشرين ألف درهم ، فلما اتصل الخبر بالمنصور ، استكثر المبلغ وكتب لابنه يعذله ، ويقول فيما كتب : إنما كان سبيلك أن تأمر للشاعر بعد أن يقوم ببابك سنة بأربعة الاف درهم . وفي الوقت نفسه كتب المنصور لكاتب المهدي بانفاذ المؤمل إليه فلم يعثر عليه ، فأنفذ المنصور قائدا من قواده للبحث عنه فعثر عليه بالنهروان .

قال المؤمل : فكاد قلبي يتصدع خوفا من أبي جعفر ،

وقبض عليّ ثم أتي بي وأسلمني الى الربيع فأدخلني الى أبي جعفر ، فسلمت تسليم مروع فرد السلام ، وقال : أتيت غلاما غرا فخدعته : قلت : يا أمير المؤمنين ، انما أتيت ملكا جوادا كريما فمدحته فحملته أريحيته على أن وصلني وبرني ، فكأنّ ذلك أعجبه . فقال : أنشدني ما قلت فيه ، فأنشدته :

هو المهدي إلا أنّ فيه   مشابه صُورةِ القمرِ المُنير

ومنها :

فيا بن خليفة الله المُصفّى   به تعلو مُفاخرةُ الفَخورِ
لئن فُتّ الملوكَ وقد توافوا   إليك من السُهولةِ والوعُورِ
لقد سبق الملوكَ أبوك حتى   تراهم بينَ كابٍ أوْ حَسيرِ
وجئتَ وراءه تَجري حَثيثاً   وما بكَ حين تَجري مِنْ فُتورِ
فقال الناسُ : ما هذان إلا   بمَنزلةِ الخليقِ من الجَديرِ
فإنْ سبقَ الكبير فأهلُ سبقٍ   له فَضْلُ الكبيرِ على الصغيرِ
وإنْ بلغَ الصغيرُ مدى كبيرٍ   فَقد خُلقَ الصَغيرُ من الكبيرِ

فقال المنصور : أحسنت : ولكن هذا لا يساوي عشرين ألف درهم . ثم قال له : أين المال ؟

قلت : ها هوذا ، قال : يا ربيع ، أعطه منه أربعة الاف درهم ، وخذ الباقي .

قال المؤمل : فأخذ مني ستة عشر ألفاً ، فآليت على نفسي ألا أدخل العراق وللمنصور بها ولاية . فلما صارت الخلافة الى المهدي ، رفعت إليه رقعة ذكرت فيها قصتي ، فلما قرأها ضحك ، وقال : هذه مظلمة أنا بها عارف ، ردوا عليه ماله ، وزيدوا له عشرين ألفا . فأخذتها وانصرفت .

وليس في أخبار المؤمل ، ما يزيد الرجل تعريفا أو يكشف لنا عن الكثير من جوانب حياته فلسنا نعرف عنه سوى هذه القصة التي تتحدث عن مدحه المهدي واتصاله به ، والا أنه عمّر طويلا حتى عمي في نهاية أيامه ، وأنه توفي في حدود (١٩٠ هـ)[٣] . أما بقية أخباره فقد أغفل الرواة ذكرها فلم يصل إلينا منها شيء .

شاعريته :

« كان المؤمل صالح المذهب في شعره ، ليس من المبرزين الفحول ولا المرذولين ، وفي شعره لين وله طبع صالح »[٤] .

ويصف ياقوت الحموي شعره بقوله : « وكان شاعراً مجيداً ودون طبقة الفحول »[٥] . ويروى البغدادي أنّ المُؤمل قد ذُكر بين يدي أبي العباس المبرد ، فقال : كانوا يقولون له « البارد » ثم قال : ولكنه شاعر[٦] .

ويغلب على شعر المؤمل غرضان رئيسان : النسيب والمديح فاني لم أعثر فيما وقفت عليه من شعره على شيء في غيرهما .

قصة عشقه :

تفيد الأخبار القليلة التي تناقلها الرواة ، أنّ المُؤمّل قد اشتهر بعشقه لا مرأة أسمها « الذّلفاء »[٧] ولكني لم أعثر لهذه المرأة على ذكر فيما وصل إلينا من شعره ، ولم ينقل الرواة وكتاب السير شيئا من أخباره معها .

كما أفادت أخبار المؤمل ، أنه هوى امرأة من الحيرة يقال لها « هند »[٨] وفيها يقول قصيدته المشهورة .

شف المؤمّل يومَ الحيرةِ النظرُ   ليتَ المؤملَ لمْ يُخلق له بَصرُ

ويقال : إنه رأى في منامه رجلا أدخل اصبعيه في عينيه ، وقال : هذا ما تمنيت ، فأصبح أعمى .

وليس من المستبعد أن تكون « هند » هذه هي « الذلفاء » التي اشتهر بعشقه لها وأكثر من التغزل بها ، ولكنه لم يصرح باسمها الحقيقي مهابةً وخوفاً .

ومما قاله المؤمل في « هند » هذه قصيدته المشهورة :

شف المؤمل يوم الحيرةِ النظرُ   ليتَ المؤمّل لم يُخلق له بَصرُ

ومنها :

إذا مَرِضْنا أتيناكم نَزُورُكم   وتُذنبون فنأتيكم فَنَعْتَذرُ
لا تَحسِبيني غنياً من مَحبتِكم   إني إليكم وإنْ أيْسرت مُفتقرُ
إنّ الحبيبَ يريدُ السيرَ في صفرٍ   ليتَ الشهورَ هوى مِنْ بَيْنِها صَفَرُ

يكفي المحبين في الدنيا عذابُهم · والله لا عذّبتهم بعدها سَقَرُ
لمّا رمتْ مُهجتي قالتْ لجارتها · إني قتلتُ قتيلاً ما لـه خَطَرُ
فقلتُ شاعرَ هذا الحي من مُضرٍ · والله يَعلمُ ما تَرضى بـذا مُضَرُ

وفي « هند » أيضاً يقول المؤمل :

حَلمتُ بكم في نَومتي فَغضبتُمُ · ولاذنبَ لي إنْ كنتُ في الليلِ أحْلمُ
سَأطرُدُ عنّي النـومَ لا أراكُم · إذا ما أتاني النـومُ والناسُ نُوَّمُ
تُـصارمني والله يَـعلمُ أنـني · أبرُّ بها مِنْ والـديها وأورحمُ
لقد زعموا لي أنّها نذرت دمي · وما لي بحمد الله لحمٌ ولا دَمُ
بَرى حبُّها لحمي ولم يُبْقِ لي دماً · وإن زعمتْ أني صَحيحٌ مُسلَّمُ
ستقتلُ جلداً بالياً فوق أعظمٍ · وليس يبالي القتلَ جِلْدٌ وأعظمُ

مصادر شعره :

لم أعثر فيما رجعت اليه من المصادر على اشارة واحدة تفيد أن للرجل ديوانا أو أن أحدهم قد جمع شعره كما كانوا يفعلون بشعر كثير من الشعراء . لذا ، فقد كان السبيل الى الموقف على شعر الرجل وجمعه ، هو البحث عنه ولمّ ما تناثر منه في كتب التراث العربي على اختلاف أنواعه . وهكذا بدأتُ في جمع ما روى له من الشعر فكان من أهم مصادر شعره ، مجموعة كتب التراجم التي عنيت بالترجمة لشعراء العربية والتعريف بهم كالأغاني ومهذبه ومعجم الشعراء وتاريخ بغداد ومعجم الأدباء ونكت الهميان . ثم كتب المجاميع الشعرية كحماسة أبي تمام والحماسة البصرية وحماسة الظرفاء والتذكرة الفخرية والتذكرة السعدية والزهرة . ثم مجموعة كتب الأدب كزهر الآداب والعقد الفريد والمحاسن والمساويء وعيون الأخبار والتمثيل والمحاضرة والتشبيهات والأشباه والنظائر . ثم ما وضع من المصنفات لخدمة غيرها ، مثل : سمط اللاليء وخزانة الأدب وشرح المقامات وشرح شواهد المغني . وأخيرا كتب الأمالي والمجالس مثل : أمالي أبي القاسم الزجاجي وأخباره وأمالي المرتضى وأمالي القالي وغيرها .

وقد استطعت بعد كثير من البحث عن شعر الرجل وتعقبه في هذه المظان من الوقوف على ما مجموعه (١٢٥) بيتاً من الشعر ، جاء معظمه على شكل أبيات متفرقة ومقطوعات قصيرة كانت ذات يوم قصائد طويلة عدت عليها الأيام فبعثرتها فلم يبق منها الا ما وقفنا عليه .

والذي تأكد لي من تتبع أخبار الرجل والبحث عن شعره ، أن عناية القدماء بالرجل لم تكن كبيرة ، ولعل السبب في ذلك كونه من المرتزقة الذين كانوا يعيشون في الظل فلا يؤبه بهم ولا يلتفت اليهم .

مصادر ترجمته والتعريف به :

عني بعض القدماء بالمؤمل فترجموا له وعرفوا به وتناقلوا بعض أخباره ورووا مقطوعات من شعره . غير أن هذه الأخبار جاءت مكرورة لا تكشف عن غامض هام ولا تضيف جديدا مستورا ، فكأنما هي قد صدرت عن مصدر واحد لا يتغير هو الأساس لكل ما ذكر عن الرجل أو روى له .

أما عن المعاصرين ، فاني لم أعثر للرجل في مصنفاتهم الا على بعض التعريفات الموجزة والاشارات الباهتة . وفيما يلي ثبت بأشهر هذه المصادر والمراجع التي ترجمت للرجل أو عرفت به :

- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) .
- معجم الشعراء للمرزباني (ت ٣٨٤ هـ) .
- تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) .
- سمط اللالي لأبي عبيد البكري (ت ٤٨٧ هـ) .
- معجم الأدباء لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) .
- نكت الهميان للصلاح الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) .
- خزانة الأدب لعبدالقادر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) .
- الأعلام لخيرالدين الزركلي .
- تاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فروخ .
- أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي ، دراسة وتحليل لعبدالسلام رستم .

(قافية الباء)

(١)

أنشد نفطويه للمؤمل بن أميل : (البسيط)

لا تَغضَبَنَّ على قومٍ تُحِبُّهُم ... فليسَ مِنكَ عليهِم يَنفعُ الغَضَبُ
ولا تُخاصِمهُم يوماً وإنْ ظَلَموا ... إنَّ الوُلاةَ إذا ما خُوصِموا غَلَبوا
ياجائرين علينا في حُكومتِهِم ... والجَورُ أقبحُ ما يُؤتى ويُرتَكَبُ
لسنا إلى غَيرِكُم مِنكُم نَفِرُّ إذا ... جُرتُم ولكن إليكُم مِنكُم الهَرَبُ

• هو أبو عبدالله ابراهيم بن محمد بن عرفة المشهور بـ « نِفطويه » ولد سنة ٢٤٤ هـ وتوفي سنة ٣٢٣ هـ . سكن بغداد وأخذ علومه في العربية عن ثعلب والمبرد وغيرهما ، وقد وصف بأنه ممن خلط نحو الكوفيين بنحو البصريين . ترك ثروة من المصنفات في كثير من علوم العربية من أشهرها . اعراب القرآن ، المقنع في النحو ، أمثال القرآن وغيرها .

(انظر في ترجمته : انباه الرواة ١ / ١٧٦ ـ ١٨٢ وبغية الوعاة ١ / ٤٢٨ ـ ٤٣٠)

٤ ـ قال الزجاجي : وهذا هو بعينه قول البحتري (ديوان البحتري ١ / ٨٣)

يا ظالماً لي بغَيرِ جُرمٍ ... إليكَ مِن ظُلمِكَ المَفَرُّ

وهذا المعنى مستنبط من كلامه تعالى : « ففروا إلى الله إني لكم مِنه نذيرٌ مُبين » (الذاريات / ٥٠)

ونقول : وأبدع من قول الشاعرين قول أبي نواس (ديوانه ص ٦١٠)

أفِرُّ إليكَ مِنكَ وأينَ إلا ... إليكَ يَفِرُّ مِنكَ المُستجيرُ

التخريج : الابيات في أمالي الزجاجي ص ١٧٩ وأخبار أبي القاسم الزجاجي ص ١٨٥ ومعجم الادباء ٧ / ١٩٧ وتاريخ بغداد ١٣ / ١٧٩ .

والابيات : ١ ، ٣ ، ٤ في زهر الاداب ٤ / ١٦٥

(قافية التاء)

(٢)

وقال المؤمل بن أميل : (الوافر)

عَجِبتُ لِمَنْ يُطَيِّبُني بمِسكٍ ... وبي يَتَطيَّبُ المِسكُ الفَتيتُ
خلا خِيَلُ النِّساءِ لها وَجيبٌ ... ووسْواسٌ وخَلخَالي صَمُوتُ
ولو أن النِّساءَ غَنينَ يوماً ... عن المِسكِ الذَّكِي كما غَنيتُ
لأصبحَ كُلُّ عَطَّارٍ فقيراً ... قليلاً ما له ما يَستَبيتُ
إذا نَطقَ اللئيمُ فلا تُجِبْهُ ... فَخيرٌ من إجابتِكَ السُّكوتُ
لئيمُ القومِ يَشتُمني فيخطىء ... ولو دَمَه سَفَكْتُ لما خَطيتُ
فلستُ مُشاتِماً أبداً لئيماً ... خَزيتِ لمن يُشاتِمُه خَزيتُ

٢ ـ الوجيب : الخفوق والاضطراب ، والوسواس : صوت الحلي

٣ ـ ما يستبيت : أي ما يجد بيت ليلة ، والبيت بالكسر : القوت .

التخريج : الابيات (١ ـ ٤) في العقد الفريد ٦ / ٤٧٥ .

الابيات (٥ ـ ٧) في تاريخ بغداد ١٣ / ١٧٩ .

(قافية الدال)

(٣)

وقال المؤمل بن أميل : (السريع)

لقد صِرتُ مِنْ ضَعفي على حَالةٍ ... تَجري لها آماقُ حُسّادِي
يَكادُ جِسمي مِنْ نُحولِ الضَّنَى ... تَحمِلُه أنفاسُ عُوّادِي

١) آماق حسادي : دموع حسادي

٢) الضنى : لوعة الحب وشدة الوجد

التخريج : البيتان في سمط اللالي ص ١٨١ وشرح مقامات الحريري للشريشي ١ / ٣٠٦

(٤)

وقال المؤمل بن أميل : (الكامل)

والقومُ كالعِيْدَانِ يَفْضُلُ بَعْضُهم بَعْضاً كذاك يفوقُ عُودٌ عُودا
لَوْ تَسْتطيعُ عن الفَضاءِ جِبَادَةٌ وعن المَنِيَّـةِ أنْ تُصيبَ مُجيْـدا
كانت تُقَيَّدُ حين تَنْزِلُ مَنْزلاً فاليومَ صار لها الكلال قُيُودا

علق الاستاذ عبدالسلام هارون على هذه الابيات بقوله :
يبدو في هذه الابيات عدم الترابط وهذا البيت الاخير في صفة ناقة . اهـ

وقد روى الحريري هذه الابيات بالترتيب (٣ ، ٢ ، ١) وقدمها بقوله : وحكى الاصمعي قال : سألت بعض الاعراب عن ناقته فأنشد (الابيات) .

٣ - الكلال : التعب والاعياء .

التخريج : الابيات في البيان والتبيين ٣ / ٦٢ وشرح درة الغواص ص ٥٨ . وهي في درة الغواص ص ١٩ من غير نسبة .

البيتان (٣ ، ١) في البيان والتبيين ٣ / ٨٩

البيت رقم (٣) : في أمالي المرتضى ١ / ٥٨٠ . وهو في الاشباه والنظائر ١ / ٢١٩ من غير نسبة .

(٥)

وقال المؤمل : (مجزوء الوافر)

ألا يـا ظَـبْـيَـةَ الـبَـلَـدِ بَـراني طُـولُ ذَا الكَـمَـدِ
فَـرُدِّي يـا مُـعَـذِّبـتي فُؤادي أوْ خُـذِي جَسَـدِي
بُلِيْتُ لِشَقْوتي بِـكُمُ غُـلامـاً ظـاهـرَ الجَـلَدِ
فَشَيَّبَ حُبُّكمْ رَاسِـي وبيَّضَ هجـرُكُـم كَبِـدِي

٤) معنى ابيض الكبد : انه لفرط حبه وشدة تباريحه قد استحالت كبده الى البياض ، والكبد الصحيحة انما تكون حمراء . قاله أبو عبيدة البكري (انظر : سمط اللالي ١ / ١٤١) .

التخريج : الابيات في الاغاني ٢٦ / ٨٩٧١ ومهذب الاغاني ٦ / ٢٢٣٦ .

البيتان : (٣ ، ٤) في سمط اللالي ص ١٤٢ .

(٦)

وقال المؤمل : (الوافر)

أمِن فَقْدِ الحبيب عَيْناكَ تَبْكي نَعَمْ ، فَقْدُ الحَبيب أشَدُّ فَقْدِ
بَرَاني الحُبُّ حتى صِرْتُ عَبْداً فَقَدْ امسَيْتُ أرحَمَ كُلِّ عَبْـدِ
فَـأُقْسِمُ لو هَمَمْتِ بِمَدِّ قَلْبي إلى جَوْفِ السَّعيرِ لَقُلْتُ: مُدِّي

التخريج : الأبيات في الزهرة ١ / ٥٣ .

(٧)

وقال المؤمل : (الخفيف)

مَـنْ رأى مِـثْـلَ حُـبَّـتي تُـشْـبِـهُ الـبَـدرَ إذْ بـدا
تَـدْخُـلُ اليـومَ ثُـمَّ تَـدْ خُـلُ أرْدافُـهـا غَـدَا

التخريج : البيتان في كتاب البديع ص ٦٨ - ٦٩ وديوان المعاني ١ / ٢٥١ ونهاية الارب ٢ / ٩٩ ، ١٠٧ والتشبيهات ص ١١٢ وأمالي المرتضى ٢ / ٩٦

(٨)

وقال المؤمل أيضا : (الوافر)

أسُعْدَى إنّ قَوْمَكِ أوعدوني وَكَيْفَ وَعيدُ شَيْطَانٍ مُرِيْدِ
وَلو سَاءَلْتِ عن حَسَبي نِزاراً لقالوا : ذاكَ في الحَسَبِ التَّليدِ
وعَن شِعْري ، إذاً لعَلِمْتِ أنيّ تَسيرُ قَصائدي قَبْلَ النَّشيْدِ
أُسَبُّ إذا أجَدْتُ القولَ فيهم كَذاكَ يُقالُ للرجلِ الجَليدِ

التخريج : الابيات في حماسة الظرفاء ١ / ٤٨

(قافية الراء)

(٩)

وفد المؤمل بن أميل المحاربي على المهدي بالرّي فامتدحه ، فأمر له بعشرين ألف درهم ، فاتصل الخبر بالمنصور فكتب اليه

يعذله ويقول : إنما كانت سبيلك أن تأمر للشاعر بعد أن يقوم ببابك سنة بأربعة آلاف درهم . وكتب إلى كاتب المهدي بانفاذ الشاعر اليه ، فسأل عنه فقيل له : قد شخص الى مدينة السلام ، فكتب الى المنصور بخبره ، فانفذ المنصور قائدا من قواده الى النهروان يتصفح وجوه الناس حتى وقع بيده المؤمل ، فأتى به المنصور فقال له : أتيت غلاما غرّا فخدعته : قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أتيت غلاما غرا كريما فخدعته فانخدع لي . فكان ذلك أعجبه ، فقال له : أنشدني ما قلت فيه ، فأنشده :

هـو المَهْـدِيُّ إلا أنَّ فيـه   مَشَـابِهُ صُورةِ القَمَرِ المُنيْرِ

فقال : أحسنت ، ولكن لا يساوى عشرين الف درهم . ثم قال له : أين المال ؟ قال : ها هوذا . قال : يا ربيع ، أعطه منه أربعة آلاف درهم ، وخذ الباقي ، ففعل . فلما صارت الخلافة الى المهدي رفع المؤمل اليه يذكر قصته ، فضحك وأمر برد المال ، فردّ . أما القصيدة فهي :

هـو المَهْـدِيُّ إلا أنَّ فيـه   مَشَـابِهُ صُورةِ القَمَرِ المُنيْرِ
تَشَابه ذَا وذَا فهُمـا إذا مَـا   أَنَـارا مُشْكِلانِ على البَصيْرِ
فهذا في الظَّلامِ سِراجُ لَيْلٍ   وهـذا في النَّهارِ ضِياءُ نُورِ
ولكنْ فَضَّلَ الرحمنُ هـذا   على ذا بـالمَنابرِ والسَّريرِ
وبالمُلْكِ العَزيزِ فَذا أميرٌ   ومـا ذا بالاميرِ ولا الـوزيرِ
وبَعْضُ الشُّهرِ يَنْقُصُ ذا وهذا   مُنيرٌ عِنْد نُقْصَانِ الشُّهورِ
فيـا بنَ خَليفةِ اللهِ المُصَفَّى   به تَعْلُو مُفَاخَـرةُ الفَخُورِ
لئنْ فُتَّ المُلوكَ وقد تَوَافَوْا   إليك من السُّهولةِ والوُعُور
لقـد سَبَقَ المُلوكَ أبوكَ حَتَّى   بَقُوا مِنْ بينِ كَـابٍ أوْ حَسيرِ
وجئْتَ مُصَلِّيًا تَجْرى حَثيثاً   وما بكَ حينَ تَجْرى مِنْ فُتُورِ
فقـالَ النَّاسُ مـا هـذانِ إلاَّ   كَمَا بينَ الخَليقِ الى الجَـديْرِ
لَئِنْ سَبَقَ الكَبيرُ فأَهْـلُ سَبْقٍ   له فَضْلُ الكَبيْرِ على الصَّغيرِ
وإنْ بَلَغَ الصَّغيرُ مَدَى كَبيْرٍ   فَقَد خُلِقَ الصَّغيرُ من الكَبيرِ

٢ ـ أي يشكل أمرهما على من يبصرهما لشدة الشبه بينهما .

٣ ـ ويروى : سراج عدل وسراج نور وضياء نور .

٥ ـ ما ذا ، أي : ما هذا .

٩ ـ الكابي : اسم فاعل من كبا يكبو ، أي يسقط ، والحسير : الذي أعياه التعب .

١٠ ـ في أمالي الزجاجي وتاريخ الطبري : وجئت وراءه .

١١ ـ يقال : خليق بالشيء ، أي جدير به . والمعنى : انهما متساويان وان ما بينهما كما بين الخليق والجدير .

التخريج : القصيدة كاملة في الاغاني ٢٦ / ٨٩٧٤ ـ ٨٩٧٥ ومهذب الاغاني ٦ / ٢٢٣٤ ـ ٢٢٣٥ وتاريخ بغداد ١٣ / ١٧٨ وتاريخ الطبري ٨ / ٧٤ وجمع الجواهر (ذيل زهر الاداب) ص ٨٥ ومعجم الادباء ٧ / ١٩٦ ـ ١٩٧ والخزانة ٣ / ٥٢٤ وأمالي الزجاجي ص ٩٥ ـ ٩٦ والمحاسن والمساوىء ١ / ٤٠٠ ـ ٤٠١ .

والابيات : (١ ـ ٥ ، ١٢ ، ١٣) في نهاية الارب ٣ / ٣٠٧

والابيات : (٨ ـ ١٣) في أمالي المرتضى ١ / ١٠٠ ـ ١٠١

والابيات : (١ ـ ٥) في نكت الهميان ص ٣٠٠ .

(١٠)

ومن المراجعات ، قول المؤمل بن أميل : (المنسرح)

وطَارِقاتٍ طَـرَقْنَنِي رُسُـلاً   واللَّيـلُ كالـطَّيْلَسَانِ مُعْتَكِـرُ
يَقُلْنَ جِئْنَـا إليْـكَ عَنْ ثِقَـةٍ   مِنْ عِنْدِ خَوْدٍ كـأنَّها قَمَـرُ
هَلْ لـكَ في غَـادةٍ مُنَعَّمـةٍ   يَحَارُ فيها مِنْ حُسْنِها النَّظرُ
في الجِيْدِ مِنْها طُولٌ إذا التَفتْ   وفي خُطَاها إذا خَطَتْ قِصَرُ
فَقُمْتُ أَسْعى إلى مُحَجَّبَـةٍ   تُضِىءُ مِنْها البيوتُ والحُجَـرُ
فقلتُ لَمّـا بَـدَا تَخَفُّـرُهـا   جُـودى ولا يَمْنَعَنْكِ الخَفَـرُ
قـالت تَوَقَّرْ ودَعْ مَقَالـك ذا   أنتَ امرؤٌ بالقَبيـحِ مُشْتَهِـرُ
واللهِ لا نِلْتَ مـا تُطَالب أوْ   يَنْبتُ في وَسْطِ راحتي شَعَـرُ
لا أنتَ لي قَيِّمٌ فتُجْبِـرني   ولا أميرٌ عَـلَيَّ مُـؤْتَمِـرُ
قُلْتُ ولكن ضَيْفٌ أتـاكِ بـهِ   تَحْتَ الظَّلامِ القَضَاءُ والقَدَرُ
فاحتسبي الأجرَ في إنالتِـه   ويا سِرى قَدْ تطاول العَسَـرُ
قالت : لَقَدْ جئْتَ تَبْتَغي عملاً   تكـادُ مِنْـه السَّماءُ تَنْفَطِرُ
فقلتُ لَمّـا رأيتها خَـرجتْ   وغَشِيتُهـا الهُمُـومُ والفِكَـرُ
لا عاقبَ اللهُ في الصِّبا أبـداً   أُنثى ولكنْ يُعَاقَبُ الـذَّكَـرُ
قـالتْ لقد جئتنـا بمُبْتَدَعٍ   وَقَـد أتَتْنَـا بِغَيْـرِهِ النُّـذُرُ
قَـدْ بَيَّنَ اللهُ في الكتـاب فلا   وازِرَةٌ غَـيْرَ وِزْرِهـا تَـزِرُ

قلتُ : دعي سُورةً لهجتِ بها — لا تحرمُنا لـذّاتِنا السُّورُ
وجْهُكِ وجْهٌ تمّتْ محاسِنُه — لا وأبي لا تمسُّـهُ سقَـرُ

التخريج : القصيدة في ديوان المعاني ١ / ٢٢٦ - ٢٢٧ والتذكرة الفخرية ص ١٨٠ - ١٨١ ونهاية الارب ٢ / ٢٦٦ - ٢٦٧ .

(١١)

وقال المؤمل بن أميل المحاربي : (المنسرح)

لَسْنا بِسالِينَ إنْ سَلَوْا أبداً — عَنْهم ولا صابرين إنْ صَبَرُوا
نحنُ إذاً في الجفـاء مِثْلُهُمْ — إذا هَجَرْناهُمُ كما هَجَرُوا
إنْ يَقْطعُونا فطالما وَصَلُوا — وإنْ يَغِيبُوا فربَّما حَضَرُوا

التخريج : الابيات في الزهرة ١ / ٣٦٠ وحماسة الظرفاء ٢ / ١٠٥

(١٢)

وقال المؤمل بن أميل : (البسيط)

جِنّيةٌ أولها جِنٌّ يُعلّمُها — رَمْيَ القُلوبِ بقوسٍ ما لها وَتَرُ

التخريج : البيت في الموازنة ٢ / ٩٢ للمؤمل بن أميل . وهو ضمن قصيدة من عشرين بيتا لابي دهبل الجمحي في ديوانه ص ٩٢ ، وضمن أربعة أبيات لابي دهبل في الحماسة بشرح المرزوقي ص ١٣٥١ وبشرح التبريزي ٢ / ١٣٢ . وهو مع الابيات الاربعة نفسها في الاشباه والنظائر للخالديين ٢ / ١٥٥ لابي دهبل أو للخارجي (؟) من غير تحديد .

والبيت مع سبعة أبيات أخر في الحماسة البصرية ٢ / ١٢٧ لمحمد بن بشير من الانصار من بني خارجة . ثم قال : وتروى لأبي دهبل الجمحي .

(١٣)

هوى المؤمل امرأة من الحيرة يقال لها « هند » وفيها قال :

شفَّ المؤمّلَ يومَ الحيرةِ النَّظرُ — ليتَ المؤمّل لمْ يُخلَقْ له بَصرُ

ويروى أن المؤمل رأى في منامه قائلا يقول : أنت المتألي على الله انه لا يعذب المحبين حيث تقول :

يكفي المُحبّينَ في الدُّنيا عذابُهم — والله لا عذّبتْهم بَعْدَها سَقَرُ

فقال له المؤمل : نعم . فقال له : كذبت يا عدو الله ، ثم أدخل اصبعه في عينيه وقال له :
أنت القائل :

شفَّ المُؤمّلَ يومَ الحِيرة النَّظرُ — لَيتَ المُؤمّلَ لمْ يُخلَقْ له بَصَرُ

هذا ما تمنيت ، فانتبه فزعا فاذا هو قد عمي .

أما القصيدة فهي : (البسيط)

شفَّ المُؤمّلَ يومَ الحِيرةِ النَّظرُ — لَيتَ المُؤمّلَ لمْ يُخلَقْ لـه بَصَرُ
صِفْ للأحبّةِ ما لاقيتَ مِنْ سَهَرٍ — إنّ الأحبّةَ لا يَدْرُون ما السَّهرُ
إنْ كُنْتِ جاهلةً بالحُبِّ فانطلقي — إلى القُبورِ ففي مَنْ حَلّها العِبَرُ
أمسيتِ أحسنَ خَلْقِ الله كُلّهم — فَخبّرينا أشمسٌ أنتِ أمْ قمرُ
إذا مَرِضْنا أتيْناكم نَزُوركُمُ — وتُذْنِبُون فنأتيكم فنعتذِرُ
لا تحْسَبِي غنياً عن مَحبّتِكم — إنّي إليكِ وإنْ أيسرتُ مُفتقِرُ
إنّ الحبيبَ يريدُ السَّيرَ في صَفرٍ — ليتَ الشُّهورَ هوى مِنْ بيْنِها صَفَرُ
يَكْفي المُحِبّينَ في الدُّنيا عَذابُهم — والله لا عَذّبتْهم بَعْدَها سَقَرُ
لمّا رَمَتْ مُهْجَتي قالتْ لجارتِها — إنّي قَتَلْتُ قتيلاً ما لـه خَطَرُ
قَتلتُ شاعرَ هذا الحي مِنْ مُضَرٍ — والله يَعْلَمُ ما تَرضى بـذا مُضَرُ
شَكوتُ ما بي إلى هِندٍ فما اكترثتْ — ما قَلْبُها أحديدٌ أنتِ أمْ حَجَرُ
وإنّما أقْصَدَتْ قَلْبي بمُقْلَتِها — ما كانَ قوسٌ ولا سَهْمٌ ولا وَتَرُ
إنّي قُتِلْتُ بلا جُرمٍ وقاتِلتي — يا قَوْمُ جاريةٌ في طَرْفِها حَوَرُ
أحببتُ مِنْ حبّها ذَوِي إحنٍ — بيني وبيْنَهم النّيرانُ تَسْتَعِرُ
إنّي لأصفحُ عَنْها حِينَ تَظلِمُني — وكيفَ مِنْ نَفْسِه الانسانُ يَنْتصِرُ

٢ - في الزهرة : صف الاحبة .
٩ - في الزهرة : لما رمت مقلتي . والخطر : المثل أو الشبه .
١٤ - في الزهرة : أحببت من حبها . وذوى احن : أي ذوى حقد وضغينة .
١٥ - ينتصر : يقتص .

التخريج :
الابيات : ١ - ٤ ، ٦ - ١١ ، ١٤ (بهذا الترتيب) في الحماسة البصرية ٢ / ١١٦ - ١١٧ .
الابيات : ١ ، ٨ ، ٢ ، ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ (بهذا الترتيب) في الزهرة ١ / ١٣٤ .
الابيات : ١٣ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ٣ (بهذا الترتيب) في الموشى ص ١١٢ .
الابيات : ٥ ، ١١ ، ٦ ، (بهذا الترتيب) في معجم الشعراء ص ٢٩٨ .
الابيات : ١ ، ٨ ، ١٠ في شرح شواهد المغني للبغدادي ٤ / ٣٩١ .
البيتان : ١ ، ٨ ، في تزيين الأسواق ١ / ٢٤ .
البيتان : ٢ ، ٨ ، في الموشى ص ١٠٩ .
البيتان : ٥ ، ٦ ، في نهاية الارب ٣ / ٩٢ والاعجاز والايجاز ص ١٧٨ وخاص ص ١١٥ والتمثيل والمحاضرة ص ٩٠ .
البيتان : ٩ ، ١٠ في شرح ديوان المتنبي ٣ / ١٦٦ .
البيتان : ١١ ، ٥ في الزهرة ١ / ٤٨ - ٤٩ .
البيتان : ١١ ، ٦ في ربيع الابرار ٢ / ٨٦١ .
البيت رقم (١) : في الاغاني ٢٦ / ٨٩٨٠ ، ٨٩٧٣ وربيع الابرار ٤ / ٩٦ وجمع الجواهر ص ٨٧ ومهذب الاغاني ٦ / ٢٢٢٣ ، ٢٢٣٦ والخزانة ٣ / ٥٢٣ ومعجم الشعراء ص ٢٩٨ والموشح ص ٣٢٥ وتمام المتون ص ٥٥ ونكت الهميان ص ٢٩٩ وتاريخ بغداد ١٣ / ١٨٠ والغيث المسجم ٢ / ٣٢٩ .
البيت رقم (٥) : في تمام المتون ص ١٥٥ والمنتحل ص ٩٩ وعجزه في الموازنة ٢ / ٩٩ . وهو في بهجة المجالس ١ / ٢٦٣ وتزيين الأسواق ٢ / ٤٣٨ والمستطرف ١ / ١٩٠ ، ٢ / ٢٩٧ وعيون الأخبار ٣ / ٤٥ من غير نسبة .
البيت رقم (٨) : في الأغاني ٢٦ / ٨٩٨٠ ومهذب الأغاني ٦ / ٢٢٣٦ والخزانة ٣ / ٥٢٣ ، ٤ / ٢٢٨ ونكت الهميان ص ٢٩٩ . وهو في مغني اللبيب ١ / ٢٦٨ من غير نسبة .
البيت رقم (١٠) : في الأغاني ٢٦ / ٨٩٨٠ والخزانة ٣ / ٥٢٣ .

(١٤)

وقال المؤمل : (الطويل)

وإن نَطَقَتْ دُرّاً فَدَرٌّ كَلامُها ... وَلَمْ أَدْرِ دُرّاً قَبْلَها يَنْظِمُ الدُّرا

التخريج : البيت في شرح ديوان المتنبي ٤ / ٤٩ ولم أجده في مصدر آخر .

(١٥)

ومن الاغراق قول مؤمل : (الطويل)

نَسَفْتِ عِظَامِي لَحْمَهَا وَتَرَكْتِهَا ... عَوَارِيَ في أَجْلادِهَا تَتَكَسَّرُ
وعَرَّيْتِهَا مِنْ مُخِّهَا وَتَرَكْتِهَا ... أَنابيبَ في أَجْوافِهَا الرِّيحُ تَصْفِرُ

التخريج :
البيتان لمؤمل في حلية المحاضرة ٢ / ٢١٥ .
وهما لعبدالرحيم الحارثي في ديوانه ص ٦١ . وللحارثي

من غير تحديد في الحماسة بشرح المرزوقي ص ١٤٢٥ والتذكرة السعدية ص ٤٨٥ .

وهما لمجنون ليلى في ديوانه ص ١٣٤ وأمالي المرتضى ١ / ١٦٢ .

وهما لسوار بن عبدالله القاضي في مصارع العشاق ١ / ٤٩٥ .

وهما لبشار بن برد في معاهد التنصيص ١ / ٢٥٩ وعنه في ملحق ديوانه ٤ / ٦٢ .

(١٦)

وقال المؤمل : (الطويل)

هي الشَّمسُ إلاّ أنَّها تسحَرُ الفتى ... ولَمْ أرَ شمساً قبلَها تحْسِنُ السِّحرا

رَمَتْ بالحَصَى يومَ الجِمارِ فليْتَه ... بِعَيْني وإنَّ الله حَـولَـهُ جَمْـرا

التخريج :

البيتان : في الزاهر ١ / ١٣٧ .

البيت رقم (٢) في أضداد ابن الأنباري ص ٣٧٣ .

(قافية العين)

(١٧)

قال المؤمل : (الكامل)

أبهارُ قَدْ هَيَّجْتِ لي أوجاعا ... وتركتِني عَبْداً لكم مِطواعا

لِحديثِك الحَسَنِ الذي لَوْ كُلِّمتْ ... وَحْشُ الفَلاةِ به لَجئْنَ سِراعا

والله لـو عَلِمَ البهـارُ بـأنَّها ... أضحَتْ سَمِيَّتَه لطال ذِراعا

إنْ تُبصِري شَيْباً تَفَشَّى مَفْرِقي ... فَلَقَد أعاصِي الحَيَّةَ اللَّسّاعا

أوما تَرينَ السيفَ يَغشَى لَونَه ... صَدأٌ ويُوجَدُ صارِماً قطَّاعا

التخريج :

المقطوعة في معجم الشعراء ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ في جمع الجواهر ص ٨٧ .

(قافية اللام)

(١٨)

قال المؤمل يمدح المهدي وهو بجرجان : (المتقارب)

تَعَدُّ وَدِعْ عَنْكَ سَلْمَى وبِسْرَ ... حَثيثاً على سَائِراتِ البِغَالِ

وكُـل جَـوادٍ لـه مَيْـعَـةٌ ... يَخُبُّ بِسرجْك بَعْد الكلالِ

إلى الشمسِ شَمْسِ بني هَاشِمٍ ... وما الشَّمسُ كالبَدْرِ أوْ كالهلالِ

ويُضحِكُه أنْ يَدُومَ السُّؤالُ ... ويُتْلِفُ في ضِحْكِه كُلَّ مالِ

١ - في الخزانة : تعزّ ودع

٢ - الميعة : الجرية المنبسطة في هينة

التخريج :

المقطوعة في الأغاني ٢٦ / ٨٩٧٧ والخزانة ٣ / ٥٢٤ - ٥٢٥ .

(قافية الميم)

(١٩)

وقال المؤمل : (الكامل)

وأرى اللَّيالي مَا طَوتْ مِنْ قُوَّتي ... رَدَّتْه في عِظَتي وفي إفْهامي

١ - العظة : النصح والتذكير بالعواقب .

التخريج :

البيت للمؤمل بن أميل في أنوار الربيع ٢ / ١٠٥ وهو للمكوك (عليّ بن جبلة) في ديوانه المجموع ص ١٠٤ وروايته : زادته في عقلي .

والبيت في حماسة الظرفاء ٢ / ١٥ من غير نسبة .

(٢٠)

وقال المؤمل : (الكامل)

والغانياتُ كَذاكَ هُنَّ غَوادِرٌ ... أبداً حِبالُ وِصالِهِنَّ تَجَذَّمُ

يَخْلُبْنَ بالنَّظَرِ الفتَى وَيَعِدْنَه ... نَيْلاً ودُونَ عِداتِهِنَّ الأنجُمُ

١ - تجذم : تقطع .

التخريج : البيتان في الموشى (الظرف والظرفاء) ص ١٤٦ .

(٢١)

وقال المؤمل بن أميل في معشوقته هند : (الطويل)

أقاتِلَتي هِنْدٌ وقَتلي مُحَرَّمُ ... أما فيكُم يا أيُّها النَّاسُ مُسْلِمُ

يُظَلِّمُها فيما تُريدُ بعاشِقٍ ... ألا حَبَّذا ذاكَ الظَّلُومُ المُظَلَّمُ

أتاني الكرى ليلاً بشخصٍ أُحبُّهُ ... أضاءتْ له الآفاقُ والليلُ مُظْلِمُ
فكلّمني بالليلِ غيرَ مُغاضِبٍ ... وعهدي به غضبانَ لا يتكلّمُ
حلمتُ بكم في نومتي فغضبتُمُ ... ولا ذنبَ لي إنْ كُنتُ في الليلِ أحلمُ
سأطردُ عنّيَ النومَ كي لا أراكمُ ... إذا ما أتاني النومُ والناسُ نُوَّمُ
تُصارمُني واللهُ يعلمُ أنّني ... أبرُّ بها من والديها وأرحمُ
لقد زعموا لي أنها نذرتْ دمي ... وما لي بحمدِ اللهِ لحمٌ ولا دمُ
برى حُبُّها لحمي ولم يُبْقِ لي دماً ... وإنْ زعمتْ أنّي صحيحٌ مُسلَّمُ
ستقتلُ جلداً بالياً فوقَ أعظمٍ ... وليس يُبالي القتلَ جلدٌ وأعظمُ
فلم أرَ مثلَ الحُبِّ صحَّ قرينُهُ ... ولا مثلَ مَنْ لم يدرِ ما الحُبُّ يسقمُ
آآذنةٌ لي أنتِ في ذكرِ حاجةٍ ... ألا طالما قد كنتُ عنها أُجمجمُ
غدرتم ولم نغدرْ وقلتم غدرتُمُ ... تظنّونَ أنّا مثلكم نتعلّمُ
قطعنا زعمتم والقطيعةُ منكمُ ... زعمنا، وأنتم تزعمونَ ونزعمُ
فإنْ شئتم كان اجتماعاً فقلتمُ ... وقلنا فإنّ القولَ للقولِ سُلَّمُ
وإلا فإنّا قد رضينا بحُكمكم ... على كُلّ حالٍ فاتقوا اللهَ واحكموا
فوالله ما أجرمتُ جُرماً علمتُهُ ... فإنْ سرّكم جُرمي فها أنا مُجرِمُ
وعاقبتموني في السلامِ عليكم ... ولم يكُ لي ذنبٌ سوى ذاكَ يُعلَمُ
فإنْ تمنعوا منّي السلامَ فإنّني ... لغادرٍ على جيطانِكم فمُسلّمُ
وكم مِنْ لئيمٍ ودّ أنّي شتمتُهُ ... وإنْ كان شتمي فيه صابٌ وعلقمُ
وللكفُّ عن شتمِ اللئيمِ تكرُّماً ... أضرُّ به مِنْ شتمِهِ حينَ يُشتَمُ

٢ - يظلمها : يحكم بظلمها وجورها .

٧ - تصارمني : تقطع حبال الوصل .

٨ - نذرت دمي : أي أباحته وأنذرته بسفكه .

١٢ - أجمجم : يخونني الكلام والتعبير من غير عي .

التخريج :

الابيات : ١ ، ٢ ، ٨ - ١٩ في مصارع العشاق ١ / ٥٤ - ٥٥

الابيات : ٥ - ١١ في الأغاني ٣ / ٥٢٥ ، ٢٦ / ٨٩٧٨ ومهذب الأغاني ٦ / ٢٢٣٥ - ٢٢٣٦

البيتان : ٣ ، ٤ في الحماسة البصرية ٢ / ١٦٣ والتشبيهات ص ٧٥ ونهاية الأرب ٢ / ٢٤٠

البيتان : ٢٠ ، ٢١ في التذكرة السعدية ص ٢٧٣ ومعجم الأدباء ٧ / ١٩٧ والحماسة بشرح التبريزي ٢ / ١٧ . وهما في الحماسة بشرح المرزوقي ص ١١٤٤ من غير نسبة .

البيت رقم (٣) في السمط ص ٥٢٤ .

البيت رقم (٥) في الزاهر ١ / ١٨٧ .

(قافية النون)

(٢٢)

قال المؤمل : (الكامل)

مَاتَ الخليفةُ أيُّها الثقلانِ ... فكأنّني أفطرتُ في رمضانِ

التخريج :

البيت في الموشح ص ٤٥٤ للمؤمل .

وهو في العمدة ٢ / ١٤٧ - ١٤٨ لأبي العتاهية ، وهو لذا في ملحق ديوانه ص ٦٥٦ .

وقال الزمخشري في ربيع الأبرار ٤ / ٢٦٨ : اجتمع الشعراء عند موت المهدي واندس بينهم اسكاف فأنكروه فسألوه ، فقال : شاعر ، فاستنشدوه فقال :

مَاتَ الخليفةُ أيُّها الثقلانِ

فأعجبوا بمفتتح شعره ، فقالوا : تمم في المصراع الثاني : فقال

فكأنّني أفطرتُ في رمضانِ

فاستضحكوا منه .

(٢٣)

قدم المؤمل على المهدي في بيعة ابنيه : موسى وهارون فانشده : (الوافر)

هَاكَ بياعَنا يا خيرَ والٍ ... فقد جُدْنا به لكَ طائعينا
فإنْ تفعلْ فأنتَ لذاكَ أهلٌ ... بفضلِكَ يا بنَ خيرِ الناسِ فينا
وعِدْ لكَ يا بنَ خيرِ الناسِ فينا ... نبيُّ اللهِ خيرُ المرسلينا
فإنّ أبا أبيكَ وأنتَ منه ... هُمُ العباسُ وارثُهُ يقينا
أبانَ به الكتابُ وذاكَ حقٌّ ... ولسنا للكتابِ مُكذّبينا
بكم فُتحتْ وأنتم غيرَ شكٍّ ... لها بالعدلِ أكرمُ خاتمينا
فدونكها فأنتَ لها محلٌّ ... حباكَ بها إلهُ العالمينا
ولو قِيدتْ لغيركمُ اشمأزّتْ ... وأعيتْ أنْ تُطيعَ القائدينا

التخريج :

المقطوعة في الأغاني ٢٦ / ٨٩٧٦ .

قائمة المصادر والمراجع

ـ أبو جعفر المنصور ، تأليف : عبدالسلام رستم ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٥ م .

ـ أخبار أبي القاسم الزجاجي ، تحقيق : عبدالحسين المبارك ، بغداد ١٩٨٠ م .

ـ الأشباه والنظائر (حماسة الخالديين) لأبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم ، تحقيق : الدكتور السيد محمد يوسف ، القاهرة ١٩٥٨ م .

ـ الاضداد لابن الانباري ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، الكويت ١٩٦٠ م .

ـ الاعجاز والايجاز للثعالبي ، نشره : اسكندر آصاف ، القاهرة ١٨٩٧ م .

ـ أمالي الزجاجي ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٩٦٣ م .

ـ أمالي المرتضى ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٤ م .

ـ أمالي القالي ، طبعة دار الكتب المصرية ط ٢ ، القاهرة ١٩٢٦ م .

ـ انباه الرواة للقفطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٣٦٩ هـ .

ـ البديع لابن المعتز ، نشره : كراتشكوفسكي ، طبعة مصورة ، دمشق من غير تاريخ .

ـ بغية الوعاة للسيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٥ م .

ـ البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٩٦١ م .

ـ تاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فروخ ، ط ١ بيروت ١٩٦٨ م .

ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، مطبعة دار السعادة بالقاهرة ١٩٣١ م .

ـ تاريخ الطبري ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، بيروت من غير تاريخ .

ـ التذكرة السعدية للعبيدي ، تحقيق : عبدالله الجبوري ، بغداد ١٩٧٢ م .

ـ التذكرة الفخرية لبهاء الدين الاربلي ، تحقيق : الدكتورين نوري القيسي وحاتم الضامن ، بغداد ١٩٨٤ م .

ـ تزيين الأسواق في أخبار العشاق ، لداود الانطاكي ، بيروت ١٩٧٢ م .

ـ التشبيهات لابن أبي عون ، تحقيق : محمد عبدالمعين خان ، كمبردج ١٩٥٠ م .

ـ تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ، لخليل بن ايبك الصفدي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم القاهرة ١٩٦٩ م .

ـ التمثيل والمحاضرة للثعالبي ، تحقيق : عبدالفتاح الحلو ، القاهرة ١٩٦١ م .

ـ جمع الجواهر في الملح والنوادر = ذيل زهر الاداب للحصري ، القاهرة ١٣٥٣ هـ .

ـ الحماسة لأبي تمام (بشرح المرزوقي) تحقيق : أحمد أمين وعبدالسلام هارون ، القاهرة ١٩٥٣ م .

ـ الحماسة لأبي تمام (بشرح التبريزي) ط ١ ، بيروت من غير تاريخ .

ـ الحماسة البصرية للبصري ، بعناية : مختار الدين أحمد ، عليكرة بالهند ١٩٦٤ م .

ـ حماسة الظرفاء للزوزني ، تحقيق : محمد جبار المعيبد ، بغداد ١٩٧٨ م .

ـ حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، للحاتمي ، تحقيق : جعفر الكتاني ، بغداد ١٩٧٩ م .

ـ خاص الخاص للثعالبي ، قدم له : حسن الأمين ، بيروت ١٩٦٦ م .

ـ خزانة الادب لعبدالقادر البغدادي ، بولاق ١٢٩٩ هـ .

ـ درة الغواص في أوهام الخواص للحريري ، ط ١ ، القسطنطينية ١٢٩٩ هـ .

ـ ديوان أبي دهبل الجمحي ، تحقيق : عبدالعظيم عبدالمحسن ، النجف ١٩٧٢ م .

- ديوان أبي العتاهية ، تحقيق : الدكتور شكري فيصل ، دمشق ، ١٩٦٥ م .
- ديوان أبي نواس ، تحقيق : أحمد عبدالمجيد الغزالي ، القاهرة ١٩٥٣ م .
- ديوان البحتري ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي ، القاهرة ١٩٦٣ م .
- ديوان بشار بن برد ، جمع وتحقيق : محمد الطاهر ابن عاشور ، تونس ١٩٧٦ م .
- ديوان عبدالرحيم الحارثي ، جمع وتحقيق : زكي ذاكر العاني ، بغداد ١٩٨٠ م .
- ديوان العكوك ، جمع وتحقيق : الدكتور حسين عطوان ، القاهرة ١٩٧٢ م .
- ديوان مجنون ليلى ، جمع وتحقيق : عبدالستار فراج ، القاهرة من غير تاريخ .
- ديوان المعاني للعسكري ، تصحيح : كرنكو ، القاهرة ١٣٥٢ هـ .
- ربيع الأبرار للزمخشري ، تحقيق : الدكتور سليم النعيمي ، بغداد ١٩٨٢ م .
- الزاهر لابن الانباري ، تحقيق : الدكتور حاتم الضامن ، بغداد ١٩٧٩ م .
- زهر الآداب للحصري ، بعناية : الدكتور زكي مبارك ، القاهرة ١٩٢٥ م .
- الزهرة لأبي داود الأصفهاني ، تحقيق : لويس نيكل وابراهيم طوقان ، ج ١ ، بيروت ١٩٣٢ م .
- سمط اللالي لأبي عبيد البكر ، تحقيق : عبدالعزيز الميمني ، القاهرة ١٩٣٦ م .
- شرح درة الغواص للخفاجي ، ط ١ ، القسطنطينية ١٢٩٩ هـ .
- شرح ديوان المتنبي للعكبري ، تصحيح : مصطفى السقا وآخرين ، القاهرة ١٩٧١ م .
- شرح أبيات مغني اللبيب لعبدالقادر البغدادي ، تحقيق : عبدالعزيز رباح وأحمد الدقاق ، دمشق ١٩٧٥ م .
- شرح مقامات الحريري للشريشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٧٦ م .
- العقد الفريد لابن عبد ربه ، تحقيق : أحمد أمين وآخرين ، القاهرة ١٩٤٩ م .
- العمدة لابن رشيق القيرواني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٩٥٥ م .
- عيون الأخبار لابن قتيبة ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٤ - ١٩٣٠ .
- الغيث المسجم في شرح لامية العجم لصلاح الدين الصفدي ، بولاق ١٢٩٠ هـ .
- المستطرف في كل فن مستظرف للابشيهي ، القاهرة ١٩٥٢ م .
- مصارع العشاق للسراج القارىء ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي وزميله ، القاهرة ١٩٥٦ م .
- معاهد التنصيص لعبدالرحيم العباسي ، بولاق ١٢٧٤ هـ .
- معجم الأدباء لياقوت الحموي ، نشره : مرجليوث ، القاهرة ١٩٢٣ م .
- معجم الشعراء للمرزباني ، تحقيق : عبدالستار فراج ، القاهرة ١٩٦٠ م .
- المنتحل للثعالبي ، تصحيح : أحمد أبو علي ، الاسكندرية ١٩٠١ م .
- الموشح للمرزباني ، تحقيق : علي محمد بجاوي ، القاهرة ١٩٦٥ م .
- مهذب الأغاني ، لابن واصل الحموي ، القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٦٥ م .
- الموازنة بين أبي تمام والبحتري للامدي ، تحقيق : أحمد صقر ، القاهرة ١٩٦١ - ١٩٦٥ .
- نكت الهميان في نكت العميان للصفدي ، تحقيق : أحمد زكي ، القاهرة ١٩١١ م .
- نهاية الارب للنويري ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٨ م .

المخطوطات المغربية

مراكزها، فهارسها، ولوائحها

ـ القسم الثاني ـ

تقديم :

سبق لمجلة المورد الغراء ان نشرت لي القسم الاول من هذا البحث في العدد الثاني من المجلد الخامس عشر (صيف ١٩٨٦) .

وقد تعرضت فيه لاهم مراكز المخطوطات بالمغرب : الرباط ، فاس ، مراكش ، تطوان ، مكناس ، تازة ، طنجة ، تارودانت ، تمكروت . . ووصف تسعا وسبعين من فهارسها ولوائحها ، وما تضمه من نوادر المخطوطات ونفائسها . هذا بالاضافة الى ما يوجد في المكتبات الخاصة المنتشرة في ارجاء المملكة المغربية .

وقد توقفت في هذا القسم عند ١٩٧٨ .

وتتميما للبحث ، وتعميما للفائدة ، احرر هذه المقالة لوصف ما صدر وألف من فهارس ولوائح المخطوطات المغربية الى حدود سنة ١٩٨٦ .

وسأسلك فيها نفس المنهج المتبع في القسم الاول : اي ذكر طبعة ، وعدد صفحات الفهرست ، وعدد المخطوطات التي يصفها ، وموضوعاتها وفنونها ، والاشارة الى ما يعد من قبيل النوادر والنفائس ، كما انني سأتابع الترقيم الوارد في القسم الاول والذي انتهيت فيه الى تسع وسبعين لائحة او فهرسا .

ـ مركز الرباط .

من اهم خزاناته : الخزانة الحسنية (الملكية) ، والخزانة العامة (قسم الوثائق) ، وخزانة كلية الآداب والعلوم الانسانية . وفيه يعلن عن جائزة الملك الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق كل سنة من طرف وزارة الشؤون الثقافية .

وقد ظهر عدد من الفهارس واللوائح التي تصف مجموعة من ذخائر هذه الخزانات خلال الفترة التي تهمنا . وهي :

(٨٠) منتخبات من نوادر المخطوطات بالخزانة الملكية

- مطبعة فضالة - المحمدية ١٣٩٨ .
- تصنيف محمد المنوني ، تقديم المحافظ عبدالرحمن الفاسي .
- طبعة فاخرة ، ملونة ، في ٢١٣ صفحة من القطع الكبير .

يشتمل الكتاب على مقدمة ، ومسرد للنوادر ، ومجموعة من الصور الشمسية لاهمها .

اما المقدمة فتحت عنوان : بين تحرير البلاد وتخليص الاسارى وتحرير الكتاب . حلل فيها الاستاذ الفاسي جهود ملوك المغرب في سبيل تحرير بلادهم من كافة اشكال الاستعمار ، واسترجاع نفائس الخزانة الزيدانية التي استولى عليها القراصنة الاسبان وحملوها الى دير الاسكوريال قرب مدريد . وفي المقدمة معلومات عن الخزانة الملكية ، تأسيسها ، اصولها ، وذكر انها فتحت في وجه القراء في مارس ١٩٦٢ . وقد بذلت مجهودات جبارة لفهرستها ، ووضع جذاذات مؤلفاتها . وقد بلغت - حتى تاريخ صدور النوادر - ١٠٩٥١ جذاذة .

وتناولت المقدمة الحديث عن وثائق ومستندات الخزانة . وهي :

اولا - وثائق مفردة :

١ - بيعات سلطانية

٢ - ظهائر اصلية (بالطابع)

٣ - نسخ بيضاء للظهائر

٤ - مكاتب سلطانية : بين السلاطين ، ومنهم الى الولاة ومن في حكمهم كالامناء . . وعموم الرعايا من افراد وجماعات .

٥ - الصادر من الولاة ومن في حكمهم الى السلطان في اصوله او نسخه البيضاء .

٦ - الصادر من الرعايا الى السلطان في اصوله ونسخه .

٧ - الصادر من الوزير الى رعايا السلطان في اصوله او نسخه .

٨ - المكاتبات الرائجة بين رجال السلطة .

٩ - التقاييد : مذكراتها يرفعها الوزير الى السلطان بضمن اهم الواردات .

١٠ - رسوم المعاملات (البيوع ، الانكحة ، الشركات) الجارية بين الاسر وبين الشخصيات البارزة في الدولة .

١١ - لوائح متنوعة : كلوائح المحاسبات للامناء والمتصرفين ، ولوائح الصلات المالية كصلات الاشراف بالحرمين الشريفين ، ولوائح الشؤون الدينية كحاجيات المساجد وتوابعها ، ولوائح الشؤون الاجتماعية والعسكرية ، والمالية .

ثانيا - وثائق مجموعة في كناشات حسب الابواب التالية :

- كناش الاملاك السلطانية الخاصة .
- كناش الاملاك المخزنية : بيت المال (الداخل والخارج) .
  - كناش ضريبة الترتيب .
  - كناش مستفادات المراسي .
  - كناش الديون على التجار .
  - كناش الهدايا .
  - كناش الجيش ومتعلقاته .
  - كناش البريد (البوسطة) .
  - كناش الشؤون الخارجية .
  - كناش قضايا الاجانب .
  - كناش الحوالات الحبسية .

اما النوادر المذكورة في المسرد فنختار منها الامثلة التالية :

- القرآن الكريم : مصاحف مكتوبة على الرق بخطوط كوفية ، واندلسية ، ومغربية .
- الحديث الشريف : نسخ جيدة من موطأ الامام مالك .
- مجموعة احاديث نبوية من جمع السلطان مولاي اسماعيل بن الشريف الحسني .
- الجامع الصحيح الاسانيد المستخرج من ستة مسانيد ، من جمع السلطان العلوي محمد بن عبدالله .
- السيرة النبوية : نسخ جيدة من الشفا للقاضي عياض .
- الانوار في آيات النبي المختار لعبدالرحمن الثعالبي .
- ديوان في الامداح النبوية لابي الفيض حمدون السلمي المرداني (١٢٣٩) .

ـ الفقه وملحقاته : البيان والتحصيل والشرح والتعليل لابي الوليد بن رشد القرطبي الجد . نسخة في عشرين جزءا بخط مغربي ملون ، مجدول ، ومذهب .

ـ امتاع الاسماع بتحرير ما التبس من حكم السماع ، للسلطان مولاي سليمان بن محمد العلوي .

اللغة والنحو : اصلاح المنطق لابن السكيت ، برواية ابي علي القالي .

ـ ارجوزة في نعوت الحصان ، لمحمد بن عيسى بن المناصف .

ـ اضاءة الراموس ، واضافة الناموس على القاموس ، لمحمد بن الطيب الشرقي الصميلي .

ـ الادب : تكملة ديوان عبدالجبار بن حمديس الصقلي .

ـ الصادح والباغم لابي علي بن محمد بن المبارية البغدادي المتوفى سنة (٥٠٤ هـ) .

ـ ريحان الالباب ، وريعان الشباب في مراتب الآداب لابن خيرة المواعيني الاشبيلي .

ـ ديوان ابن الابار القضاعي الاندلسي (٦٥٨ هـ) .

ـ ديوان ابن الصباغ الجذامي .

ـ الانساب : داعي الطرب باختصار انساب العرب لمحمد المهدي ابن احمد بن يوسف الفاسي .

ـ تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب لابي القاسم ابن احمد الزياني .

ـ التراجم : الجامع لما في المصنفات الجوامع من اسماء الصحابة الاعلام اولى الفضائل والاحلام ، لعيسى بن سليمان الرعيني المالقي (٦٣٢ هـ) .

ـ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني .

ـ الجغرافيا والرحلات : فيض العباب لابي اسحاق ابراهيم ابن عبدالله النميري الغرناطي (ت ٧٦٨ هـ) .

ـ الاكسير في فكاك الاسير ، لمحمد بن عثمان المكناسي (١٢١٤ هـ) .

ـ الرياضيات : الاصول في الهندسة ، لاوقليدس .

ـ الترجمة العربية لتهذيب اوقليدس .

ـ الطبيعيات : عين الحياة لابي عبدالله محمد بن عمران القرشي الدماميني .

ـ الكيمياء : البدر المنير في كشف استار علم الاكسير ، لابي الحسن علي بن ابراهيم الحيحي .

ـ الفلك والتنجيم : التفهيم في صناعة التنجيم لمحمد البيروني الخوارزمي .

ـ الطب : تدبير الاطفال لابي جعفر احمد بن الجزار .

ـ شرح الفية ابن سينا في الطب لابن رشد القرطبي (ت ٥٩٥ هـ) .

وفيما يلي جدول مفصل بمحتويات هذا الفهرست :

الموضوعات	عدد المخطوطات	الصفحات
المصاحف	٧	٦٧ / ٧٠
القراءات	٤	٧٠ / ٧٢
التفسير	٥	٧٢ / ٧٤
الحديث	١٥	٧٥ / ٨٢
السيرة	١١	٨٢ / ٨٧
الفقه وملحقاته	١٠	٨٧ / ٩٢
علم الكلام	٢	٩٣ / ٩٤
اللغة والنحو	١٥	٩٤ / ١٠٤
الادب	٣٩	١٠٤ / ١٢٢
التاريخ	١٩	١٢٣ / ١٣٢
الموسيقى	١	١٨٨
الانساب	٧	١٣٢ / ١٣٥
التراجم	٢٩	١٣٦ / ١٤٨
الجغرافيا الرحلات	١٢	١٤٩ / ١٥٥
السياسة	٤	١٥٥ / ١٥٧
الرياضيات	١٠	١٥٧ / ١٦٢
الطبيعيات	٥	١٦٢ / ١٦٤
الفلاحة	١	١٦٥
الكيمياء	٦	١٦٦ / ١٦٨
الفلك والتنجيم	٩	١٦٩ / ١٧٣
الطب	٢٨	١٧٣ / ١٨٧
علوم متنوعة	٦	١٨٨ / ١٩٢

(٨١) فهرس قسم التاريخ والرحلات بالخزانة الملكية .

ـ اعداد محمد عبدالله عنان
ـ المجلد الاول ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٠ .
ـ في ٤٩٠ صفحة من القطع الكبير .

قدم له بحديث عن حرص ملوك المغرب على جمع نفائس الكتب ، وتأسيس الخزانات ، وعقد مجالس العلم . ومن امثلة ذلك ، خزانة : علي بن يوسف بمسجده الاعظم في مراكش ، وخزانة عبدالمومن ، ويعقوب المنصور وابي عنان ، واحمد المنصور السعدي ، وابنه زيدان . كما تحدث عن ملابسات ضياع هذه الخزانة الاخيرة وتهريبها الى الاسكوريال ، وجهود الملوك العلويين في سبيل استرجاعها ، وتأسيسهم لخزانات اخرى مهمة . وقد انتهت كتبها وذخائرها الى الخزانة الملكية العامرة الحالية .

تحتوي الخزانة على نحو الف كتاب في التاريخ ، تتوزع كالتالي :

ـ التاريخ العام : ٧٠ كتاباً .
ـ تاريخ الشرق الادنى : ٥٨ كتاباً .
ـ تاريخ المغرب العربي : ١٥٠ كتاباً .
ـ السيرة والانساب : ١٠ كتب .
ـ التراجم والمناقب : ٥٠٠ كتاب .

اضافة الى ما يوجد في المجاميع المختلفة من كتب ورسائل تاريخية اخرى ومن النسخ الفريدة في هذا الباب :

ـ السفر الخامس من المقتبس لابن حيان .
ـ روضة الآس للمقري (نسختان فريدتان في العالم) .

كما توجد عدة نسخ من كتب مغربية ومشرقية مهمة تصل الى ١٦ نسخة .

قال محمد عبدالله عنان عن المنهج المتبع في الفهرسة :

(وقد قمنا بدراسة هذه المجموعة الكبيرة من التراث التاريخي المنوع ، وراعينا ان يكون التعريف بها ، وبنوع خاص بامهاتها في ثبت الفرس الخاص على نمط علمي مقارن ، يشتمل على وصفها ، وذكر وفاة مؤلفيها ، واستعراض محتوياتها وذكر ما يمكن ذكره من نظائريها الموجودة في المكتبات الاخرى ، مع الاحالة على امكنتها في معاجم الفهارس العالمية مثل بروكلمان والاسكوريال والمتحف البريطاني والفاتيكان الرسولية وباريس الوطنية وغيرها . .

واخيرا اذكر تواريخ وامكنة نشرها ان كانت قد نشرت . هذا وقد رأينا ان نسلك في الترتيب الفهرسي لاسماء الكتب على حروف المعجم الطريقة المغربية التي تقدم الكاف واللام والنون على الصاد والضاد والعين والسين والشين ، وذلك جريا على ما سار عليه الكتاب المغاربة منذ عهد بعيد في تصنيف فهارسهم الابجدية .)

وكان المؤلف حريصا على ذكر المسطرة (والقياس) .

وذيل الكتاب بفهارس :

ـ اسماء الكتب ، مرتبة ترتيبا معجميا .
ـ فهرس كتب التاريخ .
ـ فهرس كتب الرحلات .

(٨٢) الطب والصيدلة والبيطرة والحيوان والنبات ، بالخزانة الملكية

ـ اعداد : محمد العربي الخطابي
ـ المجلد الثاني ، مطبعة النجاح الجديدة ـ الدار البيضاء ، ١٩٨٢ .
ـ يقع في ٢٥٦ صفحة من القطع الكبير .

تتصدره مقدمة للمؤلف في اهمية التراث العربي الاسلامي المحفوظ في الخزانة ، وما كان للملوك المغاربة من دور في اذكاء النشاط العلمي والثقافي . من ذلك اعادة تنظيم الخزانة وفتحها في وجه الباحثين والعلماء وطلبة الدارسات العليا . .

وهي تضم ازيد من ستة عشر الف مخطوط ، وما يقارب ذلك من الكتب المطبوعة ، وعشرات الآلاف من الوثائق التاريخية الاصلية . وهي بذلك خزانة يندر مثلها .

ويصدر هذا الجزء الخاص بالعلوم عند المسلمين وفقا لتوجيهات اكاديمية المملكة المغربية ، ومقررات مؤتمر الطب

الاسلامي المنعقد بالكويت في يناير ١٩٨١ التي تدعو الى تشجيع دراسة التراث الطبي الاسلامي ، وانشاء منظمة اسلامية تعنى باحياء العلوم الطبية الاسلامية في مجال التراث والبحث العلمي[1] .

ولما كانت الخزانة الحسنية (الملكية) تحفظ نوادر ونفائس يعز نظيرها في مكتبات العالم ، منها ما له اتصال بالطب والصيدلة والعلوم ، فان محافظها عمل على اصدار فهارس تتناول هذه العلوم ، وهذا اولها .

ويشتمل على الابواب التالية :

الموضوع	عدد المخطوطات	الصفحات
١) كتب الطب والصيدلة والاغذية وحفظ الصحة	٢٠٧	١ الى ١٩٧
٢) اراجيز ومنظومات في الطب والصيدلة . . .	٥٢	١٩٨ الى ٢١٦
٣) البيطرة والحيوان والفلاحة والنبات	٢٩	٢١٧ الى ٢٣٧

مجموع المخطوطات : ٢٨٨

وهي مرتبة ترتيبا معجميا دقيقا ، مع ذكر المسطرة والقياس .

وهذه نماذج من نوادر هذه المؤلفات :

من الصنف الاول :

ـ تقويم الادوية ، ليوحنا بن بختيشوع .
ـ سر صنعة الطب ، لابي بكر الرازي .
ـ التصريف ، لابي القاسم الزهراوي في ستة مجلدات .
ـ جامع اسرار الطب ، وكتاب الخواص ، ونجح النجح ، وهي لابي العلاء بن زهر .
ـ كتاب الاغذية ، وكتاب الاقتضاء في اصلاح الانفس والاجساد وهما لابي مروان بن زهر .
ـ الاستقصاء والابرام في علاج الجراحات والاورام ، لمحمد بن علي بن فرج الفهري (ت ٧٦١) .

ومن الصنف الثاني :

ـ ارجوزة في الطب لابن سينا .
ـ ارجوزة ابن عزرون في الحميات والاورام .
ـ ارجوزة الفشتالي في الطب .

ومن الصنف الثالث :

ـ الايضاح في اسرار النبات لعبدالرحيم بن نصير السيداني .
ـ ديوان الحيوان ، للسيوطي .
ـ كتاب الفلاحة ، لابن بصال .

وقد ذيل المؤلف كتابه بالمسارد التالية :

ـ مسرد الكتب التي اشتمل عليها الفهرس .
ـ مسرد باسماء المؤلفين .
ـ مسرد باسماء الناسخين .

(٨٣) الفهرس الوصفي لمخطوطات الرياضيات والفلك واحكام النجوم والجغرافيا بالخزانة الحسنية

ـ تصنيف : محمد العربي الخطابي .
ـ المجلد الثالث ، مطبعة دار المعارف الجديدة ـ الرباط ، ١٩٨٣ .
ـ يقع في ٥٢٣ صفحة من القطع الكبير .

استهله المصنف بمقدمة في اهمية الموضوعات التي يتناولها الفهرست بالوصف ، ومنهج التاليف . مما جاء فيها :

(.. هي مخطوطات تمتد عصور تاليفها من القرن الثالث الهجري الى اوائل القرن الرابع عشر الهجري . وينتسب مؤلفوها الى مختلف آفاق العالم الاسلامي ومنهم عدد من المشاهير الاعلام الذين اسهموا بعملهم ومصنفاتهم اسهاما نافعا كان له ابعد الاثر في تطور العلوم ، وتقدم الحضارة البشرية)[1] وعن نوادر مخطوطات الفهرست يقول (وفي المجموعة التي يضمها هذا الفهرست الوصفي عدد كبير من النوادر تنفرد بها الخزانة الحسنية ، او يعز نظيرها في خزانات الكتب الشهيرة الاخرى ، ومن هذه النوادر مصنفات علماء ينتسبون الى اقطار المغرب الاسلامي برزوا في الحساب والجبر والمساحة والهيئة والتوقيت وآلات الرصد المختلفة . .)[2]

وقال عن منهج التاليف (ولست اراني في حاجة الى بيان الطريقة التي اتبعتها في ترتيب هذا الفهرست واعداده ، فقد سلكت نفس النهج الذي شرحته في مقدمة المجلد الثاني الخاص بمخطوطات الطب والصيدلة والنبات والحيوان)[1] ويشتمل هذا

الفهرس على الموضوعات والعلوم التالية :

الموضوع	عدد المخطوطات	الصفحات
١) الرياضيات	١٢٨	٢٢ الى ١١٢
٢) علم الفلك، الهيئة الأزياج الميقات والتقويم	٣٩٧	١١٤ الى ٤٢٨
٣) احكام النجوم والانواء والاوفاق وما قاربها	٤٥	٤٣٠ الى ٤٦٨
٤) الجغرافيا	١٩	٤٧٠ الى ٤٨٣
المجموع	٥٨٩	

وهذا نموذج لمنهج المصنف في الفهرسة :

ــ اسم الكتاب : اليَسّارة في تقويم الكواكب السيارة ، تأليف : ابي العباس احمد بن محمد بن البناء الازدي المراكشي ، المتوفى عام ٧٢١ هـ/ الموافق ١٣٢١ م .

اول النسخة : والحمد لله ، باب مداخل شهور العرب بالعلامة ، خذ سني الهجرة بالنسبة التي تريد واطرحها بمائتين وعشرة ، وخذ العلامة بالباقي . .)

آخرها : (. . وظهوره يعرف من التاريخ ، العلامة والمطالع والطالع والاوجات) يلي ذلك جداول عددها اربعة عشر .

ــ تشتمل الرسالة على ابواب قصيرة تبحث في مداخل الشهور العربية والرومية وفي تقويم الشمس والقمر والكواكب السيارة ، وفي الطالع ورؤيته الهلال وخسوف النيرين .

ــ النسخة مكتوبة بخط مغربي رديء لكنه واضح مقروء بمداد اسود والعناوين بالاحمر ، ولا ذكر فيها لاسم الناسخ ولا تاريخ الانتساخ . وبدون تسفير" .

٢٣ س

٩٠٢٣ (مجموع)

٢٢,٥ × ١٧,٥ سم

٩ ق

والكتاب مذيل بالمسارد التالية :

ــ مسرد باسماء المخطوطات التي اشتمل عليها الفهرست ، مرتبة ترتيبا معجميا بحسب الموضوعات من الصفحة ٤٨٥ الى ٥٠٤ .

ــ مسرد باسماء المؤلفين من الصفحة ١٥٠٥ الى ٥١٨

ــ مسرد باسماء الناسخين ، حسب الرقم الترتيبي للمخطوط ، من الصفحة ٥٢٠ الى ٥٢٣

(٨٤) الفهرس الوصفي لمخطوطات المنطق وآداب البحث والموسيقى ونظم الدولة والفنون الحربية وجوامع العلوم . من مخطوطات الخزانة الحسنية

ــ تصنيف محمد العربي الخطابي

ــ المجلد الرابع ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ـ ١٩٨٥ .

ــ يقع في ٢٣٧ صفحة من القطع الكبير .

يشير المؤلف في المقدمة الى موضوعات هذا المجلد الرابع من فهارس الخزانة الحسنية ، مع الاستدراك المذيل له على المجلدين الثاني والثالث .

وخصص باقي المقدمة للحديث عن مشاريع الخزانة المستقبلية (بصفته محافظا لها) ، وتتلخص كالتالي :

ــ اصدار المجلد الخامس الخاص بالكيمياء والمرائي او ما اصطلح على تسميته بالعلوم الخفية ، وبه تنتهي سلسلة العلوم العقلية والكونية .

ــ التفرغ بعد ذلك لعلوم الشريعة واللغة العربية ، وسيتم اصدارها تباعا على الترتيب التالي :

ــ القرآن وعلومه
ــ السنة ومصطلح الحديث والسيرة
ــ اصول الدين وعلم الكلام
ــ اصول الفقه
ــ الفقه
ــ الزهد ، التصوف والحكمة
ــ اللغة
ــ النحو الصرف .
ــ البلاغة والبيان وعلم المعاني والبديع
ــ العروض والقوافي
ــ الادب والنقد الادبي

ــ عيون كتب التراث : مجلد يتضمن وصفا موسعا للنفائس والنوادر من المخطوطات المحفوظة بالخزانة الحسنية ، لا سيما المصنفات الامهات التي كان لها الاثر العظيم في نمو العلوم والآداب الاسلامية بشتى الفروع .

ويشتمل هذا الفهرست على العلوم التالية :

الموضوع	عدد المخطوطات	الصفحات
١) المنطق وآداب البحث	١٣٨	١١ الى ٦١
٢) الموسيقى	٨	٦٢ ـ ٦٨
٣) نظم الدولة واحكام الولايات وآداب السياسة	٨٨	٧١ ـ ١٠٩
٤) الفنون الحربية وصناعة السلاح	١٠	١١٣ ـ ١١٩
٥) جوامع العلوم	٣٩	١٢٣ ـ ١٣٩
٦) فنون شتى	٣١	١٤٣ ـ ١٥٦
المجموع	٣١٤	

ويليها المستدرك على المجلدين الثاني والثالث الصادرين على التوالي سنتي ١٩٨٢ و١٩٨٣ . ويتضمن :

الموضوع	عدد المخطوطات	الصفحات
١) الطب والصيدلة والحيوان	٤٩	١٦١ ـ ١٨٠
٢) الرياضيات	١٥	١٨١ ـ ١٨٨
٣) علم الفلك	٣٣	١٨٩ ـ ٢٠٢
المجموع	٩٧	

والفهرست مذيل بالمسارد التالية :

ـ مسرد المخطوطات التي اشتمل عليها المجلد الرابع ٢٠٥ ـ ٢١٢ .

ـ مسرد المستدرك على المجلدين الثاني والثالث ٢١٣ ـ ٢١٧ .

ـ مسرد اسماء المؤلفين الواردين في المجلد الرابع ٢٢١ ـ ٢٢٧ .

ـ مسرد مؤلفي المستدرك ٢٢٨ ـ ٢٣٠ .

ـ مسرد اسماء الناسخين حسب الرقم الترتيبي للمخطوط ٢٣٣ ـ ٢٣٥ .

ـ مسرد اسماء الناسخين في المستدرك ٢٣٦ ـ ٢٣٧ .

(٨٥) فهرس مخطوطات الخزانة الحسنية حسب ارقامها على الرفوف

ـ تصنيف الاستاذ محمد المنوني .

ـ الجزء الاول ، المطبعة الملكية بواسطة آلة الاستنساخ ، ١٩٨٣ .

ـ يقع في ٣١٥ صفحة من القطع الكبير ، ويصف ٤٣٨ مخطوطا .

يبدأ بمقدمة في تاريخ الخزائن بالمغرب منذ تأسيس أولها في آخر القرن الثالث الهجري على عهد يحيى الرابع الادريسي ، الى تأسيس الخزانة الحسنية ، وتنظيم المطالعة بها سنة ١٩٦٢ م ، مرورا بجهود ملوك الدول : المرابطية ، والموحدية ، والمرينية ، والسعدية ، والعلوية(١) . وتشتمل المقدمة على معلومات قيمة عن حركة التأليف ، وتاريخ الكتاب والمكتبة بالمغرب ، خاصة وان كاتبها هو احد المتخصصين المشهورين في المغرب(٢) .

ويضم هذا الفهرس وصفاً لـ ٤٣٨ مخطوطا ، في الموضوعات التالية :

الموضوع	عدد المخطوطات	الصفحات
١) المصاحف	٦	١ / ٤
٢) القرآن وعلومه	٤٤	٥ / ٢٩
٣) الحديث وعلومه	١٢	٣٠ / ٣٧
٤) السيرة الذاتية	٤٢	٣٨ / ٦٢
٥) التراجم وما اليها	٢٣	٦٣ / ٨٣
٦) التاريخ	٢٥	٨٤ / ١٠٣
٧) الانساب	٧	١٠٤ / ١٠٧
٨) الرحلات	١٤	١٠٨ / ١١٧
٩) الفقه المالكي	٢٧	١١٨ / ١٣٨
١٠) الفقه الحنفي	٤	١٣٩ / ١٤١
١١) التوحيد	٨	١٤٢ / ١٤٨
١٢) التصوف وما اليه	٤٢	١٤٩ / ١٧٤
١٣) الادب وما اليه	٥٤	١٧٥ / ٢١٥
١٤) العلوم اللسانية	٢٧	٢١٦ / ٢٣٨
١٥) علم الفلك	٢٥	٢٣٩ / ٢٥٤
١٦) الطب	١٣	٢٥٥ / ٢٦٥
١٧) الكيمياء	٢١	٢٦٦ / ٢٧٩
١٨) الرياضيات	٦	٢٨٠ / ٢٨٣
١٩) الفلاحة	٣	٢٨٤ / ٢٨٥
٢٠) السياسة	٥	٢٨٥ / ٢٩١
٢١) علوم متنوعة	٣٠	٢٩٢ / ٣١٤
المجموع	٤٣٨ مخطوطة	

ويتضمن وصفه للمخطوط الحديث عن :

ـ العنوان

ـ اسم المؤلف وتاريخ وفاته ، ومصادر ترجمته .

ـ موضوع المخطوط ومحتواه

ـ بدايته ونهايته

ـ نوعية الخط الذي كتب به ،

ـ اسم ناسخه وتاريخ النسخ

ـ عدد صفحاته

ـ المقياس والمسطرة

ـ رقمه في الخزانة

ـ الاشارة الى نسخ اخرى له في باقي المكتبات ان وجدت ، او الى طبعه .

وهذا نموذج لوصف الاستاذ المنوني في هذا الفهرست

(٧ م) : فضائل بيت المقدس

لبرهان الدين ابي اسحاق ابراهيم بن عبدالرحمن (بن ابراهيم) الفزاري (المصري ثم الدمشقي) الشافعي ، المعروف بابن الفركاح ، المتوفى سنة ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م .

اوله : الحمد لله رب العالمين واشهد ان لا اله الا الله . .

في ٥٩ صفحة

مسطرة ٢١

مقياس ١٩٠ / ١٣٠

خط مشرقي لا بأس به ، ملون .

خال من تاريخ التأليف ، واسم الناسخ .

وقع انتساخه ضحوة الاحد ٢٢ ذي القعدة عام ١١٤٩ هـ .

ورد ذكره باسم (باعث النفوس الى زيارة القدس المحروس) في ترجمة مؤلفه من هدية العارفين ج٢ / ع ١٤ .

(٨٦) فهرس الكنانيش (السجلات الرسمية) ، بالخزانة الحسينية .

ـ تقديم محمد العربي الخطابي ، تصنيف : عمر عمور .

ـ المجلد الاول ـ مطبعة الانباء ، الرباط ، ١٩٨٣ .

ـ يقع في ٢٤٧ صفحة من القطع الكبير .

اما التقديم فقد قسم فيه الاستاذ الخطابي الكنانيش[٨] الى موضوعاتها واصنافها ، وحدد بدايتها . . ومنهج المؤلف في التعامل معها ، مع التنويه بالمجهود المبذول في سبيل تحقيق ذلك .

ويرجع اقدم هذه الكنانيش الى عصر السلطان المولى عبدالله بن اسماعيل الحسني (١١٤١ ـ ١١٧١ هـ) . اما مواضيعها فهي متنوعة :

ـ قسم يشتمل على البيانات المالية المتعلقة :

١) بالمراسي (الصادرات والواردات) .

٢) بالجبايات والرسوم وخرص الغلال .

٣) بمداخيل وصوائر بيت المال والاملاك المخزنية .

ـ قسم يحتوي على نسخ المراسلات الحكومية الصادرة والواردة .

ـ قسم يضم نسخ بعض المعاهدات الدولية التي ابرمتها المملكة المغربية مع الدول الاجنبية .

ـ كنانيش متعلقة بالشؤون الخاصة بالبيت الملكي وبالامور العسكرية .

وموضوعات المجلد الاول من كنانيش الخزانة الحسنية هي :

الموضوع	التاريخ	عدد الكنانيش	الصفحات
١) الشؤون الدينية	١٢٤٥ / ١٣٣١ هـ	٢٩	١٣ / ١٦
٢) الشؤون الخاصة بالبيت الملكي	١٢٣٨ / ١٣٨٠ هـ	٨٩	١٧ / ٢٩
٣) التعيينات والاعفاءات			
٤) الامن الداخلي والخارجي	١٢٩٢ / ١٣٧٥ هـ	٥٦	٣٠ / ٣٨
٥) امور الجيش والسلاح	١٢١٠ / ١٣٧٢ هـ	٥٢	٣٩ / ٤٦
٦) الجبايات والرسوم والمكس	١٢٤٠ / ١٣٥٣ هـ	١١٢	٤٧ / ٦١
٧) المراسي والملاحة	١٢٣١ / ١٣٢٨ هـ	١١٩	٦٢ / ٧٧
٨) الشؤون المالية والاقتصادية والاملاك المخزنية والجماعية	١٢٣٨ / ١٣٧٥ هـ	١٩٧	٧٨ / ١٠٦
٩) التجارة الداخلية والخارجية			
١٠) الاجانب والحمايات القنصلية	١١٦٦ / ١٣٤٣ هـ	٢٦	١٠٧ / ١١٢
١١) مواضيع متنوعة	١٢٤٨ / ١٣٨٠ هـ	١٤٥	١١٣ / ٢٤٠
المجموع		٨٢٥	

والفهرست مذيل بالملاحق التالية :

ـ كشف بالاعلام البشرية ، مرتبة ترتيبا معجميا ١٤٣ ـ ١٩٠

ـ كشف بالاعلام الجغرافية ، والاماكن المذكورة في السجلات ١٩٣ ـ ٢٤٦

ـ لائحة باسماء ملوك الدولة العلوية الذين تنتسب الى عهدهم كنانيش هذا المجلد ٢٤٧ .

(٨٧) الخزانة الحسنية للكتب والوثائق .

ـ محمد العربي الخطابي

ـ دعوة الحق ، عدد ٢٥٧ ، يوليوز ١٩٨٦ ، من صفحة ١٠ الى ٢٢ .

حديث لمحافظ الخزانة الحسنية عن تاريخها ، ومنجزاتها ، ومشاريعها المستقبلية .

مما جاء في هذه المقالة : ان الخزانة صورة حية لهمّة جميع الاسر الملكية التي حكمت المغرب منذ الادارسة الى الآن .

وعدد المخطوطات المحفوظة بالخزانة يتجاوز ١٦ الف مخطوط بينها مجاميع تحوي ازيد من ٢٠ مؤلفا . اما الوثائق التاريخية فانها تربو على ١٥٠ الف وثيقة ، وستزيد بعدما امر صاحب الجلالة بضم مخطوطات مديرية الوثائق الملكية الى الخزانة الحسنية .

تتألف الخزانة الحسنية من خمسة أقسام :

١) قسم المخطوطات ، هو العمدة والاساس ، يشتمل على كثير من النوادر والمخطوطات المكتوبة بيد مؤلفيها ، مثل :

ـ ابي جعفر بن الزبير

ـ ابن خلدون

ـ عبدالمهيمن الحضرمي السبتي

ـ ابو زكرياء بن ابي حفص . .

وفي بعض النسخ خطوط ملوك مغاربة :

ـ تعليق لزيدان على مقدمة ابن خلدون .

ـ تحبيس لمولاي سليمان العلوي بخط يده على كتاب حِرْز الأماني في القراءات .

ومن روائع الخزانة ونوادرها :

ـ نسخة فريدة من كتاب التنزيل في هجاء المصاحف لسليمان بن نجاح الاموي الاندلسي المتوفى سنة ٤٩٦ هـ .

ـ نسخة نادرة مصورة من كليلة ودمنة .

ـ نسخة نادرة من كتاب الاغاني .

٢) قسم الوثائق : ترجع مخطوطاته الى العصر العلوي ، اي منذ منتصف القرن الحادي عشر الهجري . وهو عبارة عن معاهدات وعقود بيعة وسجلات الدولة ، ودفاتر الحسابات ، وحركة الموانىء ، والمكاتبات الرسمية والخاصة .

٣) قسم المطبوعات : ترجع مطبوعاته الى بداية ظهور الطباعة اغلب مخطوطاته في التراث العلمي الاسلامي ، منها فهارس مخطوطات كبريات المكتبات العالمية .

٤) قسم الاحصاء : يترصد نشاط الخزانة وحركة القراء الوافدين عليها ، وما تقدمه من خدمات على سبيل التبادل والتعاون .

٥) القسم الاداري بالاعمال الخاصة بالتبادل ، وتوزيع المطبوعات والتصوير ، وآلات القراءة .

اما منجزات الخزانة فتتجلى في اصدار ثمان فهارس (ذكرناها في هذه المقالة ما بين رقم ٨٠ و٨٦) .

اما مشاريع المستقبل فترتكز على اتمام فهرسة الخزانة ، وهكذا فيوجد قيد الطبع :

١) الفهرس الوصفي لمخطوطات علوم القرآن (القراءات والتجويد وضبط الرسم القرآني والتفسير) ، تأليف محمد العربي الخطابي .

٢) فهرس الوثائق ، الجزء الثاني ، الخاص بالمراسلات . اعداد : امينة النابر ، وحميد مومو .

اما الفهارس التي هي في طريق الانجاز :

ـ السنة ومصطلح الحديث والسيرة .

ـ اصول الدين وعلم الكلام .

ـ اصول الفقه .

ـ الفقه .

ـ الزهد والتصوف والرقائق والحكمة والاخلاق .

ـ اللغة والمعاجم .

ـ النحو والصرف .

ـ البلاغة والبيان وعلم المعاني والبديع .

ـ العروض والقوافي .
ـ الادب والنقد الادبي .
ـ عيون كتب التراث .

(٨٨) قائمة المخطوطات العربية ، في مكتبة كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط .

ـ اعداد : الاستاذة حليمة فرحات .
ـ منشور في ثلاثة اعداد من مجلة الكلية ، وهي :
١) العدد السابع ، ١٩٨٠ ـ من صفحة ٢٢١ الى ٢٨١ .
٢) العدد الثامن ، ١٩٨٢ ـ من صفحة ٢٣١ الى ٢٨٠ .
٣) العدد التاسع ، ١٩٨٢ ـ من صفحة ٢٩٣ الى ٣٢٤ .

تتصدر القوائم مقدمة جاء فيها : ان هذه اللائحة تنشر لاول مرة . ويرجع اصل هذه المخطوطات الى مشتريات معهد الدراسات العليا قبل استقلال المغرب ، والتي آلت الى كلية الآداب بعد تأسيسها سنة ١٩٥٧ م . وقد اضيفت اليها مجموعة من المخطوطات تم اقتناؤها فيها بعد .

وتتكون المجموعتان من اكثر من ٣٠٠ مخطوط . يمكن تصنيفها كالتالي :

١) من حيث الشكل :
ـ مخطوطات كاملة في موضوع معين .
ـ مجاميع يحتوي بعضها على اكثر من خمسة عشر موضوعا .
ـ ملفات تحتوي على قطع مبتورة من مخطوطات مختلفة المواضيع (غير قابلة للتصنيف) .
ـ تقاييد وورقات لم تصنف كذلك .
ـ وثائق من بينها رسائل مخزنية ومراسلات مختلفة ، يرجع عهدها للقرن التاسع عشر على العموم .

٢) ومن حيث المواد : تتميز المجموعة الاولى (الخاصة بالمعهد) بوجود مخطوطات فريدة في الطب التقليدي والاعشاب والادب الشعبي (الملحون والازجال) ، وفي فن الرماية والجغرافيا . ومن اهم هذه الكتب :

ـ كتاب السفرة في الجغرافيا لمؤلفه محمد بن ابي بكر الزهري الاندلسي .
ـ نزهة الالباب (في الادب) .
ـ تسهيل المنافع ، لابراهيم بن عبدالرحمن بن علي المعروف بابن الازرق اليمني .
ـ شرح ارجوزة ابن سينا في الطب لابن المهني .
ـ كتاب في الطب العملي لابي القاسم خلف بن عباش الزهراوي .
ـ الفية ابن سينا وشرح ابن رشد الحفيد عليها .
ـ الدر النفيس والنور الانيس في مناقب الامام ادريس بن ادريس ، لأحمد عبدالحي الحلبي الشافعي .
ـ كتاب في انساب وتاريخ الادارسة ، لمؤلفه مجهول .

وموضوعات هذه المخطوطات هي :

الموضوع	عدد المخطوطات	الجزء	الصفحات
الطب	٨٨	٧	٢٢٣ / ٢٦٤
الفقه	٣٢	٧	٢٦٤ / ٢٨٤
الادب	١٢	٨	٢٣١ / ٢٣٦
اللغة	٣	٨	٢٣٦ / ٢٣٨
النحو	٨	٨	٢٣٨ / ٢٤٠
القرآن	٨	٨	٢٤١ / ٢٤٣
العقيدة والتصوف	١٧	٨	٢٤٣ / ٢٤٨
السيرة	١١	٨	٢٤٩ / ٢٥٣
الادعية والفرق	٧	٨	٢٥٤ / ٢٥٦
التاريخ والتراجم والجغرافيا	٣٥	٨	٢٥٧ / ٢٧٠
الادب الشعبي	٢٧	٨	٢٧١ / ٢٧٨
المنطق	٤	٨	٢٧٩ / ٢٨٠
علوم متنوعة : حساب ، فلك ، طب	١٢٤	٩	٢٩٤ / ٣٢٤

(٨٩) فهرس مخطوطات كلية الآداب ، بالرباط .

ـ مصلحة الخزانة بالكلية
ـ مطبوع بواسطة آلة الاستنساخ ، سنة ١٩٨٠ .
ـ يقع في ١١٢ صفحة من الحجم الكبير .

لعله اصل اللوائح المنشورة في الفهرست السابق (رقم ٨٨) ، مع اختلاف في التصنيف ، لذلك سنكتفي بالاشارة الى

ترتيب الفهرست والصفحات .

الموضوع	الصفحات
في الطب والكيمياء والصيدلة	١ / ٣٦
في الفقه والتصوف	٣٦ / ٥٢
في الادب واللغة والنحو	٥٣ / ٦١
في القرآن والتفسير والحديث	٦٢ / ٦٩
في السيرة والامداح	٧٠ / ٧٧
في التاريخ	٧٨ / ٩٠
في الادب الشعبي والملجون	٩١ / ٩٦
في المنطق	٩٧ / ٩٨
مخطوطات متنوعة	٩٩

(٩٠) فهرس الخزانة الصبيحية بسلا :

ـ تصنيف : الدكتور محمد حجي :
ـ منشورات معهد المخطوطات العربية ـ الكويت ١٩٨٥ .
ـ يقع في ٧٢٢ ص ، من القطع الكبير .

قدم له مدير معهد المخطوطات العربية معبرا عن عزم المعهد اصدار خمسة فهارس لمخطوطات خزائن عربية قبل انتهاء سنة ١٩٨٥ هذا أولها ، ومشيرا الى اهمية الخزانة التي يصف الفهرس مخطوطاتها ، وموجها الشكر الى الاستاذ حجي الذي أعدّه .

ويتصدر الفهرس حديث للمؤلف عن تأسيس الخزانة الصبيحية (نسبة الى المؤسس محمد بن الطيب الصبيحي) سنة ١٩٦٧ ، وتجهيزها وبناء مقرها سنة ١٩٧٦ ، ومحتوياتها من مخطوطات عربية ، ومطبوعات باللغتين العربية والفرنسية . .

وبالخزانة مخطوطات نفيسة في علوم متنوعة وخاصة الرياضيات وعلم الفلك ، وبها مسودات بخطوط مؤلفيها من امثال محمد بن محمد العلمي ، واحمد بن المامون البلغيثي ، وعبدالله بن خضراء السلوي ، ومحمد المهدي متجينوش الرباطي ، واحمد بن محمد الصبيحي السلوي . .

واقتصر المؤلف في هذا الفهرست على وصف الكتب المخطوطة المجلدة ، تاركها خروم المخطوطات وكذا الوثائق وكناشات امناء المراسي (الجمرك) الى مرحلة ثانية .

وقال عن منهجه في التأليف ووصف المخطوطة في مقدمة الكتاب :

(واثبت لكل مخطوط رقما متسلسلا على اليمين ، ورقم تسجيله بالخزانة في الاسفل بعد القياس ، وبينت ترتيبه داخل السفر ـ ان تعلق الامر بمجموع ـ برقم ثان يسار رقم التسجيل مفصول بينهما بخط . وحرصت ما استطعت ، على ذكر اسم المؤلف وسنة وفاته ، ومصدر لترجمته ، واسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه كما حرصت الا احيل في مصادر تراجم المؤلفين الا على المطبوع المتداول منها اللهم الا ما لم اجد له بديلا مثل اتحاف المطالع ، واتحاف اشراف الملا والاتحاف الوجيز . وذيلت الفهرست بكشافات ألفبائية عامة : كشاف للكتب وثان للمؤلفين ، وثالث للناسخين .)

صنف المؤلف المخطوطات المفهرسة عشرة اصناف :

الموضوع	عدد المخطوطات	الصفحات
١) القرآن وعلومه (المصاحف الشريفة ، التجويد ، التفسير الرسم والضبط ، القراءات)	٩٣	١٥ / ٥٧
٢) الحديث وعلومه (مصنفات الحديث ، وشروحها وختماتها مصطلح الحديث ، السيرة النبوية)	٨٢	٥٩ / ٩٨
٣) التوحيد والمنطق ، والفقه واصوله والفرائض ، والوثائق	٢٦٣	٩٩ / ٢١٦
٤) التصوف الاحزاب والاوراد ، الاذكار والادعية المواعظ والخطب ، النصائح والوصايا الامداح النبوية ، الصلاة على الرسول	٢٦٠	٢١٧ / ٣٢٧
٥) اللغة ، النحو والصرف والبلاغة والعروض والادب	١٥٠	٣٢٩ / ٣٩٤

٦) التاريخ ، التراجم والمناقب والانساب ، الفهارس والبرامج والاجازات والرحلات وكتب البلدان	١٠٥	٣٩٥ / ٤٤٣
٧) الحساب ، الهندسة ، الهيئة والفلك ، التوقيت ، التعديل ، والتنجيم	٢٦٤	٤٤٥ / ٥٥٨
٨) الطب ، الاعشاب الزهور والحيوان والطيور ، والموسيقى	٢٣	٥٥٩ / ٥٧١
٩) الكيمياء ، سر الحرف ، الخط الرمل ، الاوفاق ، الزايرجات ،	٢٣	٥٧١ / ٥٨٢
١٠) متنوعات : مبادىء العلوم التعليم ، السياسة ، تقاييد وكناشات	٧٤	٥٨٣ / ٦١٩

المجموع ١٣٣٧ مخطوطة

والفهرس مذيل بكشاف للكتب (٦٢٣ / ٦٦٨) ، وكشاف للمؤلفين (٦٦٩ / ٦٩٤) وآخر للناسخين (٦٩٥ / ٧٠٦) وملحقات (٧٠٧ / ٧٢٢) .

مركز فاس .

فاس هي العاصمة العلمية للملكة المغربية ، وكانت عاصمة سياسية خلال فترات طويلة من تاريخ المغرب . وبها جامعة القرويين ـ اقدم جامعة اسلامية ـ كما هو مقرر ومشهور . كنا قد اشرنا الى بعض لوائح مخطوطات خزانتها في القسم الاول من هذا البحث ، ونعرّف الآن بالقسم المطبوع من فهرست هذه الخزانة :

(٩١) فهرست مخطوطات خزانة القرويين .

ـ تأليف : محمد العابد الفاسي .
ـ تقديم : ابنه محمد الفاسي الفهري .
ـ طبعة دار الكتاب ، الدار البيضاء :
ـ الجزء الاول ، سنة ١٩٧٩ في ٤٦٤ صفحة من الحجم الكبير .
ـ الجزء الثاني ، سنة ١٩٨٠ في ٥٤٠ صفحة من الحجم الكبير .

قدم محمد الفاسي الفهري ترجمة مفصلة لوالده مصنف الفهرست والمحافظ السابق للخزانة .

وتناول بعد ذلك نبذة من تاريخ الخزانة ، فهي اقدم خزانة ما زالت موجودة بالمغرب الى الآن ، وتاريخ بنائها حوالي سنة ٧٥٠ هـ ، وتجديد المقر من طرف السلطان احمد المنصور السعدي في آخر القرن العاشر الهجري . ثم توسيعه من السلطان العلوي مولاي عبدالرحمن ، وابنه سيدي محمد . وتحدث المقدّم كذلك عن محافظي الخزانة منذ تأسيسها الى الآن ، وتعيينات الملوك لهم ، وعن اصل مخطوطات الخزانة : التحبيس ، الشراء ، التبادل . .

اما الفهرست فأصله في اربعة مجلدات متفاوتة حجما ومادة . الا ان ما يؤخذ على المصنف ـ رحمه الله ـ انه لم يسلك في فهرسته لا الترتيب الزمني ، ولا الترتيب المعجمي ، ولا ترتيب الكتب على الرفوف . ومع ذلك فقد اشتمل اغلب الجزء الاول على القرآن وعلومه ، والحديث والسنة والفقه ـ وقد لاحظ المقدّم ذلك بنفسه عندما قال (لكن هذا التبويب يتضاءل في الجزء الثاني ، ويضعف اكثر في الجزء الثالث ، ثم تتشعب وتمتزج جميع الفنون في الجزء الاخير)[٩] .

ويقدم المصنف معلومات دقيقة عن مخطوطات الخزانة :
ـ العنوان الكامل للمخطوط ، واجزاؤه الاصلية والموجودة
ـ وحالته ، وخطه ، وتحبيسه .
ـ وما يحمله من هوامش وطرر وتعليقات .
ـ عدد اوراقه ، ومسطرته ، ومقياسه .

(وبالاضافة الى وصف المخطوطات ، نجد دراسات وافية لحياة العلماء والفقهاء مع وفياتهم وما ذكر لهم من مؤلفات ونوادر . . فهو ليس مجرد فهرست ، بل هو كذلك معجم للادباء)[١٠] .

ـ مجموع المؤلفات الموصوفة في الجزء الاول ٥٠٠ مخطوط
ـ ومجموع المؤلفات الواردة في الجزء الثاني ٣٧٥

ومع نوادر هذه الخزانة التي تجدر الاشارة اليها :
ـ مصحف كوفي مكتوب على رق الغزال يرجع تاريخه الى اوائل القرن الثالث الهجري
ـ مختصر اعراب القرآن ومعانيه لابي اسحاق ابراهيم بن سهل الزجاج في عشرة مجلدات تَمّ نسخه سنة ٣٨٢ هـ .

ـ مختصر ابي مصعب الزهري ، المنسوخ بقرطبة عام ٣٥٩ هـ .
ـ جامع البيان عن تأويل آي الفرقان ، لابي جعفر محمد بن جرير الطبري نسخ سنة ٣٩١ هـ .
ـ كتاب البرصان والعرجان والعميان ، للجاحظ .
ـ تفسير القرآن لابي الربيع عبيدالله الاشبيلي .
ـ الامالي لابي بكر بن دريد الازدي .
ـ الوسيط في الامثال للواحدي .
ـ ديوان شعر لعبدالكريم بن محمد القيسي الاندلسي .
ـ الادوية المفردة لابي جعفر الغافقي .
ـ عدة اجزاء من موطأ مالك على رق الغزال .
ـ محادي الموطأ من رواية وجمع المهدي بن تومرت ، مؤسس الدولة الموحدية بالمغرب .
ـ شذرات من المصحف بخط السلطان الموحدي المرتضى .
ـ كتاب العبر لابن خلدون ، نسخة حبسها المؤلف بخطه على خزانة جامع القرويين .

مركز مراكش :

تشتهر مدينة مراكش بخزانتها العمومية : خزانة ابن يوسف . يرجع تاريخ تأسيسها الى اوائل القرن السادس الهجري من طرف علي بن يوسف بعدما بنى المسجد المعروف باسمه . فقد وضعت النواة الاولى لخزانة الكتب والمصاحف في مقصورة من مقاصير الجامع .

وعرفت نموا وازدهارا خلال حكم الدولتين الموحدية والمرينية ، ذلك ان اهتمام السعديين سيركز على خزائن المدارس والمساجد التي شيدوها ، مثل مسجد المواسين ، ومسجد الحرة بباب دكالة . .

وفي عهد الدولة العلوية بني مقر خاص بالخزانة في ملحقة من ملاحق المسجد . وفي عهد الولي عبدالحفيظ وضع اول فهرس للخزانة سنة ١٣٢٩ هـ وزودت بالكثير من المصادر والمخطوطات النفيسة .

وقد انتقلت الى المقر الذي توجد به الآن في مطلع الستينات . والعمل جار الى حد اليوم لبناء مقر عصري وملائم لذخائر خزانة ابن يوسف .

(٩٢) الفهرست المختصر لخزانة ابن يوسف بمراكش

ـ تأليف : الاستاذ الصديق بن العربي ، المحافظ السابق .
ـ منشورات كلية الآداب ، التابعة لجامعة القاضي عياض ، بمراكش .
ـ بواسطة اوراق الاستنساخ ، في ٩٨ صفحة من الحجم الكبير سنة ١٩٨٣ .

يشتمل على مقدمة من انشاء المؤلف قدم فيها تعريفا مختصرا بالخزانة ومخطوطاتها ، ثم عرض اهم الفهارس الصادرة لخزانات المغرب مركزا على عنوان الفهرست وتاريخ طبعه . فذكر ٣١ عنوانا . (من الصفحة ١ الى ٨) .

ثم استعرض عناوين مخطوطات الخزانة بحسب ترتيبها على الرفوف . فأورد ٧٢٥ عنوانا . (من الصفحة ٩ الى ٤٢) وذكر لمجاميع وما فيها من رسائل وتقاييد (من الصفحة ٤٣ الى ٧٦) وذيل الفهرست بكشافين :

١) كشاف باسماء المؤلفين مرتبة ترتيبا معجميا (من الصفحة ٧٦ م الى ٨٧)
٢) كشاف بعناوين المؤلفات ، مرتبة ترتيبا معجميا (من الصفحة ٨٨ الى ٩٨) .

والفهرست مبني على الاختصار اذ لا يتعدى الوصف الاشارة الى العنوان المختصر للكتاب وذكر الاسم المشهور او لقب مؤلفه . وسبب ذلك وجود فهرس مفصل لمخطوطات الخزانة لمن رغب في التفاصيل . وفي هذا الاخير وصف مفصل للمخطوطة ، وخطها ، وناسخها ، ومحبسها ، وقياسها ، ومعلومات عن مؤلفها . . وهذا الاخير قيد الاعداد للطبع .

مركز تمگروت :

تمگروت قرية صغيرة من قرى الجنوب المغربي . عرف تأسيس زاوية صوفية هي الزاوية الناصرية . كان لها اشعاع ديني وعلمي ابتداء من القرن الحادي عشر الهجري شمل كل ارجاء المغرب .

وقد تأسست بها خزانة علمية ضمت نفائس المخطوطات والوثائق :

(٩٣) دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت :

ـ اعداد : الاستاذ محمد المنوني .

ـ نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، طبعة فضالة ١٩٨٥ ، في ٢٢١ صفحة قطع كبير .

يبدأ الفهرست بتصدير للسيد وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية ، اشار فيه الى موضوع الكتاب ، وعدد المخطوطات التي يتناولها المؤلف بالوصف ، ومقدمته عن تاريخ الخزانة الناصرية ، ونوادرها ، وامر جلالة الملك بطبع الدليل اعتبارا لاهميته العلمية .

ومقدمة بقلم المؤلف : حضارة وادي درعة من خلال النصوص والآثار .

حديث مفصل عن وادي درعة وواحاته ، وقاعدة درعة المدينة الاسلامية القديمة التي اندثرت كما جاء في المغرب للبكري ، وطليعة الدعة لمحمد المكي الناصري .. تتبع المؤلف تاريخ المنطقة الى عهد الأشراف ، والنشاط الثقافي الذي عرفته منذ القرن الخامس الهجري ، والذي سيبلغ ذروته واوجه خلال القرنين العشر والحادي عشر ، بتعدد المؤلفات التي الفت والاسماء التي برزت .

وكان لتأسيس الزاوية الناصرية بتمكروت دور كبير في هذا التنشيط ، خاصة وان شيخها محمد بن ناصر من اكبر علماء العصر . وسيبقى الحال على ذلك فيما بعد ، اذ لن يتولى مشيخة الزاوية الا العلماء الاعلام .

ويعود تأسيس دار الكتب الناصرية الى عهد الشيخ ابي عبدالله بن ناصر الذي حبّس عليها مجموعة من الكتب النادرة ، وشيد ابنه ابو العباس بنايتها ، واغناها بالاحمال من الكتب عن طريق الاهداء او الشراء من المغرب والمشرق ، وقد بلغ الامر احيانا الى حد تحويل خزانات بعض الاعلام اليها ، كخزانة ابي العباس احمد بن ابراهيم السباعي ، وابي العباس احوزي المشتوكي ، وابي الحسن علي الدمناتي .

وتشتمل المقدمة كذلك على جرد لنوادر الخزانة ونفائسها ، ووصف فيه المؤلف ١٣ مخطوطة ، مرتبة ترتيبا موضوعيا ، نذكر منها :

١ ـ قطعة من مصحف شريف ، مكتوبة على رق الغزال بخط اندلسي ، مليح ، ملون ، مزخرف ، في ٨٨ ورقة .

٢ ـ قطعة من الموطأ للامام مالك ، من رواية يحيي بن يحيي المصمودي . مكتوبة على الرق بخط اندلسي عتيق . وتشتمل على ثلاثة اجزاء يجمعها سفر واحد . يشتمل على ١٢٦ ورقة .

٣ ـ السفر الاخير من الجامع الصحيح للبخاري ، ابتداء من كتاب اللباس يرجع الى القرن السادس الهجري . كتب اغلبه بخط اندلسي جيد .

٤ ـ كتاب الشفا ، للقاضي عياض . بخط العالم الاندلسي الذائع الصيت محمد بن علي بن عسكر الغساني المالقي . فرغ من كتابته بتاريخ ٣ صفر الخير عام ٦٢٤ هـ . وخطه اندلسي متقن .

٥ ـ عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة ، لابن شاس : عبدالله ابن محمد السعدي المصري . مكتوب بخط اندلسي مليح ، على يد كاتبه علي بن محمد بن علي فرج القيسي ، اواخر ذي القعدة ٦٤٦ هـ .

٦ ـ كتاب تسهيل الفوائد لابن مالك . في مخطوطة قديمة مذيلة باجازة العالم الاندلسي ابي حيان ، لتلميذه . ناظر الجيش ، محمد بن يوسف الحلبي المصري .

٧ ـ كتاب الشفا لعياض . السفر الاول ، بخط اندلسي حسن . كتبه بمدينة مراكش محمد بن علي بن احمد الزهري الرندي ، وفرغ منه في شعبان ٧٦٢ هـ .

٨ ـ كتاب سلاح المؤمن ، لتقي الدين محمد بن محمد بن علي ابن همام المصري بخط تونسي مليح مقابل . كتبه ـ بمدرسة الشماعين من تونس ـ محمد بن محمد بن المتيم .. فرغ منه في محرم ، عام ٨٠٣ هـ .

٩ ـ ادب الدنيا والدين ، للماوردي . بخط مشرقي جميل عام ٨٧٢ هـ .

١٠ ـ كتاب الشفا ، لعياض من القرن التاسع هـ . بخط مشرقي مبتور الاول ، ومذيل باسمعة واجازات .

١١ ـ نسخة اخرى منها ، من رواية الحافظ عبدالعظيم المنذري ، عن ابن جبير الرحالة الاندلسي ، عن ابي محمد عبدالله بن محمد بن عيسى التميمي عن المؤلف .

وهي بخط شرقي جيد .

١٢ ــ نسخة خامسة منها ، بنفس الخط ، تشتمل على الجزء الاول ، مبتور الاخير .

١٣ ــ الخصائص والمعجزات النبوية الكبرى ، للسيوطي . في مجلدين كلاهما بخط سوداني . كان الفراغ منه في ذي الحجة عام ١٠٦٧ هـ . وبهامشه تقاييد .

عرض الاستاذ المنوني بعد ذلك ٦٣ مخطوطة من اهم مخطوطات دار الكتب الناصرية ، وهي في الموضوعات التالية :

الموضوع	عدد المخطوطات	الصفحات
١) تفسير القرآن والقراءات	٤	٣٥ / ٣٦
٢) الحديث الشريف	٤	٣٦
٣) السيرة النبوية	٣	٣٧
٤) التراجم	٥	٣٧
٥) الفقه	١٤	٣٨ / ٤١
٦) اصول الفقه والمنطق	٣	٤١
٧) التوحيد والاخلاق	٦	٤١ / ٤٢
٨) النحو واللغة	٤	٤٢
٩) الادب	١١	٤٢ / ٤٣
١٠) الرياضيات	٢	٤٤
١١) علم الفلك	٥	٤٤ / ٤٥
١٢) الطب	٢	٤٥
المجموع	٦٣	

تأتي بعد ذلك لائحة مفصلة بمحتويات دار الكتب الناصرية ، حسب المنهج التالي :

ــ الرقم الترتيبي
ــ رقم المخطوط
ــ عنوانه
ــ اسم المؤلف
ــ عدد الاجزاء
ــ ملاحظات عن الخط ، وتاريخ النسخ والناسخ ، وما في المخطوط من طرر وتعليقات او ما فيه من بترا ونقص . .

وقد تم وصف ٤١٨٤ مخطوط .

مركز الصويرة :

مدينة شاطئية صغيرة ، تقع جنوب المغرب على ساحل المحيط الاطلسي يرجع تأسيسها الى آخر القرن ١٢ هـ / ١٨ م . وكانت بمساجدها وزواياها ملحقات تضم عددا من المصاحف والكتب العلمية ، تتحول مع الزمن الى مكتبات . .

(٩٤) دليل الخزانة الحبسية بالصويرة (خزانة المسجد العتيق)

ــ تأليف محمد بن محمد بن علي المؤذن سنة ١٩٦٩ .
ــ نسخة وقدم له احمد بن مسعود الهدري الحاحي .
ــ نسخة مخطوطة موجهة الى السيد الصديق بن العربي المحافظ السابق للخزانة اليوسفية بمراكش سنة ١٩٨٢ . يقع في ٢٢ ورقة من الحجم الصغير .

الفهرست مصدّر بقصيدة شعرية في مخاطبة الصديق بن العربي ، محافظ الخزانة في ١٣ بيتا نظمها احمد بن مسعود الهدري استاذ اللغة العربية بثانوية اكنسوس بالصويرة .

ومدخل اشار فيه الاستاذ المذكور الى ما تعرضت له خزانة المسجد العتيق بالصويرة من اهمال ادى الى ضياع كثير من نفائسها ، خاصة عندما كان الاشراف عليها موكولا الى القضاة ونوابهم من خواص العدول كما في كتاب ايقاظ السريرة لتاريخ الصويرة لمؤلفه محمد بن سعيد الصديقي .

وقدم شذرات من تاريخ المدينة منذ رجالات رجراجة المشهورين بالمنطقة بالعلم والصلاح والجهاد ، الى بناء المدينة وتعميرها ونشر العلم بها على عهد السلطان العلوي المصلح سيدي محمد بن عبدالله .

وجدت الخزانة مع وجود المسجد ، ونمت وازدهرت مع مر السنين . وكانت تحتوي على مئات المخطوطات من مختلف العلوم والفنون لم يبق منها اليوم الا حوالي ٣٠٠ مخطوط اغلبها في الفقه .

استعرض المؤلف ١٤٣ منها ، حسب المنهج التالي :

ــ الرقم الترتيب
ــ عنوان المخطوط واسم مؤلفه .
ــ تاريخ التأليف (كان يخلط احيانا بين تاريخي التاليف والنسخ) .

ـ المقياس .

وعرض قائمة بنوادر مخطوطات الخزانة او كتبها القيمة ، هي :

ـ سيرة سليمان الكلاعي (في مجلدين) .
ـ تفسير ابن عطية .
ـ تفسير الثعالبي (عليه خطوط عدد من علماء المغرب) .
ـ الحوض لمحمد بن علي السوسي ، المشهور باوزال ، وبهامشه قصيدة بتشلحيت من نظمه ، ولعلهات بخطه .
ـ نسخ من ديوان المتنبي .
ـ نسخة كاملة من تفسير الرازي .
ـ اربع نسخ من قاموس الفيروزابادي .
ـ التبصرة لابن فرحون .
ـ ثلاثة اجزاء من البيان والتحصيل لابن رشد .
ـ اربعة اجزاء من المعيار للونشريسي .
ـ شفاء الغليل على المختصر لابن غازي المكناسي .
ـ الاكمال للقاضي عياض .
ـ شرح دلائل الخيرات لمحمد المهدي الفاسي .

المكتبات الخاصة :

سبقت الاشارة الى اهمية مكتبات الخواص في المغرب[11] . فكثير من المصادر النادرة وجدت بها . لذلك أُحدِثت جائزة الحسن الثاني للمخطوطات منذ سنة ١٩٦٩ م لتشجيع اصحاب الخزائن لاخراج كتبهم واطلاع الباحثين عليها قصد نيل الجائزة في نفس الوقت . وقد قدمنا محتويات لوائح هذه الجائزة الى سنة ١٩٧٨ . وستابع ذلك بعدما نعرف بنموذجين من خزائن الخواص :

(٩٥) نماذج من مخطوطات المكتبات الخاصة بالصحراء المغربية

ـ من خلال مقالة : جولة في مكتبات الصحراء المغربية
ـ للدكتور محمد حجي ،
ـ مجلة المناهل ، عدد ٢٨ / تشرين ثانِ ١٩٨٣ من ص ٧ الى ٢٠ .

قامت لجنة مكونة من السادة العلماء : محمد حجي ، ابراهيم الكتاني ، ومحمد المنوني ، بجولة في الصحراء قصد التعرف الى مخطوطاتها ومكتباتها وقد لاحظت بارتياح اهمية الوثائق والكتب المحفوظة فيها والتي تتجلى من خلال هذه النماذج .

من اهم المكتبات الموجودة بالصحراء :

ـ مكتبة آل سالم المجلسيين بالداخلة والعيون .
ـ مكتبة اليعقوبيين بالداخلة .
ـ مكتبة آل الشيخ ماء العينين بالسمارة .
ـ مكتبة آل الليلي بالعيون .
ـ مكتبة زاوية سيدي حمود بطرفايا .

من اهم المخطوطات التي وقفت عليها اللجنة في هذه المكتبات :

ـ الريان في تفسير القرآن لمحمد بن سالم . في سبعة اجزاء .
ـ لوامع الدرر في شرح المختصر أي مختصر خليل ، لنفس المؤلف .
ـ الدرر الاسنى في اسماء الله الحسنى ، لهندو بنت عبدالله بن حمد الله المجلسية .
ـ نظم فروع الشيخ خليل ، لنفس المؤلفة ، وهو رجز في نحو ٤٠٠ بيت .
ـ المديحيات الهاشميات لاحمد بن محمد بن محمد سالم المجلسي وهي اربع قصائد في كل واحدة ٦٥ بيتا .
ـ ثمان الدرر ، في هتاك استار المختصر ، في ستة اجزاء ضخام لعبدالقادر بن محمد بن محمد المجلسي .
ـ شرح اضاءة الدجنة في عقائد اهل السنة ، لاحمد المقري .
ـ نزهة الافكار في شرح قرة الابصار .
ـ قرة العينين في غزوات سيد الكونين .
ـ ذم موالاة الكفار ومدح الهجرة عن بلاد الكفر . لمحمد العاقب ابن ما بابي الجنكي .

(٩٦) خزانة بني عبدالجبار بفجيج : دار العدة .

ـ ابن علي محمد بن زيان .
ـ مجلة دعوة الحق ، عدد ٢٤٨ ، مايو ١٩٨٥ ، من ص ٩٥ الى

١٠٢ .
ـ تحكي كتب التاريخ والرحلات ان مدينة فجيج كانت مركزا علميا يحتضن اكثر من خزانة ، ذكر منها صاحب المقال :
ـ خزانة بني عبدالجبار .
ـ خزانة بني سكون .
ـ خزانة الراشديين .
ـ خزانة السادتيين .
ـ خزانة بوزيان بن احمد من آل عبدالجبار (قصر الكتب) .
ـ خزانة احمد بن محمد بن حم السليماني الفجيجي .

ومؤسس خزانة بني عبدالجبار هو الامام الذي تسمّت باسمه ، عاش بين (٨٢٠ و ٩٢٠ هـ) . بدأت بحمولة ٤٠ بعيرا من الكتب من فاس وتلمسان ومصر . بلغت فيها بعد عشرات الآلاف . وقد وصلتنا كثير من المعلومات عنها وعن نفائسها في مؤلفات علماء زاروها واستفادوا من ذخائرها ، منها :

ما جاء في الرحلة الناصرية عند احمد بن ناصر الدرعي من ان احمد بن ابي بكر السكوني ما كان ليكتب كتابيه (شرح دلائل الخيرات ، وتنبيه الانام) لولا المصادر القيمة التي وجدها في خزانة عبدالجبار[١١] .

وزارها العياشي صاحب الرحلة المشهورة (ماء الموائد) الا انه لم يتمكن من التعرف الى ذخائرها لتغيّب المسؤول عنها (او صاحب المفتاح)[١٢] .

وقد نهبت ذخائر هذه الخزائن خلال فترة الحماية الفرنسية للمغرب .

وقد عرض صاحب المقال نماذج من نفائس مخطوطات هذه الخزائن وخاصة من تآليف الفجيجيين ، وهي :
ـ المؤلفات ٢٤
ـ المنظومات ١٣
ـ القصائد ٧

نذكر منها على سبيل المثال :
ـ مختصر جامع احكام القرآن المبين ، لعبدالجبار بن احمد بن موسى .
ـ مختصر حياة الحيوان ، له .
ـ الفهرست ، له .
ـ اعراب القرآن له .
ـ شرح دلائل الخيرات ، له .
ـ الحاوي المنوط بالفتاوي ، لابي القاسم بن محمد بن عبدالجبار (وهو عبارة عن نوازل فقهية) .
ـ الفريد في تقييد الشريد وتوصيد الوبيد ، له .
ـ تاج النظار في نسب الامام عبدالجبار ، لمحمد الصديق الفجيجي .
ـ الذخيرة لمولاي احمد بن رحو .
ـ شرح السنوسية الصغرى ، للفقيه محمد بن بلقاسم بن نص الثوري الفجيجي .
ـ رسالة النقاد في الرد على ابن الرقاد ، احمد بن ابي زيان بن يعقوب المحرزي .
ـ رسالة في السماع والرقص والتواجد والاهتزاز ، لمحمد بن احمد بن العربي بن رحو .
ـ شرح تنبيه الانام ، لاحمد بن محمد بن عبدالرحمن بن ابي بكر السكوني .
ـ شرح دلائل الخيرات ، له .
ـ لقط الفوائد في الرد على من اعتقد جواز بعض العقائد ، لمحمد بن احمد بن الصديق .
ـ مناقب الخلفاء الاربعة ، له .
ـ رسالة في شرح لا اله الا الله ، لمحمد بن محمد بن عبدالجبار .
ـ منظومة مغيرة اللبيب (في الديانات وما يتصل بها) ، لابراهيم بن عبدالجبار .
ـ منظومة في الانساب ، له .
ـ نظم اللآلىء ، الحسان ، لابي القاسم بن محمد بن عبدالجبار (نظم فيها مختصر الشيخ خليل في نحو ٨٥٠٠ بيت) .
ـ منظومة في فقه الصيد ، لاحمد بن ابي القاسم .
ـ منظومة روضة الآس في من لا يسال في الرمس .
ـ منظومة في علم الفرائض ، لابي عبدالله سليمان بن محمد بن ابي سماحة .

(٩٧) لائحة الوثائق والمخطوطات المشاركة في الجائزة الحادية عشرة سنة ١٩٧٩ .

سأسلك في التعريف بها نفس الطريقة المتبعة في القسم

الاول من هذا البحث . اي تصنفيها بحسب المدن ، والعدد ، والصفحات ، مع التميز بين المخطوطات والوثائق . وتذيل كل لائحة بعناوين الكتب الفائزة بالجوائز الثلاث الاولى متى تيسر ذلك . (تنشر هذه اللوائح في آخر شهر مارس من كل سنة وزارة الشؤون الثقافية) .

المدينة	عدد المخطوطات	الصفحات جزء ١	عدد الوثائق	الصفحات من الجـزء ٢
الرباط	٣٧	١ / ٣	١٢٩	١ / ١٠
الدار البيضاء	٢٩	٤ / ٦	٦١	١١ / ١٨
مراكش	٦٠	٧ / ١١	١٤	١٩ / ٢٠
فاس	٢١	١٢ / ١٣	٢٤	٢١ / ٢٣
مكناس	١٩	١٤ / ١٥	٣٨	٢٤ / ٢٨
تطوان	١	١٦	٩	٣٧
القصر الكبير	٧٥	١٧ / ٢٣	٢٠	٢٩ / ٣١
وجدة	٧	٢٤		
اسفي	٢٢	٢٥ / ٢٦	١٩	٣٢ / ٣٣
تارودانت	٧	٢٧	١٦	٣٤ / ٣٥
اكدير	١٥	٢٨	٥	٣٦
القنيطرة	١٨	٢٩ / ٣٠	٤	٣٨

المجموع ٣١١ مخطوط ٣٣٩ وثيقة

من الكتب التي فازت بالجائزة الاولى هذه السنة (وصاحبها من مدينة مراكش) :

- الملخص في الهيئة ، لمحمد الجغميني .
- رسالة في بيت الابرة ، لابي زيد التاجري .
- جداول للمعمور الشمالي ، تعرف بها اوقات الصلاة ، لمحمد الطاهر الحمري .
- شرح رسالة الماريديني .
- شرح الطلاب الى معرفة الاوقات بالحساب ، لمحمد بن محمد الماريديني .
- محصلات المطلوب في العمل بربع الجيوب ، لمحمد بن زكريا القرشي .

وهي كتب كما هو واضح ، اغلبها في علم الفلك والتوقيت . ومن الكتب التي فاز صاحبها بالجائزة الثانية (وهو من مدينة سلا) :

- الفتح الرباني ، للسلطان محمد بن عبدالله العلوي .
- المجالس الوعظية لابن الجوزي .
- كنز الاسرار ، للزموري .
- وسيلة المتوسلين للعروسي .
- نزهة الناظرين لجعفر البرزنجي .
- اوراق من كتاب في التراجم للهادي الصقلي .
- ترجمة ابي سالم العياشي ، لمجهول .
- مجموع في الدعوة الى الجهاد ، لمؤلف مجهول .

ومن الكتب التي فاز صاحبها بالجائزة الثالثة ، (وهو من مدينة فاس) :

- مجموع به فهرست المنجور .
- قطعة من عجالة المستوفز المستجار ، لابن مرزوق .
- قطعة في مناقب ابي مدين ، لابن الخطيب القسمطيني .

(٩٨) لائحة المخطوطات والوثائق المشاركة في الجائزة الثانية عشرة لسنة ١٩٨٠

مجموع الوثائق المشاركة في المباراة : ٦٦٣ تتوزع كالتالي :

المدينة	عدد المخطوطات	الصفحات من الجزء ١	عدد الوثائق	الصفحات من الجزء ٢
الرباط	٧١	١ / ٧	٩١	١ / ٩
الدار البيضاء	٣٦	٨ / ١١	٧	١٠
مراكش	٧٢	١٢ / ١٨	٢٦	١١ / ١٣
فاس	٤٠	١٩ / ٢٣	٣٣	١٤ / ١٧
مكناس	٢٥	٢٤ / ٢٥	٤٦	١٨ / ٢١
وجدة	٢٥	٢٦ / ٢٨	٢	٢٢
اسفي	٣٣	٢٩ / ٣٢	٢	٢٣
تارودانت	٣	٣٣	١١	٢٤
اكدير	٦	٣٤		
القنيطرة	١١	٣٥	٥١	٢٥ / ٢٧
تازة	٦	٣٦	٤	٢٨
تطوان	٩	٣٧ / ٣٨	٥	٢٩
القصر الكبير	٢٣	٣٩ / ٤٢	٢٥	٣٠ / ٣٣

المجموع ٣٦٠ مخطوط ٣٠٣ وثيقة

حجبت خلال هذه السنة الجائزة الاولى . اما الكتب التي فازت بالجائزة الثانية (وصاحبها من مدينة فاس) فهي :

ـ سجل عام لسجل احباس القرويين .

ـ لامع الفصول من جامع الاصول ، لابراهيم المجاور .

ـ انجيل ، باللغة القبطية .

ـ القواعد الكلية للاصبهاني .

ـ تعليق على الرسالة ليوسف بن عمر .

ومن كتب الفائز بالجائزة الثالثة (وهو من مدينة سلا) :

ـ المجالس لابن عربي المعافري .

ـ المجلد الاخير من الذخيرة للمعطي بن صالح الشرقاوي .

ـ مفاتيح الخير والرحمة في الصلاة على سيد الامة ، لمحمد بن المؤقت .

ـ كتاب في التصوف ، للمختار الكنتي .

(٩٩) لائحة المخطوطات والوثائق المشاركة في الجائزة الثالثة عشرة لسنة ١٩٨١

مجموع المخطوطات والوثائق المشاركة في الجائزة ١١٢٧ ، تتوزع كالتالي :

المدينة	عدد المخطوطات	الصفحات من الجزء ١	عدد الوثائق	الصفحات من الجزء ٢
الربـاط	١٢٧	١ / ١٦		
فـاس	٩٩	١٧ / ٣٠		
مراكـش	٩٦	٣١ / ٤٢		
الدار البيضاء	١٠٢	٤٣ / ٥٣	٨٠	٥٤ / ٦٦
مكـناس	١١	٥٤ / ٥٥	٤١	٦٧ / ٧١
اكدير	٤٨	٥٦ / ٦٢	٤١	٧٢ / ٧٦
اسـفي	٤٣	٦٣ / ٦٦	٢٣	٧٧ / ٧٩
وجـدة	٦	٦٧	٣٥	٨٠ / ٨٤
تارودانت	١٥	٦٨ / ٧٠	٥٥	٨٥ / ٨٩
القنيطرة	٥	٧١	١٠٧	٩٠ / ١٠٢
تطـوان	٤٧	٧٢ / ٧٦	٣٠	١٠٣ / ١٠٧
القصر الكبير	١٦	٧٧ / ٧٨	٨٤	١٠٨ / ١١٤
تـازة	١١	٧٩ / ٨٠	٥	١١٥

المجموع ٦٢٦ مخطوطة ٥٠ وثيقة

المخطوط الحائز على الجائزة الاولى :

ـ رسائل ابي المطرف بن عميرة ، الجزء الاول .

والكتب التي حصلت على الجائزة الثانية ، هي :

ـ شرح مورد الظمآن ، لمسعود بن محمد بن جموع .

ـ الفجر الساطع في شرح الدرر اللوامع ، لعبدالرحمن بن القاضي .

ـ اجوبة لمحمد بن عبدالسلام الفاسي في القراءات .

(١٠٠) لائحة المخطوطات والوثائق المشاركة في الجائزة الرابعة عشرة لسنة ١٩٨٢

مجموع المخطوطات والوثائق المشاركة في الجائزة : ٣٧٦ موزعة كالتالي :

المدينة	عدد المخطوطات	صفحات الجزء ١	عدد الوثائق	صفحات الجزء ٢
الرباط	٥٩	١ / ٦	٤٥	١ / ٦
مراكش	٢٨	٧ / ٩	١١	١٣ / ١٤
فـاس	٢٢	١٠ / ١٢	٥٦	٧ / ١٢
الدار البيضاء	٤٢	١٣ / ١٧	١٤	١٥
مكنـاس	٣	١٨	١٦	١٦ / ١٧
تارودانت	١٦	١٩ / ٢٠	٦	٢٤
اسـفي	٢	٢١	١١	١٨ / ٢٠
وجـدة	٧	٢٢	١٧	٢٠ / ٢١
القنيطرة	٢	٢٣	١٩	٢٢ / ٢٣

المجموع ١٨١ مخطوطة ١٩٥ وثيقة

(١٠١) لائحة المخطوطات والوثائق المشاركة في الجائزة الخامسة عشرة لسنة ١٩٨٣

مجموع المخطوطات والوثائق المشاركة في هذه الجائزة : ٥١٠ ، تتوزع كالتالي :

المدينة	عدد المخطوطات	صفحات الجزء ١	عدد الوثائق	صفحات الجزء ٢
الرباط	٨٧	١ / ١٠	٣٨	٣٤ / ٤٠
الدار البيضاء	٣٥	١١ / ١٥	٣٧	١ / ١٠
مراكش	٥٣	١٦ / ٢٥	١٤	١١ / ١٣
فاس	٣٢	٢٦ / ٣٠	١٦	١٤ / ١٧
تارودانت	١٢	٣١ / ٣٣		
مكناس	١٩	٣٤ / ٣٦	٣٣	٤١ / ٤٦
تطوان	١٢	٣٧ / ٣٩	٨٨	١٨ / ٣٣
وجدة	٣	٤٠		
اسفي	٧	٤١ / ٤٢	١	٤٧
تازة	٦	٤٣ / ٤٤		
القنيطرة	٣	٤٥	٣	٤٨
اكدير	٨	٤٦ / ٤٧	٣	٤٩

المجموع ٢٧٧ مخطوطة ٢٣٣ وثيقة

حصل على الجائزة الاولى صاحب المخطوطتين :

ـ ريحان القلوب فيما للشيخ عبدالله البرناوي من اسرار الغيوب ، لاحمد عبدالحي الحلبي الشافعي .

ـ اوراق من كتاب مهم في وفيات المتوفين في القرن ١٣ وبداية ١٤ هـ .

اما الجائزة الثانية (وصاحبها من مدينة مراكش) فكانت على المؤلفات التالية :

ـ تحفة المحب في صناعة الطب ، لبدرالدين القوصي .

ـ النشر اللائق لمن اراد الجهاد بالصواعق ، تأليف في المدافع وصناعتها .

ـ شرح همزية البوصيري ، لمحمد بن محمد حجي السلوي .

ـ شرح مقصورة حازم القرطاجني ، للشريف السبتي .

وكانت الجائزة الثالثة من نصيب مدينة الدار البيضاء على الكتابين :

ـ تقييد في العلاجات ، ومختصر من كتاب الطب للشوشاوي .

ـ تقييد من عيون قصائد كتاب التاج المحلي ، لابن الخطيب .

(١٠٢) لائحة المخطوطات والوثائق المشاركة في الجائزة السادسة عشرة لسنة ١٩٨٤

مجموع المخطوطات والوثائق المشاركة في هذه السنة : ٢٩٣ ، تتوزع كالتالي :

المدينة	عدد المخطوطات	صفحات الجزء ١	عدد الوثائق	صفحات الجزء ٢
الرباط	٨٥	١ / ١٢	٤٩	١ / ٧
فاس	٢٠	١٣ / ١٥	٩	١٢ / ١٣
مراكش	٦٤	١٦ / ٢٣	٢٧	٩ / ١١
الدار البيضاء	١٢	٢٤ / ٢٥	٦	٨
مكناس	٦	٢٦	٣	١٤
تارودانت	١٢	٢٧ / ٢٨		

المجموع ١٩٩ مخطوطة ٩٤ وثيقة

فاز بالجائزة الاولى صاحب المخطوطتين :

ـ منتخب الاحكام ، لابي عبدالله محمد بن ابي زمنين المري .

ـ قطعة من تفسير القرآن ، بخط مشرقي من القرن السادس الهجري وصاحبها من مدينة الدار البيضاء .

اما الجائزة الثانية فكان صاحبها من مدينة مراكش ، المتقدم بمخطوطات اهمها :

ـ اتحاف ذوي الذكاء والمعرفة بتكميل ابي الحسن ، وتحليل تعقيد ابن عرفة ، لابن غازي المكناسي المتوفى سنة ٩١٩ هـ .

ـ مجموع بخط احمد بن يحي الونشريسي المتوفي سنة ٩١٤ ، ويضم الكتب التالية :

- اجوبة عبدالله القوري المكناسي
- اختصار مختصر ابن عرفة الفقهي
- مثل الطريقة في ذم الوثيقة ، لابن الخطيب .
- تنبيه الطالب الدارك على توجيه صحة الصلح المنعقد بين ابن صعد والحباك .
- اضاءة الحلك في الرد على من افتى بتضمين الداعي المشترك .
- تقييدات على صحيح مسلم لابن الشاط البجائي .
- وصية لسان الدين بن الخطيب لاولاده .

الكتب المحصلة على الجائزة الثالثة ، (وصاحبها من فاس) :

ـ الكوكب الوقاد في فضل المشايخ وحقائق الاوراد ، للمختار الكنتي .
ـ انسان العين في الحفظ من العين .
ـ كناشة لبعض العلماء ، وفيها تقاييد علمية في الفقه والتصوف والتاريخ .
ـ كتاب في التصوف ، لابي عبدالله الساحلي الانصاري الغافقي .
ـ نظم في اصل الطريقة الشاذلية التي بينها زروق في الاجوبة .
ـ السيف الحاد في الرد على ما اتى به مصطفى بن رمضان من الالحاد ، لمحمد الحنفي .
ـ استكمال القصد في شرح منظومة ابن رشد ، لابي العباس احمد بن محمد الحساني .

(١٠٣) لائحة المخطوطات والوثائق المشاركة في الجائزة السابعة عشرة لسنة ١٩٨٥

شاركت في هذه السنة ٩٢ مخطوطة ووثيقة فقط ، من المدن التالية :

المدينة	عدد المخطوطات	صفحات من الجزء ١	عدد الوثائق	صفحات من الجزء ٢
الرباط	٢١	١ / ٣	١٦	١ / ٢
فاس	٧	٤ / ٥	٤	٣
مراكش	٨	٦ / ٧	٨	٤ / ٥
الدار البيضاء	١٨	٨ / ١١		
تطوان	١٠	١٢ / ١٤		

المجموع ٦٤ مخطوطة ٢٨ وثيقة

الكتب التي تقدم بها الفائزة بالجائزة الاولى (وهو من مراكش) :
ـ اقتحام لجة اللآلي بشرح قصيدة الغزالي ، لمصطفى بن كمال الدين الصديقي
ـ فتح الهادي على بعض الفاظ المرادي (شرح الالفية) لعبدالرحمن بن ادريس الحسني
ـ غاية السرور في شرح الشذور ، للجلدكي
ـ وسيلة النشاة ، شرح على رجزية عبدالواحد الحومني ، لسليمان بن داود التيملي .
ـ الجرعة الصافية والنفحة الكافية ، للمختار الكنتي .
ـ اوراق بالبربرية .
ـ قصيدة في الزحل .

اما الجائزة الثانية فكان صاحبها من مدينة تطوان ، وتقدم بالكتب التالية :
ـ حاشية على تفسير البيضاوي ، لمحمد بن حسن الصادقي الكيلاني .
ـ التنبيه على مبادىء التوجيه ، لابن بشير التنوخي .
ـ الجزءان ١٤ و ١٥ من الاغاني .
ـ النفاسة في شعر الحماسة ، لابن زاكور .
ـ وفي اوله بلغة الامنية ، ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة من معلم واستاذ وطبيب .

اما الكتب الفائزة بالجائزة الثالثة ، وصاحبها من مدينة الرباط ، فهي :
ـ مجموعة اشعار الحاج الطيب عواد .
ـ فتاوي وتقاييد في موضوع الاحتفال بعيد المولد النبوي ، للمحجوي ، وابي بكر الشنتوفي ، ومحمد بن علي الدكالي .
ـ ترجمة اعيان سلا ، بلقاسم بلعربي .
ـ اربع مقامات ، للطيب عواد .

خاتمـة :

وبعد ، فهذه فهارس ولوائح اخرى للمخطوطات المغربية المحفوظة في الخزانات العامة والخاصة ، صدرت بين ١٩٧٨ و١٩٨٦ . وهي على كثرتها ، وتعددها ، لم تعرف الا بجزء ضئيل مما يوجد في المغرب من كنوز علمية دفينة نامل ان تتضافر الجهود ، وتتوفر الوسائل ، للتعريف بها واخراجها حتى تعم فائدتها العلماء والباحثين في كل ارجاء الوطن العربي .

الهوامش

١ - المقدمة ص ٧ .

٢ - المقدمة ص ٦ .

٣ - المقدمة ص ٦ .

٤ - انظر الفهرست السابق الوارد تحت رقم ٨٢ .

٥ - الفهرست الوصفي لمخطوطات الرياضيات ص ٤٢٤ / ٤٢٥ .

٦ - لم نرغب في الدخول في تفاصيل المقدمة خاصة واننا اشرنا الى بعض هذه المعلومات في مقدمات الفهارس السابقة الذكر . انظر مقالة للاستاذ المنوني : الخزانات الملكية بالمغرب ، الاعلامي ، عدد ٢ - السنة ١ الصادرة في الرباط سنة ١٩٨٢ ص ١٢٢ - ١٤٣ .

٧ - قضى زهاء اربعين سنة في الخزانة العامة ، والخزانة الحسنية ، ووضع اغلب فهارس الخزانات العمومية ، وخزانات الزوايا بالمغرب . انظر عن مؤلفاته : آخر دليل دار الكتب الناصرية بتمكروت .

٧ م - ص ١٠٣ من الفهرس المذكور .

٨ - الكناش في المصطلح المغربي معناه الكتاب او السجل الذي يتناول الموضوعات الخاصة او التقاييد الحكومية ، ويشتمل على موضوعات متعددة .

٩ - مقدمة فهرست خزانة القرويين ص ٣٤ . يقصد بالاجزاء الاربعة الاصل المخطوط للفهرست ، اذ لم يطبع منها الى حد الآن سوى سفرين .

١٠ - مقدمة فهرست خزانة القرويين ص ٣٤ .

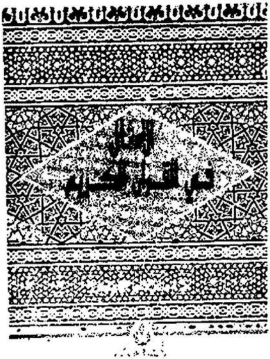
١١ - انظر القسم الاول من هذه المقالة في مجلة المورد ، العدد ٢ ، المجلد ١٥ ، صيف ١٩٨٦ ص ١٤٣ / ١٦٢ .

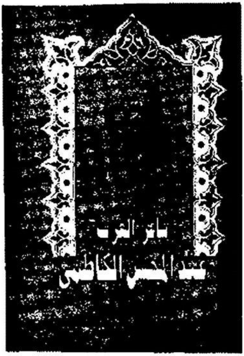
١٢ - الرحلة الناصرية ص ٢٨ .

١٣ - ماء الموائد ٢ / ٤٢١ .

* * *

صدر عن دار الشؤون الثقافية





من الخزائن الخطية الخاصة

في قسم المخطوطات بدائرة الآثار والتراث

مخطوطات عباس العزاوي

القسم الرابع

اللغة العربية وعلومها

اعداد

اسامة ناصر النقشبندي

باسمة محمد علي الجبوري

دائرة الآثار والتراث

٢٦٥أ ـ نسخة اخرى

من كتاب كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ لابن الاجدابي

كتبها ابراهيم بن عبدالغني البغدادي سنة ١٣٣٠ هـ / ١٩١١ م

الرقم ٩١٠٦ / ١ القياس ٢٣ ص

٢١ × ١٥ سم ١٨

٢٦٦ ـ اللمحة في شرح الملحة

لمحمد بن حسن بن سباغ الجذامي المعروف بابن الصائغ المتوفى سنة ٧٢٠ هـ / ١٢٤٧ م

وهو شرح على ملحة الاعراب في النحو لابي محمد القاسم بن علي الحريري المتوفى سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م

رتبه الشارح على ترتيب الاصل

نسخة نفيسة كتبت سنة ٨٥٨ هـ / ١٤٥٤ م تملكها بالشراء عبدالقادر بن محمد النعيمي القادري الميداني سنة ٨٦٦ هـ / ١٤٦١ م

الرقم ٩٥٠٤

القياس ٢٣٢ ص ١٨ × ١٣ سم ١٥ س

الاعلام ٦ / ٨٧ كشف ٢ / ١٨١٨

٢٦٧ ـ ما يؤنث ويذكر

لمحمد بن عبدالبر بن الشحنة الحنفي الحلبي*

الاول (قال العلامة محمد بن عبدالبر بن الشحنة الحنفي الحلبي في شرحه على ديباجة الهداية الفقهية . .)

نسخة جيدة كتبها عبدالرزاق فليح البغدادي سنة ١٣٥٩ هـ // ١٩٤٠ م

الرقم ١٢٦٠٥ / ١

القياس ٦٦ ص ٢٤ × ١٦,٥ سم ١٨ س

٢٦٨ ـ مبادىء اللغة

لابي عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب الاسكافي المتوفى سنة ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م

الاول (الله اولى وذكره افضل وهو الذي تحق له العبادة . .)

وهو كتاب في اللغة استخلص المؤلف مادته من العين للخليل ونوادر ابن الاعرابي ومصنف ابي زيد وجمهرة ابن دريد وغيرها .

رتبها المؤلف على ابواب شتى : السماء والكواكب ، اسماء البروج ، الازمنة ، الحر والبرد ، الرياح ، الرعد والبرق ، المسكن ، الاثاث والطعام ، الشراب . . الخ .

نسخة جيدة كتبها حسن بن محمد الموصلي سنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م في اولها فهرس عليها بعض الحواشي والشروح .

الرقم ٩٢٠٦ / ١

القياس ١٥٩ ص ٢٤ × ١٨,٥ سم ١٥ س

كشف ٢ / ١٥٧٩ معجم ٤٣٧ معجم المؤلفين ١٠ / ٢١١

بروكلمان ١٧ / ٤٩١ حققه د. محمد حسين شاه ضمن متطلبات دراسة الدكتوراه في جامعة بغداد ١٩٨٢ .

٢٦٩ ـ مجمع البحرين ومطلع النيرين

لفخرالدين بن محمد بن علي بن طريح النجفي الطريحي المتوفى سنة ١٠٨٥ هـ / ١٦٧٤ م

الاول (الحمد لمن خلق الانسان وعلمه البيان واوضح له الهدي والايمان والصلاة على من خص بالفرقان . .)

وهو معجم في اللغة قدم فيه المؤلف الكلمات الواردة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف على غيرهما ورتبه على حروف المعجم وجعل كل حرف كتاباً .

نسخة نفيسة كتبها علي محسن بن محمد مؤمن الماهاني الكرماني سنة ١١٢٢ هـ / ١٧٧١ م في آخرها ابيات لولد المؤلف عن معجم والده . عليه حواش وشروح تتضمن هذه النسخة المجلد الأول .

الرقم ٩٣٢١

القياس ٨٤٥ ص ٢٧,٥ × ١٨,٥ سم ٢٠ س

معجم المؤلفين ٨ / ٥٥ دار الكتب ٢ / ٣٤ اللغوية ١٠١ طبع ذخائر التراث ٢ / ٦٦٣

٢٧٠ ـ نسخة اخرى

تتضمن المجلد الثاني عليها حواش وشروح

الرقم ٩٢٩٤

القياس ٧٨٠ ص ٢٧,٥ × ١٩ سم ٢٠ س

٢٧١ ـ نسخة اخرى

تتضمن المجلد الاول كتبها محمد علي بن محمد حسين الرائي سنة ١٢٤٧ هـ / ١٨٣١ م عليها مقابلة

الرقم ٩٣٨٥

القياس ٩٦٦ ص ٣٠ × ٢٠,٥ سم ٢٥ س

٢٧٢ ـ نسخة اخرى

كتبت بخط النسخ سنة ١١٦٢ هـ / ١٧٤٨ م عليها مقابلة

الرقم ١١٥٩٠

القياس ٦٨٥ ص ٣٠ × ٢٠ سم ٣١ س

٢٧٣ ـ مجيب الندا الى شرح قطر الندا وبل الصدا

لجمال الدين عبدالله بن احمد بن علي الفاكهي المتوفى سنة ٩٧٢ هـ / ١٥٦٥ م

الاول (الحمد لله الرافع من انخفض لعزه وسلطانه المفيض على من نحاه وقصده . .)

وهو شرح على قطر الندا وبل الصدا لابن هشام الانصاري نسخة جيدة كتبت عن نسخة المؤلف سنة ١٢١٧ هـ / ١٨٠٢ م

دفتا الغلاف مزوقتان

الرقم ١١٤٤٤

القياس ٣١٢ ص ٢١,٥ × ١٦,٥ سم ١٧ س

معجم المؤلفين ٦ / ٢٨ كشف ٢ / ١٣٥٢ معجم ١٤٣٣ طبع

٢٧٤ ـ نسخة اخرى

حديثة الخط عليها مقابلة

الرقم ١٠١٦٠

القياس ٣٩٤ ص ٢٠ × ١٣ سم ١٥ س

٢٧٥ ـ مختصر التصريف

لملا علي بن حامد الاشنوي الشيخاني

الاول (الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله اجمعين اما بعد فيقول الفقير الى الله الغني علي بن . .)

قال المؤلف انه وضع هذا الكتاب بعد ان رأى تصريف العزي للزنجاني والذي اعتبره احسن المختصرات في هذا الفن .

سمي هذا المختصر في بعض الفهارس بتصريف ملا علي ، وتتميم تصريف الزنجاني ، وشرح تصريف العزي .

نسخة جيدة عليها حواش وشروح

الرقم ٨٩٣١

القياس ٢٥٤ هـ ٢٢ × ١٦,٥ سم ٧ س

اللغوية ٤٠ مخطوطات اوقاف الموصل ٨ / ١٥٧ مخطوطات اوقاف السليمانية ٢ / ٢٣٩

٢٧٦ ـ نسخة اخرى

كتبها احمد البلاولي سنة ١٣٢٧ هـ / ١٨٠٩ م

الرقم ١١٣٠٩

القياس ٩٠ ص ٢٢ × ١٦ سم ١١ س

٢٧٧ ـ نسخة اخرى

كتبها صالح بن عمر الكرواني في اربيل سنة ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤ م

الرقم ١١٨٨١

القياس ٧٢ ص ٢٠,٥ × ١٦ سم ١١ س

٢٧٨ ـ نسخة اخرى

كتبها محمد نوري بخط النسخ وبالمدادين الاسود والاحمر

الرقم ٨٩٣١

القياس ١٣٤ ص ٢١,٥ × ١٦ سم ٧ س

٢٧٩ ـ نسخة اخرى

جيدة الخط ناقصة الآخر

الرقم ٨٩٢٩

القياس ٤٨ ص ٢١,٥ × ١٦ سم ١١ س

٢٨٠ ـ مختار الصحاح

لمحمد بن ابي بكر بن عبدالقادر الرازي من رجال القرن الثامن الهجري القرن الرابع عشر الميلادي .

الاول (الحمد لله بجميع النعم والصلاة والسلام على خير خلقه محمد المبعوث الى خير الامم وعلى آله وصحبه مفاتيح الحكم . .)

وهو مختصر على كتاب الصحاح للجوهري

نسخة جيدة كتبها بخط النسخ محمود بن حمدالله سنة ٩٥٥ هـ / ١٥٤٨ م عليها مقابلة مذهبة الاول مؤطرة الصفحات بمداد ذهبي تملكها عبدالرزاق بن اسماعيل سنة ١٢٤٤ هـ / ١٨٢٨ م

الرقم ٩٩٨٦

القياس ٤٧٢ ص ١٧,٥ × ١٢,٥ سم ٢١ ص

٢٨١ ـ نسخة اخرى

كتبت بخط التعليق ترقى للقرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي تملكها محمد سعيد مفتي بغداد وعبدالغني جميل مفتي بغداد الاسبق سنة ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م

الرقم ١١٤٩٦

القياس ٤٦٠ ص ٢٦,٥ × ١٧ سم ٢٥ س

٢٨٢ ـ نسخة اخرى

كتبها محمد بن صالح سنة ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩ م

الرقم ٩٩١٢

القياس ٧٩٤ ص ٣٠,٥ × ١٩ سم ٢٥ س

٢٨٣ ـ نسخة اخرى

كتبت سنة ١٣١٠ هـ / ١٨٩٢ م

الرقم ٩٩٨٤

القياس ٥٨٦ ص ٢١,٥ × ١٦,٥ سم ١٩ س

٢٨٤ ـ مختصر تلخيص المفتاح للقزويني

لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م

الاول (نحمدك يا من شرح صدورنا لتلخيص البيان في ايضاح المعاني ونور قلوبنا بلوامع . .)

وهو الشرح الثاني من ثلاثة شروح للمؤلف على تلخيص المفتاح للقزويني في المعاني والبيان

نسخة جيدة كتبها بخط التعليق شمس الدين طهراني سنة ١٠٦٨ هـ / ١٦٥٧ م

الرقم ٩٢٤٧

القياس ٣٤٦ ص ٢٠ × ١٢,٥ سم ١٧ س

اللغوية ١٢٨ كشف ١ / ٤٧٤ معجم ٦٣٨ ذخائر التراث ١ / ٤١٣ طبع اكثر من مرة

٢٨٥ ـ مختصر في علم العروض والقوافي

لم يعلم اسم المؤلف

الاول (الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله . .)

رتبه المؤلف في ثلاثة ابواب وكل باب يقع في اربعة فصول نسخة جيدة كتبها الحسين بن عبدالله سنة ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م

الرقم ١٢٦٥١

القياس ١٩ ص ١٤,٥ × ١٠,٥ سم ٤ س

٢٨٦ ـ المدخل في اللغة

لابي عمر محمد بن عبدالواحد بن ابي هاشم المعروف بغلام ثعلب المتوفى سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٧ م

الاول (اخبرني الشيخ المهذب ابو الحسن علي بن

عبدالرحيم . . قال اخبرنا ابو العباس احمد بن سيار ثعلب الشيباني قال اخبرنا ابو عبدالله محمد بن زياد الاعرابي قال : الظليل : الحضير والحصير الحيس ، والحبس . الجبل الاسود . .)

نسخة جيدة كتبت سنة ١٢٧٩ هـ / ١٨٦٢ م

الرقم ٩٢٢١ / ٤

القياس ٢٢ ص ٢٠ × ١١,٥ سم ١٩ س

الاعلام ٦ / ٢٥٤ هدية العارفين ٢ / ٤٢ ذخائر التراث ١ / ٣٠٩ طبع بتحقيق محمد عبدالجواد في القاهرة سنة ١٩٥٦ م .

٢٨٧ ـ المرصع في اللغة

لابي السعادات محب الدين المبارك بن محمد الشيباني المعروف بابن الاثير المتوفى سنة ٦٠٦ هـ / ١٢١٠ م .

الاول (الحمد لله المنزه عن الاباء والامهات المقدس عن البنين والبنات . .)

نسخة نفيسة كتبها بخط النسخ والعناوين بخط الثلث طعمة بن عبدالوهاب سنة ١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ م

الرقم ٩٠٨٠

القياس ١٣٩ ص ٢٠,٥ × ١٣,٥ سم ٢٥ س

كشف ٢ / ١٦٥٦ معجم ٣٤ ـ ٣٥ معجم المؤلفين ٨ / ١٧٤ اللغوية ١٠٦ طبع بتحقيق د. ابراهيم السامرائي ببغداد سنة ١٩٧١ م ذخائر التراث ١ / ٣٩ .

٢٨٨ ـ المرقاة من اللغات

وهو معجم لغوي عربي تركي استخرج كلماته مؤلفه من القواميس والمعاجم العربية ورتبه على حروف الهجاء وجعل كل حرف في باب

نسخة جيدة ترقى للقرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي

الرقم ١١١٤٣

القياس ٤٢٠ ص ١٨ × ١٠ سم ١٠ س

٢٨٩ ـ المصباح

لابي الفتح ناصر الدين بن عبدالسيد بن ابي المكارم المطرزي المتوفى سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م

الاول (اما بعد حمداً لله ذي الأنعام جاعل النحو في الكلام كالملح في الطعام . .)

وهو مختصر في النحو رتبه المؤلف في خمسة ابواب .

نسخة جيدة ترقى للقرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي تملكها عبدالرحمن بن علي القادري سنة ١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ م

الرقم ١١٦٨٧

القياس ١٠٧ ص ١٩,٥ × ١٢,٥ سم ٧ س

طبع معجم ١٧٦ ، الأزهرية ٤ / ٣٠٧ اللغوية ٦٩

٢٩٠ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير

لاحمد بن محمد بن علي المقريء الفيومي الحموي المتوفى بعد سنة ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م

الاول (الحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيدنا محمد اشرف المسلمين . . وبعد فاني كنت جمعت كتاباً في غريب شرح الوجيز . .)

وهو شرح على كتاب فتح العزيز للرافعي المتوفى سنة ٧٣٤ هـ / ١٣٣٣ م الواقع على الوجيز للغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ / ١١١١م . جمع فيه المؤلف غريب شرح الوجيز واضاف اليه زيادات من لغة غيره ومن الالفاظ المشتبهات وقسم كل حرف منه باعتبار اللفظ الى مكسور الاول ومضمومه ومفتوحه والى افعال بحسب اوزانها .

وفرغ منه سنة ٧٣٤ هـ / ١٣٣٣ م

نسخة جيدة كتبها الحسن بن علي سنة ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٨ م عليها مقابلة

الرقم ١٠٩٨٦

القياس ٤٦٦ ص ٢١,٥ × ١٥ سم ٢٣ س

معجم المؤلفين ٢ / ١٣٢ كشف ٢ / ١٧١٠ طبع اكثر من مرة معجم ١٤٧٦

٢٩١ ـ المطالع السعيدة في شرح الفريدة

كلاهما لجلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م

الاول (حمداً لله على نعمه المزيدة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي تولى نصره وتأييده . .)

نسخة جيدة كتبها عبدالوهاب بن يحيى سنة ١١٨٢ هـ / ١٧٦٨ م

الرقم ١١٤٠٩

القياس ٢٧٤ ص ٢٢ × ١٦ سم ٢٣ س

طبعت ذخائر التراث ١ / ٦٠٣

٢٩٢ ـ المطلوب في شرح المقصود
لم يعلم المؤلف
الاول (الحمد لله المتعالي عن الاخبار . .)
وهو شرح على كتاب المقصود في التصريف المنسوب للامام ابو حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م
نسخة جيدة ترقى للقرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي
الرقم ٩٢٥٣
القياس ١٦٢ ص ٢١,٥ × ١٥,٥ سم ١٩ س
كشف ٢ / ١٨٠٧ فهرس أوقاف بغداد ٣ / ٣٨٤

٢٩٣ ـ المطول
لسعدالدين مسعود بن عمر التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م
الاول (الحمد لله الذي الهمنا حقائق المعاني ودقائق البيان وخصصنا ببدائع الايادي . .)
وهو شرح على تلخيص المفتاح للقزويني فرغ منه المؤلف سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م
نسخة جيدة كتبت بخط التعليق سنة ٨٩٢ هـ / ١٤٨٦ م
الرقم ١١٤٢٥
القياس ٣٣٥ ص ٢٦ × ١٧,٥ سم ٢٧ س
طبع اكثر من مرة معجم ٦٣٨ كشف ١ / ٤٧٤

٢٩٤ ـ نسخة اخرى
كتبت بخط التعليق سنة ١٠٨٠ هـ / ١٦٦٩ م
الرقم ١١٣٩٢
القياس ٥٢٠ ص ٢٧ × ١٧ سم ١٨ س

٢٩٥ ـ نسخة اخرى
كتبها رجب بن علي بن محمد امير القزويني سنة ١٠٧٧ هـ / ١٦٦٦ م
الرقم ١٠٣٠١
القياس ٣٩٦ ص ٢٥ × ١٣,٥ سم ٢٧ س

٢٩٦ ـ نسخة اخرى
ترقى للقرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي
الرقم ١٠٣١٧
القياس ٥٤٢ ص ٢٤ × ١٤,٥ سم ٢١ س

٢٩٧ ـ نسخة اخرى
الرقم ١٠٠٢٤
القياس ٣٥٨ ص ٢٧ × ١٧ سم ٢٤ س

٢٩٨ ـ معاني حروف الهجاء عند العرب
للخليل بن احمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري المتوفى سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م
الاول (قال الشيخ الامام الخليل بن احمد . . انه قد جمعت الحروف كلها مع معانيها التي وردت عن العرب . .)
رتبها المؤلف على حروف الهجاء وقد ذكرت في بعض المصادر بعنوان (رسالة في الحروف)
الرقم ١٢٦٦١ / ١
القياس ٧ ص ٢١,٥ × ١٧,٥ سم ١٩ س
معجم المؤلفين ٤ / ١١٢ فهرس اوقات بغداد ٣ / ٢٣٢ . نشر هذه الرسالة محسن الامين العاملي سنة ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م ثم نشرها د. رمضان عبدالتواب في القاهرة سنة ١٩٦٩ م

٢٩٩ ـ المغرب في ترتيب المعرب
لابي الفتح ناصر الدين بن عبدالسيد المطرزي المتوفى سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م
الاول (احمده على ان خول جزيل الطول . وسدد للاصابة في الفعل والقول . . وبعد فهذا ما سبق به الوعد من تهذيب مصنفي المترجم بالمعرب وتنميقه وترتيبه على حروف المعجم . .)
نسخة نفيسة ترقى للقرن السابع الهجري القرن الثالث عشر الميلادي عليها مقابلة على نسخة المؤلف
الرقم ٩١٩٦
القياس ٤٤٠ ص ٢٨ × ١٨ سم ٢١ س
اللغوية ١٠٧ كشف ٢ / ١٧٤٧ معجم ١٧٦١

٣٠٠ ـ نسخة اخرى
ترقى للقرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي مزوقة الأول
الرقم ١١٠٥٩
القياس ٢٤٤ ص ٢٦,٥ × ١٩ سم ٢٧ س

٣٠١ ـ نسخة اخرى
كتبها يعقوب بن محمد سنة ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٢ م دفتا
الغلاف مزوقتان
الرقم ٩٩٨٩
القياس ٦٠٨ ص ٢٠,٥ × ١٤ سم ١٧ س
٣٠٢ ـ مغني اللبيب عن كتب الاعاريب
لجمال الدين عبدالله بن يوسف بن هشام الانصاري
المتوفى سنة ٧٦١ هـ / ١٣٦٠ م
الاول (اما بعد حمداً لله على افضاله والصلاة والسلام
على سيدنا محمد وآله . .)
وهو كتاب في النحو رتبه المؤلف على ثمانية ابواب
نسخة جيدة كتبها فخرالدين بن فضل الله سنة
١٠٨١ هـ / ١٦٧٠ م
الرقم ١٠٨٧٨
القياس ٤٨٤ ص ٢٥,٥ × ١٩ سم ١٩ س
معجم المؤلفين ٦ / ١٦٣ كشف ٢ / ١٧٥٢ معجم
٢٧٦ طبع
٣٠٣ ـ نسخة اخرى
كتبها محمد مغيث بن اسعد دماوندي سنة ١٠٨٨ هـ
/ ١٦٧٧ م تملكها محمد مكي سنة ١١٢١ هـ /
١٧٠٩ م
الرقم ١١٠٣٩
القياس ٥٣١ ص ٢٥ × ١٦ سم ٢١ س
٣٠٤ ـ نسخة اخرى
كتبها طيب بن علي اصغر الحسني سنة ١٠٩٧ هـ /
١٦٨٥ م
الرقم ١٠٦١٠
القياس ٢٤٦ ص ٢٤,٥ × ١٣ سم ٢٤ س
٣٠٥ ـ نسخة اخرى
كتبها الله ويردي بن سلطان حسين سنة ١١٢٥ هـ /
١٧١٣ م
الرقم ٩٣١٨
القياس ٣٨٩ ص ٢٤ × ١٤ سم ٢١ س
٣٠٦ ـ نسخة اخرى
كتبها محمد امين العمري الموصلي سنة ١٢٥٨ هـ /
١٨٤٢ م
الرقم ٩٩٩٨
القياس ٥٠٦ ص ٢٩,٥ × ١٧,٥ سم ٢٣ س
٣٠٧ ـ المفصل
لجارالله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى
سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م
الاول (الله احمد على ان جعلني من علماء
العربية . .)
وهو كتاب في النحو رتبه المؤلف في اربعة اقسام : في
الاسماء في الافعال في الحروف في المشترك من احوالها .
نسخة نفيسة كتبها عبدالله بن حسن بن ابراهيم
كرەزري سنة ١٠٦٤ هـ / ١٦٥٣ م
الرقم ٩٦٣٧
القياس ٤٠٦ ص ٣٦,٥ × ١٨ سم ١٧ س
كشف ٢ / ١٧٧٤ معجم ٩٧٥ طبع اكثر من مرة
٣٠٨ ـ المقاصد الرضية من شرح شواهد البهجة المرضية
لاحمد بن كاظم بن قاسم الرشتي الحائري المتوفى سنة
١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م
الاول (الحمد لله الذي رفع قدر السالكين لخفضهم
الكامل ونصبهم اعلاماً للدين لكسر شوكة الباطل . .)
وهو شرح على البهجة المرضية في شرح الألفية
للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م
نسخة نفيسة مزوقة الاول ومذهبة مؤطرة الصفحات
تملكها عبدالرحمن بن علي القادري دفتا الغلاف مزوقتان
ناقصة الآخر
الرقم ١٠٣٠٠
القياس ١٠٤٨ ص ١٤,٥ × ٩,٥ سم ١٤ س
الذريعة ٢١ / ٣٨٠
٣٠٩ ـ المقامة الاسيوطية في الاحاجي النحوية
لجلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى
سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م
الاول (الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين
اصطفى وبعد فهذه مقامة سميتها المقامة
الاسيوطية . .)
نسخة جيدة كتبها جميل العظم سنة ١٣٤٢ هـ /

١٩٢٣ م
الرقم ٩٠٢٤ / ٣
القياس ٥ ص   ٣٠,٥ × ٢١ سم   ٢٤ س
معجم المؤلفين ٥ / ١٢٨
٣١٠ ـ نسخة اخرى
تقع ضمن مجموع جيدة الخط
الرقم ٩٢٢٣ / ٤
القياس ٧ ص   ١٥ × ١٠ سم   ١٩ س
٣١١ ـ مقاييس اللغة
لابي الحسن احمد بن فارس بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م
نسخة جيدة كتبها خليفة بن يوسف النجفي سنة ١١١٧ هـ / ١٧٠٥ م
الرقم ١١٠٢٦
القياس ٧٦٠ ص   ٣١ × ١٩ سم   ٢٧ س
معجم المؤلفين ٢ / ٤٠ اللغوية ١٠٨ طبع اكثر من مرة آخرها بتحقيق عبدالسلام هارون . ذخائر التراث ١ / ٢٠٠
٣١٢ ـ نسخة اخرى
كتبها ابراهيم الدروبي سنة ١٢٦٦ هـ / ١٨٤٩ م عن نسخة كتبت سنة ١١١٧ هـ تتضمن المجلد الاول
الرقم ٩٩٥٣
القياس ٤٦٩ ص   ٢٩ × ٢٠,٥ سم   ٢٨ س
٣١٣ ـ نسخة اخرى
تكمل النسخة السابقة وتتضمن المجلد الثاني
الرقم ١٢٦٣٨
القياس ٤٣٩ ص   ٢٩ × ٢٠,٥ سم   ٢٨ س
٣١٤ ـ نسخة اخرى
تكمل النسخة السابقة وتتضمن المجلد الثالث
الرقم ١٢٦٤٣
القياس ٣٦٠ ص   ٢٩ × ٢٠,٥ سم   ٢٨ س
٣١٥ ـ المقدمة الاجرومية
لابي عبدالله محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن آجروم المتوفى سنة ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م
الاول (الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع واقسامه ثلاثة اسم وفعل وحرف . .)
كتبت سنة ١٢٧٣ هـ / ١٨٥٦ م
الرقم ١١٣٠٢ / ١
القياس ٩ ص   ٢١ × ١٦ سم   ٢٠ س
معجم طبع ٢٥ ـ ٢٦
٣١٦ ـ مقصود في علم الصرف
منسوب للامام ابي حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م
الاول (الحمد لله الوهاب للمؤمنين سبيل الصواب والصلاة والسلام على نبيه محمد الزاجر عن الاذناب . .)
رتب المؤلف في هذه المقدمة الأفعال على ضربين : اصلي وذو زيادة ، ثم قسم كل نوع منها على عدة ابواب .
نسخة جيدة كتبها عبدالله بن احمد في كركوك سنة ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٥ م
الرقم ١٠٢١٢ / ٢
القياس ٢٨ ص   ٢٢ × ١٦ سم   ١٣ س
كشف ٢ / ١٨٠٦ بروكلمان ٢ / ٢٣٥ طبع اكثر من
معجم ٣٠٤
٣١٧ ـ ملحة الاعراب
لابي محمد القاسم بن علي الحريري البصري المتوفى سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م
الاول (اقول من بعد افتتاح القول
بحمد ذي الطول الشديد الحول)
وهي منظومة في النحو وضعت عليها شروح كثيرة .
كتبت سنة ١٢٩٧ هـ / ١٨٧٩ م
الرقم ٩٠٠٥ / ٢
القياس ٢٦ ص   ٢٠ × ١٤ سم   ١٧ س
معجم المؤلفين ٨ / ١٨٠ كشف ٢ / ١٨١٧ معجم ٧٥٠ طبعت
٣١٨ ـ المناهج الكافية في شرح الشافية
لابي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري المتوفى سنة ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م
الاول (الحمد لله الذي تفضل وتكرم والسلام على رسوله . .)

نسخة جيدة كتبت سنة ١٢٠٦ هـ / ١٧٩١ م
الرقم ١١٣٠٧
القياس ٢٦٧ ص ٢٣ × ١٧ سم ١٩ س
معجم المؤلفين ٤ / ١٨٢ كشف ٢ / ١٠٢١

٣١٩ ـ منتخب في علم العروض
لم يعلم اسم المؤلف
الاول (الحمد لوليه والصلاة على نبيه محمد وآله . . اما بعد فان البحور المعتبرة المتداولة بين البلغاء . .)
وهو مختصر لعروض اندلسي لابن ابي الجيش الانصاري المتوفى سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م (معجم المؤلفين ٩ / ١٧٦)
كتبت سنة ١٠٩٠ هـ / ١٦٧٩ م
الرقم ١٠٢٧٨ / ٤
القياس ٢٥ ص ٢٠,٥ × ١٤,٥ سم ٢٣ س

٣٢٠ ـ المنظومة السنية في بيان الاسماء اللغوية
للشيخ برهان الدين الازهري
تقع هذه المنظومة في خمس وثلاثين بيتاً من الشعر
كتبت سنة ١٠٩٤ هـ / ١٦٨٢ م
الرقم ١١٣٢٩ / ٣
القياس ٣ ص ١٩,٥ × ١٤ سم ١٨ س

٣٢١ ـ منظومة في الاستعارة
لمنصور الطبلاوي سبط ناصر الدين محمد بن سالم المتوفى سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٦ م
الاول (الحمد لله على التوفيق لكامل البيان والتحقيق)
كتبت في الجامع الأموي سنة ١١٢١ هـ / ١٧٠٩ م
الرقم ١٠٣٠٤ / ٤
القياس ٣ ص ٢١,٥ × ١٥,٥ سم ٢١ س
معجم المؤلفين ١٣ / ١٥

٣٢٢ ـ منظومة في بحور الشعر
لعبدالعزيز بن سرايا بن علي الحلي المتوفى سنة ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م
الاول (. . . هذا ما قيدت به بحور العروض الستة عشر . . .)
في اخرها فوائد في العروض . نسخة جيدة تقع ضمن مجموع كتبت سنة ١٠٣٠ هـ / ١٦٢٠ م .
الرقم ٩١٦٨ / ١٤
القياس ٦ ص ٢١ × ١٥ سم ١٨ س
الاعلام ٤ / ١٧ ـ ١٨

٣٢٣ ـ منظومة في الخط
لصالح بن احمد بن يحيى السعدي الموصلي المتوفى سنة ١٢٤٥ هـ / ١٨٢٩ م
الاول (حمداً لمن اولى جليل النعم وعلم الانسان ما لم يعلم)
كتبها علي علاء الدين الالوسي سنة ١٢٩٨ هـ / ١٨٨٠ م
الرقم ١١١٧٤ / ٧
القياس ٨ ص ٢٠,٥ × ١٢,٥ سم ١٣ س
معجم المؤلفين ٥ / ١٥ تأريخ الادب العربي في العراق ٢ / ١٣٧

٣٢٤ ـ المنظومة البيانية المحبية
لابي الوليد محب الدين محمد بن محمد بن غازي المعروف بابن الشحنة المتوفى سنة ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م
الاول (الحمد لله وصلى الله
على رسوله الذي اصفاه
محمد وآله وسلما
وبعد قد احببت ان قد انظما)
الرقم ١٠٨٨٧ / ٢
القياس ٥ ص ١٩,٥ × ١٢ سم ٢٥ س
معجم المؤلفين ١١ / ٢٩٥ معجم ١٣٦ طبعت اكثر من مرة .

٣٢٥ ـ منية الطالب وغنية الراغب
لم يعلم اسم المؤلف
الاول (الحمد لمن ليس لنا سواه والصلاة والسلام على رسوله . .)
كتبها علي علاء الدين الالوسي سنة ١٢٩٧ هـ / ١٨٧٩ م
الرقم ١١١٧٤ / ١٣
القياس ٨ ص ٢٠,٥ × ١٢ سم ١٧ س

٣٢٦ ـ مواهب الاديب في شرح مغني اللبيب
لمحمد بن احمد الأزنيقي المتوفى سنة ١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م
نسخة جيلة حديثة الخط تتضمن مجلد من الشرح .
الرقم ٨٩٨٣
القياس ٢٦٦ ص ٢١,٥ × ١٥,٥ سم ٢٣ س
معجم المؤلفين ٨ / ٢٣٠ كشف ٢ / ١٧٥٣ هدية العارفين ٢ / ٢٦٨

٣٢٧ ـ موصل الصلاب الى قواعد الاعراب
لخالد بن عبدالله الجرجاوي الازهري المتوفى سنة ٩٠٥ هـ / ١٤٩٩ م
الاول (الحمد لله الملهم لحمده والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله وعبده . .)
وهو شرح على كتاب الاعراب عن قواعد الاعراب لابن هشام الانصاري المتوفى سنة ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م . فرغ منه المؤلف سنة ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م
نسخة جيدة كتبها اسماعيل بن خليل الحديثي سنة ١٠٩٤ هـ / ١٦٨٢ م في اخرها ابيات في الاعراب
الرقم ١١٣٢٩ / ١
القياس ٨٤ ص ٢٠ × ١٤ سم ٢١ س
معجم المؤلفين ٤ / ٩٦ كشف ١ / ١٢٤ اللغوية ٧٥ طبع معجم ٨١٢

٣٢٨ ـ نسخة أخرى
ترقى للقرن الحادي عشر الهجري السبع عشر الميلادي
الرقم ٩٠٣٦ / ٢
القياس ١٤٦ ص ٢١ × ١٥ سم ١١ س

٣٢٩ ـ نسخة اخرى
كتبت سنة ١٢٤٥ هـ / ١٨٢٩ م
الرقم ١٠٠٢٣
القياس ٨٧ ص ٢١ × ١٥ سم ٢١ س

٣٣٠ ـ نسخة اخرى
كتبها محمد بن عبدالرحيم سنة ١٢٤٠ هـ / ١٨٢٤ م
الرقم ١١٩٣٥
القياس ٢٥٦ ص ١٥ × ١٠ سم ٩ س

٣٣١ ـ نسخة اخرى
كتبها محمد شاكر بن عبدالقادر القادري سنة ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م
الرقم ١٠٦٠٨
القياس ٨٤ ص ٢٠,٥ × ١٣ سم ٢١ س

٣٣٢ ـ نسخة اخرى
كتبت بخط النسخ عليها بعض الحواشي
الرقم ١١٣١٧ / ٣
القياس ٨٢ ص ٢١,٥ × ١٥,٥ سم ١٦ س

٣٣٣ ـ نبذة مما يثلث اوله او اوسطه او آخره
لمحمد بن عبدالبر بن الشحنة الحنفي الحلبي
الاول (هذه نبذة مما يثلث . . لخصته عجلاً وان يسر الله تمام هذا الشرح . .)
كتبها عبدالرزاق فليح البغدادي سنة ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م
الرقم ١٢٦٠٥ / ٢
القياس ٢٣ ص ٢٤ × ١٦,٥ سم ١٨ س
حققه د. حاتم صالح الضامن

٣٣٤ ـ نخبة الميزان
لعلي اكبر بن محمد جعفر المتطبب اليزدي الذي كان حياً سنة ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م
الاول (الحمد لله الذي جعل وضع اللغات . .)
وهو كتاب يتناول ضبط الافعال في المصادر الثلاثية ومعانيها لازماً ومتعدياً رتبت على حروف الهجاء . . وتسمى هذه الرسالة نخبة اللغات . فرغ منها المؤلف سنة ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ م
كتبها غلام حسين بن صادق نجف آبادي سنة ١٣١٠ هـ / ١٨٩٢ م
الرقم ٩٥٠٣
القياس ١٧٢ ص ١٢ × ٩ سم ١١ س
طبعت على الحجر الذريعة ٢٤ / ٩٩ ـ ١٠٠

٣٣٥ ـ نظم الجواهر
لابي العباس احمد بن عبدالله اللغوي البغدادي
الاول (الحمد لله رب العالمين حمداً يكافيء متظاهر احسانه ، وصلى الله على المصطفى . . وبعد فاني قرأت

عدة كتب مصنفة في الالفاظ الكتابية فوجدتها غير مستقصية في معانيها . .)

نسخة جيدة كتبها جميل بن مصطفى المعظم عن نسخة كتبت سنة ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م

الرقم ٩٠٢٤ / ١٤

القياس ٣٣ ص ٣١ × ٢١ سم ٢٢ س

٣٣٦ ـ نظم السمرقندية

لمحمد بن مصطفى بن معروف النودهي البرزنجي المتوفى سنة ١٢٥٤ هـ / ١٨٣٨ م

الاول

(قال فقير جود واسع الندا
محمد بن مصطفى بن احمدا
الحمد لله على ما انعما
وعلم الانسان ما لم تعلما)

وهو نظم لرسالة الاستعارات للسمرقندي

كتبها عبدالله الفرهادي سنة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م

الرقم ١١٩٦١ / ١

القياس ١٦ ص ٢٢ × ١٧,٥ سم ١٠ س

الاعلام ٧ / ٣٢٦

٣٣٧ ـ نظم العوامل

لمحمد بن مصطفى بن معروف النودهي البرزنجي المتوفى سنة ١٢٥٤ هـ / ١٨٣٨ م

الاول (يقول راجي عفو واسع الندا محمد بن مصطفى ابن احمدا)

وهو نظم على العوامل المائة في النحو للجرجاني

كتبها عبدالله الفرهادي سنة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م

الرقم ١١٩٦١ / ٢

القياس ٢٥ ص ٢٢ × ١٧,٥ سم ١٠ س

٣٣٨ ـ نظم القطر

لسليمان بن عبدالله الشاوي العبيدي الحميري البغدادي المتوفى سنة ١٢٠٩ هـ / ١٧٩٤ م

الاول (قال سليمان بن عبدالله الحمد لله بلا تناه)

وهو نظم على قطر الندا وبل الصدا ابن هشام الانصاري

كتبه عبدالباقي البعود العاني سنة ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ م

الرقم ١٠٣٠٣ / ١

القياس ٣٧ ص ٢٢ × ١٥,٥ سم ١٤ س

معجم المؤلفين ٤ / ٢٦٧

٣٣٩ ـ نظم قواعد الاعراب

ليوسف بن العارف الشهيد

الاول (الحمد لله على الانعام وافضل الصلاة والسلام)

وهي نظم لرسالة الاعراب عن قواعد لابن هشام الانصاري المتوفى سنة ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م

نسخة جيدة كتبها علي علاء الدين الآلوسي سنة ١٢٩٦ هـ / ١٨٧٨ م

الرقم ١١١٧٤ / ١٥

القياس ٧ ص ٢٠,٥ × ١٢,٥ سم ١٣ س

٣٤٠ ـ نظم الكفاية

لمحمد بن عبدالله بن مالك الطائي المتوفى سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٤ م

الاول (الحمد لله على ما علما وجاد احساناً به وانعما)

وهو نظم لكتاب كفاية المتحفظ لابن الاجدابي المتوفى سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م

نسخة جيدة كتبها قاسم بن حموده البغدادي سنة ١٠٢٦ هـ / ١٦١٧ م

الرقم ٣٠٨٨٨ / ٢

القياس ٨١ ص ١٥,٥ × ١١ سم ١٥ س

معجم المؤلفين ١٠ / ٢٣٤ كشف ٢ / ١٩٦٤ ، هدية العارفين ٢ / ١٣٠

٣٤١ ـ نسخة اخرى

كتبت سنة ١٢٣٨ هـ / ١٨٢٢ م

الرقم ٩١٥٤ / ١

القياس ٦٦ ص ٢٢,٥ × ١٣ سم ١٩ س

نسخة أخرى لكتاب «جذوة المقتبس» للحميدي

د. عبد المالك الشامي

كلية الآداب / فاس - المغرب

المشهور بيننا أن كتاب : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر ، لأبي عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الازدي الحميدي (ت : ٤٨٨ هـ) . قد حقق أو صحح ، أو طبع ، أكثر من مرة ، وكان تحقيقه أو طبعه مرتبطا بمخطوطة واحدة ، هي النسخة المحفوظة بمكتبة جامعة أوكسفورد تحت عدد (MS. Humt. ٤٦٤) وهي التي توجد منها نسخ بالميكروفيلم بدار الكتب المصرية تحمل الأرقام الآتية : (١١٢٩٩) و (١١٣١٢) و (١١٩٧٥)[1] . ومن الممكن أن تكون هناك نسخ أخرى مصورة عن نفس المخطوطة قدمتها مكتبة جامعة أوكسفورد لجهات أخرى . .

ولكن الجديد في هذا الأمر ، هو عثورنا على نسخة خطية أخرى بالغة الأهمية ، وذلك في مكتبة صديقنا الباحث الاستاذ محمد برذلة الاندلسي تملكها شراء منذ نحو من خمسين سنة ، وعرف بها جملة من اصدقائه الباحثين ، وكان يرجو اخراجها محققة ومقارنة بنظيرتها الانجليزية ولكن ظروفه الصحية منعته من ذلك . وقد مكنني من نسخة مصورة منها رجاء القيام بمقارنة بينها وبين النسخ المطبوعة (أو المحققة) . وقد تبين لي أنها تحتوي مجموعة من المميزات الهامة التي يمكن تصنيفها الى صنفين :

* - مميزات تتعلق بالشكل .
* - مميزات تتعلق بالمحتوى . .

(أ) فالبنسبة للميزات التي تتعلق بالشكل هناك :

١ - النسخة من حجم صغير اذ لا يتعدى قياس الصفحة (١٥,٢٠ سم) ، تحتوي على واحد وعشرين سطرا ، ومعدل كلمات السطر ثلاث عشرة كلمة .

٢ - عدد صفحات المخطوطة مائتان وثلاث وثلاثون صفحة .

٣ - النسخة مبتورة الرأس والعقب ، فهي تبتدىء من نهاية المقدمة التاريخية التي قدم بها الحميدي لجذوته ، وبالضبط عند حديثه عن دولة القاضي أبي القاسم اسماعيل بن عباد عند قوله :

(. . هيبة اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن عباد قائد عسكر القاضي أبيه ، فافترقوا وانصرف كل واحد منهم راجعا الى بلده ، فبلغ ذلك اسماعيل بن محمد فقوى أمله . .)[2] .

وتنتهي عند ترجمة يوسف بن هارون الرمادي ، وعند قطعته الشعرية العينية التي يقول في آخر بيت منها :

قولوا لمن أخذ الفؤاد مسلما   يمنن علي برده مصدوعا

أي أن النسخة تنتهي عند الترجمة (٨٧٨) من النسخة المطبوعة . فيكون قد ضاع منها نحو من تسع ومائة ترجمة (١٠٩) بالنسبة للمطبوعة[٣] .

٤ ـ النسخة مكتوبة بخط مشرقي ، ووجود مثل هذا النوع من الخط في بيئة مغربية لها أكثر من تفسير ، أقربه وأوضحه أن النسخة مشرقية الأصل ، أو أن ناسخها مشرقي[٤] . .

٥ ـ أما بالنسبة لاصل النسخة فالأمر فيها على وجهين :

أحدهما متعلق بمصدر النسخة وهو الذي أشارت اليه آخر فقرة من المقدمة وذلك حين قال (. . وقد آن أن نرجع الى ذكر المقصود من الأسماء على ترتيب الحروف . . آخر الجزء الأول من كتاب جذوة المقتبس في تاريخ الاندلس ، من نسخة أبي عامر محمد بن حمدون وبخطه ، ويتلوه أول الثاني . .) ثم بعد ذلك في الهامش الأيسر (بلغ مقابلة الأصل الذي نسخ منه ولله الحمد) .

وثانيهما متعلق بالتمليك الموجود على ظهر الورقة الأولى ، وفيه اشارة الى بعض الأسماء التي يظن مالك النسخة أن من بينها ابن عبدالملك صاحب الذيل والتكملة . وهذه التمليكات واردة على الترتيب الآتي :

« لمحمد (   ) بن محمد (   ) ثم لمحمد بن عبدالله ، ثم انتقل لعمر بن محمد الجابري التادلي ، ومنه انتقل الى ملك محمد بن عبدالملك كان الله له » وليس في هذه الصيغة ما يدل على أن محمد بن عبدالملك هو صاحب الذيل والتكملة .

٦ ـ وبالنسبة لأقسام المخطوطة ، فهي مختلفة عن المطبوعة ، اذ تحتوي على ثمانية اقسام عوض العشرة التي تتكون منها المطبوعة .

(ب) وبالنسبة للمميزات التي تتعلق بالمحتوى هناك :

١ ـ جانب التوثيق : وفيه الاشارة الى راوية النسخة ، وهو الراوية الوحيد الذي ينقل مباشرة عن مؤلف الكتاب . ولهذا دلالته الخاصة فيما تكتسبه النسخة من الأهمية ، حيث نجد في مطلع كل جزء من الاجزاء السبعة التي توجد بالنسخة اشارة على النحو الآتي : (أخبرنا الشيخ الأمين ، قيل له أنبأكم الشيخ أبو الفتح محمد بن عبدالباقي بن أحمد بن سليمان البطي فأقر به ، قال أنبأنا الامام الحافظ أبو عبدالله محمد بن ابي نصر بن عبدالله الحميدي رحمه الله . .)

٢ ـ موضوع الكتاب : ويختلف عنوان النسخة عن العنوان المطبوع ، اذ نجد في مطالع كل الأجزاء السبعة وفي خاتمتها اشارة الى اسم الكتاب وهو : (جذوة المقتبس في تاريخ الأندلس) وهو عنوان يحتوي على مضمون مختلف عن مضمون عنوان النسخة المطبوعة (. . في ذكر ولاة الاندلس . .) بمعنى أن عنوان نسختنا أعم من عنوان النسخة المطبوعة . ولهذا أهميته الخاصة .

٣ ـ وبالنسبة للفروق المتصلة بالمضمون ، فهناك أكثر من ثلاثمائة اختلاف ما بين اختلاف كمي واختلاف نوعي .

فالاختلاف الكمي داخل في عموم ما هو وارد من المعلومات المتعلقة بالاشخاص المترجم بهم ، كالتوسع في عرض بعض الأخبار (ترجمة ابن عبد ربه) أو الترجمة لمن لا نجد لهم ترجمة في النسخة المطبوعة .

والاختلاف النوعي مرتبط بتقسيم الكتاب فهو مقسم الى عشرة أجزاء في النسخة المطبوعة ، بينما هو أقل من ذلك في نسختنا ، ومرتبط أيضاً بالاختلاف في أسماء بعض المترجم بهم أو أسماء آبائهم أو شيوخهم . وسنضرب مثلا لهذه الاختلافات بما يلي :

الترجمات الزائدة :

١) الصفحة ٦٦ وتوجد بها الترجمة الآتية :

أحمد بن عون الله بن حدير أبو جعفر البزار ، قرطبي ، يروي عن أبي بكر محمد بن علي بن الحسين

بسم الله الرحمن الرحيم   رب يسّر

قيل له أنبأكم أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان المعروف بابن البطي فأقر به قال
أنبأنا الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن عبد الله الحميدي رحمه الله قال باب
الزاي من اسمه زكريا زكريا بن حيون الحضرمي أندلسي مات سنة سبع
وسبعين ومائتين زكريا بن [illegible] بن سعيد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن حزم [illegible]
من أهل [illegible] ذكره أبو سعيد بن يونس زكريا بن عيسى بن عبد الواحد [illegible] مات
سنة أربع وتسعين ومائتين زكريا بن يحيى بن عبد الملك بن عبيد الله بن عبد الرحمن [illegible]
أبو يحيى أندلسي سمع من قاسم بن أصبغ ذكره محمد بن حارث زكريا بن يحيى [illegible]
[illegible] محدث من أهل طليطلة ذكره ابن يونس من اسمه زياد زياد [illegible]
وهو زياد شبطون [illegible] شبطون لقب له وهو زياد بن عبد الرحمن بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير
ابن ناشرة [illegible] عمر بن الحارث بن [illegible] راشدة [illegible]
[illegible] عبد الله فقيه أهل الأندلس على مذهب مالك بن أنس [illegible]
القاسم [illegible] أهل الأندلس [illegible]
[illegible] مالك بن أنس [illegible] ذلك [illegible] مات زياد بالأندلس سنة ثلاث
وتسعين ومائة [illegible] سنة أربع [illegible]
[illegible] زياد [illegible]
ابن زياد أبو عبد الله ذكره [illegible] مات بالأندلس [illegible]
زياد بن النابغة التميمي من وجوه الجند الذين دخلوا الأندلس [illegible]
الذي [illegible] عبد العزيز بن موسى بن نصير أمير الأندلس بعد [illegible]
عبد الرحمن [illegible] من اسمه زيد زيد بن بشير الأندلسي

فقيه

[illegible] في [illegible] قاضي [illegible]
[illegible] الأزدي [illegible] سعيد بن يونس زيد
ابن الحباب [illegible] أبو حسين التميمي العكلي سمع مالك بن مغول وسفيان الثوري وشعبة
وسفيان [illegible] ومالك بن أنس وابن أبي ذئب ومعاوية بن صالح روى عنه عبد الله بن وهب
وغيرهم [illegible] أحمد بن حنبل أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ويحيى بن عبد الحميد الحماني
[illegible] وعباس [illegible] وقد دخل الأندلس في طلب
الحديث [illegible] الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل [illegible]
البغدادي قراءة علينا [illegible] عن أبي الحسن [illegible] يوسف
[illegible] أبو بكر الخلال أنا أبو بكر المروذي [illegible] عبد الله يعني أحمد بن حنبل [illegible]
ابن الحباب فقال كان صاحب [illegible] من رجال [illegible]
[illegible] على [illegible] بالكوفة [illegible] الأندلس [illegible]
كلام أحمد بن حنبل [illegible] قال لنا الخطيب أبو بكر [illegible]
[illegible] معاوية بن صالح الحمصي [illegible] الأندلس [illegible]
[illegible] منه هناك قال [illegible] رحمه الله [illegible] من
معاوية بمكة [illegible] عبد الرحمن [illegible] الخطيب قال [illegible]
[illegible] عبد الله [illegible]
[illegible] معاوية [illegible] مكة [illegible] أحمد [illegible]
[illegible] الإمام [illegible]
ابن الحباب [illegible] الأندلس [illegible]
[illegible]
[illegible] رحمه الله

بعدين البيتين النفس هاربة والموت يطلبها وكل عثرة رجل عندها زلل
والمرء ما عاش ممدود له أمل لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأمل

خليل أبو إبراهيم محدث أندلسي يروي عن عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثي، ذكره أبو سعيد بن يونس وقال مات بها سنة [illegible] ذكره محمد بن حارث الخشني في

أفراد الأسماء

خطاب بن إسمعيل مولى لغافق أندلسي محدث مات بقرطبة سنة سبع وتسعين ومائتين

خير بن سعد أبو مروان العشاني البجاني يعرف بابن عائذ فقيه أندلسي سمع بمصر من محمد بن زبان وبالأندلس من أصبغ بن سلمة وحدث بها، روى عنه أبو سعيد خلف بن القاسم الأندلسي وقد ذكرنا له خبرا في ترجمة خلف بن [illegible] هذا الباب

خيرون بن مصلح يتقدم الشاهد وذكر عبد الغني بن سعيد ومن تقدم ذكرنا له والله أعلم

باب الدال

داود بن جعفر بن أبي صغير مولى لبني تميم محدث أندلسي يروي عن معاوية بن صالح وعبد العزيز بن محمد الدراوردي ذكره محمد بن حارث

داود أبو سليمان القيسي إشبيلي سمع يحيى بن عبد الله بن بكير وغيره مات بالأندلس [illegible]

داود بن الهذيل بن منان التنوخي أندلسي روى عن عبد العزيز ذكره ابن يونس وعنه [illegible] عبد الله محمد بن حسن [illegible] داود بن الهذيل الأندلسي سنة خمس عشرة وثلاثمائة

باب الذال

ذو النون أبو [illegible] محدث روى عنه [illegible] ذي النون مات بالأندلس ذكره ابن يونس وذكره [illegible] أحمد

تم الجزء الرابع ويتلوه في أول الخامس إن شاء الله تعالى باب الزاي من اسمه زياد

والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله [illegible]

الجزء الخامس من كتاب جذوة المقتبس
في تاريخ الأندلس

تأليف الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي نصر بن عبد الله الحميدي رحمه الله

المعروف بالقطوفي وغيره روى عنه أبو عمر أحمد بن محمد الطلمنكي المقرىء

وتقع بعد الترجمة رقم (٢٣٣) من النسخة المطبوعة ، وتوجد نفس الترجمة ببغية الملتمس للضبي تحت رقم (٤٥٢)(٥)

٢) الصفحة ٧٤ وتوجد بها الترجمة الآتية :

أحمد بن موسى بن حدير أبو عمر ، كان من شيوخ المعتزلة وأكابرهم بالاندلس وله في ذلك رسائل كتب بها الى القاضي منذر بن سعيد ، وجرت بينهما مجاوبات في ذلك ومناقضات .

وتوجد هذه الترجمة بعد الترجمة رقم (٢٤٨) من النسخة المطبوعة .

٣) الصفحة (١٢٥) وتوجد بها الترجمة الآتية :

سليمان بن خلف بن سعيد ، أبو الوليد الباجي . فقيه دخل المشرق ، وسمع من أبي ذر الهروي ، وبالعراق من جماعة ، ودرس الكلام على القاضي أبي جعفر محمد بن أحمد السمناني ، ورجع الى الأندلس وتصدر ورأس ، وكان اديبا شاعرا ، أنشد له الخطيب أبو بكر أحمد بن ثابت الحافظ بدمشق قال أنشدني أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي لنفسه :

اذا كنت أعلم علما يقينا ... بأن جميع حياتي كساعة
فلم لا أكون ضنينا عليها ... وأجعلها في صلاح وطاعة

وتوجد هذه الترجمة بعد الترجمة رقم (٤٥٢) من النسخة المطبوعة . وتوجد أيضا في بغية الملتمس تحت رقم (٧٧٧) بتصرف وزيادة .

٤) الصفحة (١٣٣) وتوجد بها الترجمة الآتية :

سلام بن زيد أبو خلف ، دخل العراق في طلب العلم والكلام وقرأ على أبي عثمان الجاحظ من تصانيفه ، وله معه في أول لقائه اياه حكاية طريفة قرأتها على الامير أبي علي ، عن القاضي أبي القسيم البصري عن أبيه حدثنا محمد بن عمر بن سجاع المتكلم ، حدثنا أبو محمد الحسن بن عمرو النحيري ، قال كنت بالأندلس فقيل لي إن ها هنا تلميذا لأبي عثمان الجاحظ يعرف بسلام بن زيد ، ويكنى أبا خلف . فأتيته فرأيت شيخا (. . . .)(٦) فسألته عن سبب اجتماعه بأبي عثمان ، ولم يقع أبو عثمان الى الاندلس فقال : كان طالب العلم في المشرق يتشرف عند ملوكنا بلقاء أبي عثمان ، فوقع الينا كتاب التربيع والتدوير له فأشاروا اليه ، ثم أردف عندنا كتاب البيان والتبيين له ، فبلغ الرجل بهذين . قال فخرجت لا أعرج على شيء حتى قصدت بغداد فسألت عنه ، فقيل لي هو بسر من رأى ، فاصعدت اليها ، فقيل انحدر الى البصرة ، فانحدرت اليه وسألت عن منزله ، فأرشدت اليه ودخلت اليه ، فاذا هو جالس وحواليه عشرون صبيا ليس فيهم ذو لحية غيره ، فدهشت فقلت أيكم أبو عثمان فرفع يده وحركها في وجهي وقال من أين ، فقلت من الأندلس فقال طينة حمقاء ، فما الاسم ، فقلت سلام ، فقال اسم كلب القراد ، ابن من قلت ابن زيد ، قال نحو ما صرف ، أبو من ، قلت أبو خلف ، قال كنية قرد زبيدة ، ما جئت تطلب ، قلت العلم ، قال ارجع بوقت فانك لا تفلح ، قلت ما أنصفتني فقد اشتملت على خصال أربع : ج . . للبلدية وبعد الشقة وغرة الحداثة ودهشة الداخل . قال فترى حولي عشرين صبيا ليس فيهم ذو لحية غيري ما كان يجب أن تعرفني بها . قال فأقمت عليه عشرين سنة . قال وكان سلام هذا يحسن العلم .

توجد هذه الترجمة بعد الترجمة رقم (٤٩٢) من النسخة المطبوعة .

٥) الصفحة (١٤٣) وتوجد بها الترجمة الآتية :

عبدالله بن محمد بن سعيد . أندلسي رحل وحدث في الغربة عن أبي يوسف يحيى بن يعقوب البويطي ، صاحب الشافعي ، وأخبرنا الامام أبو علي اسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقي ، اخبرنا ابي قال أنشدني عبدالله بن محمد بن سعيد الاندلسي ، قال سمعت البويطي يقول أنشدني الشافعي :

مرض الحبيب فعدته فمرضت من حذري عليه
وأتى الحبيب يعودني فبرئت من نظري اليه

وتوجد هذه الترجمة بعد الترجمة رقم (٥٢٧) من النسخة المطبوعة .

الترجمات التي بها اضافات :

وسنختار من بينها الترجمة الواقعة في الصفحة (١٠٣) وفيها :

الحسن بن حفص أبو علي القضاعي ، أندلسي حدث في الغربة عن أبي عبدالله الحسين بن عبدالله المفلحي لقيه بالأهواز ، وعن أبي علي البلخي القطان حدث عنه بنيسابور أبو بكر احمد بن منصور التاجر ، قال أخبرنا أبو علي الحسن بن حفص القضاعي الاندلسي ، أخبرنا أبو الحسن علي بن القطان البلخي ، حدثنا عبدالله بن جعفر بن محمد بن عبدالغني ، حدثنا أبي قال ، قلت للشافعي يا أبا عبدالله ، أرأيت أحدا ممن أدركت مثل مالك بن أنس . فقال أبو عبدالله الشافعي ، سمعت ممن تقدمنا في السن والعلم يقولون ، لم نر مثل مالك ، فكيف نرى مثله ، ثم قال الشافعي ان مالكا كان مقدما عند أهل العلم قديما بالمدينة والحجاز والعراق ، قديم الفضل معروفا عندهم بالاتقان في الحديث ومجالسة العلماء ، وكان ابن عيينة اذا ذكره يرفع بذكره ويحدث عنه ، وكان مسلم بن خالد الربخي ، وهو مفتي أهل مكة وفقيهها في زمانه يقول ، جالست مالك بن أنس في حياة جماعة من التابعين ، منهم زيد بن أسلم ، ويحيى بن سعيد ، وهشام بن عروة . فقال الشافعي كان مسلم بن خالد حين أردت الخروج الى مالك ، كتب اليه كتابا ، فأخذ كتابه مني وقرأه .

فهذه الترجمة مثلا لا يوجد منها بالنسخة المطبوعة الا الأسطر الاربعة الأولى الموجودة بالترجمة رقم (٣٦٦) .

الترتيب الجيد وضبط المعلومات :

وسنضرب مثلا على ذلك بنموذجين :

الاول متصل بالترتيب الجيد للترجمات ، فقد وردت الترجمة (٥٧) مثلا بعد الترجمة (٧٦) اي في مكانها المفروض بين المحمدين أبناء العبادلة .

الثاني متصل بضبط المعلومات والأمثلة عليه كثيرة نختار منها الترجمة رقم (١٨) من النسخة المطبوعة اذ فيها (محمد بن ابراهيم بن يزيد بن محمود ، أبو عبدالله ، يروي عن عمر بن مؤمل عن أبي الفرج عمرو بن محمد المالكي تاليفيه : كتاب الحاوي وكتاب اللامع) .

بينما الأمر في الترجمة نفسها في النسخة المخطوطة (محمد .. يروي عن عمر بن مؤمل . روى عنه أبو عمر بن عبدالله ، وأخبرنا عنه عمر بن مؤمل عن أبي الفرج ..) فانضاف الى الترجمة المطبوعة تلميذه أبو عمر بن عبدالله الذي روى عنه نقلا عن شيخه عمر بن مؤمل[٧] .

الهوامش :

(١) المكتبة الاندلسية رقم ٣ / ادارة احياء التراث (١٩٦٦) الصفحة ط .
(٢) الصفحة ٣١ من الجذوة الطبعة السابقة .
(٣) بالاضافة الى ما ضاع من المقدمة والذي يقع في أكثر من عشرين صفحة مخطوطة .
(٤) انظر النموذجين صحبته .
(٥) بغية الملتمس : المكتبة الاندلسية رقم ٦ ادارة احياء التراث .
(٦) بياض في الأصل .
(٧) وهناك اضافات أخرى تدخل ضمن ما أشرنا اليه سابقا لم ندرجها ضمن هذا التقديم خشية التطويل ، وأملا في أن تظهر قريبا في مكانها من النسخة المحققة بحول الله . والله المستعان على ما نريد .
كما أننا استغنينا عن التعليق على الزيادات التي تضمنتها هذه النسخة وتركناها لمكانها من التحقيق أيضا .

* * *

المستدرك على ديوان ابن شهيد الأندلسي المتوفى سنة ٤٢٦ هـ

جمع وتحقيق شارل بيلا
تقديم الاستاذ بطرس البستاني
دار المكشوف بيروت الطبعة الاولى ١٩٦٣

عبد العزيز الدساوري

الدقي - القاهرة

كثيرون هم الشعراء الذين طوت شعرهم الايام ولم تبق منه الا الوشل الضئيل مفرقا مبعثرا في مصادر التراث مطبوعها ومخطوطها ، ومن هؤلاء أبو عامر احمد بن عبدالملك بن شهيد الاشجعي المتوفى سنة ٤٢٦ هـ من شعراء الدولة العامرية بالاندلس ، ويعد ابن شهيد من اصحاب الملكات المزدوجة فهو شاعر وكاتب في وقت واحد ، فقد قال الفتح بن خاقان في صدده : « عالم بأقسام البلاغة ومعانيها ، حائز قَصَب السَّبْق فيها ، لا يُشْبهه أحدٌ من أهل زمانه ، ولا ينسق من دُرِّ البيان وجُمَانه ، توغّل في شِعَاب البلاغة وطُرُقِهَا ، وأخذ على متعاطيها ما بين مغربها ومشرقها . . » (مطمح الانفس ص ١٨٩) .

وقد ذكر الدكتور حازم عبدالله خضر في كتابه (ابن شهيد الاندلسي حياته وأدبه) أنه لم يرد في اي مصدر من المصادر ذكر لديوان يجمع شعر ابي عامر وأغلب الظن انه لم يجمع في زمانه في الاقل ، والا فلا بد ان تكونُ هناك اشارة اليه في مصدر واحد ان لم يكن في عدة مصادر . . اما بعد موته فلا توجد كذلك اشارة لوجوده ، وهكذا بقيت اشعار أبي عامر موزعة في المصادر تبدأ من الذخيرة التي تحوي اكثر القصائد والاشعار وتنتهي في المطمح واليتيمة والجذوة وغيرها . . حتى قام الاستاذ شارل بيلا بجمع كل ما ورد لابي عامر من أشعار في كتاب سماه (ديوان ابن شهيد الاندلسي) وبذلك كان جهده هذا أول محاولة جدية ايجابية لالقاء الاضواء على شخصية ابن شهيد الادبية والثقافية والمساعدة على دراسته دراسة مفصلة . . وتجدر الاشارة الى ان جميع الابيات الواردة في المصادر المطبوعة المشهورة قد دونت في الديوان ، ولم اعثر - رغم الموازنة والتأمل وتتبع الابيات الواردة في كل مصدر - على ابيات لم تسجل في الديوان مما يدل على تتبع ويقظة في جمع الابيات وتدوين القصائد « ص ٥٦ ، ٥٧ ، ٦١ » .

غير ان عددا من المصادر تثبت بدليل قاطع ان لابن شهيد أشعارا أخرى لم يرد لها ذكر في الديوان المحقق ، كما لم ينتبه لها الدكتور الفاضل في كتابه المذكور رغم استناده الى كتاب (اعتاب الكتاب) لابن الأبار والذي يضم بعض الاشعار غير الواردة في الديوان . . وفيما يلي مجموع ما توصلت الى استخراجه من أشعار

لابن شهيد يخلو منها الديوان سعيا مني ليكون عملي مستدركا يضم الى الديوان حتى يسهل على دارسي الادب الاندلسي الانتفاع به :

ـ قافية الباء ـ

(١)

قال ابو عامر بن شهيد يرثي القاضي ابن ذكوان[1] : (من الطويل)

١ـ اذا لم تجد الا الأسى لك صاحبا   فلا تمنعن الدمع يهمل ساكبا
٢ـ هوت بأبي العباس شمس من التقى   وأمسى شهاب الحق في الغرب غاربا

التخريج : ترتيب المدارك وتقريب المسالك ج ٤ ص ٦٦٧

ـ قافية الحاء ـ

(٢)

قال الفتح بن خاقان : وبات (أبو عامر بن شهيد) ليلةً بإحدى كنائس قُرْطُبَة وقد فُرِشَتْ بأضغاث آس ، وعُرِشَتْ بسرور واستئناس ، وقَرْعُ النَّواقيس يُبْهِجُ سَمْعَهُ ، وَبَرْقُ الحُمَيَّا يُسْرِجُ لَمْعَه ، والقَسُّ قد برزه في عَبَدة المسيح ، متوشّحاً بالزنانير أبدع توشيح ، قد هجروا الافراحَ واطّرحوا النّعم كُلَّ اطِّراح : (من البسيط)

لا يعمدون الى ماء بآنية   الّا اغترافاً من الغُدْران بالراح

التخريج : مطمح الانفس ص ١٩٤ ـ ١٩٥

ـ قافية الدال ـ

(٣)

قال ابن الابار : سعى بـ (أبي عامر أحمد بن عبدالملك بن شهيد) الى المعتلي يحيى بن علي بن حمود[2] في خلافته بقرطبة ، فنكبه واعتقله ، فقال في ذلك ما أورده أبو مروان عبدالملك بن غصن الحجاري[3] في رسالته في صفة السجن والمسجون التي كتب بها الى المأمون[4] يحيى بن ذي النون يستعطف ابن حمود ويعتذر اليه : (من الطويل)

١ـ الى المعتلي عالَيْتُ همّي طالباً   لِكَرِّتِه إنّ الكريمَ يَعُودُ
٢ـ هُمامٌ أراه جُودُه سُبُل العُلا   وعَلّمَهُ الاحسانُ كيفَ يَسودُ
٣ـ نفى الذمَّ عنه أن طي برُوده   عفافٌ على سن الشباب وَجُودُ
٤ـ تؤدّي إلينا أنه سِبْطُ أحمدٍ   مخايلُ فيه للهُدى وشُهودُ
٥ـ حنانَيْكَ إن الماءَ قد بلغَ الزُبى   وأنْحَتْ رزايا ما لَهُنَّ عديدُ
٦ـ ظمِئْتُ إلى صافي الهواءِ وطَلْقِهِ   فهل لي يوماً في رضاكَ وُرُودُ
٧ـ ولي حُرمة حاشا لِمثلك أنْ يُرى   مُضيعاً لها وهو الغداةَ شهيدُ
٨ـ فلا يَغْرَمن رُحماكُم مَنْ عليكمُ   مطارفُ مما حاكَهُ وبُرودُ
٩ـ جواهرُ شعرٍ شاكلَ المجدَ دُرُّها   كما شاكلت جيدَ الفتاةِ عُقودُ

التخريج : اعتاب الكتاب ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤

(٤)

وقال ابو عامر أحمد بن عبدالملك بن شهيد : (من الطويل)

١ـ وما اهتزَّ بابُ السجنِ الا تَفَطَّرتْ   قُلوبٌ لنا خوفَ الرَّدى وكُبُودُ

التخريج : الذخيرة م ١ ق ٢ ص ٧٢

يبدو ان هذه القطعة والتي قبلها من قصيدة واحدة الا انني لم اجد مصدرا يجمعها فآثرت ابقاءها كما وردت امانة لضوابط التحقيق .

(٥)

وقال يهنىء بعيد وافق فصح النصارى[5] : (من الكامل)

١ـ وَجَلا زمانُك وجْهَهُ مُتَطلِّعاً   فكأنَّهُ بعد المماتِ مَعادُ

التخريج : المختار من شعر شعراء الاندلس تحقيق هلال ناجي ص ٨١ ، وص ٦١ - ٦٢ من تحقيق د. عبدالرزاق حسين .

١ - تحقيق د. عبدالرزاق حسين : « وحلا . . »

- قافية الراء -

(٦)

وقال ابن شهيد في صاعد اللغوي[1] : (من الكامل)

١- اقبل فديتَ ابا العلاءِ نَصِيحَتي   بقبولها وبواجب الشُّكْرِ
٢- لا تهجوَنْ انسٌ منك فربَّما   تَهْجو اباكَ وأنت لا تَدْرِي

التخريج : السحر والشعر رقم ٦٦٠ ص ٣٨٣ .

- قافية العين -

(٧)

وللوزير أبي عامر بن شهيد - رحمه الله - قصيد يمدح به سليمان المستعين[2] بالله - نضرالله وجهه - في فصل النيروز وفيه قطعة عجيبة في نواوير عدة : (من الكامل)

١- وأتاكَ بالنَّيروزِ شوقٌ حافزٌ   وتطلُّع للزَّوْر غِبَّ تطلُّعِ[4]
٢- وأتاك في زمن عجيبٍ مُونقٍ   وأتاك في زَهْرٍ كريمٍ مُمتعِ
٣- فانظر الى حُسْن الرَّبيع وقد جلَتْ   عن ثوْب نَوْر للربيع مُجزَّعِ[5]
٤- فكأنّ نرجسها وقد حشدت به   زُهْرُ النجوم تقاربَت في مَطْلعِ
٥- او أعينُ الاحبابِ حين تراسلت   باللَّحْظ تحتَ تخوُّفٍ وتوقُّعِ
٦- وبها البَنَفْسج قد حكى بخضوعِه   وتُنزلونَ في سوادٍ مُشْبَعِ[10]
٧- خدُّ الحبيبِ وقد عضضتَ بحَنْبةٍ   فشكا المُلك بأنَّةٍ وتوجُّعِ
٨- وكأنما خيريُّها تحت الدُّجى   بين الازاهر قام كالمتطلّعِ
٩- يرجو زيارة مَنْ يُحِبُّ لوَعْده   كَلِفاً فبات مُراقباً لم يَهْجَعِ

التخريج : البديع في وصف الربيع ص ٤١ - ٤٢

- قافية الفاء -

(٨)

وقال أبو عامر بن شهيد من قصيدة : (من الكامل)

١- لو شئت مما نلت كل علا   وهتكت كل كثيفة السجف[1]
٢- لرمحْتَ فينا بالسِّماك ضُحى   وأبحْتَ لِبدَك صَهْوة الرَّفْرَف[2]

التخريج : المختار من شعر شعراء الاندلس تحقيق هلال ناجي ص ٨٤ ، وص ٦٤ من تحقيق د. عبدالرزاق حسين . . والبيت الاول ساقط من التحقيق الثاني .

٢ - تحقيق د. عبدالرزاق حسين : « لرمحت . . »

- قافية القاف -

(٩)

وقال ابو عامر بن شهيد من قصيدة في المعتل بالله : (من الطويل)

١- فيا أيها الباغي الفرار امامه   هو الموتُ فاعْلَمْ أنهُ سوف يَلْحَقُ

التخريج : المختار من شعر شعراء الاندلس تحقيق هلال ناجي ص ٨٤ ، وص ٦٤ من تحقيق د. عبدالرزاق حسين .

١ - تحقيق د. عبدالرزاق حسين : « المغذُّ امامَهُ . . »

(١٠)

قال ابن الابار : فصفح عنه (أي المعتل يحيى بن علي بن حمود) وخلّ سبيله ، فقال أبو عامر بن عبدالملك بن شهيد - من قصيدة يشكره ويهنئه بفتح أولها : (من الطويل)

فريق العِدا من حدِّ عزمك يفرَقُ   وبالدهر مما خاف بَطْشَك أوْلَقُ

١- تَهمسْتَهُ والسعدُ حولَكَ جَحْفَلٌ | وقارعته والنصرُ دُونَك خَنْدَقٌ
٢- أدرتَ رحىَ الحربِ الزَّبُونِ بساحةٍ | وغالبته والجوُّ بالبيض يَعْبَقُ
٣- فلما حويتَ كفاك رمْيَةَ أسرِهِ | وشُدَّ بكفِّ الحصرِ منهُ المُخْنَّقُ
٤- وأسقيتَهُ من جَمّة[17] الأمنِ صافياً | إذا ذاقه من ذاقه يَتَشَمْطَقُ[19]
٥- وكم لك مثل مُسْتَرِقِّ مكارمٍ | بعفوكَ من رقِّ المنيَّةِ يُعْتَقُ
٦- كشفتُ سماءَ المجدِ عنكَ فلم أجِدْ | سوى كرمٍ عن طيبِ خيمكَ يَنْطِقُ
٧- وَرَدْتُ رياضَ العفوِ منكَ فجادني | بأرجائها مِنْ مُزْنِ نُعماكَ مُغْدِقُ
٨- فإن أنا أشكرْكَ أبيضَ مُعرقاً | فلا هزّني للمجد أبيض مُعْرِقُ

التخريج : الابيات ١ - ٨ في اعتاب الكتاب ص ٢٠٤ - ٢٠٥ البيت ١ في المختار من شعر شعراء الاندلس تحقيق هلال ناجي ص ٨٤ ، وص ٦٤ من تحقيق د. عبدالرزاق حسين .

١ - الشطر الاول : تحقيق هلال ناجي : « والقصر . . . » ، وتحقيق د. عبدالرازق حسين : « والنصر . . . »

الشطر الثاني : تحقيق هلال ناجي ود. عبدالرزاق حسين : « ونازعته والسعد . . . » .

* يبدو ان هذه القطعة والتي قبلها من قصيدة واحدة الا أنني لم أجد مصدرا يجمعها فآثرت ابقاءها كما وردت امانة لضوابط التحقيق .

- قافية الميم -

(١١)

وللوزير أبي عامر بن شهيد - رحمه الله - في الربيع قطعة عجيبة من قصيدة طويلة مشتملة على اوصاف سواها مستغربة ، ومعان غيرها مستعذبة والقطعة : (من الكامل)

١- حَيِّتْ بطوفانِ الحيا | فَتَضَاحكتْ والجوُّ واجِمْ[15]
٢- أصنافُ زَهْرٍ طُوِّقَتْ | دُرَراً تذوب بكفِّ ناظمْ
٣- من باسمٍ باكِ اليـ | ـك ندٍ وباك وهو باسمْ

التخريج : البديع في وصف الربيع ص ١٨ - ١٩

(١٢)

وقال الوزير أحمد بن عبدالملك بن عمر بن شهيد : (من الخفيف)

١- ذَكَرتُكُمْ من غير أن تنساكم | نفسُ صَبٍّ مُعذَّبٍ بهواكم
٢- كلما هبَّتِ الرياح له مِنْ | جانب المغربين وَخْناً بكاكم
٣- جمع الله بيننا من قريب | وأرانيكم كما أهواكم

التخريج : المختار من شعر بشار ص ٨٨

(١٣)

وقال ابو عامر بن شهيد[16] : (من الطويل)

١- الا مَسَخ[17] الله القطار حجارةً | تصوبُ علينا والغمامَ ضمومسا
٢- وكانت سماء الله لا تمطر الحصى | ليالي كنا لا نطيش حلوما
٣- فلما تحولنا عفاريت جنةٍ[18] | تحوّلَ شؤبوبُ الغمام رجوما

التخريج : سرور النفس رقم ٨٩٨ ص ٣٠٠

- قافية النون -

(١٤)

وقال أبو عامر بن شهيد : (من البسيط)

١- أحنُّ للبرقِ من تلقاءِ ارضِهِمُ | ولي فؤادٌ الى الآلاف حنّانُ
٢- محلة النفس فيهم أينما قطنوا | ومنزلُ الرُّوحِ فيهم حيثُما كانوا

التخريج : المختار من شعر شعراء الاندلس تحقيق هلال ناجي ص ٨١ ، وص ٦٢ من تحقيق د. عبدالرزاق حسين .

٢- تحقيق د. عبدالرزاق حسين : « محلُّهُ النَّضْرُ . . . »

ملحق المستدرك

- قافية الدال -

(١٥)

وقال أبو عامر بن شهيد[1] : (من الكامل)

يا أيها القمر الذي بمغيبه | صبغت ثيابُ الليل فهي حدادُ

التخريج : لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة ورقة ١٢٩ لوحة ٦٦

ـ قافية الطاء ـ

(١٦)

وقال أبو عامر أحمد بن عبدالملك بن شهيد : (من الرجز)

لا تَذهَبَنّ في الأُمورِ فَرَطا   وكُن من النّاس جميعاً وسطا !

التخريج : زهر الأكم في الأمثال والحكم ٢ / ٢٠٣

---

(١) البيت في مديح أبي عامر بن المظفر . . وقد خلط ابن مماتي في كتابه بين شعر ابن شهيد وشعر ابي الطيب المتنبي والمتفتل . انظر : ورقة ١٢٦ ـ ١٢٧ لوحة ٦٤ ـ ٦٥ .

ـ زهر الأكم في الأمثال والحكم لأبي علي الحسن بن مسعود اليوسي (١١٠٢ هـ / ١٦٩١ م) الجزء الثاني حققه الدكتور محمد حجي والدكتور محمد الأخضر دار الثقافة الدار البيضاء الطبعة الاولى ١٤٠١ ـ ١٩٨١ .

ـ لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة ـ مختصر ذخيرة ابن بسام .

ـ مختصر ذخيرة ابن بسام المسمى لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة اختصار الأسعد بن مماتي الوزير الأيوبي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ـ ١٢٠٩ م مخطوط بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة (المكتبة المركزية) تحت رقم ٢٢٩٧٦ .

الهوامش

● بعد انتهائي من كتابة هذا الاستدراك اطلعت على تحقيق آخر لديوان ابن شهيد قام بجمعه المستشرق الاسكتلندي جيمس ديكي أو يعقوب زكي وصدره بدراسة تاريخية عن جوانب من حياة ابن شهيد (وهو في الاصل رسالة دكتوراه) . . فوجدته لا يختلف كثيرا عن عمل المستشرق شارل بيلا الا باضافة الابيات رقم ٤ ـ ٧ ـ ١١ .

(١) ابن ذكوان هو أحمد بن عبدالله بن هرثمة بن ذكوان بن عبدالله الاموي قاضي الجماعة بقرطبة ، ابو العباس ، ولد سنة ٣٤٢ هـ وتوفى سنة ٤١٣ هـ انظر ترجمته في الجذوة رقم ٢٢٣ ص ١٢١ والبغية رقم ٤٢٥ ص ١٧٤ وترتيب المدارك ٤ / ٦٦٢ والمغرب ج ١ رقم ١٤٥ ص ٢١٥ ـ ٢١٦ والنباهي ص ٨٤ ـ ٨٧ .

(٢) هو يحيى بن علي بن حمود (الملقب بالمعتلي) كان ملكا على قرطبة سنة ٤١٢ هـ وتوفى سنة ٤٢٩ هـ ، اخباره في البيان المغرب ٣ / ١٣١ ـ ١٣٣ ، ١٤٣ ـ ١٤٥ ، ١٨٨ والمعجب ٥٠ ـ ٥٤ ، ٥٦ ـ ٥٧ ، ٦١ ـ ٦٣ ، ٦٨ ، ٩٤ ونفح الطيب ١ / ٤٣١ ـ ٤٣٢ ، ٤٣٧ ـ ٤٣٨ ، ٤٨٤ ، ٤٨٦ ـ ٤٨٨ .

(٣) عبدالملك بن غصن الخشني (. . . ـ ٤٥٤ هـ) من أهل وادي الحجارة نكبه المأمون بن ذي النون واعتقله مع جماعة من النبهاء بوبذة من أعمال حضرة طليطلة ، فكتب اليه رسالة في الاستعطاف ضمنها ألف بيت من شعره (في صفة السجن والمسجون ، والحزن والمحزون) وسماها ايضا « السر المكنون ، في عيون الاخبار وتسلية المحزون » وله رسالة أخرى سماها بـ (العشر كلمات) انظر ترجمته ونبذا من شعره في اعتاب الكتاب رقم ٦٧ ص ٢١٨ ـ ٢٢٠ ، وجذوة المقتبس رقم ٩٥٥ ص ٣٧٨ ، والاعلام ٤ / ١٦١ ، ومسالك الابصار ١١ ص ٤٤٧ ـ ٤٤٨ .

(٤) انظر اخباره في البيان المغرب ٣ / ٢٧٧ ـ ٢٨٣ .

(٥) البيت في مديح ابي عامر بن المظفر .

(٦) هو صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي ، أبو العلاء ، عالم بالادب واللغة ، من الكتاب والشعراء ، توفى سنة ٤١٧ هـ ، وفيات الاعيان : ٢ / ٤٨٨ ـ ٤٨٩ ، بغية الوعاة : ٢٦٧ ، العبر : ٣ / ١٢٤ ، شذرات الذهب : ٣ / ٢٠٦ ، ابن كثير : ١٢ / ٢١ .

(٧) هو المستعين بالله سليمان بن الحكم بن سليمان الناصر ، وانظر في ترجمته نفح الطيب ١ / ٤٢٨ والحلة السيراء ٢ / ٥ .

(٨) النيروز : أول يوم من السنة الشمسية ، وعند الفرس عند نزول الشمس أول الحمل فارسيته نوروز ، ومعناه يوم جديد ، وانظر الالفاظ الفارسية المعربة ص ١٥١ .

(٩) المجزع : الشيء الذي يحمل أكثر من لون أو كل ما فيه سواد وبياض .

(١٠) يريد شدة اللون ، والمعروف وصف الحمرة بقولهم (أحمر قاني) أي شديد الحمرة .

(١١) السجف : الستر السماك الرامح لا نؤله ، وانما سمى رامحا لكوكب امامه تجعله العرب رمحه ، وهو اشد حمرة .

(١٢) الردف : ما تبع الشيء ، وكل شيء تبع شيئا ، فهو ردفه . لبدة السرج : ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج من صوف .

(١٣) جمة الماء : معظمه ، والمكان الذي يجتمع فيه الماء .

(١٤) انظر قول الاعشى في وصف الخمرة : (من الطويل)

تريك القذى من دونها وهي دونه   اذا ذاقها من ذاقها يتمطق

ديوانه ص ٢١٩ .

(١٥) الابيات من قصيدة طويلة في مدح عبدالعزيز المؤتمن . . والحيا : المراد به المطر لانه يحيى الارض .

(١٦) أشار محقق سرور النفس في حاشية ص ٣٠٠ أن الابيات لابن خفاجة وقد وردت في ديوانه ص ٧٥ .

(١٧) الديوان نسخ .

(١٨) الديوان شرة .

المصادر والمراجع

١ - ابن شهيد الاندلسي حياته وأدبه : د. حازم عبدالله خضر - منشورات وزارة الثقافة والاعلام - سلسلة الاعلام والمشهورين رقم (١٩) - دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٤ م .
٢ - إعتاب الكتاب : ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار المتوفى سنة ٦٥٨ هـ - تحقيق د. صالح الاشتر - مطبوعات مجمع اللغة العربية ، المطبعة الهاشمية دمشق الطبعة الاولى ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م .
٣ - الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين : خيرالدين الزركلي - الجزء الرابع - دار العلم للملايين بيروت الطبعة الرابعة كانون الثاني (يناير) ١٩٧٩ .
٤ - الالفاظ الفارسية المعربة : السيد أدي شير - المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٨ .
٥ - البداية والنهاية : عماد الدين اسماعيل المعروف بابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ - الجزء ١٢ - مطبعة السعادة القاهرة الطبعة الاولى ١٣٥١ هـ - ١٣٥٨ هـ .
٦ - البديع في وصف الربيع : أبو الوليد اسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب الحميري الاشبيلي المتوفى قريبا من سنة ٤٤٠ هـ - تحقيق د. عبدالله عبدالرحيم عسيلان - دار المدني جدة الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ .
٧ - بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس علمائها وأمرائها وشعرائها وذوي النباهة فيها ممن دخل اليها وخرج عنها : أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي المتوفى سنة ٥٩٩ هـ - نشرة قديرة - مطبعة روخس مدريد ١٨٨٤ .
٨ - بغية الوعاة في طبقاة اللغويين والنحاة : جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ - مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الاولى ١٣٢٦ هـ .
٩ - البيان المغرب في أخبار ملوك الاندلس والمغرب : محمد (أو أحمد) بن محمد بن عذارى المراكشي (ت نحو ٦٩٥ هـ) - الجزء الثالث - باعتناء إ. لافي بروفنسال - بولس كتنر الكتبي باريز ١٩١٣ .
١٠ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك : القاضي عياض المتوفى سنة ٥٤٤ هـ - الجزء الرابع - تحقيق د. أحمد بكير محمود - دار مكتبة الحياة بيروت ودار مكتبة الفكر طرابلس - ليبيا (بدون تاريخ) .
١١ - تاريخ قضاة الاندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا) : أبو الحسن عبدالله بن الحسن عبدالله بن الحسن النباهي (توفي بعد ٧٩٣ هـ) - تحقيق إ. ليفي بروفنسال دار الكاتب المصري القاهرة الطبعة الاولى ١٩٤٨ .
١٢ - جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس وأسماء رواة الحديث ، وأهل الفقه ، والادب ، وذوي النباهة والشعر : أبو عبدالله محمد بن فتوح بن عبدالله الحميدي المتوفى سنة ٤٨٨ - تصحيح وتحقيق محمد بن تاويت الطنجي - من تراث الاندلس رقم (١) - مكتب نشر الثقافة الاسلامية - مطبعة السعادة مصر الطبعة الاولى سنة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م .
١٣ - الحلة السيراء : أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي المعروف بابن الابار المتوفى سنة ٦٥٨ هـ - الجزء الثاني - تحقيق د. حسين مؤنس - الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة الطبعة الاولى سنة ١٩٦٣ .
١٤ - ديوان الاعشى الكبير ميمون بن قيس (ت ٧ هـ) : شرح وتعليق د. محمد محمد حسن - مكتبة الاداب مصر ط اولى ١٩٥٠ .
١٥ - ديوان ابن خفاجة (ت ٥٣٣ هـ) : تحقيق د. السيد مصطفى غازي - منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٦٠ .
١٦ - ديوان ابن شهيد الاندلسي (ت ٤٢٦ هـ) :
* جمع وتحقيق شارل بيلا - تقديم الاستاذ بطرس البستاني - دار المكشوف بيروت الطبعة الاولى كانون الاول ١٩٦٣ .

* جمع وتحقيق يعقوب زكي - مراجعة د. محمود علي مكي - دار الكاتب العربي للطباعة والنشر القاهرة (بدون تاريخ) .

١٧ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني المتوفى سنة ٥٤٢ هـ - القسم الثاني - المجلد الاول - تحقيق د. احسان عباس دار الثقافة بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

١٨ - كتاب السحر والشعر : لسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ - تحقيق ودراسة قدور ابراهيم عمار بن محمد - رسالة ماجستير ، كلية الاداب - جامعة عين شمس القاهرة ١٩٧٤ / ١٩٧٥ م .

١٩ - سرور النفس بمدارك الحواس الخمس : أبو العباس أحمد ابن يوسف التيفاشي المتوفى سنة ٦٥١ هـ - ١٢٥٣ م - هذبه : محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور) - تحقيق د. احسان عباس - المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت الطبعة الاولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

٢٠ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب : أبو الفلاح عبدالحي ابن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ - الجزء الثالث - توزيع المكتب التجاري بيروت (بدون تاريخ) .

٢١ - العبر في خبر من غبر : شمس الدين الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ - الجزء الثالث - تحقيق فؤاد السيد - دائرة المطبوعات والنشر الكويت ١٩٦١ .

٢٢ - المختار من شعر بشار : اخبار الخالدين وشرح أبي الطاهر اسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي البرقي (ت ق ٥ هـ) - باعتناء السيد محمد بدرالدين العلوي - لجنة التأليف والترجمة والنشر - مطبعة الاعتماد مصر ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .

٢٣ - المختار من شعر شعراء الاندلس : أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان المعروف بابن الصيرفي المتوفى سنة ٥٤٢ هـ :

* تحقيق وتقديم هلال ناجي - وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية - مطبعة فضالة - المحمدية - المغرب (بدون تاريخ) .

* تحقيق د. عبدالرزاق حسين - دار البشير عمان الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م .

٢٤ - مسالك الابصار في ممالك الامصار : أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩ هـ - الجزء ١١ - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٥٩ معارف عامة .

٢٥ - مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح أهل الاندلس : أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبدالله القيسي الاشبيلي المتوفى سنة ٥٢٩ هـ - ١١٣٥ م - دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة - دار عمار مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٢٦ - المعجب في تلخيص أخبار المغرب : عبدالواحد بن علي المراكشي المتوفى سنة ٦٤٧ هـ - ضبط وتصحيح محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي - مطبعة الاستقامة القاهرة الطبعة الاولى ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م .

٢٧ - المغرب في حلى المغرب : علي بن موسى بن سعيد المتوفى سنة ٦٨٥ هـ - الجزء الاول - تحقيق د. شوقي ضيف - دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة ١٩٧٨ م .

٢٨ - نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، أحمد بن محمد المقري التلمساني المتوفى سنة ١٠٤١ هـ - الجزء الاول - تحقيق د. احسان عباس - دار صادر بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

٢٩ - وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ - الجزء الثاني - تحقيق د. احسان عباس - دار صادر بيروت ١٩٧٨ .

* * *

ظواهر زخرفية في المحاريب العراقية

خالد خليل حمودي

دائرة الآثار والتراث

المحراب هو مكان محدد في جدار القبلة يتعرف المصلّي من خلاله على إتجاه القبلة . وهو على نوعين : المسطح ، والمجوف . والامثلة على وجود هذين النوعين وصلتنا من عصور مبكرة : منها إشارات في المراجع العربية ومنها أمثلة لا تزال قائمة . ولم يقتصر وجود المحراب في المسجد وانما أقيم أيضاً في المصلى الملحق بالأبنية الأخرى كالمدارس والمشاهد والقصور والدور الصغيرة . ومن المعروف أن الأبنية الاسلامية عموماً تكون متجهة في تخطيطها نحو جهة القبلة وحرص المسلمون على ذلك في مختلف العصور ، ولكن الظروف الخاصة بموقع ومكان بعض الأبنية وشكل المساحة المخصصة للبناء جعلها أحياناً تنحرف قليلاً أو كثيراً عن ذلك ، وهذا ما حمل المعمار على ترك ذلك الجزء المنحرف لتوفير مساحة منتظمة متجهة نحو القبلة ، وقد توضح لنا هذا من خلال العديد من الابنية التي وصلتنا من عصور مختلفة وأقاليم شتى من العالم الاسلامي .

إن الأنحراف في الاتجاه نحو القبلة قد يحدث في بعض الأبنية وبدرجة قليلة لكنه يعتبر شذوذاً عن القاعدة المتبعة وهو من الأمور الصعبة التي يواجهها المعمار إذا حدث في بناية مسجد أو مدرسة أو مشهد لأنها أبنية عامة يؤمها عدد كبير من الناس في أوقات الصلوات وغيرها . وتجدر الأشارة الى وجود محاريب في ركن البناء أحياناً .

ومن المعروف أن معظم المحاريب وبشتى أنواعها كانت مزينة بالزخارف والكتابات القرآنية وهي ظاهرة تميزت بها المحاريب في مختلف العصور واستمرت حتى الوقت الحاضر . ولدى الأطلاع على الزخارف الموجودة في بعض المحاريب العراقية المسطحة لوحظ تنوع تلك الزخارف منها ذات أشكال هندسية وفروع نباتية مورقة وكتابات بخطوط متنوعة وأشكال مقتبسة من عناصر العمارة كالعقود المدببة والمفصصة والأعمدة وأشكال تشبه القناديل المعلقة ، لكن الذي يلفت الأنظار وجود بعض الزخارف التي تزين المحاريب المسطحة ذات أشكال لا يبدو عليها الأنسجام وهي ظواهر غريبة مثل وجود عقد مفصص غير كامل تزينه زخرفة مغايرة لما حوله ، ثم وجود مساحة مستطيلة صغيرة وسط المحراب ذات زخرفة مغايرة عن الزخارف المحيطة بها ، إن هاتين الظاهرتين لم تكن واضحة التفسير من قبل الباحثين بل اهملت أحياناً . ونظراً لأهمية هاتين الظاهرتين في معالجة الأنحراف الموجود في البناء من قبل المعمار ليكون متجهاً نحو القبلة بصورة صحيحة والتحقق من صحة ما توصلت إليه فقد آثرت نشر هذا الاستدراك ووضع هذا التحليل المنطقي والتفسير العلمي أمام الباحثين الكرام .

ونرى من الضروري هنا الكلام بايجاز عن تلك المحاريب المسطحة التي تشاهد عليها هاتين الظاهرتين . وهي :

١ - محراب مسطح من أحدى الدور السكنية في سامراء استظهر خلال تنقيبات سنة ١٩٣٦ ونقل من مكانه الأصلي وعرض في بناية متحف سامراء . وهذا المحراب مصنوع من الجص على شكل لوحة كبيرة مستطيلة الشكل ، يبلغ ارتفاعه (٢٣٤) سنتمتراً ، وعرضه (١٣٤) سنتمتراً ، وقوام هذا المحراب عقدان متتابعان : عقد خارجي مدبب ارتفاعه (٥٤) سنتمتراً وإتساع فتحته (٥٥) سنتمتراً وهو مرتكز على عمودين وعلى كتفيه من الخارج شكل هلال صغير . أما العقد الداخلي فهو نصف عقد مفصص ، أي يظهر منه فصان ونصف الفص ، ويمتد في طوله من أسفل قاعدة العقد المدبب المذكور آنفاً ويستقر على ارضية المحراب ، فيبلغ إرتفاعه (١٣٤) سنتمتراً . أما تاريخ هذا المحراب فيرجع الى نفس الفترة التي سكنت فيها سامراء كعاصمة للدولة العباسية (٢٢١ - ٢٧٩ هجرية / ٨٣٥ - ٨٨٩ ميلادية)[١] .

٢ - محراب مرقد الأمام عبدالرحمن في الموصل ويعود تاريخه الى الفترة (٥٧٦ - ٥٨٩ هجرية / ١١٨٠ - ١١٩٣ ميلادية) وهذا المحراب معروض حالياً في المتحف العراقي (رقمه ١٠٦٢٧ - ع) ، وهو مسلح ومصنوع من قطعة واحدة من حجر الرخام وشكله مستطيل كبير بداخله مستطيل أصغر منه ، ويصل ارتفاع المستطيل الكبير الى نحو (٢١٤) سنتمتراً وعرضه (٨٩) سنتمتراً يزينه من الأعلى شريط من كتابة كوفية نصها (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، ويزدان المحراب بعقد مفصص له سبعة فصوص ملئت الفراغات على كتفيه وفي باطنه بزخارف ذات عناصر نباتية ، والعقد يرتكز على عمودين من كل جانب من جانبيه . أما المستطيل الصغير الداخلي فيحيط بثلاثة جوانب من جوانبه (الأيمن والأعلى والأيسر) شريط من كتابة كوفية قرآنية نصها سورة الأخلاص (بسم الله الرحمن الرحيم ، قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) مع عبارة (ما شاء الله) . ويزين المستطيل الصغير المذكور نصف عقد مفصص ثلاثي يظهر منه فقط فص ونصف الفص ، على كتفيه الأيمن الظاهر زخارف نباتية بينما زين باطن العقد بزخارف هندسية[٢] .

٣ - محراب جامع الجويجاتي في الموصل ويرجع تاريخه الى النصف الثاني من القرن السادس الهجري (القرن الثاني عشر الميلادي) ، وهو معروض الآن في المتحف العراقي (رقمه ١٢٠١ - ع) . وهذا المحراب مسطح الشكل يتكون من قطعة واحدة من الرخام إرتفاعه (١٧٤ سنتمتراً) وعرضه (٨٨ سنتمتراً) وقوامه مستطيلان الاول في أعلاه شريط من كتابة كوفية نصها (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، وفي أسفل ذلك يزدان المحراب بعقد كبير مفصص ذو خمسة فصوص تزين كتفيه وداخله زخرفة نباتية وهو يرتكز على عمودين في كل جانب من جانبيه .

ويتوسط المحراب مساحة مستطيلة كبيرة مزينة بزخارف هندسية في أعلاها بينما زينت بقية الأجزاء بزخارف نباتية ، وفي وسط هذه المساحة توجد مساحة صغيرة مستطيلة الشكل إرتفاعها (٥٠) سنتمتراً وعرضها (٢٦) سنتمتراً وتتخذ شكل باب أو نافذة مفتوحة قليلاً ، وذلك بجعل الجزء الأيمن منها غائراً بمقدار (٦) سنتمترات عن مستوى سطح المحراب ، وهذه المساحة المستطيلة هي الأخرى مزينة بعقد مفصص يرتكز على عمودين صغيرين وملئت بزخارف هندسية نجمية بداخلها عناصر نباتية[٣] لذلك تظهر هي الأخرى بشكل محراب صغير لكنه منحرف قليلاً في إتجاهه نحو القبلة بسبب كون جانب منه غائر عن مستوى اللوحة التي تمثل المحراب .

الملاحظات العامة عن هذه الأمثلة من المحاريب المسطحة :

١ - تنوع المباني التي ظهرت فيها محاريب من هذا النوع ، فنجدها في دار سكنيّة ، وفي بناية مرقد ، وفي مسجد جامع .

٢ - إن هذه الظواهر الغريبة وجدت في أمثلة ترجع الى فترات زمنية متباعدة ، فقد ظهرت في محراب من القرن الثالث

الهجري (القرن التاسع الميلادي) ، وظهرت أيضاً في محرابين من القرن السادس الهجري (القرن الثاني عشر الميلادي) .

٣ - تنوع المادة التي صنعت منها المحاريب التي توجد عليها هذه الظواهر الغريبة فمنها مصنوع من الجص ، ومنها من الحجر .

٤ - لوحظ إختلاف إتجاه العقد المفصص الذي يظهر نصفه الأيمن مرة ، ويظهر في مثال آخر نصفه الأيسر .

٥ - إمتازت المحاريب التي وجدت فيها هذه الظواهر عموماً بوفرة الزخارف وتنوعها ودقة صنعها ومهارة نحتها حتى على حجر الرخام الى جانب العناية الفائقة برسم العقود المدببة والمفصصة .

الأستدراكات :

إن المعمار أو الفنان قد أظهر براعة وأبدع وأبتكر وقدم معالجة ناجحة برهنت على نضوج عقليته وخصب خياله الفني ووصول الفنون الزخرفية العربية الأسلامية الى تلك الدرجة من التطور التي تلاحظ في أمثلة المحاريب التي ذكرناها وتلاحظ أيضاً في أمثلة أخرى لمحاريب عديدة مماثلة لا تظهر عليها الظواهر الموجودة في المحاريب المشار إليها .

لذلك فان تفسير ظاهرة العقود المفصصة غير الكاملة بأنها تمثل نقصاً وقصوراً في تفكير الفنان(١) نراه تفسيراً غير مقبول وبعيدا عن الحقيقة ، كما إننا لا نميل الى تفسير نصف العقد أو شكل الباب المفتوحة وسط المحراب ذات طبيعة زخرفية وفنية فقط(٥) . ولذلك يتطلب الأمر من الباحثين وضع تفسير علمي ومنطقي ومقنع في مثل هذه الحالات ، خاصة وان العصر العباسي الذي تعود إليه المحاريب المذكورة شهد نهضة وتقدماً وتطوراً ونضوجاً في مختلف ميادين الفنون العربية الاسلامية .

إن الدراسة العلمية والبحث والتحري عن هاتين الظاهرتين أكدت لنا آراء جديدة مغايرة أثبتت عمق تفكير المعمار أو الفنان ، إذ إنه بواسطة هاتين الظاهرتين عالج مشكلة إنحراف جدار القبلة في البناء بهذه الطريقة التي تلفت أنظار المصلين عندما يقع نظرهم على المحراب ليولوا وجوههم نحو القبلة الصحيحة ، فكانت معالجة ناجحة إستطاع المعمار من خلالها استغلال المساحة المخصصة للبناء جميعها دون ترك اجزاء منها بسبب انحراف شكل مساحة الأرض ، حيث وضع هذه الملاحظة في المحراب الذي يبحث عنه المصلون دوماً ليتجهوا نحو القبلة من صلاتهم . وهذا ما توضح لنا من خلال وجود نصف عقد مفصص تارة يمثل الجانب الأيمن من العقد المفصص وتارة أخرى يمثل الجانب الأيسر منه . كما أن شكل الباب الصغيرة المفتوحة في وسط المحراب الكبير يلاحظ إتخاذها شكل محراب صغير أيضاً رغم إختلاف زخارفها ، وقد تأكد لنا ان وجود الأنحراف في أتجاه القبلة في الأبنية التي وجدت فيها مثل هذه المحاريب مما يؤيد ويثبت ما ذهبنا إليه من تفسير لهاتين الظاهرتين الزخرفيتين .

الهوامش :

١ - نجاة يونس التوتونجي : المحاريب العراقية (بغداد / ١٩٧٦) ص ٧٤ - ٧٥ .

٢ - التوتونجي : المصدر السابق ص ١٢١ - ١٢٤
بشير فرنسيس وناصر النقشبندي : المحاريب القديمة في القصر العباسي ، مجلة سومر (العراق) المجلد ٧ (١٩٥١) ص ٢١٨ - ٢١٩ .

٣ - التوتونجي : المصدر السابق ص ١٢٦ - ١٣٠ .
فرنسيس والنقشبندي : المصدر السابق ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

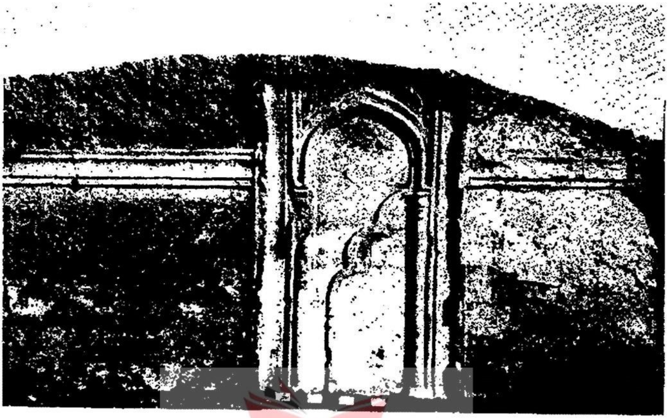
٤ - التوتونجي : المصدر السابق الصفحات ٧٥ و ١٢٤ .

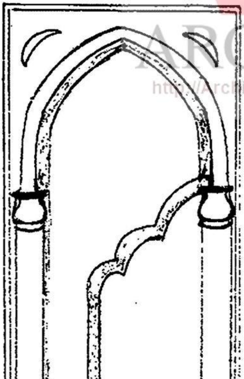
٥ - التوتونجي : المصدر السابق ص ١٣٠ .
الجمعة (د . أحمد قاسم) : محاريب الموصل ، رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة القاهرة مطبوعة بآلة كاتبة سنة ١٩٧١ ص ٨١ .

ملاحظـة :

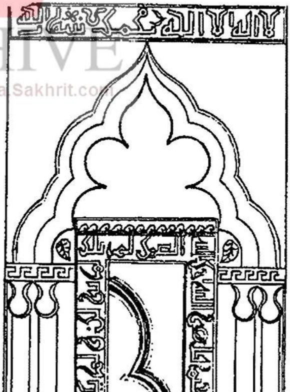
ان الصور الفوتغرافية حصلنا عليها من دائرة الأثار والتراث ، أما الرسوم التخطيطية فقد استنسخت من كتاب السيدة نجاة يونس التوتونجي : المحاريب العراقية ، وقمنا بأجراء بعض التعديلات على تلك الرسوم التوضيحية .

محراب من احدى دور سامراء



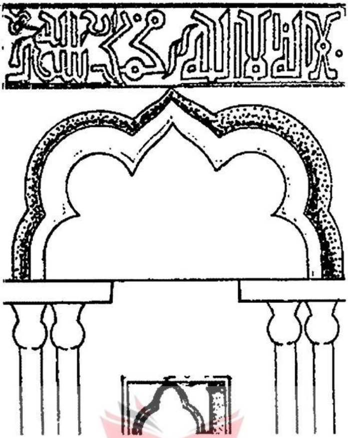


محراب مرقد الأمام عبدالرحمن



رسم تخطيطي لمحراب من احدى دور سامراء

محراب جامع الجويجاتي





رسم تخطيطي لمحراب الامام عبدالرحمن



رسم تخطيطي لمحراب جامع الجويجاتي

من اخبار التراث العربي

اعداد
أسامة ناصر النقشبندي
دائرة الآثار - بغداد

(دقائق التصريف)

للقاسم بن محمد بن سعيد المؤدب - من علماء القرن الرابع الهجري القرن العاشر الميلادي ، صدر عن المجمع العلمي العراقي بتحقيق الاساتذة الدكتور احمد ناجي القيسي (رح) والدكتور حاتم صالح الضامن والاستاذ حسين تورال .

وهو من الكتب المهمة في علم الصرف رتب على ٦١ مبحثاً وقد أعتمد في تحقيقه على نسخة فريدة محفوظة في مكتبة شهيد علي في تركيا كتبت سنة ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م زود الكتاب بفهارس عديدة منها فهرس الأيات القرآنية الكريمة ، فهرس الاحاديث النبوية الشريفة فهارس الحكم والأمثال والأشعار والاعلام واللغة والامم والقبائل . يقع الكتاب في ٧٢٦ صفحة وقد طبع على مطابع المجمع العلمي العراقي .

(كتاب الطبيخ)

لابن سيار الوراق

صدر بتحقيق الاستاذين كاي اورنبري وسحبان مروة في هلسنكي بفنلندة . وقد اعتمد المحققان على نسختين خطيتين احداهما من هلسنكي والثانية من اكسفورد .

وهو من الكتب العربية النادرة تناول فيه المؤلف أنواع الطبيخ والشراب وكيفية عمله وفساده وتغير الوانه وما يتخذه الطباخون من الادوات وما يطيب القدر به من العطور والروائح وما يوافق الشباب والشيوخ من الطعام . رتب الكتاب في (١٣٢) باباً ويقع في (٣٤٣) صفحة .

(قانون السياسة ودستور الرياسة) لمؤلف مجهول

صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة . بتحقيق الاستاذ محمد جاسم الحديثي ، وقد اعتمد في تحقيقه على نسخة فريدة محفوظة في قسم المخطوطات بدائرة الاثار والتراث ببغداد وهي نسخة خزائنية كتبت لخزانة السلطان شاه شجاع بخط المؤلف . واوضح المحقق في مقدمة الكتاب اهم التآليف العربية في علم السياسة كما عرف بالكتاب ومنهج المؤلف في وضعه واهم مصادره وعرض محتويات الكتاب بالتفصيل ووصف النسخة الخطية الفريدة واشار الى دائرة زرقاء تتوسط صفحة العنوان والتي قيل انها تحتوي على القاب السلطان كتبت بحروف سرية بحيث لا ترى بالعين المجردة ، حيث تمت قراءتها وتصويرها بواسطة الاشعة تحت الحمراء والأشعة النافذة .

ولقد اعاد المحقق ترتيب مادة الكتاب بدلاً من النهج الذي سلكه المؤلف القائم على التشجير والتقسيم والجداول مع محافظته على تسلسل موضوع الكتاب ووحدته . وزود الكتاب بكشافات للأيات القرآنية الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة والاشعار والمصطلحات . يقع الكتاب في (٢٥٥) صفحة .

(المقتضب من كتاب جمهرة النسب)

لياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م صدر عن الدار العربية للموسوعات بتحقيق وتقديم الدكتور ناجي حسن . وقد اعتمد في تحقيقه على اربع نسخ خطية محفوظة في الخزانة العامة للكتب بالرباط ومخطوطة دار الكتب المصرية ومخطوطة مكتبة المتحف البريطاني ومخطوطة الاسكوريال . لقد وضع المحقق مقدمة للكتاب ضمنها تعريفاً بصاحب جمهرة النسب هشام بن محمد بن السائب الكلبي وبمؤلف المقتضب ياقوت الحموي ثم تحدث عن الكتاب وكيف انه يقتصر على اصول الانساب دون الخوض في فروعها وتفاصيلها وزود الكتاب بفهرس للاعلام والقبائل وايام العرب والبلدان والمواضع يقع الكتاب في (٤٣٢) صفحة .

(احكام المفقود شرعاً وقانوناً وقضاءً)

للاستاذ القاضي فاضل دولان صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد ويقع في عشرة فصول تبحث في تعريف المفقود والأحكام الشرعية المتعلقة به وادارة امواله وما يتعلق بزوجته وميراثه وفي انتهاء الفقدان واثاره وظهور المفقود حياً بعد الحكم عليه بالوفاة واورد المؤلف مبادىء قانونية وتطبيقات قضائية لمحكمة تمييز العراق والقضاء الشرعي المصري يقع الكتاب في (١٩٢) صفحة .

(موارد البلاذري عن الاسرة الأموية في انساب الاشراف) . الجزء الثاني

تأليف الدكتور محمد جاسم المشهداني ، صدر عن مكتبة الطالب الجامعي في مكة المكرمة بتقديم الدكتور حسام الدين السامرائي ويقع هذا المجلد مع المجلد الاول الذي سبق صدوره في (٩٤٦) صفحة .

(تأريخ القوات العراقية المسلحة) - الجزء الثاني

صدر عن مديرية التطوير القتالي في وزارة الدفاع العراقية تضمن هذا المجلد تأريخ الجيش العراقي في العهد الملكي ابان الانتداب البريطاني في ٢٣ آب ١٩٢١ الى ٣ تشرين الاول ١٩٣٢ . وهوجزء من موسوعة عن تأريخ الجيش في العراق منذ اقدم العصور حتى نهاية الانتداب البريطاني .

يقع الكتاب في (٤١٤) صفحة .

(نصيحة الملوك)

لاقضى القضاة ابي الحسن علي بن محمد الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م .

صدر بتحقيق وتقديم الاستاذ محمد جاسم الحديثي عن دار الشؤون الثقافية اعتمد المحقق على نسخة مخطوطة واحدة محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس كتبت سنة ١٠٠٧ هـ / ١٥٩٨ م لذلك استعان في تحقيقه ولضبط النصوص وتوثيقها على المصادر التي اعتمدها المؤلف . ووضع المحقق مقدمة للكتاب استعرض فيها حياة الماوردي وشيوخه وتلاميذه وآثاره المخطوطة والمطبوعة ومكانته العلمية كما تحدث عن الكتاب واهميته ومحتوياته وزوده بفهارس عامة . يقع الكتاب في (٦٩٣) صفحة .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت)

صدر في المغرب عن وزارة الاوقاف والشؤون الدينية تأليف الاستاذ محمد المنوني تناول فيه وصف ٧٦ مخطوطاً وتعريف على شكل جداول لـ (٤١٨٤) مخطوطاً . يقع الفهرس في (٢٢١) صفحة .

(فهارس الخزانة الحسنية بالقصر الملكي بالرباط) - الجزءان ٦،٥

تصنيف الاستاذ محمد العربي الخطابي مدير الخزانة الحسنية . تناول في الجزء الخامس تعريفاً بمخطوطات الكيمياء وتعبير الرؤيا والعلوم الخفية ويقع في (٣٩٨) صفحة ، والجزء السادس يتعلق بمخطوطات علوم القرآن الكريم ويقع في (٤٨٠)صفحة . وكان المؤلف قد اصدر ثلاثة اجزاء للتعريف بمخطوطات هذه الخزانة وهي :

الجزء الثاني عن مخطوطات الطب والبيطرة والصيدلة والحيوان والنبات) . والجزء الثالث عن مخطوطات الرياضيات والفلك واحكام النجوم والجغرافيا والجزء الرابع عن مخطوطات آداب البحث والموسيقى ونظم الدولة والفنون الحربية وجوامع العلوم مع مستدرك على الجزءين الثاني والثالث . اما الجزء الاول من هذه الفهارس فقد كان من تصنيف الاستاذ محمد عبدالله عنان وتناول فيه فهرسة مخطوطات التأريخ والرحلات .

الأمة والدولة في سياسة النبي (ص) والخلفاء الراشدين

تأليف الدكتور نزار عبداللطيف الحديثي

صدر في بغداد عن مطابع دار الحرية ، وهي دراسة رتبها المؤلف في تسعة فصول تحدث فيها عن العرب والتهيؤ للاسلام والمبادىء الاسلامية وتطور الدعوة الاسلامية وسياسة الرسول (ص) في بناء الامة وبناء القاعدة القائدة في الجهاد والتحرير واكمال الوحدة ، كما تناول في آخر كتابه نظرية السلطة في الاسلام وبناء الدولة العربية حتى خلافة الامام علي بن ابي طالب (رض) وقد اعتمد في دراسته على (٨٦) مرجعاً ومصدراً يقع الكتاب في (٢٧٢) صفحة .

فهرس مخطوطات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية

صدر في الرياض الجزءان الاول والثاني من فهارس مخطوطات مركز الملك فيصل بتقديم الدكتور زيد بن عبدالمحسن الحسين مدير عام المركز . يتضمن الجزء الاول وصف (١٥٩) مخطوطاً والجزء الثاني يتضمن وصف (٢٤٣) مخطوطاً وستصدر بقية الاجزاء تباعاً للتعريف ببقية المخطوطات . وقد رتبت معلومات هذه الفهارس بما يسهل تحويلها الى قاعدة معلومات عن المخطوطات العربية الاسلامية لحفظها في الخازن الآلي .

معجم المصطلحات البلاغية وتطورها

تأليف الدكتور احمد مطلوب عضو المجمع العلمي العراقي .

صدر الجزء الثالث منه عن المجمع العلمي العراقي ويتناول هذا الجزء الحروف من د ـ و ويقع في (٣٩٠) صفحة .

الجيش والسلاح

تأليف نخبة من الباحثين العراقيين

صدرت الطبعة التجريبية في خمسة اجزاء من هذا الكتاب لغرض دراسة موضوعاتها ومناقشتها وتنقيحها قبل الطبعة النهائية وقد تناول هذا الكتاب تأريخ الجيش والسلاح منذ اقدم العصور حتى منتصف القرن الحالي . وتقوم هيئة كتابة التأريخ في وزارة الثقافة والاعلام بالاشراف على انجاز هذا الكتاب الذي سيصدر قريباً بطبعته النهائية .

اسهامات العرب في العلوم الزراعية

صدر عن مركز احياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد ويتضمن موضوعات الدورة الخامسة للتعليم المستمر التي عقدها المركز في بغداد للفترة من ٣ ـ ٥ / ١ / ١٩٨٧ . التي تقدم بها عشرة من الباحثين المختصين في التأريخ والتراث ومن موضوعات هذا الكتاب : مبادىء تنظيم ملكية الارض الزراعية عند العرب ، اسهامات العرب في علوم وقاية المزروعات دور المسلمين الاوائل في ايجاد قواعد تغذوية . ابو العباس النباتي ـ الرائد العربي في علم النبات . مفهوم المفردات الطبية عند العرب وغيرها .

العذيق النضيد

تأليف الدكتور احمد الربيعي

صدر في بغداد عن مطبعة العاني . ويتناول مصادر ابن ابي الحديد في شرحه لكتاب نهج البلاغة للشريف الرضي والتي قال عنها هي نفسها مصادر الشريف الرضي في نهج البلاغة . ولقد ترجم المؤلف لاعلام اصحاب المصادر واعتمد في تأليفه على (٢٢٤) مرجعاً ومصدراً . يقع الكتاب في (٣٣٤) صفحة .

القبائل الثمودية والصفوية

لمحمود محمد الروسان

صدر عن جامعة الملك السعود ضمن مطبوعات عمادة شؤون المكتبات في الرياض ويتناول الكتاب دراسة مقارنة لتأريخ الثموديين والصفويين في المصادر الكتابية وربط تطوراتهم بتأريخ الجزيرة العربية ، خاصة عند الصفويين الذين سجلوا نقوشاً مؤرخة لسنوات حكم ملوكهم ودولهم ، وقد سلط المؤلف الضوء على هوية القبائل المنتشرة في جنوب بلاد الشام وقدم دراسة عن تطور الحروف الثمودية والصفوية من خلال النقوش الكتابية المكتشفة . رتب الكتاب على بابين رئيسيين وكل باب جعله في خمسة فصول وزود بلوحات مصورة عن الخطوط وختمه المؤلف بكشافات للاعلام والامم والقبائل والامكنة والبقاع ، يقع الكتاب في ٥١٦ صفحة .

الأبعاد الفلسفية والنفسية للتربية عند ابن سينا

تأليف الدكتور احمد حسن الرحيم

صدر عن مركز احياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد تناول فيه المؤلف شخصية ابن سينا وخلفيته الثقافية والابعاد الفلسفية في نظرته الى كثير من المفاهيم كنظرية خلق العالم والخير والشر والمنطق ونظرية المعرفة وتربية الطفل وغيرها اعتمد المؤلف على (٦٣) مصدراً بالعربية والانكليزية .

بيان الصورة الفنية في البيان العربي

تأليف الدكتور كامل حسن البصير (رح) عضو المجمع العلمي العراقي صدر عن المجمع العلمي العراقي تناول فيه المؤلف دراسة صور متعددة عن التراث العربي والمدارس الاوربية في مجال البيان العربي وصوره الفنية .

يقع الكتاب في ستة أبواب وقدمه الدكتور احمد مطلوب . وقد استغرق الكتاب (٥٧٢) صفحة .

الكشاف الأثري في العراق

اعداد الدكتور قحطان رشيد صالح

صدر عن دائرة الآثار والتراث ببغداد تحدث فيه المؤلف عن المواقع الأثرية في العراق وفتراتها التأريخية واهم المكتشفات الأثرية التي عثر عليها فيها واهم اعمال الصيانة التي جرت لها . يقع الكتاب في (٣٢٤) صفحة .

المباني التراثية في بغداد

اعداد السيدة سليمة عبدالرسول

ويتضمن دراسة ميدانية للمباني التراثية في جانب الكرخ مع اعطاء نبذة تأريخية عن تلك الابنية وخصائصها ومواصفاتها المعمارية وتصاميمها . وقد زود الكتاب بصور وتخطيطات للابنية التراثية يقع الكتاب في (١٧٥) صفحة صدر عن دائرة الآثار والتراث ببغداد .

الاستيطان في الجزيرة قبل الاسلام

تأليف الدكتور جابر خليل ابراهيم

ويتضمن دراسة ميدانية لآثار منطقة الجزيرة في العراق (الصحراء الغربية) وابرز هذه الآثار مواقع (مدينة الحضر ومدينة جدالة) حيث يعتبر الموقعين من معالم الحضارة العربية المزدهرة في مطلع التأريخ الميلادي . صدر الكتاب باللغة الانكليزية عن دائرة الاثار والتراث ويقع في (٥٣٠) صفحة .

ذخائر مخطوطات الخزانة الملكية في المغرب

اعداد الدكتور محمد السجلماسي تقديم اندري ميكيل

وهو من الكتب النفيسة لما يحتويه من معلومات وصور ملونة للمخطوطات المزوقة والمذهبة في الخزانة الحسنية الملكية في الرباط . تحدث المؤلف في اوله عن اهمية المخطوطات في التاريخ ومعلومات عن البردي وتطور صناعة الورق ثم تعرض لانواع الزخارف الهندسية والنباتية والكتابية ، اصل الكتاب وضع باللغة الفرنسية وقام بتعريبه محمد الصغير جنجار . وقد طبع في باريس .

(المستنصرية في التاريخ)

اعداد د. محمد جاسم المشهداني واسامة ناصر النقشبندي

ويتضمن بحوث الندوة العلمية التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب والجامعة المستنصرية ، وقد تناول المراحل التأريخية للمدرسة المستنصرية منذ تأسيسها الى الوقت الحاضر . واهم الميزات المعمارية لابنيتها والزخارف والكتابات التي تحلي واجهاتها وجدرانها كما تناولت هذه الدراسات والبحوث تجهيزات المدرسة المستنصرية وشيوخها والحركة اللغوية واثرها الثقافي . صدر الكتاب عن اتحاد المؤرخين العرب وطبع في الكويت . ويقع في (٢٣٢) صفحة .

مجلة المؤرخ العربي)

صدر العدد (٣٤) من مجلة المؤرخ العربي التي يصدرها اتحاد المؤرخين العرب بمعدل اربعة اعداد في السنة . وقد تضمن هذا العدد سبع عشرة دراسة موزعة موضوعاتها في التأريخ القديم والتأريخ العربي الاسلامي والتأريخ الحديث والمعاصر ، كتبت باقلام عدد من المؤرخين والباحثين من معظم الاقطار العربية ، كما عرضت في هذا العدد خمس رسائل جامعية في التأريخ وعدد من الكتب الصادرة حديثاً ، وختم العدد بالتعريف بثلاثة مؤرخين متميزين هم الدكتور احمد دياب من القطر السوداني والدكتور عبدالله الشبل من المملكة العربية السعودية والدكتور محمود محمد متولي من جمهورية مصر العربية . وقد طبع هذا

العدد في مطبعة النخيل في رأس الخيمة بدولة الامارات العربية المتحدة ويقع في (٣١٥) صفحة .

(اعمال المؤتمر الدولي الرابع لتأريخ بلاد الشام)

صدر عن جامعة اليرموك والجامعة الاردنية بتحرير الدكتور محمد عدنان البخيت ويتضمن هذا المجلد القسمين الانكليزي والفرنسي ويقع في ٢١٧ صفحة وقد طبع في عمان .

(ديوان الخط العربي)

تأليف الدكتور محمد السجلماسي والاستاذ عبدالكبير الخطيبي صدرت منه الطبعة العربية في باريس ، وهو من الكتب المهمة عن الخط العربي وتطوره ونفائس الكتابات العربية المحفوظة في خزائن المخطوطات والمتاحف التي طبعت بالوانها الطبيعية . وسبق ان صدر هذا الكتاب باللغتين الانكليزية والفرنسية .

(مجلة سومر)

صدر العدد (٤٤) من هذه المجلة التي تصدرها دائرة الآثار والتراث ببغداد وهي مجلة علمية متخصصة بآثار العراق والوطن العربي وقد تضمن هذا العدد (١٨) موضوعاً باللغة العربية و (١٢) موضوعاً باللغة الانكليزية .

(نظرية المكان في فلسفة ابن سينا)

تأليف الاستاذ حسن مجيد العبيدي)

صدر ببغداد عن دار الشؤون الثقافية العامة ويقع في ١٩٨ صفحة .

كتب قيد الدراسة والتحقيق

(تحفة الالباب ونخبة الاعجاب)

لابي حامد الاندلسي الغرناطي المتوفى سنة ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م انجز دراستها وتحقيقها الاستاذ الدكتور اسماعيل العربي من القطر الجزائري معتمداً في تحقيقه على نسختين . الاولى نسخة المتحف البريطاني المكتوبة باملاء المؤلف وبخط مغربي وقد اعتمدها نسخة الاصل وقارنها بالنسخة الثانية المحفوظة بالمكتبة الوطنية في الجزائر التي كتبت سنة ١٢٢٧ هـ / ١٨١٢ م وقد صدر المحقق كتابه بأسم الدكتور احسان عباس تقديراً لعلمه وفضله على التراث الاندلسي .

(كتاب الشروط والوثائق)

لابي نصر احمد بن محمد السمرقندي المتوفى في منتصف القرن السادس الهجري منتصف القرن الثاني عشر الميلادي انجز تحقيقه الاستاذ محمد جاسم الحديثي وقد اعتمد في تحقيقه على نسخة فريدة محفوظة في قسم المخطوطات بدائرة الآثار والتراث تقع ضمن مجموع مؤرخ سنة ٥٠٩هـ/ ١١١٥م . وسيصدر الكتاب عن دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد .

(صفوة اشعار العرب)

لمؤلف مجهول

يعمل على تحقيقها ودراستها الاستاذ نافع منجل الراجحي من كلية الآداب بجامعة صلاح الدين في العراق معتمداً في ذلك على نسخة فريدة محفوظة في قسم المخطوطات بدائرة الآثار والتراث كتبت سنة ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م .

ويتناول الكتاب قصائد ومقطعات شعرية لاثنين وسبعين شاعراً من فحول الجاهلية والاسلام منهم اصحاب المعلقات السبع والمجمهرات والمنتقيات والمشوبات والملحمات والمذهبات وهم الذين اشتملت على قصائدهم جمهرة اشعار العرب لابي زيد القرشي . الا ان مؤلف الصفوة اورد لهم قصائد ومقطعات أخر لم ترد في الجمهرة وبعض منها ليس موجوداً في دواوينهم .

(الجواهر والاشباه)

لفيلسوف العرب ابي اسحق الكندي ، يعمل على تحقيق القطعة المتبقية منها الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف معتمداً على نسخة خطية محفوظة في دار الكتب المصرية مع جمع النصوص المتفرقة من الكتاب المتناثرة في كتب الاحجار والصيدنة العربية القديمة وقد قدم لهذا التحقيق بدراسة مفصلة .

كما يعمل الدكتور عماد على انجاز تأليف كتاب موسوعي حول (الاسر والانساب الحاكمة في العراق بين الاحتلالين المغولي والبريطاني) ويضم هذا الكتاب مجموعة كبيرة من جداول الحكام والموظفين في المدن العراقية المختلفة مع مشجرات انسابهم موثقة على المصادر والوثائق الاصلية قام بتخطيطها المؤلف .

(وثائق نادرة من التراث الأسلامي)

جمعها ووثقها وعلق عليها الاستاذ كامل سلمان الجبوري وهي دراسة لمجموعة الوثائق الاسلامية التي وصلتنا من فترة صدر الاسلام وما بعدها بضمنها رسائل الرسول ﷺ وصفحات من القرآن الكريم المكتوبة على الرق بالخط الكوفي ، وبعض المصاحف المنسوبة كتابتها الى الخلفاء الراشدين وبعض الأئمة إضافة الى صفحات كتب ولوحات خطية مختلفة .

الحاوي الكبير في الفروع)

لابي الحسن علي بن محمد الماوردي البصري المتوفى سنة ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨م .

يعمل على انجاز تحقيقه الاستاذ الدكتور محيي هلال السرحان ، والكتاب في فروع الفقه الشافعي يقع في حدود (٣٠) جزءاً سبق ان اصدر منه الدكتور محيي هلال السرحان (ادب القاضي) في جزءين وهما من اجزاء هذه الموسوعة الفقهية .

ويعتمد في تحقيقه على عدة نسخ خطية في تركيا ومصر وقطعة منه في مكتبة (ييل) بامريكا ، واقدم نسخة خطية من الكتاب استخدمها المحقق هي نسخة مكتبة سلطان احمد في اسطنبول ترقى الى القرن السابع الهجري القرن الثالث عشر الميلادي .

ويعمل الدكتور السرحان على اعادة طبع كتاب ادب القاضي المذكور مع وضع فهارس جديدة له وسيكون في ستة اجزاء وسيصدر في بيروت قريباً .

(منحة المغيث في شرح الفية العراقي في الحديث)

لمحمد ادريس الكاندهلوي

انجز تحقيقه الاستاذان الدكتور بشار عواد معروف والدكتور محيي هلال السرحان وقد اعتمدا في تحقيقه على نسخة المؤلف وسيكون الكتاب في ثلاثة اجزاء . صدر منها الجزء الاول عن وزارة الاوقاف ببغداد .

دور العرب في تقدم الجغرافيا الوصفية والفلكية

للاستاذ الدكتور اسماعيل العربي الذي انتهى من تأليفه مؤخراً ، تناول فيه دراسة المعارف الجغرافية في العصر الجاهلي وتأثير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف المباشر وغير المباشر في هذه المعارف ، واهتمام العرب بعلم المسالك والممالك . ثم تحدث عن الجغرافيا البحرية عند العرب واهم الربابنة والمؤلفين البحريين ، وسيقدم الكتاب للطبع قريباً .

الفاضل في صفة الادب الكامل

لابي الطيب محمد بن احمد الوشاء المتوفى سنة ٣٢٥ هـ / ٩٣٧ م

يعمل على تحقيقه الدكتور يحيى الجبوري الاستاذ في كلية الاداب بجامعة قطر بالدوحة . وقد جمع اغلب النسخ الخطية المعروفة عن الكتاب المحفوظة في خزائن المخطوطات في العالم ، منها ثلاث نسخ محفوظة في قسم المخطوطات بدائرة الآثار والتراث ببغداد ، والمعروف ان هذا الكتاب لم ترد نسبته الى الوشاء في المصادر الا ان المرحوم يوسف مسكوني اشار الى هذه النسبة في مقال نشره في مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٥ . علماً ان الكتاب طبع بتحقيق يوسف مسكوني ببغداد سنة ١٩٧٢ وطبع ثانية بمراجعة السيد حكمت رحماني سنة ١٩٧٦ .

عيون اخبار الاعيان ممن مضى من سالف العصور والازمان

لاحمد بن عبدالله الغرابي المتوفى سنة ١١٠٢ هـ / ١٦٩١ م

يعمل على تحقيقه الاستاذ عبدالجبار العمر معتمداً على نسخة خطية محفوظة في قسم المخطوطات بدائرة الاثار والتراث ببغداد كتبت بخط جامع هذا الكتاب الذي اضاف اليه حوادث الفترة من ١١٠٢ هـ الى ١١١٨ هـ / ١٧٠٦ م .

والكتاب يتناول تأريخ العرب والامم الاخرى جعله المؤلف في مقدمة تحدث فيها عن معنى التأريخ ، ومقالتين : الاولى : في انباء من كان قبل مبعث الرسول (ص) والثانية في احوال الرسول (ص) والعصور العربية الاسلامية .

كتاب التحديد في الاتقان والتجويد

لابي عمر عثمان بن سعيد الداني المتوفى سنة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م

انجز تحقيقه الدكتور غانم قدوري الحمد الاستاذ في كلية الشريعة ببغداد وقد اعتمد في تحقيقه على نسختين : الاولى نسخة وهبي افندي في تركيا كتبت سنة ٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م ونسخة اخرى في خزانة جستربتي ، وقد ضمن المحقق هذا الكتاب دراسة عن المؤلف واهم مصنفاته ، فقدم لنا رسالة عن مصنفات الداني حققها والحقها بالكتاب . وختم الكتاب بفهارس للاعلام .

الموضح في التجويد

لعبدالوهاب بن محمد القرطبي المتوفى سنة ٤٦١ هـ /

١٠٦٨ م

حققها الدكتور غانم قدوري معتمداً في ذلك على نسختين الاولى من برلين والثاني من خزانة الاوقاف في الموصل .

سبك الذهب في علم النسب

لاحمد بن علي بن الحسن بن عنبة الحسيني المتوفى سنة ٨٢٩ هـ / ١٤٢٥ م .

وهو كتاب في انسان بني هاشم ومن يتصل بنسبهم الى فترة قريبة من عهد المؤلف . يعمل الاستاذ الدكتور حسين علي محفوظ على دراسته وتحقيقه ووضع مشجرات له وقد اعتمد في ذلك على نسخة قسم المخطوطات بدائرة الاثار والتراث .

احتفالات النصر بالذكرى المئوية الثامنة لمعركة حطين

اقام اتحاد المؤرخين العرب احتفالات في عدد من الاقطار العربية بالتعاون مع الجهات المعنية بمناسبة مرور (٨٠٠) عام على الانتصار الكبير الذي حققه العرب بقيادة البطل صلاح الدين الايوبي في معركة حطين الذي يصادف ٣ تموز ١١٨٧ للميلاد ، والتي كانت بداية لتحرير كامل الارض العربية المحتلة حيث زحفت جيوش صلاح الدين بعد انتصاره في تلك المعركة نحو سواحل بلاد الشام وفلسطين فحرر عكا وصفوريا والناصرة وعسقلان وغزة والبطرون ، فانهارت بذلك القوات الصليبية ، ولم يبق امام صلاح الدين الا تحرير القدس ، فتوجه اليها في منتصف رجب من سنة ٥٨٣ هـ / ٢٠ ايلول ١١٨٧ م واخترق سور المدينة فاستسلمت له ودخلها منتصراً وصلى الجمعة في بيت المقدس ، واطلق سراح الاسرى لقاء فدية بسيطة وحقن الدماء فامن الناس على ارواحهم واموالهم ثم اخذ يطوف بالاحياء الفقيرة ويوزع الهدايا على الناس ويهنيء السكان النصارى بعيد الميلاد ، على عكس ما عامل به الصليبيون اهالي القدس عندما دخلوها غزاة محتلين وقتلوا عددا كبيرا من سكانها حتى خاضت خيولهم بدماء العرب المسلمين من سكان القدس .

ان مناسبة مرور (٨٠٠) عام على هذا الانتصار الكبير والحدث التأريخي الرائع الذي يعد منعطفاً مهماً في حياة امتنا العربية في تلك الفترة يستحق ان تقام له هذه الاحتفالات وتخلد على مدى التأريخ . علماً ان اتحاد المؤرخين العرب قد اتخذ من يوم ٢ / تشرين الاول من كل عام عيداً للمؤرخين العرب وهو يصادف يوم تحرير القدس .

ومن النشاطات التي اقامها الاتحاد بهذه المناسبة هي :

١ ـ الاحتفال الذي اقيم في القاهرة في قاعة صلاح الدين بفندق الشيراتون الذي نظمته اللجنة المصرية لتضامن الشعوب الافريقية والاسيوية ومركز الدراسات العربية بلندن بالاشتراك مع اتحاد المؤرخين العرب للفترة من ٢٠ ـ ٢١ / حزيران ٩٨٧ تحت شعار (صلاح الدين والعمل العربي الموحد) القيت فيه العديد من البحوث والكلمات وستطبع بكتاب مستقل في القاهرة .

٢ ـ وزارة الثقافة والاعلام العراقية بالتنسيق مع اتحاد المؤرخين العرب اقامت العديد من الفعاليات منها معرض للكتاب وندوة تأريخية القيت خلالها العديد من البحوث والدراسات التأريخية والحضارية والسياسية المتعلقة بمعركة حطين وابعادها المختلفة وستطبع البحوث في بغداد . وقد افتتحت هذه الفعاليات في تكريت حيث مسقط رأس البطل صلاح الدين الايوبي في ١ / ٧ / ٩٨٧ واستمرت في بغداد لغاية ٣ / ٧ / ١٩٨٧ .

٣ ـ الجامعة الاردنية وجامعة اليرموك بالتنسيق مع اتحاد المؤرخين العرب اقامت في كل من عمان واربد في ٤ / ٧ / ١٩٨٧ حضرها جمع من المؤرخين والمعنيين القيت فيها العديد من الكلمات والبحوث .

٤ ـ ندوة المجلس القومي للثقافة العربية في المغرب بالتنسيق مع اتحاد المؤرخين العرب ، وقد عقدت الندوة في الرباط للفترة من ٢ / ٧ / ٩٨٧ لغاية ٤ / ٧ / ١٩٨٧ وستطبع البحوث في المغرب .

٥ ـ وزارة الثقافة السورية بالمشاركة مع اتحاد المؤرخين العرب اقامت ندوة في قاعة الامويين في فندق الشام بدمشق حضرها جمع من المؤرخين العرب القيت فيها العديد من البحوث والدراسات وذلك للفترة من ١١ ـ ١٣ تموز ١٩٨٧ وستطبع البحوث في دمشق .

٦ ـ جامعة صنعاء في الجمهورية العربية اليمنية اقامت مهرجانا لمدة اسبوع بدأ في ٤ / ٧ / ١٩٨٧ شمل ندوة علمية تأريخية ومعرضاً للكتاب وفعاليات ثقافية تخص المناسبة .